Arabic

كتاب الأغاني

تأليف

أبي الفرج الأصبهاني علي بن الحسين

٣٥٦ هـ - ٩٦٧ م

الجزء الثاني

مصورة عن طبعة دار الكتب

كتاب الأغاني

تأليف

أبي الفرج الأصبهاني علي بن الحسين

٣٥٦ هـ - ٩٧٦ م

الجزء الثاني

مصور عن طبعة دار الكتب

طبعة كاملة الأجزاء معها فهرس
جامع وتصويبات واستدراكات

مؤسسة جمال للطباعة والنشر
وطى المصيطبة - شارع حبيب أبي شهلا - بناية المكن

بيان

(١) روجع هذا الجزء على النسخ التى روجع عليها الجزء الأول ما عدا النسخة الأوروبية التى اصطلحنا على تسميتها بالحرف (ر) لأن طابعها اقتصر على طبع بعض الجزء الأول وانتهى، كما قلنا فيما كتبناه عنها فى تصدير الجزء الأول، قبل آخر أخبار ابن محرز ونسبه، وما عدا النسخة التيمورية التى اصطلحنا على تسميتها بالحرف (ت) وقد قلنا فيما كتبناه عنها هناك إنه لا يوجد منها سوى الجزء الأول، كما روجع هذا الجزء على نسخة خطية محفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٥٧٩ أدب تبتدئ من الجزء الثانى، واليك وصفها :

نسخة (ط)

قد اصطلحنا على تسميتها بالحرف « ط » لأن كاتبها هو محمد بن أبى طالب البدرى وذلك فى شهور سنة ٦١٤ هـ . ولم نرمز لها بالحرف « م » من محمد أو «ب» من البدرى، لأننا رمزنا بهذين الحرفين لنسختين أخريين عند تصحيح الجزء الأول ووصفناهما فى تصديره .

أما هذه النسخة فالموجود منها بدار الكتب المصرية أربعة أجزاء فى أربعة مجلدات وهى :

١ — الجزء الثانى، أوله فى الصفحة الأولى ذكر عدىّ بن زيد، ثم ما يلى هذه الصفحة مخروم . والخرم يستغرق كل أخبار عدى ثم جزءا من أخبار الحطيئة،

ويبلغ مقداره نحو ٢٨ صفحة ونصف صفحة من طبعة بولاق . وتبد
الصحف الموجودة بهذا البيت :

باستك إذ خلفتنى خلف شاعر * من الناس لم أكفئ ولم أنحل

وتنتهى بآخر أخبار بشار بن برد الشاعر ونسبه .

ورسم بوجه الصفحة الأولى صورة ملونة بالأحمر والأخضر وا
واللازوردى ، وفيها بعض التذهيب ، وهى تمثل مجلسا من مجالس ا
والغناء وقد ضم عددا من الجوارى والقيان . وفى هامش ظهر هذه ال
طبع خاتم لم يظهر منه إلا « أبو الحسن على الشريف » وبدائرته « لا إ
الله وحده صدق وعده » . ويقع هذا الجزء فى ١٧٣ صفحة . ويبلغ
الصفحة منه ٣٢ سنتيمترا ، وعرضها ٢٣ سنتيمترا ، وطول ما كتب
٢٤ سنتيمترا بعرض ١٦ سنتيمترا ، وفى كل صفحة ١٥ سطرا .

وليس بهوامشه سوى بعض كلمات أو جمل سقطت من الا
فاستدركها الناسخ وكتب فى نهايتها كلمة « صح » إشارة الى سقوطها
الأصل ، أو روايات مختلفة عن نسخ أخرى ، ويكتب فوقها الحرف «
إشارة الى روايتها بهذا النص فى نسخة أخرى .

أما خط الجزء فهو النسخى المعهود . وهو واضح متقن ، وأوله محلى بالذه
وتراجمه كذلك ، وقد ضبطت ألفاظه بالحركات . وورد بآخره هذه العبا

« الحمد لله وحده . طالعه الفقير حسن بن محمد العطار الأزهرى
الله له » . وهو عالم جليل ومؤلف معروف ، تولى مشيخة الأزهر الشري
سنة ١٢٤٦ هـ .

كما ورد أيضا : « طالعه الفقير درويش سنة ١٠١٦ » .

٢ — الجزء الرابع ، وأوله أخبار طويس ونسبه ، وينتهى الى آخر نسب ابراهيم الموصلى وأخباره .

وفى أول هـذا الجزء ورقة مكتوبة بخط مخالف لخط الكتاب تشمل أسماء من ترجم لهم صاحب الأغانى فى هـذا الجزء كما كتبت فيها هذه العبارة بخط مخالف لهذا الخط أيضا وهى :

« الحمد لله وحده . قد دخل هذا الجزء الذى هو الرابع من الأغانى فى نوبة عبد الله ابن الفقير اليـه محمد بن محمود الجزائرى الشهير بابن العنابى — كان الله له — بثمن قدره تسع ريالات صغيرة جزائرية وربع واحدها ؛ وذلك بتاريخ أواخر شعبان سنة خمس عشرة واثنى (كذا) عشر (كذا) مائة أحسن الله عاقبتها بحمده اليه » .

وقد رسم بوجه الصحيفة الأولى منه صورة بالألوان كالسابقـة إلا أنها تخالفها فى الوضع . وهى تمثل أميرا وحوله الغوانى والقيان وفى أيديهنّ العود والدف والقيثارة .

وأوصافه من جهة الخط والمقياس تنطبق على أوصاف المجلد السابق لأنه مخطوط بخط الناسخ المتقدّم ، ويقع فى ٢٠٥ صفحة ، وبه خروم فى الوسط .

وقد كتب بآخره : « الحمـد لله . طالعه الفقير حسن بن محمـد العطار الأزهرى سامحه الله » و « الحمد لله . طالعه محمـد أحمد السروجى المـالكى فى ثانى ذى القعدة سنة سبع وسبعين وثمـانمـائة غفر الله له وللمسلمين وصلى الله على محمد وآله وسلم » .

٣ — الجزء الحادى عشر، وأوله خبر أساقفة نجران مع النبى صلى الله عليه وسلم، وينتهى الى أول أخبار سويد بن أبى كاهل ونسبه، وهو مخطوط بخط الناسخ المتقدم أيضا وأوصافه كأوصاف سابقيه ويقع فى ٢٠٨ صفحة .

وقد كتب بآخره : « الحمد لله . طالعه الفقير حسن بن محمد العطار الأزهرى سامحه الله» و «الحمد لله . طالعه فقير [الى] رحمة ربه الغنى محمد أحمد السروجى المالكى فى حادى عشر محرم الحرام سنة ثمان وسبعين وثمانمائة ... وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم » و « الحمد لله وحده . وصلى الله على سيدنا محمد، طالع فى هذا الكتاب المبارك الفقير سليمان جاويش الشهير بالأخرس و بابن أزدمر غفر الله له بمنه، وذلك فى أوائل شهر المحرم الحرام سنة ثلاثة (كذا) عشر بعد ألف» و «طالع فى هذا الكتاب المفتقر الى رحمة ربه ومغفرته و رضوانه الحقير رمضان أغا ابن المرحوم سليمان جاويش الخدم العالية غفر الله لهما ولوالديهما ولمن طالع فيه وأهدى ثواب لا إله إلا الله محمد رسول الله لهما مع الفاتحة فى شهر ذى القعدة سنة ١٠١٥» و « الحمد لله . تعلق به نظر الفقير أحمد بن محمد بن محمد بن محمد الهوانى » .

٤ — الجزء الثالث عشر وهو مخروم من الأول والأثناء والاخر، وأول ما فيه من أثناء أخبار عبد الله بن الزبير، وينتهى الى أثناء أخبار عمرو بن بانة، وهو مخطوط بخط الناسخ المتقدم أيضا، وأوصافه كأوصاف الأجزاء السابقة . والموجود منه ١٧٢ صفحة .

(ب) لم نراع فى فهرس هذا الجزء وضع الحرف (ت) بجانب الرقم ليدل على عدد السطر فى التعليقات المكتوبة أسفل الصحف، بل رأينا لسهولة المراجعة

الاقتصار على رقم الصفحة وعدد السطر فقط سواء كان فى صلب الكتاب أو حواشيه .

(ح) نبهنا حضرة الباحث المحقق الأب أنطون صالحانى اليسوعى الى أن نضع فى هامش كل صفحة إزاء السطر الخامس والعاشر والخامس عشر الخ الأعداد ٥ و١٠ و١٥ وهكذا ليقف المطالع بسرعة وبدون عناء على السطر المطلوب الذى عينه الفهرس دون أن يلتجىء الى عدّ الأسطر لتعيين السطر المطلوب وفى ذلك شىء من الاعنات للقراء لا نود لهم أن يتورطوا فيه ، كما نبهنا أيضا الى أن نضع أرقام صحف النسخة المطبوعة ببولاق وهى المنتشرة غالبا فى أيدى الناس كما أنها النسخة التى يشير اليها الباحثون والمستشرقون فى مؤلفاتهم حين ينقلون عن كتاب الأغانى ، لكى يسهل على من يريد الرجوع الى عبارة منبه عليها بصفحتها فى هذه الطبعة (طبعة بولاق) الرجوع اليها بلمحة بصر فى طبعتنا هذه ، وقد ابتدأنا ذلك من الصفحة ١١٣ من هذا الجزء ووضعنا رقم الصفحة وتحته مفصولا عنه بشرطة أفقية رقم الجزء فمثلا $\frac{١٢٥}{٢}$ يدل على الصفحة ١٢٥ من الجزء الثانى وهكذا . وسنراعى ذلك فى جميع أجزاء الكتاب إن شاء الله مع تقديم جزيل الشكر له على هذه الملاحظات القيمة .

مجنون ليلى

بسم الله الرحمن الرحيم

الجزء الثاني

من كتاب الأغاني

أخبار مجنون بني عامر ونسبه

هو — على ما يقوله من صحّح نسبه وحديثه — قَيْسٌ، وقيل : مَهْدىّ، والصحيحُ [أنه](1) قيسُ بنُ الملوح(2) بن مُزَاحِم بنِ عُدَسَ(3) بنِ رَبيعةَ بن جَعْـدةَ بن كَعْب بن رَبيعة بن عامر بن صَعْصَعةَ . ومن الدليل على أنّ آسمه قيسٌ قولُ لَيْلَى صاحبته فيه : نسبه وتصحيح اسمه

ألا ليتَ شِعْرِى والخطوبُ كثيرةٌ * متى رَحْلُ قَيْسٍ مُستقِلٌّ فراجعُ

---

(1) جاءت هذه الكلمة فى حـ وليست فى سائر النسخ. (2) لم نقف على ضبط هذا الاسم بخصوصه ولكن العرب سمّوا مُلَوَّحا بفتح الواو وهو الذى ذكره صاحب القاموس ولم يذكر أنه سُمّى بمُلَوِّح بكسرها .

(3) كذا فى أغلب الأصول . وفى ت ، حـ : «ابن مزاحم بن قيس بن عدى بن ربيعة» . وقد نقل صاحب اللسان فى مادة «عدس» عن ابن الأنبارى : أنّ كل ما فى العرب «عدس» فإنه بفتح الدال إلا عدس بن زيد فانه بضمها وهو عدس بن زيد بن عبد الله بن دارم ، وكذلك نص عليه أبو على القالى فى النوادر ج ٣ ص ٢٠٩ طبع دار الكتب المصرية .

وأخبرنى الحَسَن بن علىّ[(١)] قال حدّثنا أحمد بن زُهَير قال: سمعتُ مَنْ لا أُحْصِى يقول: اسمُ المجنونِ قيسُ بن الملوّح.

قيل كانت به لوثة ولم يكن مجنونا

وأخبرنى هاشمُ بن محمد الخُزَاعىّ قال حدّثنا الرِّيَاشىّ، وأخبرنى الجوهرىّ عن عمرَ بنِ شَبَّة أنهما سمِعا الأصمعىَّ يقول — وقد سُئل عنه —: لم يكن مجنونا ولكن كانتْ به لُوثة[(٢)] كلُوثةِ أبى حَيَّة[(٣)] النُّمَيْرِىّ.

اختلاف الرواة فى وجوده

وأخبرنى حبيبُ بن نَصْر المُهَلَّبىّ وأحمد بن عبد العزيز الجَوْهرىّ[(٤)] عن آبن شَبَّة عن الحِزَامىّ قال حدّثنى أيُّوبُ بنُ عَبَايَةَ قال: سألتُ بَنِى عامرٍ بطنًا بطنًا عن مجنون بنى عامر فما وجدتُ أحدا يعرفه.

وأخبرنى عمّى قال حدّثنا أحمدُ بن الحارث عن المدائنىّ عن آبن دَأْب[(٥)] قال: قلتُ لرجل من بنى عامر: أتعرِف المجنونَ وتَرْوِى من شعره شيئا؟ قال: أَوَقد فرَغْنا من شعر العقلاء حتى نَرْوِىَ أشعار المجانين! إنهم لكثيرٌ! فقلتُ: ليس هؤلاء أعنِى، إنما أَعنِى مجنونَ بنى عامر الشاعرَ الذى قتله العشقُ، فقال: هيهات! بنو عامر أغلَظُ

---

(١) كذا فى أغلب الأصول. وفى نسخة حـ: «وأخبرنى الحرمىّ عن أحمد بن زهير».

(٢) فى القاموس وشرحه ولسان العرب: اللوثة بالضم: الحمق ويفتح وذكر الوجهين ابن سيده فى المحكم عن ابن الأعرابىّ. وعبارة المصباح: اللوثة بالفتح: الحماقة وبالضم: الاسترخاء والحبسة فى اللسان.

(٣) له ترجمة فى الجزء الخامس عشر من الأغانى طبع بولاق.

(٤) فى ت: «قالا حدّثنا عمر بن شبة».

(٥) هو عيسى بن يزيد بن بكر بن دأب، كان عالما بأخبار العرب وأشعارهم وكان فوق ذلك شاعرا، وكان يضع بالمدينة الشعر وأحاديث السمر وكلاما ينسب الى العرب، وكان من أكثر أهل الحجاز أدبا وعلما وعذوبة لفظ ومعرفة بأخبار الناس وأيامهم، وكان لذيذ المفاكهة طيب المسامرة كثير النادرة جيد الشعر حسن الانتزاع له، وهو من نقلة الأخبار ونقاد الأشعار، حظى عند الهادى حظوة لم تكن لأحد قبله (انظر ترجمته فى التعليقات على كتاب التاج للجاحظ ص ١١٦ — ١١٧).

أكبادًا من ذاكَ، إنما يكون هذا فى هذه اليَمانِيَةِ الضِّعافِ قلوبُها، السَّخيفةِ عقولُها، الصَّعْلَةِ (١) رءوسُها، فأما نزارُ فلا.

أخبرنى هاشم بن محمد قال حدّثنا الرِّيَاشىّ قال سمعت الأصمعىّ يقول: رجلان ما عُرِفَا فى الدنيا قطُّ إلا بالآسم (٢): مجنونُ بنى عامر، وآبنُ القِرِّيَّةِ (٣)، وإنما (٤) وضَعَهما الرُّوَاةُ.

وأخبرنا أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عمرُ بن شبّةَ قال حدّثنى عبد الله آبن أبى سَعْد عن الحِزَامىّ قال: ولم أسمعه من الحزامى فكتبتُه عن آبن أبى سعد قال أحمد: وحدّثنا به آبنُ أبى سعد عن الحزامىّ قال حدّثنا عبدُ الجَبَّار بن سعيد بن سليمانَ آبن نَوْفَل بن مُسَاحِقٍ عن أبيه عن جدّه قال: سعيتُ (٥) على بنى عامر فرأيتُ المجنونَ وأُتِيتُ به وأنشدنى.

أخبرنى علىّ بن سليمانَ الأَخْفَشُ قال حدّثنا أبو سَعيد السُّكَّرىّ قال حدّثنا إسماعيلُ بن مُجَمِّع عن المَدَائنىّ (٦) قال: المجنونُ المشهورُ بالشعر عند الناس صاحبُ لَيْلَى قَيْسُ بن مُعَاذ من بنى عامر، ثم من بنى عُقَيْل (٧)، أحد بنى نُمَيْر بن عامر بن عُقَيل،

---

(١) كذا فى ت، حـ. ومعناه الصغيرة رءوسها. وفى حديث أم معبد فى صفة النبىّ صلى الله عليه وسلم: «لم تزر به صَعْلة» قال أبو عبيد: الصعلة: صغر الرأس. وفى م: «الصعبة» بالباء. وفى سائر النسخ: «الصلعة» بتقديم اللام على العين وكلاهما تحريف. (٢) كذا فى ت، م. وفى حـ: «الا بآسم مجنون بنى عامر» وفى باقى النسخ: «الا باسم مجنون مجنون بنى عامر» والصواب ما أثبتناه. (٣) انظر الكلام عليه فى ص ٩ بالحاشية رقم ٤ من هذا الجزء. (٤) كذا فى ت. وفى ب، س: «فانهما». وفى باقى النسخ: «انما وضعهما». (٥) أى خرجت عاملا على قبض الزكاة منهم. (٦) كذا فى ت، حـ. وفى سائر النسخ: «عن المدائنىّ قال قال الخ». (٧) فى شرح مسلم للنووى: أن عقيلا كله بالفتح الا آبن خالد عن الزهرى ويحيى بن عقيل وأبا القبيلة فبالضم. انظر شرح القاموس مادة «عقل».

قال : ومنهم رجل آخر يقال له : مَهْدِىّ بن المُلَوّح من بنى جَعْدَة بنِ كَعْب بنِ رَبِيعة ابنِ عامر بن صَعْصَعة .

قيل إن فتى من بنى أمية وضع حديثه وشعره ونسبه اليه

وأخبرنى عمّى عن الكُرَانِىّ قال حدّثنا ابن أبى سَعْد عن علىّ بن الصَّبّاح عن ابن الكلبىّ قال : حُدِّثتُ أن حديثَ المجنونِ وشِعرَه وضعه فتًى من بنى أُميّةَ كان يهوَى ابنَةَ عمّ له ، وكان يكرَه أن يظهرَ ما بينه و بينها ، فوضع حديثَ المجنون وقال الأشعارَ التى يرويها الناسُ للمجنون ونسَبها إليه .

أخبرنى الحُسَين بن يحيى وأبو الحَسَن الأَسَدِىّ قالا : حدّثنا حمّاد بن إسحاقَ عن أبيه قال : اسم المجنون قيسُ بن مُعَاذٍ أحدُ بَنِى جَعْدَةَ بنِ كَعْب بنِ رَبيعة بن عامر ابن صَعْصَعة .

وأخبرنى أبو سَعْد الحسنُ بن علىّ بن زَكَرِيّا العَدَوِىّ قال حدّثنا حمّاد[(١)] بن طَالُوت ابن عَبّاد : أنه سأل الأصمعىَّ عنه ، فقال : لم يكن مجنونا ، بل كانت به لُوثةٌ أحدثها العشقُ فيه ، كان يهوَى امرأةً من قومه يقال لها لَيْلَى ، واسمه قيسُ بن مُعاذ .

وذكر عَمْرو بن أبى عَمْرو الشَّيْبانىّ عن أبيه أنّ اسمه قيسُ بن مُعَاذ .

وذكر شُعَيب بن السَّكَن عن يُونُسَ النَّحْوِىّ أن اسمه قيسُ بن الملوّح ، قال أبو عمرو الشَّيْبانىّ : وحدّثنى رجل من أهل اليمن أنه رآه ولقيه وسأله عن اسمه ونسبه ، فذكر[(٢)] أنه قيسُ بن الملوّح .

---

(١) كذا فى ب ، سـ ، حـ . وفى باقى النسخ : «عثمان» . (٢) فى ت ، حـ : «عرفه» .

وذكر هشام بن محمد الكلبي أنه قيس بن الملوح، وحدث أن أباه مات قبل اختلاطه[١]، فعقر على قبره ناقته وقال فى ذلك :

عقرتُ على قبر الملوح ناقتى * بذى السَّرْح[٢] لما أن جفاه الأقاربُ
وقلتُ لها كُونى عَقيرًا[٣] فإننى * غدًا راجلٌ أمشى وبالأمسِ راكبُ
فلا يُبعِدنْكَ اللهُ يابنَ مُزاحِمٍ * فكلٌّ بكأس الموت لاشكَّ[٤] شاربُ

وذكر إبراهيمُ بن المُنْذِر الحِزامىّ وأبو عُبيدة مَعْمَرُ بن المُثَنَّى أن آسمه البُحتُرِىُّ ابن الجَعْد .

وذكر مُصْعَب الزُّبيرىّ والرِّياشىّ وأبو العالية أن آسمه الأقرعُ بن مُعاذ .

وقال خالدُ بن كُلْثوم : اسمه مهدىُّ بن الملوح .

وأخبرنى الأخفش عن السُّكَّرىّ عن أبى زِيادٍ[٥] الكِلابىّ، قال : لَيْلَى صاحبةُ المجنون هى ليلى بنتُ سَعْد بن مَهْدىّ بن رَبيعةَ بن الحَرِيش بن كَعْب بن رَبيعة ابن عامر بن صَعْصَعة .

---

(١) يقال : اختلط عقله اذا تغير وفسد . (٢) ذو السرح : واد بأرض نجد .

(٣) عقيرا أى معقورة . وأصل العقر : قطع القوائم ثم أطلق بمعنى النحر . قال ابن الأثير : كانوا يعقرون الإبل على قبور الموتى أى ينحرونها و يقولون : إن صاحب القبر كان يعقر للأضياف أيام حياته فنكافئه بمثل صنيعه بعد وفاته . وانما أطلق العقر على النحر لأنهم كانوا اذا أرادوا نحر البعير عقروه لئلا يشرد عند النحر اه من اللسان مادة عقر . (٤) كذا فى أغلب النسخ . وفى ت ، حـ : « لابدّ شارب » . (٥) اسمه يزيد بن عبد الله بن الحارث قال عنه آبن النديم فى الفهرست طبع ليبزج ص ٤٤ : « إنه قدم بغداد أيام المهدى وكان شاعرا من بنى عامر بن كلاب وله مصنفات ذكرها » . وقال فى تهذيب التهذيب لابن حجر العسقلانى فى ترجمته : « وكان إماما فى اللغة وقال على بن حمزة البصرى فى كتاب التنبيه على أغلاط الرواة : انما بدأت بنوادر أبى زياد لشرف قدرها ونباهة مصنفها » .

أخبرنى محمد بن خَلَف وَكِيعٌ ، قال حدّثنا أبو قِلَابة الرَّقَاشِيّ(١) ، قال حدّثنى عبد الصَّمَد بن المُعَذَّل ، قال : سمعتُ الأصمعىّ وقد تذاكرنا مجنونَ بنى عامر يقول : لم يكن مجنونا وإنما كانت به لُوثَةٌ ، وهو القائل :

أخذَتْ محاسنَ كلِّ ما * ضَنَّتْ محاسنُه بحُسْنِهْ
كادَ الغـزالُ يكونُها * لولا الشَّوَى(٢) ونُشُوزُ قَرْنِهْ

لقب بالمجنون كثير غيره وكلهم كان يشبب بليلى

وأخبرنى عمر بن عبد الله بن جَمِيل العَتَكِىّ قال حدّثنا عمرُ بن شَبَّة قال حدّثنا الأصمعىّ قال :

سألتُ أعرابيا من بنى عامر بن صَعْصَعَة عن المجنون العامرىّ فقال : عن أيِّهم تسألُنى ؟ فقد كان فينا جماعةٌ رُمُوا بالجنون ، فعن أيِّهم تسألُ ؟ فقلت : عن الذى كان يُشَبِّب بلَيْلَى ، فقال : كلُّهم كان يُشبِّب بلَيْلَى ، قلتُ : فأنشِدْنى لبعضهم ، فأنشَدَنى لمُزَاحِم بن الحارث المجنون :

ألا أيُّها القلبُ الذى لَجَّ هائمًا * بلَيْلَى وليدًا(٣) لم تُقَطَّعْ تمائمُهْ
أَفِقْ قد أفاق العاشقون وقد أَنَى(٤) * لكَ اليومَ أن تَلْقَى طبيبا تُلائمُهْ
أَجِدَّكَ(٥) لا تُنسيك لَيْلَى مُلِمَّةٌ * تُلِمُّ ولا عهدٌ يَطُولُ تَقادُمُهْ

---

(١) كذا فى أغلب النسخ . وفى ت ، حـ : «الرياشىّ» بالياء مكان القاف وهو تحريف ، لأن أبا قلابة ، وهو عبد الملك بن محمد ، يعرف بالرقاشىّ نسبة الى رقاش : قبيلة من قيس عيلان (انظر الأنساب للسمعانى فى مادة الرقاشى والخلاصة فى أسماء الرجال فى ترجمته وتهذيب التهذيب لابن حجر العسقلانى) .
(٢) الشوى : الأطراف . (٣) كذا فى ت . وفى باقى النسخ : « وليدا بليلى » .
(٤) أنى : حان وقرب . وفى ت وتزيين الأسواق لداود الأنطاكى : «أبى» . (٥) قال أبو عمرو : أجدّك لا تفعل بفتح الجيم وكسرها والكسر أفصح . ومعناه مالك أجدّا منك ! وهو منصوب على المصدر . وقال ثعلب : ما أتاك فى الشعر من قولك أجدّك فهو بالكسر فاذا قلت بالواو وجدّك فتحت وإنما وجب الفتح لأنه صار قسما ، فكأنه حلف بجدّه والدأبيه .

قلت : فأنشِدْنى لغيره منهم، فأنشَدَنى لمُعاذ بن كُلَيب(١) المجنون :

ألا طالمَا لاعَبْتُ لَيْلَى وقادنى * إلى اللّهو قلبٌ للحِسان تَبُوعُ

وطال امتراءُ(٢) الشوقِ عينىَ(٣) كلّما * نَزَفتُ دُموعا تَسْتَجِدُّ دُموعُ

فقد طال إمساكى على الكَبِد التى(٤) * بها مِن هَوَى لَيْلَى الغَدَاةَ صُدُوعُ

قلتُ : فأنشِدْنى لغير هذين ممن ذكرتَ، فأنشَدَنى لمَهْدِىّ بن المُلَوَّح :

لو انّ لك الدنيا وما عُدِلَتْ به * سِواهَا وليلى بائنٌ عنك بَيْنُها(٥)

لكنتَ الى ليلى فقيرا وإنما * يقود إليها وُدَّ نفسِك حَيْنُها

قلتُ له : فأنشِدْنى لمن بقى من هؤلاء، فقال : حَسْبُكَ ! فوالله إنّ فى واحد من هؤلاء لمن يُوزَنُ بعقلائكم اليومَ .

أخبرنى محمد بن خَلَف وكيعٌ قال حدّثنا أحمد بن الحارث الخرّاز قال قال ابن الأعرابىّ : كان مُعاذ بن كُلَيب(٦) مجنونا، وكان يُحِبّ ليلى، وشَرِكَه فى حبها مُزَاحِمُ بن الحارث العُقَيلىّ، فقال مُزَاحمٌ يومًا للمجنون :

كِلانا يا مُعاذُ يُحِبُّ لَيْلَى * بِفِىّ وفيكَ مِن لَيْلَى التُّرابُ

شَرِكتُكَ فى هَوَى من كان حظّى * وحظَّكَ مِن مودّتها العَذابُ

لقد خَبَلَتْ فؤادَكَ ثم ثَنَّتْ * بقلبى(٧) فهو مخبولٌ مُصابُ

قال فيقال : إنه لما سمع هذه الأبياتَ التَبَس وخولِط فى عقله .

---

(١) كذا فى ب، س. وسيأتى قريبا مصغرا فى جميع النسخ عدا نسخة ت . (٢) الامتراء: الاستدرار . (٣) فى ب، س، ح : «عنى» وهو تحريف . (٤) فى م، ى : «الذى» والكبد مؤنثة وقد اقتصر ابن جنى فيها على التأنيث وكذلك قال اللحيانى : هى مؤنثة فقط وذكر صاحب القاموس الوجهين حيث قال : وقد يذكر ونسب شارحه وجه التذكير الى الفرّاء وغيره .

(٥) بينها هنا معناه وصلها لأنه من أسماء الأضداد، يطلق على الوصل والفراق، وربما كان من إسناد الفعل الى مصدره بجن جنونه وجدّ جدّه وضل ضلاله . وفى ب، س، ح : «حائن» وهو تحريف .

(٦) فى ت : «كاب» . (٧) فى ب، س «بعقلى» .

وذكر أبو عمرو الشَّيْبانىّ: أنه سمع فى الليل هاتفا يهتِفُ بهذه الأبياتِ، فكانت سببَ جنونه.

وذكر إبراهيمُ بن المُنْذِر الحِزامىّ عن أيُّوبَ بنِ عَبَايةَ: أن فتًى من بنى مَرْوانَ كان يهوَى آمرأةً منهم فيقول فيها الشعر وينسبُه إلى المجنون، وأنه عمِلَ له أخبارًا وأضاف إليها ذلك الشعرَ، فحَمَله الناس وزادوا فيه.

إنكار وجوده والقول بأن شعره مولد عليه

وأخبرنى عمّى عن الكُرَانىّ عن العُمَرِىّ عن العُتْبىّ عن عَوَانةَ أنه قال: المجنون آسم مُستعارٌ لا حقيقةَ له، وليس له فى بنى عامر أصلٌ ولا نسبٌ، فسئل مَنْ قال هذه الأشعار؟ فقال: فتًى من بنى أمية.

وقال الجاحظُ: ما ترَكَ الناسُ شعرا مجهولَ القائل قِيل فى لَيْلَى إلا نسبوه إلى المجنون، ولا شعرا هذه سبيلُه قيل فى لُبْنَى إلا نَسَبوه إلى قَيْس بن ذَرِيح[1].

وأخبرنى محمد بن خَلَف وَكِيعٌ قال حدّثنا هارونُ بن محمد بن عبد الملك قال حدّثنى أبو أيُّوبَ المَدِينى[2] قال حدّثنى الحَكَم بن صالح قال: قِيلَ لرجل من بنى عامر: هل تعرِفونَ فيكم المجنونَ الذى قتله العشقُ؟ فقال: هذا باطلٌ، إنما يقتلُ العشقَ هذه اليَمَانِيةَ الضِّعافَ القلوبِ.

(١) فى ت: «قيس بن الملوح».

(٢) كذا فى أغلب النسخ. وفى ب، س: «المدائنى» والصواب ما أثبتناه. قال ابن النديم فى الفهرست طبع ليبزج ص ١٤٨: أبو أيوب المدينى وآسمه سليمان بن أيوب بن محمد من أهل المدينة اهـ. والأكثر فى النسبة الى مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم «مدنى» قال السمعانى فى الأنساب: أكثر ما ينسب اليها المدنىّ ونقل ياقوت عن محمد بن اسماعيل البخارىّ: أن المدينىّ هو الذى أقام بالمدينة ولم يفارقها، والمدنىّ هو الذى تحوّل عنها وكان منها ثم قال: والمشهور عندنا أن النسبة الى مدينة الرسول مدنىّ مطلقا والى غيرها من المدن مدينىّ للفرق لا لعلة أخرى وربما ردّه بعضهم الى الأصل فنسب الى مدينة الرسول أيضا مدينىّ اهـ.

أخبرنا أحمد بن عمر بن موسى قال حدثنا إبراهيمُ بن المُنْذِر الحِزَامِيّ قال حدثني أَيُّوبُ بنُ عَبَايَةَ قال حدثني مَنْ سأل بني عامرٍ بطنًا بطنًا عن المجنون فما وجدَ فيهم أحدا يعرِفُه .

أخبرني محمدُ بن مَزْيد بن أبي الأَزْهَر قال حدثنا أحمدُ بن الحارث عن ابن الأعرابي أنه ذكر عن جماعة من بني عامر أنهم سُئِلوا عن المجنون فلم يعرِفوه ، وذكروا أنّ هذا الشعر كلّه مُوَلَّد[(١)] عليه .

أخبرني أحمد بن عُبَيد الله بن عَمّار[(٢)] قال حدثني أحمدُ بن سُلَيمانَ بنِ أبي شَيْخ عن أبيه عن محمد بن الحَكَم عن عَوانَةَ قال : ثلاثةٌ لم يكونوا قطُّ ولا عُرِفوا : ابن أبي العَقِب صاحبُ قصيدة المَلاحم[(٣)] ، وابنُ القِرِّيّة[(٤)] ، ومجنونُ بني عامر .

---

(١) كذا في أغلب النسخ ، والمولد : المفتعل ، يقال : جاء بكتاب مولد أي مفتعل . وفي ب ، س : « مؤلف » . (٢) في ت : « عبد الله » وقد تقدم غير مرة كما أثبتناه في الأصل .

(٣) الملاحم : جمع ملحمة وهي الواقعة العظيمة في الفتنة ولها علم خاص يبحث فيه عن معرفة أوقات الفتن بالدلائل النجومية ، قال صاحب كتاب مدينة العلوم : وقد عرفت أن علم أحكام النجوم من أضعف العلوم دلالة فلا تعويل عليه أصلا اهـ من كتاب أبجد العلوم لصديق حسن خان طبع الهند ص ٦٣٦

(٤) هو أيوب بن زيد بن قيس ، والقرية أمه وهو من بني هلال بن ربيعة وكان لَسِنا خطيبا ، قتله الحجاج لاتهامه بالميل إلى ابن الأشعث ، وقد عرف به ابن خلكان في تاريخه فقال : « هذا ابن القرية الذي يذكره النحاة في أمثالهم فيقولون : ابن القرية زمان الحجاج » . ثم أورد عبارة صاحب الأغاني هذه وقال : « ابن القرية يعني هذا المذكور وابن أبي العقب الذي تنسب إليه الملاحم واسمه يحيى بن عبد الله بن أبي العقب والله أعلم » .

وقد ذكر صاحب كشف الظنون يحيى هذا باسم يحيى بن عقب ووصفه بأنه معلم الحسن والحسين رضي الله عنهما وملحمته منظومة لامية أولها :

رأيت من الأمور عجيب حال * لأسباب يسطرها مقالي

أخبرنى أبو الحسن الأسدى قال حدّثنا الرياشى قال سمعت الأصمعى يقول : الذى أُلقِىَ على المجنون من الشعر وأُضيف إليه أكثر مما قاله هو .

أخبرنى عيسى بن الحسين الورّاق قال حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثنى إسحاق قال : أنشدت أيوب بن عباية هذين البيتين

وخبّرتمانى أنّ تيماء(١) منزلٌ * لِلَيلى إذا ما الصيفُ أَلقَى المَراسِيا
فهذى شهورُ الصيفِ عنّا قد آنقضتْ * فما لِلنَّوَى ترمِى بليلَى المَرامِيا

وسألته عن قائلهما ، فقال : جميلٌ ، فقلتُ له : إنّ الناس يروونهما للمجنون ، فقال : ومَن هو المجنونُ(٢) ؟ فأخبرتُه ، فقال : ما لهذا حقيقةٌ ولا سمعتُ به .

وأخبرنى عمّى عن عبد الله بن شبيب عن هارونَ بن موسى الفَرْوِىّ(٣) قال : سألت أبا بكر العَدَوِىّ عن هذين البيتين فقال : هما لجميل ، ولم يَعرِف المجنونَ ، فقلتُ : فهل معهما غيرُهما ؟ قال : نعم ، وأنشدنى :

وإنّى لأخشى أن أموتَ فُجَاءةً * وفى النفس حاجاتٌ إليك كما هِيَا
وإنّى لَيُنْسِينِى لِقاؤكِ كلَّما * لقيتُك يوما أن أُبثَّك ما بِيَا
وقالوا به داءٌ عَياءٌ أصابه * وقد علمتْ نفسى مكانَ دوائيا

---

(١) تيماء بالفتح والمدّ : بلد صغير فى أطراف الشام بين الشام ووادى القرى والأبلق الفرد ، حصن السموءل بن عاديا اليهودى مشرف عليها فلذلك كان يقال لها : تيماء اليهودىّ اﻫ من معجم البلدان لياقوت .

(٢) كذا فى ت وفى ب ، س : « وما المجنون » وفى باقى النسخ : « وما هو المجنون » .

(٣) فى ت ، ب ، س ، ح : « القروى » . وفى سائر النسخ : « الهروى » والموجود فى كتب التراجم « هارون بن موسى بن أبى علقمة الفروى » بالفاء ، فلعل القروى أو الهروى محرّفة عنها .

وأنا أذكر مما وقع إلىّ من أخباره جُمَلًا مستحسنة، مُتبرِّئًا من العهدة فيها، فإن أكثر أشعاره المذكورةِ فى أخباره ينسُبُها بعضُ الرُّوَاة إلى غيره ويَنسُبُها مَنْ حُكِيَتْ عنه إليه، وإذا قدّمتُ هذه الشريطةَ برئتُ من عيبِ طاعنٍ ومُتَتبِّعٍ للعيوب.

أخبرنى بخبره فى شَغَفِه بليلى جماعةٌ من الرُّواة، ونسختُ ما لم أسمعه من الروايات وجمعتُ ذلك فى سِياقة خبره ما ٱتّسق ولم يختلِف، فإذا ٱختلَفَ نسَبتُ كلَّ رواية الى راويها.

بدء تعشقه ليلى

فممن أخبرنى بخبره أحمد بن عبد العزيز الجوهرىّ وحبيبُ بن نصر المُهلَّبىّ، قالا: حدثنا عمرُ بن شَبَّة عن رجاله وإبراهيمُ بنُ أيوبَ عن ٱبن قُتَيبة، ونسختُ أخبارَه من رواية خالد بن كُلثوم وأبى عَمرو الشَّيْبانى وٱبن دَأْبٍ وهشام بن محمد الكلبىّ وإسحاق بنِ الجَصّاص وغيرِهم من الرُّوَاة.

قال أبو عمرو الشَّيْبانىّ وأبو عُبَيدةَ: كان المجنونُ يهوَى ليلى بنتَ مَهْدِىّ بن سَعْد بن مهدىّ بن رَبِيعة بن الحَرِيش بن كَعْب بن رَبِيعة بن عامر بن صَعْصَعة وتُكنَى أُمَّ مالكٍ، وهما حينئذ صبيان، فعَلِق كلُّ واحد منهما صاحبَه وهما يرعَيانِ مواشِىَ أهلِهما، فلم يزالا كذلك حتى كَبِرا فحُجِبتْ عنه، قال: ويدل على ذلك قوله:

صــوت

تعلَّقتُ لَيْلَى وهى ذاتُ ذُؤَابةٍ ✱ ولم يَبْدُ للأتراب من ثَدْيِها حجمُ
صغيرين نرعَى البَهْمَ ياليتَ أننا ✱ إلى ٱليوم لم نَكْبَرْ ولم تَكْبَرِ البَهْمُ

---

(١) فى ا، م: «وأنا ذاكر». (٢) كذا فى ح. وفى سائر النسخ: «ومتبع».

(٣) فى ت: «وحجبت» بالواو. (٤) كذا فى جميع النسخ، والذؤابة: شعر الناصية. وفى ديوانه وكتاب الشعر والشعراء فى ترجمته: «وهى غرّ صغيرة». وفى تزيين الأسواق: «وهى ذات تمائم».

فى هذين البيتين للأخضر الجُدّىّ لحنٌ من الثَّقيل الثانى بالوُسْطى ، ذكره هارونُ ابن محمد بن عبد الملك الزيات والهشامىّ .

أخبرنا الحسينُ بن يحيى عن حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن أيُّوبَ بنِ عَباية ونسختُ هذا الخبرَ بعينه من خطّ هارونَ بن محمد بن عبد الملك الزيّات قال : حدّثنا عبدُ الله بن عمرو بن أبى سعد قال حدّثنا الحسنُ بن علىّ قال حدّثنى أبو عتّاب (١) البصرىّ عن إبراهيمَ بن محمد الشافعىّ قال :

بَيْنَا ابنُ مُلَيكة يؤذّن إذ سمِع الأخضرَ الجُدّىّ يُغنّى من (٢) دار العاص بن وائل :

وعُلِّقتُها غرّاءَ ذاتَ ذوائبٍ * ولم يَبدُ للأتراب من ثديها حجمُ
صغيرين نرعى البَهْم (٣) يا ليتَ أننا * إلى اليوم لم نكبَرْ ولم تكبر البَهْمُ

قال : فأراد أن يقول : حىَّ على الصلاة فقال : حىَّ على البَهْم ، حتى سمِعه أهلُ مكة فغدا يعتذرُ إليهم .

وقال ابنُ الكلبىّ : حدّثنى معروف المكىّ والمُعَلّى بن هِلال (٤) وإسحاق بن الجصّاص قالوا :

كان سببُ عشقِ المجنون ليلَى ، أنه أقبل ذات يوم على ناقة له كَرِيمة وعليه حُلّتان من حُلَل الملوك ، فمرّ بامرأة من قومه يقال لها : كَرِيمةُ ، وعندها جماعةُ نسوة يتحدّثن فيهن ليلى ، فأعجبهن جمالُه وكمالُه ، فدعَوْنه الى النزول والحديث (٥) ، فنزل وجعل يُحدّثهن وأمر عبدًا له كان معه فعقر لهن ناقته ، وظَلّ (٦) يُحدّثهن بقية

(١) كذا فى ت ، ب ، س ، حـ . وفى سائر النسخ : « أبو غياث النصرى » .

(٢) كذا فى أغلب النسخ وفى ت « فى دار » . (٣) البهم : جمع بهمة وهى الصغير من أولاد الضأن والمعز والبقر من الوحش وغيرها ، الذكر والأنثى فى ذلك سواء . (٤) فى ت : « هليل » بالتصغير . (٥) فى ت : « الى النزول والحديث معهم » ولعل أصلها « معهن » .

(٦) هكذا فى ب ، س ، م ، ا وفى سائر النسخ : « وجعل » .

يومه، فبينا هو كذلك، إذ طلع عليهم فتى عليه بُرْدَةٌ[(١)] من بُرَدِ[(٢)] الأعراب يقال له: «مُنازِلٌ»[(٣)] يَسُوق مِعزًى له، فلما رأينه أقبلن عليه وتركن المجنونَ، فغضب وخرج من عندهن وأنشأ يقول:

أأُعقَرُ مِنْ جَرّا[(٤)] كَرِيمةَ ناقتي * ووَصْلِيَ مَفْروشٌ[(٥)] لِوَصْلِ مُنازِلِ

إذا جاء قَعْقَعْنَ الحُلِىَّ ولم أَكُنْ * إذا جئتُ أرضَى صوتَ تلكَ الخلاخِلِ

متى ما انْتضَلْنا[(٦)] بالسِّهام نضَلْتُه * وإن نَرْمِ رَشْقًا[(٧)] عندها فهو ناضِلى

قال: فلما أصبح لبِس حُلَّتَه وركب ناقة له أخرى ومضى مُتَعَرِّضًا لهن، فألفَى لَيْلَى قاعدةً بِفناء بيتها وقد عَلِق حبُّه بقلبها وهَوِيَتْه، وعندها جُوَيرِياتٌ يتحدّثْن معها، فوقف بهن وسلّم، فدَعونَه إلى النزول وقلن له: هل لك فى مُحادثةِ مَنْ لا يَشغَلُه عنك مُنازِلٌ ولا غيرُه؟ فقال: إى لَعَمْرِى[(٨)]، فنزل وفعل مثلَ ما فعله بالأمس، فأرادت أن تعلم، هل لها عنده مثلُ ما له عندها، فجعلت تُعرِضُ عن

---

(١) كذا فى أغلب النسخ وفى ت: «إذ طلع فتى عليهم فى بردة الخ». (٢) كذا فى ح وفى بقية الأصول «برود» وقد رجحنا ما فى ح لأن الموجود فى كتب اللغة أن بردة تجمع على بُرَد ولم يذكروا أنها تجمع على برود، وجمع فُعْلة على فُعُول يتوقف على السماع نحو شُعبة وشُعوب انظر شرح الأشمونى على الخلاصة فى باب جمع التكسير. (٣) لم نقف لهذا الاسم على ضبط معين وقد ضبط بضم الميم فى نسخة أ. وقد سمى العرب مَنازل كمساجد ومُنازل كمساعد. (٤) أى من أجل، يقال: فعلت ذلك من جرّاك أى من أجلك ومما أُنشِدَ على هذا:

أمن جرّا بنى أسد غضبتم * ولو شئتم لكان لكم جوارُ

(٥) كذا فى أغلب النسخ ومعناه ممهد لوصله وسبيل اليه. وفى ت وتزيين الأسواق: «مقرون بوصل منازل». (٦) أى ترامينا بالسهام، ونضله: غلبه. (٧) الرشق: رمى أهل النضال ما معهم من السهام فى جهة واحدة. (٨) كذا فى أغلب النسخ. وفى ت، ح: «إيه لعمرى».

حديثه ساعةً بعد ساعةٍ وتُحدّث غيرَه ، وقد كان عَلِق بقلبه مثلُ حبها إياه وشَغَفته وآستملحها ، فبينا هى تُحدّثه ، إذ أقبل فتًى من الحىّ فدعته وسارّته سِرارا طويلا ، ثم قالت له : انصرف ، ونظرت إلى وجه المجنون قد تغيّر وآنتُقِع[1] لونه وشقّ عليه فعلُها ، فأنشأت تقول :

كِلانا مُظهرٌ للناس بغضًا * وكلٌّ عند صاحبه مَكِينُ
تُبلّغُنا العيونُ بما أردنا * وفى القلبين ثَمّ هَوًى دَفِينُ

فلما سمع البيتين شَهَق شَهْقةً شديدة وأُغمِىَ عليه ، فمكث على ذلك ساعةً ، ونضحوا الماءَ على وجهه [حتى أفاق][2] وتمكّن حبُّ كل واحد منهما فى قلب صاحبه حتى بلغ منه كلَّ مَبلغ .

ـه لليـلى
بارها عليه
شعره فى ذلك

أخبرنى الحَسَن بن علىّ قال حدّثنى هارونُ بن محمد بن عبد الملك قال حدّثنى عبدُ الرحمن بن إبراهيم عن هِشَام بن محمد بن موسى المكىّ عن محمد بن سَعيد المَخزومىّ عن أبى الهَيْثم العُقَيلىّ قال :

لما شُهِر أمرُ المجنون وليلى وتناشد الناسُ شعرَه فيها ، خطَبها وبذَل لها خمسين ناقةً حمراء ، وخطَبها وَرْدُ بن محمد العُقَيلىّ وبذَل لها عَشْرًا من الأبل وراعِيَها ، فقال أهلُها : نحن مُخيِّروها بينكما ، فمَن آختارَتْ تزوّجتْه ، ودخلوا إليها فقالوا : واللهِ لئن لم تختارِى وَرْدًا لنُمثِّلَنّ بكِ ، فقال المجنونُ :

ألا يا لَيلَ إن مُلِّكْتِ فينا * خِيارَكِ فآنظُرِى لمَن الخِيارُ
ولا تَستَبْدِلى مِنّى دَنيًّا * ولا بَرَمًا[3] إذا حُبَّ[4] القُتارُ[5]

---

(١) يقال : انتقع لونه إذا تغير من هم أو فزع . (٢) زيادة فى ت ، حـ .
(٣) البرم : اللئيم . (٤) فى صـ : «حث» بالثاء . (٥) القتار : ريح اللحم المشوى .

يُهَوِّلُ فى الصغير إذا رآه * وتُعجِـزُه مُلِمَّاتُ كِبَارُ
فمثلُ تأيُّمٍ منـه نكاحٌ * ومثلُ تَمَوُّلٍ منه ٱفتقارُ

فاختارَتْ وَرْدًا فتزوجته على كُرْهٍ منها .

حكاية أبيه عن جنونه بليلى

وأخبرنى أحمدُ بن عبد العزيز وحَبِيبُ بن نَصْر قالا : حدثنا عمرُ بن شبَّةَ قال ذكر الهَيْثَمُ بن عَدِىّ عن عثمان بنِ عِمارة بن حريم[1] المُرِّى قال :

خرجتُ إلى أرض بنى عامر لألقى المجنونَ ، فَدُلِلْتُ عليـه وعلى مَحَلَّته ، فلقيتُ أباه شيخا كبيرا وحَوْلَه إخوةٌ للمجنون مع أبيهم رجالا ؛ فسألتُهم عنـه فبَكَوْهُ[2] ، وقال الشيخ : أمَا والله لهو كان آثرَ عندى من هؤلاء جميعا ، وإنه عَشِقَ ٱمرأةً من قومه والله ما كانت تطمع فى مثله ، فلما فشا أمرُه وأمرُها كره أبوها أن يُزَوِّجَه إياها بعد ما ظهر من أمرهما ، فزوجها غيرَه ، وكان أوّلَ ما كَلِفَ بها يجلس إليها فى نفرٍ من قومها فيتحدّثون كما يتحدّثُ الفِتيانُ[3] ، وكان أجملَهم وأظرفهم وأرواهم لأشعار العرب ، فيُفيضونَ فى الحديث فيكون أحسنَهم فيه إفاضةً ، فتُعرِضُ عنه وتُقبِلُ على غيره ، وقد وقع له فى قلبها مثلُ ما وقع لها فى قلبه ، فظنَّتْ به ماهو عليـه من حبها ، فأقبلت عليه يوما وقد خَلَتْ فقالت :

(١) كذا فى ا ، م «حريم» بالحاء والراء المهملتين وهو الموافق لما جاء فى تاريخ ابن جرير الطبرى ص ٢٨١ قسم ٣ وفى ت : «عثمان بن عميرة بن جرير المرى» . وفى سائر النسخ : «عثمان ابن عمارة بن خزيم المرى» . (٢) فى ت ، حـ : «فبكوا» .

(٣) كذا فى ت . وفى ا ، سـ ، م : «فيتحدّثان كما يتحدّث الفتيان الى الفتيات» وفى ب : «فيتحدّثان كما يتحدّث الفتيان الى الفتيان» وفى حـ «فيتحدّثان كما يتحدّث الفتيان» .

صـوت

كِلانا مُظهِرٌ للناس بغضًا * وكلٌّ عند صاحبه مَكِينُ
وأسرارُ المَلَاحِظِ ليس تخفَى * إذا نطقتْ بما تُخفِى العيونُ(١)

— غنّتْ فى الأول عَرِيبُ خفيفَ رَمَلٍ، وقيل: إنّ هذا الغناء لشارِيَةَ(٢)، والبيتُ الأخير ليس من شعره — قال: نخَرّ(٣) مغشيًّا عليه ثم أفاق فاقدًا عقلَه، فكان لا يلبَسُ ثوبا إلا خرّقه ولا يمشى إلا عاريا ويلعب بالتراب ويجمعُ العظامَ حولَه، فإذا ذُكرتْ له ليلى أنشأ يحدّث عنها عاقلًا ولا يُخطئ حرفًا، وترك الصلاةَ، فإذا قيل له: مالكَ لا تُصلّى! لم يرُدّ حرفا، وكنا نحبسه ونُقيّده، فيعَضّ لسانَه وشفتَه، حتى خشينا عليه فخلّينا سبيلَه فهو يهيمُ.

قصته مع عمر بن عبد الرحمن بن عوف

قال الهيثمُ: فولّى مروانُ بن الحَكَم عمرَ بن عبد الرحمن بن عَوْف صدقاتِ بنى كعب وقُشَير وجَعْدَةَ والحَرِيش وحَبِيب وعبدِ الله، فنظر إلى المجنون قبل أن يَستحكمَ جُنُونه(٤) فكلّمه وأنشده فأُعجِبَ به، فسأله أن يخرجَ معه، فأجابه إلى ذلك، فلما أراد الرَّواحَ جاءه قومُه فأخبروه خبرَه وخبرَ ليلى، وأنّ أهلها آستعدَوُا السلطانَ عليه، فأهدرَ دمَه إن أتاهم(٥)، فأضربَ عما وعده وأمر له بقلائصَ، فلما علم بذلك وأُتِى بالقلائص ردّها عليه وآنصرف.

---

(١) فى ت، ح وتزيين الأسواق: «وقد تغرى بذى اللحظ العيون». وفى تزيين الأسواق رواية أخرى وهى: «وقد تغرى بذى اللحظ الظنون». (٢) سيأتى التعريف بها فى الجزء الرابع عشر طبع بولاق ولم نعثر لها على ضبط، والأقرب أن يكون ضبطها بفتح الياء على زنة اسم الفاعل من شرى. (٣) كذا فى ب، س، م، أ وفى ت، ح «غنت فى الأول عريب مع البيت الأخير وهو الثانى وليس هو من شعر المجنون خفيف رمل، وقيل: ان هذا الغناء لشارية قال: فخر مغشيا عليه الخ». (٤) كذا فى أغلب النسخ وفى ت، ح «حبه». (٥) كذا فى أغلب النسخ. وفى ت، ح: «فانصرف عما وعده به وأمر له بقلائص».

وذكر أبو نصر أحمد بن حاتم عن جماعة من الرُّواة : أنّ المجنون هو الذى سأل عمرَ بنَ عبدالرحمن أن يخرج به (١)، قال له : أكون معك فى هذا الجَمْع الذى تجمعه غدا، فأُرى (٢) فى أصحابك، وأتجمل فى عشيرتى بك (٣)، وأفخرُ بقربك، فجاءه رَهْطٌ من رهط ليلى (٤) وأخبروه بقصّته، وأنه لا يريد التجمّلَ به، وإنما يريد أن يدخلَ عليهم بيوتَهم ويفضحَهم فى امرأة منهم يهواها، وأنهم قد شكَوْه إلى السلطان فأهدرَ دمَه إن دخل عليهم، فأعرضَ عما أجابه إليه من أخذه معه وأمرَ له بقلائصَ، فردّها وقال [فى ذلك] (٥) :

رَددتُ قلائصَ القرشيّ لمّا * بدا لى النقضُ منه للعهودِ
وراحوا مُقصِرين وخلَّفونى * إلى حُزنٍ أعالجُه شديد

قال : ورجع آيسا فعاد إلى حاله الأولى، قال : فلم تزل تلك حالَه، إلا أنه غيرُ مستوحشٍ، إنما يكون فى جَنَبَاتِ الحىّ منفردًا عاريا لا يلبس ثوبا إلا خَرَّقَه، ويَهْذِى ويُخطِّطُ فى الأرض ويلعب بالتراب والحجارة، ولا يُجيب أحدا سأله عن شىء، فإذا أحبُّوا أن يتكلّم أو يثوبَ عقلُه ذكروا له ليلى، فيقول : بأبى هى وأُمّى، ثم يرجع إليه عقله فيخاطبونه ويُجيبهم، ويأتيه أحداثُ الحىّ فيحدِّثونه عنها ويُنشِدُونه الشعرَ الغزَلَ، فيجيبهُم جوابا صحيحا ويُنشِدهم أشعارا قالها، حتى سعى (٦) عليهم فى السنة الثانية (٧) بعد عمرَ بن عبد الرحمن نوفلُ بن مُسَاحق، فنزل مُجْمَعًا من تلك

(١) كذا فى أغلب النسخ . وفى ت : «أن يخرج معه وقال» . (٢) كذا فى ت . وفى ى : «فأرنى» . وفى باقى النسخ : «فأربى» ولا يظهر لهما معنى مناسب . (٣) كذا فى أغلب النسخ . وفى ب ، س : «عشيرتك» . (٤) كذا فى أغلب النسخ . وفى ت ، ح : «فجاءه رهط ليلى» . (٥) زيادة فى ت . (٦) سعى عليهم : ولى جباية صدقاتهم . (٧) فى ت : «الثالثة» ولعل كليهما محرف عن التالية .

المجامع فرآه يلعب بالتراب وهو عُرْيان، فقال لغلام له: ياغلام، هاتِ ثوبا، فأتاه به، فقال لبعضهم: خذ هـذا الثوبَ فألقِه على ذلك الرجلِ، فقال له: أتعرِفه جُعِلتُ فِداك؟ قال: لا، قال: هذا ابنُ سيِّدِ الحىّ، لا والله ما يلبسُ الثيابَ ولا يزيد على ما تراه يفعله الآن، وإذا طُرِحَ عليـه شئ خرَّقه، ولو كان يلبسُ ثوبا لكان فى مال أبيه ما يكفيه، وحدَّثه عن أمره، فدعا به وكلَّمه، فجعل لا يعقِل شيئا يكلّمه به، فقال له قومه: إن أردت أن يُجيبكَ جوابا صحيحا فاذكر له ليلى، فذكرها له وسأله عن حبّه إياها، فأقبل عليه يحدّثه بحديثها ويشكو إليه حبَّه إياها ويُنشِدُه شعرَه فيها، فقال له نوفل: الحبّ صيّرك إلى ما أَرى؟ قال: نعمْ، وسيَنتهى بى إلى ما هو أشدّ مما تَرى، فعَجِب منـه وقال له: أتُحِبُّ أن أزوّجكَها؟ قال: نعم، وهل إلى ذلك من سبيلٍ؟ قال: انطلق معى حتى أَقْـدَمَ على أهلها بكَ وأخطبَها عليكَ وأُرَغِّبَهم فى المهر لها، قال: أتُراكَ فاعلا؟ قال: نعم، قال: انظر ما تقول! قال: لك علىّ أن أفعلَ بكَ ذلك، ودعا له بثياب فألبسه إياها، وراح معـه المجنونُ كأصحِّ أصحابه[1] يحدّثه ويُنشِدُه، فبلغ ذلك رهطَها فتلقَّوه فى السلاح[2]، وقالوا له: يابنَ مُساحِقٍ، لا والله لا يدخل المجنونُ منازلَنا أبدا أو يموتَ، فقد أهدَرَ لنا السلطانُ دمَه، فأقْبَل بهم وأَدْبر[3]، فأبَوْا، فلما رأى ذلك قال للمجنون: انصرفْ، فقال له المجنون: والله ما وَفَيْتَ لى بالعهد، قال له: انصرافُكَ بعد أن آيسنى القومُ من إجابتكَ أصلحُ من سَفْكِ الدماء، فقال المجنون:

---

(١) كذا فى أغلب النسخ. وفى ت: «وراح أصحابه معه والمجنون كأصح ما يكون». (٢) كذا فى أغلب النسخ. وفى ب، س: «بالسلاح». (٣) يريد أنه بذل الجهـد فى إقناعهم أن يدخلوه معه وقلبهم على جميع الوجوه فلم يُجْدِه شيئا. قال فى لسان العرب مادة قبل: «وقد أقبل الرجل وأدبره وأقبل به وأدبر فما وجد عنده خيرا».

صــوت

أياويحَ مَنْ أَمْسى تُخُلِّسَ عقلُه(١) * فأصبح مذهوبًا به كلَّ مذهبِ
خليًّا من الخُـلَّانِ إلا مُعَـذِّرا(٢) * يُضَاحِكنى مَنْ كان يهوى تجنُّبى(٣)

الغناء لحُسَين بن مُحْرِز ثقيلٌ أوّلُ بالوُسْطَى من جامع أغانيه(٤) :

إذا ذُكِرتْ ليلى عَقَلتُ وراجعَتْ * روائعُ(٥) عقلى مِن هَوًى مُتَشَعِّبِ
وقالوا صحيحٌ ما به طيفُ جِنَّـةٍ(٦) * ولا الهمُّ إلا بافـتراء التكذُّبِ(٧)
وشاهدُ وجْدِى دمعُ عينى وحُبُّها * بَرَى اللحمَ عن أحناءِ(٨) عظمى ومنكِبى

صــوت

تجنَّبتَ ليلى أن يَلِـجَّ بكَ الهوى * وهيهاتَ كان الحبُّ قبل التجنُّبِ
ألا إنّـما غادرْتِ يا أمّ مالكٍ * صَدًى(٩) أينما تَذْهبْ به الريحُ يَذْهَبِ

---

(١) تخلس : سلب . (٢) هو المقصر الذى لا عذر له ولكنه يتكلف العذر ، ومنه قوله تعالى : (وجاء المعذرون من الأعراب ليؤذن لهم) . (٣) كذا فى جميع الأصول وهو الموافق لما فى الديوان طبع بولاق . وسيأتى فى جميع الأصول ص ٣٩ من هـذا الجزء « إلا مجاملا يساعدنى » .
(٤) فى س ، ى ، م ، ا هـذه الزيادة وهى : « غنى فى هذين البيتين يحيى المكىّ خفيف رمل رواه عنه ابنه أحمد الغناء لحسين بن محرز الخ » . (٥) كذا فى جميع الأصول عدا نسخة حـ وهو الموافق لما فى الديوان طبع بولاق . والروائع : جمع رائعة أى مرتاعة ، قال فى اللسان مادة روع : «وقد يكون رائع فاعلا بمعنى المفعول ، أنشد ابن الأعرابىّ : * شذانها رائعة من هدره *
أى مرتاعة . وفى نسخة حـ : «عوازب» وسيرد كذلك فى جميع النسخ ص ٣٩ من هذا الجزء . والعوازب : جمع عازبة من عزب بمعنى غاب . (٦) طيف جنة : مسّ من الجنّ . (٧) فى ديوان الشعر والشعراء * ولا لمم إلا افتراء التكذب * واللمم : الجنون ، وقيل : طرف منه يلم بالانسان .
(٨) الأحناء : جمع حنو وهو كل شىء فيه اعوجاج كعظم الحجاج (العظم الذى ينبت عليه الحاجب) واللحى والضلع . (٩) الصدى : الجسد من الآدمى بعد موته ، ويطلق على الرجل النحيف الجسد ، كما أنه يطلق على الصوت الذى يسمعه المصوّت عقب صياحه راجعا اليه من نحو الجبل والبناء المرتفع .

الغناء لإسحاق خفيفُ ثقيلٍ أوّلَ[(١)] بإطلاق الوتَر فى مجرى البِنْصر[(٢)]، وفيه لابن جامعٍ هَزَجٌ من رواية الهشامىّ وهى قصيدة طويلة .

ومما يُغَنّى فيه منها قولُه :

صـــوت

فـلم أرَ ليلَى بعـد مَوْقِفِ ساعةٍ * بخَيْفِ مِنًى تَرمِى جِمارَ المحصَّبِ
ويُبْدِى الحصَى منها إذا قذَفتْ به * من البُرْدِ أطرافَ البَنانِ المخضَّبِ
فأصبحتُ من لَيْلَى الغَـداةَ كناظرٍ * مع الصبح فى أعقابِ نجمٍ مُغرِّبِ
ألا إنمـا غادرتِ يا أمَّ مالكٍ * صَدًى أينما تذهبْ به الريحُ يذهبِ

فيه ثقيلٌ أوّلُ مطلقٌ باستهلال ، ذكر ابنُ المكىّ أنه لأبيـه يحيى ، وذكر الهشامىّ أنه للواثق ، وذكر حَبَش أنه لابن مُحْرِز ، وهو فى جامع أغانى سليمانَ منسوبٌ إليه .

أنشدنى الأخفش عن أبى سعيد السُّكَّرِىّ عن محمد بن حَبيبٍ للمجنون

فــوالله ثم اللهِ إنّى لدائبٌ * أُفَكِّر ما ذنبِى إليها وأعجَبُ
وواللهِ ما أدرِى عَلامَ قتلتِنى * وأىَّ أمورى فيك ياليلَ أركبُ
أأقطَعُ حبلَ الوصلِ فالموتُ دونه * أم اَشربُ رَنْقًا[(٣)] منكمُ ليس يُشرَبُ
أم اَهرُبُ حتى لاأرَى لى مجاورا * أم اَصنعُ ماذا أم أبوح فأُغلَبُ
فأيّهما ياليـلَ ما ترتضِينَه * فإنى لمظلـومٌ وإنّى لمُعتَبُ

---

(١) فى ا ، م ، ء : « ثانى ثقيل أوّل » . (٢) فى ت ، ح : « فى مجرى البنصر من روايته » . (٣) رنقا : كدرا .

حجه مع أبيه الى مكة لسلوان ليلى ودعوته هو استزادة حبها ودوامه

أخبرنى أحمدُ بن عبد العزيز الجوهرىّ وحبيبُ بن نصر المهلّبىّ قالا : حدّثنا عمرُ بن شبّةَ قال : ذكر هشام بنُ الكلبىّ ووافقه فى روايته أبو نصر أحمد بن حاتم وأخبرنا الحسَن بن علىّ قال حدّثنا آبن أبى سعْد قال حدّثنى علىّ بن الصَّبّاح عن هشام آبن الكلبىّ عن أبيه :

أن أبا المجنون وأمّه ورجالَ عشيرته آجتمعوا إلى أبى ليْلى فوعَظوه وناشدوه اللهَ والرحمَ، وقالوا له : إنّ هذا الرجل لَهَالكٌ، وقبلَ ذلك ففى أقبحَ من الهلاكِ بذهاب عقله، وإنكَ فاجعٌ به أباه وأهلَه، فننشدُناكَ اللهَ والرحمَ أن تفعل ذلك، فوالله ماهى أشرفُ منه، ولا لكَ مثلُ مالِ أبيه، وقد حكّمكَ فى المَهْر، وإن شئتَ أن يخلَعَ نفسَه إليكَ من ماله فعل، فأبى وحلف بالله وبطلاق أمّها[1] إنه لايزوّجه إيّاها أبدا، وقال : أفضحُ نفسى وعشيرتى وآتِى مالم يأتِه أحدٌ من العرب، وأَسِمُ آبنتى بمِيسَمِ فضيحةٍ ! فانصرَفُوا عنه، وخالفهم لوقتِه فزوّجها رجلا من قومها وأدخلها[2] إليه، فما أمسَى إلا وقد بنَى بها، وبلغه الخبرُ فأيِس منها حينئذ وزال عقلُه جملةً، فقال الحىّ لأبيه : احجُجْ به إلى مكة وآدعُ اللهَ عز وجلّ له، ومُرْه أن يتعلّقَ بأستار الكعبة، فيسألَ اللهَ أن يُعافيَه ممّا به ويُبغّضَها إليه، فلعل الله أن يُخلّصَه من هذا البلاء، فحجّ به أبوه، فلما صاروا بمِنًى سمع صائحا فى الليل يَصيحُ : يا ليلى، فصرخ صَرْخةً ظنوا أنّ نفسه قد تَلِفتْ وسقط مَغشيًّا عليه، فلم يزل كذلك حتى أصبح ثم أفاق حائلَ[3] اللون ذاهلًا، فأنشأ يقولُ :

(١) كذا فى أغلب النسخ . وفى ت : « بطلاق آمرأته » . (٢) كذا فى أغلب النسخ . وفى حـ : « وأخرجها اليه » . وفى ت : « وأرحلها اليه » (٣) حائل اللون : متغيره .

صــوت

عَرَضتُ على قلبي العزاءَ فقال لى * من الآنَ فايأسْ لا أعزَّكَ مِن صَبْرِ
إذا بان مَنْ تهوَى وأصبح نائياً * فلا شيءَ أجدَى من حُلُولك فى القبرِ
وداعٍ دعا إذ نحن بالخَيْفِ مِن منًى * فهيَّجَ أطرابَ(١) الفؤاد وما يدرِى
دعا بآسم ليلى غيرَها فكأنَّما * أطارَ بليلى طائرا كان فى صدرِى
دعا باسم ليلى ضلَّل اللهُ سعيَه * وليلَى بأرضٍ عنه نازحةٍ قفرِ

الغناء لعَرِيبَ خفيفُ ثقيلٍ — ثم قال له أبوه : تعلَّقْ بأستار الكعبة وآسألِ اللهَ أن يعافيَكَ من حبّ ليلى، فتعلّقَ بأستار الكعبة وقال : اللهم زِدْنى لليلى حبًّا وبها كَلَفًا ولا تُنْسِنى ذكرَها أبدا ، فهام حينئذ وآختلَط فلم يَضْبِطْ(٢) . قالوا : فكان يهيم فى البَرِّيَّة مع الوحش ولا يأكلُ إلا ما ينبُت فى البرِّيَّة من بقل ولا يشربُ إلا مع الظباء إذا وردَتْ مناهِلَها ، وطال شعرُ جسدِه ورأسِه وألِفَتْه الظباءُ والوحوشُ فكانتْ لا تنفِرُ منه ، وجعل يَهيمُ حتى يبلغَ حدودَ الشام ، فإذا ثاب إليه عقلُه سأل مَنْ يمرّ به من أحياء العرب عن نجد ، فيقالُ له : وأين(٣) أنت من نجد ! قد شارفتَ الشام ! أنتَ فى موضع كذا ، فيقول : فأرونى وِجْهةَ الطريق ، فيرحَمونه ويَعرِضُون عليه أن يحملوه أو يكسوه فيأبى ، فيدُلُّونه على طريق نجد فيتوجّه نحوَه .

أخبرنى عمّى قال حدّثنى الكُرانيّ قال حدّثنا العُمَرِيُّ عن الهيثم بن عدىّ وأخبرنا حبيبُ بن نَصْر المهلَّبيّ وأحمد بن عبد العزيز الجَوْهرىّ قالا حدّثنا عمرُ بنُ شَبّةَ قال ذكر الهَيْثم بن عَدِىّ عن أبى مِسْكين قال :

(١) كذا فى جميع الأصول ، والأطراب : جمع طرب وهو خفة تعترى الشخص من شدة الفرح أو الحزن . والذى فى ديوانه وكتاب الشعر والشعراء : « أحزان » . (٢) كذا فى أغلب النسخ . وفى ت : « فهاج » . (٣) فى ت : « أين أنت » بدون واو .

خرج منّا فتًى حتى إذا كان ببئر ميمونٍ (١) إذا جماعةٌ فوقَ بعض تلك الجبالِ ، وإذا (٢) معهم فتًى أبيضُ طُوَالٌ (٣) جَعْدٌ (٤) كأحسنِ مَنْ رأيتُ من الرجال على هُزَالٍ منه وصُفرةٍ ، وإذا هم مُتعلِّقون به ، فسألتُ عنه ، فقيل لى : هـذا قيسُ المجنونُ خرج به أبوه يستجيرُ له بالبيت ، وهو على أن يأتىَ به قبرَ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ليدعوَ له هُنَاكَ لعلّه يُكشَفُ ما به ، فإنه يصنع بنفسه صَنيعًا يرحمه منه عدوُّه ، يقول : أَخرِجونى لعلّى أتنسَّم صَبَا نجْدٍ ، فيُخرِجونه فيتوجهون به نحوَ نجدٍ ، ونحن مع ذلك نخاف أن يُلقِىَ نفسَه من الجبل ، فإن شِئتَ الأجرَ (٥) دنوتَ منـه فأخبرتَه أنك أقبلتَ من نجد ، فدنوتُ منه وأقبلوا عليـه فقالوا له : يا أبا المَهْدىّ ، هذا الفتى أقبل من نجد ، فتنفَّس تَنَفُّسةً (٦) ظننتُ أنّ كبِدَه قد انصدعَتْ ، ثم جعل يسألنى (٧) عن وادٍ وادٍ وموضعٍ موضعٍ ، وأنا أُخبِرُه وهو يبكى أحرَّ بكاءٍ وأَوْجعَه للقلب ، ثم أنشأ يقول :

ألا ليت شِعرى عن عُوَارِضَتَىْ قَنًا (٨) * لطول الليالِى هل تغيَّرَتَا بعـدِى

وهـل جارتانا بالبَتِيـل (٩) إلى الحِمَى * على عَهدِنا أم لم تَدُوما على العهـدِ

---

(١) قال فى ياقوت : و بئر ميمون بمكة ، وقال البكرىّ فى معجم ما استعجم ص ٥٦٩ : هى بئر بمكة بين البيت والحجون بأبطح مكة ، وهى منسوبة الى ميمون بن الحضرمىّ حفرها فى الجاهلية ، وعندها توفى أبو جعفر المنصور . (٢) كذا فى ت ، حـ . وفى باقى النسخ : «فإذا» بالفاء . (٣) الطوال بالضم : المفرط الطول . (٤) كذا فى ت ، حـ والجعد : أن يكون الرجل معصوب الجوارح شديد الأسر والخلق غير مسترخ ولا مضطرب ، وفى باقى النسخ « جعدة » بالتاء ، ولم نجده فى كتب اللغـة التى بأيدينا وصفا لمذكر . (٥) زيادة فى ب ، س . (٦) فى ت ، حـ : « تنفسا خلت أنّ كبده الخ » . (٧) فى ت ، حـ : « يسائلنى » . (٨) فى ب ، س : « قبا » بالباء وهو تحريف انظر الحاشية رقم ٣ ص ٣٥٣ من الجزء الأوّل من الأغانى . وقنا وعوارضة : جبلان لبنى فزارة . (٩) كذا بالديوان وهو جبل بنجد . وفى ب ، س : « النثيل » . وفى حـ ، ء : « النقيل » . وفى م ، أ : « النقيل » . وفى ت : « البتيك » ولعل ما فى هذه النسـخ تحريف فانا لم نقف على واحد من هذه الألفاظ اسم موضع . وفى أ نقلا عن نسـخة أخرى : « العقبق » .

وعن عُلُوِيَّاتِ الرياح إذا جرتْ(١) * بريح الخُزَامَى هل تَهُبُّ على نجد
وعن أُقْحُوانِ الرمل ما هو فاعلٌ * إذا هو أَسْرَى ليلةً بِثَرًى جَعْد(٢)
وهل أنفُضَنَّ الدهرَ أفنانَ لِمَّتِي * على لاحقِ المتنين مُنْدَلِقِ الوَخْد(٣)
وهل أسمعَنَّ الدهرَ أصواتَ هَجْمَةٍ(٤) * تَحَدَّرُ من نَشْزٍ(٥) خَصِيبٍ إلى وَهْد

سؤاله زوج ليلى عن عشرته معها

أخبرنى عمى قال حدّثنا الكُرانىّ قال حدّثنا العُمَرىّ عن الهَيْثم بن عدىّ والعُتْبىّ قالا :

مر المجنونُ(٦) بزوج ليلى وهو جالسٌ يَصْطَلِى فى يومٍ شاتٍ، وقد أتى آبنَ عمٍّ له فى حىّ المجنونِ لحاجةٍ، فوقف عليه ثم أنشأ يقول :

صـــوت

بِربك(٧) هل ضَمَمْتَ إليكَ ليلَى * قُبيلَ الصبح أو قَبَّلْتَ فاها(٨)
وهل رَفَّتْ(٩) عليك قُرونُ ليلى * رَفِيفَ الأُقْحُوانة فى نَدَاها

---

(١) علويات : جمع عُلْوِيّة نسبة الى العالية وهى ما فوق أرض نجد الى تهامة وهذه النسبة نادرة والقياس عالىّ . (٢) يقال : تراب جعد أى نَدٍ . (٣) لاحق : ضامر من قولهم لحق الفرس لحوقا أى ضمر . والمتنان : جنبتا الظهر عن اليمين والشمال ، والواحد متن يذكر ويؤنث ، والمندلق : السريع ، يقال : اندلقت الخيل اذا خرجت فأسرعت . والوخد : ضرب من سير الخيل والإبل وهو سعة الخطو فى المشى . (٤) الهجمة : القطعة الضخمة من الإبل . والوهد : المكان المطمئن من الأرض . (٥) كذا فى س ، أ والنشز : المكان المرتفع . وفى بقية النسخ : « نشر » بالراء المهملة وهو تحريف . (٦) فى ت : « مر المجنون ذات يوم الخ » . (٧) فى خزانة الأدب للبغدادى ج ٤ ص ٢١٠ : « بدينك » . (٨) فى خزانة الأدب للبغدادى ج ٤ ص ٢١١ :

* وهل قبلت قبل الصبح فاها * (٩) قال البغدادى فى خزانة الأدب ج ٤ ص ٢١٣ : « رفت بفتح الراء المهملة من رف لونه يرف بالكسر رفيفا ورفا اذا برق وتلألأ ، أراد شدّة سواد شعرها . وصحفه ابن الملا فى شرح المغنى بجعل المهملة معجمة فقال : الزفيف : إهداء العروس الى بعلها ، وغفل عن قوله : رفيف الأقحوانة وهى البابونج . والقرون : الذوائب جمع قرن بفتح القاف وسكون الراء » اهـ والظاهر أنه من رفيف النبات وهو اهتزازه نضارة وحسنا .

فقال: اللهم إذ حَلَّفْتَنِي فتمّم، قال: فقبض المجنونُ بكلتا يديه قبضتين من الجمر، فما فارقهما حتى سقط مغشيًّا عليه، وسقط الجمرُ مع لحم راحتيه، وعضّ على شفته فقطعها، فقام زوجُ ليلى مغموما بفعله متعجبا منه فمضى.

غنّى في البيتين المذكورين في هذا الخبر الحُسين بن مُحرِز[1]، ولحنه رَمَل بالوسطى عن الهشامي.

مروره بجبل نعمان ومكثه فيه إلى هبوب الصبا وما قاله في ذلك من الشعر

أخبرني أحمد بن عبد العزيز وحبيبُ بن نصر المهلّبي قالا: حدّثنا عمرُ بن شبّة قال قال محمد بن الحكم عن عوانة: إنه حدّثه ووافقه ابنُ نصر وابنُ حبيب قالوا: إن أهل المجنون خرجوا به معهم إلى وادي القُرى[2] قبل توحّشه ليمتاروا[3] خوفا عليه [من][4] أن يضيع أو يهلك، فمرّوا في طريقهم بجبل نعمان[5]، فقال له بعضُ فتيان الحيّ: هذان جبلا نعمان، وقد كانت ليلى تنزل بهما، قال: فأيّ الرياح يأتي من ناحيتهما؟ قالوا: الصَّبا، قال: فوالله لا أريم[6] هذا الموضع حتى تهبّ الصبا، فأقام ومضوا فامتاروا لأنفسهم، ثم أتوا عليه فأقاموا معه ثلاثة أيام حتى هبّت الصَّبا، ثم انطلق معهم فأنشأ يقول:

(١) كذا في أغلب النسخ. وفي م، ء، أ، ء: «مُحرِز».

(٢) وادي القرى: واد بين الشام والمدينة كانت به قرى منظومة، وبها سمي وادي القرى. قال ياقوت: وآثار القرى إلى الآن بها ظاهرة إلا أنها في وقتنا هذا كلها خراب ومياهها جارية تتدفق ضائعة لا ينتفع بها أحد. (انظر معجم ياقوت في كلمة القرى).

(٣) يمتاروا: الامتيار جلب الطعام للبيع وغيره.

(٤) زيادة في ب، حـ.

(٥) هو نعمان الأراك وهو واد بين مكة والطائف. وقيل: واد لهذيل على ليلتين من عرفات.

(٦) لا أريم: لا أبرح. وفي ب، س: «لا أريم من هذا الموضع» وكلاهما صحيح.

صوت

أيا جبلَىْ نَعمانَ باللهِ خَلِّيا (١) * سبيلَ الصَّبا يَخلُصْ إلىّ نَسيمُها
أجِدْ بردَها أو تَشْفِ منّى حرارةً * على كَبِدٍ لم يبقَ إلا صَمِيمُها (٢)
فانّ الصَّبا ريحٌ إذا ما تنسّمَتْ * على نَفْسِ محزونٍ تجلّتْ هُمومُها (٣)

ارتحال أهل ليلى عن منازلهم وما قاله فى ذلك من الشعر

أخبرنى علىُّ بنُ سليمانَ الأخفشُ قال حدّثنى محمدُ بن الحسين (٤) بن الحَرُونِ قال حدّثنى الكِسْرِوِىُّ (٥) عن جماعةٍ من الرواة قال (٦) :

لمّـا منعَ أبو ليلى المجنونَ وعشيرتُه مِنْ تزويجه بهـا، كان لا يزال يَغْشَى بيوتهم ويهجُم عليهم، فشكَوْه إلى السلطان فأهدرَ دمَه لهم، فأخبروه بذلك فلم يَرُعْهُ وقال : الموتُ أَرْوحُ لى (٧) فليتهم قتلونى ، فلمّـا علموا بذلك وعرفوا أنه لا يزال يطلبُ غِرّةً (٨) منهم حتى إذا تفرّقوا دخل دورَهم، فارتحلُوا عنها وأَبْعدُوا، وجاء المجنونُ عشيّةً فأشرف على دورهم فإذا هى منهم بَلاقِعُ (٩) ، فقصـد منزلَ ليلى الذى كان بيتُها فيـه ، فألصق صـدرَه به وجعل يُمرِّغُ خدَّيهِ على ترابه [ويبكى] (١٠) ، ثم أنشأ يقول، ــ وذكر هـذه الأبياتَ ابن حبيبَ وأبو نصرله [بغير خبر] (١١) ــ :

---

(١) كذا فى ت وتزيين الأسـواق فى ترجمة المجنون ص ٧٢ طبع بولاق. وفى سائر النسخ : « نسيم الصبا » . (٢) صميمها : أصلها . (٣) كذا فى أغلب النسخ والديوان . وفى ت ، حـ وتزيين الأسواق : « مهموم » .

(٤) كذا فى أغلب النسخ . وفى ت ، حـ : « الحسن » . (٥) كذا فى أغلب النسخ وفى حـ : « الكردوسى » . (٦) كذا فى أغلب النسخ . وفى ت : « قالوا » .

(٧) فى ت : « أروح إلىّ » . (٨) غرّة : غفلة . (٩) بلاقع : خوال، والواحد بلقع . (١٠) زيادة فى ت (١١) زيادة فى م ، أ ، ء .

أيا حَرَجَاتِ[١] الحىّ حيث تحملوا * بذى سَلَمٍ[٢] لا جادَكُنّ[٣] رَبيعُ
وخيماتُكِ اللاتى بمُنعَرَج اللّوَى * بَلِينَ بِلًى لم تبلَهنّ رُبُوعُ
نَدِمتُ على ما كان منّى ندامةً * كما يَندَمُ المغبونُ حين يبيعُ
فَقَدتُكِ من نفسٍ شَعَاعٍ[٤] فإننى * نهيتُكِ عن هذا وأنتِ جميعُ[٥]
فقرّبْتِ لى غيرَ القريب وأشرفتْ[٦] * إليكِ ثَنَايا[٧] ما لهنّ طُلُوعُ[٨]

حديثه مع نسوة فيهن ليلى

وذكر خالدُ بن جَمِيل[٩] وخالدُ بن كُلثوم فى أخبارهما التى صنعاها أنّ ليلى وعدَتْه قبل أن يختلِطَ أن تستزِيرَه[١٠] ليلةً إذا وجدت فُرصةً لذلك، فمكث مدّةً يراسلها فى الوفاء وهى تَعِده وتُسَوّفُه[١١]، فأتى أهلَها ذاتَ يوم والحىُّ خُلُوفٌ[١٢]، فجلس إلى نسوة من أهلها حَجْرَةً[١٣] منها بحيث تسمعُ كلامَه، فحادثهنّ طويلا ثم قال: ألا أُنشِدُكنّ أبياتا أحدثتُها فى هذه الأيام؟ قلن: بَلَى، فأنشدهنّ:

---

(١) الحرجات: جمع حرجة وهى الغيضة، وسميت بذلك لضيقها، وقيل: الشجر الملتف، وهى أيضا الشجرة تكون بين الأشجار لا تصل اليها الآكلة وهى ما رعى من المال. (٢) كذا فى ت. وفى سائر النسخ: «حين». (٣) ذو سلم: موضع بالحجاز. (٤) يقال: نفس شعاع اذا انتشر رأيها فلم تتجه لأمر جزم. (٥) الجميع: ضدّ المتفرق. (٦) كذا فى ت، ح، م وديوان المجنون والأغانى فى ترجمة قيس بن ذريح ج ٨ طبع بولاق. وفى سائر الأصول: «فأشرفت» بالفاء ومعناه ظهرت وارتفعت. (٧) الثنايا: جمع ثنية وهى العقبة وهى المرقى الصعب فى الجبل يريد بذلك أن الوصول الى ليلى صعب لا يستطيعه. (٨) ستأتى هذه الأبيات فى قصيدة منسوبة الى قيس بن ذريح فى ترجمته بالجزء الثامن من الأغانى طبع بولاق. (٩) كذا فى أغلب النسخ. وفى ت: «خالد بن حمل» بالحاء، ولم نوفق لتصحيح هذا الاسم. (١٠) كذا فى أغلب النسخ. وفى ى: «أن تزوره». (١١) مأخوذ من كلمة سوف، كأن المماطل يقول مرة بعد مرة سوف أفعل. (١٢) يقال: حىّ خلوف اذا غاب الرجال وأقام النساء. (١٣) حجرة: ناحية.

صـــوت

يا للرِّجال لِهَمٍّ باتَ يَعْرُونِى * مُسْتَطْرَفٍ(١) وقَـديمٍ كاد يُبْلينِى
مَنْ عاذِرِى مِن غريمٍ غيرِ ذى عُسُرٍ(٢) * يَأْبَى(٣) فيمطُلُنِى دَيْنِى ويَـلْوِينِى
لا يُبعِدُ النقدَ مِنْ حقٍ فينكرَه * ولا يُحدِّثُنِى أنْ سوفَ يَقْضِينِى
وما كشُكْرِىَ شكرٌ لو يوافِقُنى * ولا مُنَاىَ سِـواه لو يُوافِينِى(٤)
أطعتُه وعصيتُ الناسَ كلَّهُمُ * فى أمرِهِ وهواه وهو يَعْصِينِى

قال(٥) : فقلن له : ما أنصفكَ هـذا الغريمُ الذى ذكرتَه ! وجعلنَ يتضاحكنَ وهو يبكى ، فاستحيَتْ ليلى منهن ورقت له حتى بكتْ ، وقامت فدخلت بيتَها وانصرف هو .

ـ فى الثلاثة الأبيات الأوَل من هـذه الأبيات هَزَجٌ طُنبورِىّ لِلمَسْدُودِ ـ قالا فى خبرهما هـذا : وكان للمجنون ابنا عمّ يأتيانِه فيحدِّثانه ويُسَلِّيَانه ويؤانسانه ، فوقف عليهما يوما وهما جالسان ، فقالا له : يا أبا المهدىّ ألا تجلسُ ؟ قال : لا ، بل أمضِى إلى منزل ليلى فأترسَّمه وأرى آثارَها فيه ، فأشفِى بعضَ ما فى صدرى بها ، فقالا له : فنحن معكَ ، فقال : إذا فعلتما أكرمتُمَا وأحسنتُمَا ، فقاما معه حتى أتى دار ليلَى ، فوقف بها طويلا يتتبَّع آثارَها ويبكى ويقفُ فى موضعٍ موضعٍ منها ويبكى ، ثم قال :

---

(١) كذا فى أ كثر النسخ . وفى حـ : «مستطرفا وقديما كان يبكينى» . (٢) العسر : لغـة فى العسر ضدّ اليسر . قال عيسى بن على : كل اسم على ثلاثة أحرف أوّله مضموم وأوسطه ساكن فن العرب من يثقله ومنهم من يخففه مثـل عسر وعسر وحلم وحلم . أنظر اللسان مادة عسر .
(٣) فى أ ، ب ، س : «يأتى» وهو تحريف . (٤) فى ت ، حـ : «يواتينى» .
(٥) كذا فى جميع النسخ ، ولعـله : « قالا » بالتثنية لأنّ الخبر مروى عن خالد بن جمـل وخالد ابن كلثوم .

صوت

يا صاحبىّ ألمّا بى بمنزلة * قد مرّ حين عليها أيّما حينِ
إنى أرى رَجَعاتِ الحبّ تقتُلُنى (١) * وكان فى بدئها ما كان يكفينى
لا خيرَ فى الحبّ ليستْ فيه قارعةٌ * كأنّ صاحبَها فى نزْعِ موتون (٢)
إن قال عُذّالُه مهلًا فلانَ لهم * قال الهوى غيرُ هذا القولِ يعنينى (٣)
ألْقَى من اليأس تاراتٍ فتقتُلُنى (٤) * وللرجاء بشاشاتٌ فتُحيينى

الغناء لإبراهيم (٥) خفيفُ ثقيلٍ من جامع غنائه .

وقال هشام بن الكلبىّ عن أبى مسكين (٦) : إن جماعة من بنى عامر حدّثوه قالوا : كان رجل من بنى عامر بن عُقَيل يقال له : قيسُ بن مُعاذ ، وكان يُدعَى المجنونَ ، وكان صاحبَ غَزَلٍ ومجالسةٍ للنساء ، فخرج على ناقة له يسيرُ ، فمرّ بامرأة من بنى عُقَيل يقال لها : كريمةُ ، وكانت جميلةً عاقلةً ، معها نسوة فعرفنَه ودعونَه إلى النزول والحديثِ ، وعليه حُلّتانِ له فاخرتان وطَيْلَسانٌ وقَلَنْسُوةٌ ، فنزل فظلّ يحدّثهنّ ويُنشِدُهنّ وهنّ أعجبُ شىء به فيما يُرَى ، فلمّا أعجبَه ذلك منهنّ عقرَ لهنّ ناقته ،

---

(١) فى ت : «قاتلتى» . (٢) فى ت بين هذا البيت والذى بعده ما نصه : «الموتون مضروب على الوتين وهو عرق معلّق بنياط القلب» ولا ندرى هل هو من أصل الكتاب أتى به المؤلف تفسيرا للوتون أو أن الناسخ وجده بهامش بعض النسخ فألحقه بالأصل . وتفسير الموتون بالمضروب على الوتين مطابق لقولهم فى كتب اللغة : وتنه : أصاب وتينه ، ونظيره مكلّى اذا أصبت كليته ، ومكبود اذا أصبت كبده . (٣) كذا فى ت ، ح . وفى باقى النسخ : «يغنينى» بالغين المعجمة .

(٤) كذا فى ديوان الشعر والشعراء فى ترجمة المجنون طبع ليدن ص ٣٥٨ وفى سائر النسخ : «من الحب» . (٥) كذا فى أغلب النسخ : وفى م ، ى ، ا : «لابن أمية» .

(٦) كذا فى ت ، ح . وفى سائر النسخ : «ابن مسكين» ، وقد سبق فى ص ٢٢ من هذا الجزء باسم «أبى مسكين» باتفاق النسخ ، وسيأتى كذلك بالجزء الثالث عشر من الأغانى طبع بولاق ص ١٢٢

وقُمْنَ إليها يجعَلْنَ يَشْوِين ويأكلن إلى أن أمسى[١]، فأقبل غلامٌ شابٌّ حسنُ الوجه مِن حيّهن بمجلس إليهن، فأقبلنَ عليه بوجوههن يَقُلْنَ له: كيف ظَلِلْتَ[٢] يا مُنازِلُ اليومَ؟ فلما رأى ذلك من فِعلهن غَضِب، فقام وتركهن وهو يقول:

أأعقِرُ من جَرّا كريمةَ ناقتي * ووَصْلِي مَفْرُوشٌ لِوَصْلِ مُنازِلِ

إذا جاء قعقعْنَ الحُلِيَّ ولم أكُنْ * إذا جئتُ أرضَى صوتَ تلك الخلاخِلِ[٣]

قال: فقال له الفتى: هَلُمَّ نتصارَعْ أو نتناضَلْ، فقال له: إن شئتَ ذلك فقُمْ إلى حيثُ لا تَراهُنّ ولا يَرَيْنَك، ثم ما شِئتَ فافعل، وقال:

إذا ما انتضَلْنا فى الخلاء نَضَلْتُه * وإن يَرْمِ رَشْقًا عندها فهو ناضِلِي[٤]

وقال ابن الكلبيّ فى هذا الخبر: فلما أصبح لَبِسَ حُلّته وركِبَ ناقته ومضى مُتعرِّضًا لهن، فألفى ليلَى جالسةً بفِناء بيتها، وكانت معهن يومئذ جالسةً، وقد عَلِق بقلبها وهَوِيَتْه، وعندها جُوَيْرِياتٌ يُحدِّثْنَها، فوقف بهن وسلّم، فدعَوْنه إلى النزول وقُلْنَ له: هل لكَ فى مُحادَثة مَنْ لا يَشغَلُه عنك مُنازِل ولا غيرُه؟ قال: إى لَعَمْرِى، فنزل وفعل فَعْلَته بالأمس، فأرادتْ أن تعلَمَ هل لها عنده مثلُ ما لَهُ عندها، فجعلتْ

(١) كذا فى أغلب النسخ. وفى ت: «يشتوين» وكلاهما صحيح. (٢) فى ت: «ظلت» وهى لغة فيها. (٣) جاء هذا الشطر فى تزيين الأسواق ص ٦٣ طبع بولاق هكذا:

* اذا جئت بل أخفين صوت الخلاخل * وقال فى تفسيره: يقول قد أظهرن صوت الحلىّ حين جاء منازل، وهذه كناية عن قيامهنّ له، ولم يكن ذلك عند مجيئى.

(٤) كذا فى ت، حـ وتزيين الأسواق. وفى باقى النسخ: «ناضل» بغير ياء المتكلم، وآثرنا ما أثبتناه بالأصل لأنه أتم مقابلة لقوله نضلته، ولأن قوله «نضلته» هكذا بالضمير ظاهر فى أنّ الشاعر أتى بهذا البيت فى هيئة المتصل بالبيتين السابقين وهذا يستدعى كسر اللام حتى يكون على رويّهما كما تقدّم فى صحيفة ١٣ من هذا الجزء.

تُعرِضُ عن حديثه ساعةً بعد ساعةٍ وتُحدِّثُ غيرَه، وقد كان عَلِقَ حبَّها بقلبه وشغفه (١) وآستملَحَها، فبينا هى تُحدِّثه إذ أقبل فتى من الحىّ فدعتْه فسارَّتْه سِرَارا طويلا ثم قالت له آنصرف، فانصرَف، ونظرتْ إلى وجه المجنون قد تغيَّر وآمتقع (٢) وشَقَّ عليه ما فعلَتْ، فأنشأَتْ تقول :

كِلَانَا مُظهِرٌ للناس بُغضًا * وكُلٌّ عند صاحبه مَكِينُ
تُبَلِّغُنَا العيونُ مَقَالَتَيْنا * وفى القلبين ثَمَّ هَوًى دَفِينُ

[قد نسبت هـذا الشعر متقدِّما] (٣) فلما سمع هذين البيتين شَهَق شَهْقةً عظيمة وأُغمِىَ عليه فمكث [كذلك] (٣) ساعةً، ونضَحُوا الماءَ على وجهه حتى أفاق، وتمكَّنَ حبُّ كُلٍّ واحدٍ منهما فى قلب صاحبه وبلغَ منه كلَّ مَبْلغٍ .

حدّثنى عمّى عن عبد الله بن أبى سعيد عن إبراهيمَ بن محمد بن إسماعيلَ القُرَشىّ قال حدّثنا أبو العالية عن أبى ثُمَامةَ الجَعْدىّ قال :

لا يُعرَفُ فينا مجنونٌ إلا قيسُ بنُ الملوّح .

حديث اتصاله بليلى فى صباه

قال : وحدّثنى بعضُ العَشيرة قال : قلتُ لقيس بن الملوّح قبـل أن يُخالَط : ما أَعجبُ شىء أصابك فى وَجْدِكَ بليلى ؟ قال : طَرَقَنَا (٤) ذاتَ ليلةٍ أضيافٌ ولم يكن عندنا لهم أُدْمٌ، فبعثنى أبى إلى منزل أبى ليلى وقال لى : اطلب [لنا] (٣) منه أُدمًا، فأتيتُـه فوقفتُ على خِبائه فصِحْتُ به، فقال : ما تشاء ؟

---

(١) فى ت : « وشغفته » . (٢) كذا فى أغلب النسخ وفى ب، س : « انتقع » وامتقع وانتقع وابتقع بمعنى واحد وهو أن يتغير من حزن أو فزع، قال صاحب اللسان فى مادة نقع : وامتقع بالميم أجود . (٣) زيادة فى ت . (٤) كذا فى ت، ح . وفى سائر النسخ : « طرقتنا » بالتاء، وكلاهما جائز لأنّ الفعل مسند الى جمع تكسير وحذف التاء فى مثل هذا أجود .

فقلتُ : طَرقَنا ضِيفانٌ ولا أُدمَ عندنا لهم فأرسلنى أبى نَطْلُبُ[(1)] منك أُدمًا ، فقال : يا ليلى ، أخرجى إليه ذلك النِّحْىَ[(2)] ، فاْملئى له إناءه من السمن ، فأخرجَته ومعى قَعبٌ[(3)] ، فجعلتْ تَصُبُّ السمنَ فيه ونتحدَّثُ ، فألهانا[(4)] الحديثُ وهى تَصُبُّ السمنَ وقد آمتلأ القَعْبُ ولا نعلَمُ جميعًا ، وهو يَسيلُ حتى آستنقَعتْ أرجلُنا فى السمن ، قال : فأتيتُهم ليلةً ثانيةً أطلُبُ نارا ، وأنا مُتَلفِّعٌ بِبُرْدٍ لى ، فأخرجَتْ لى نارا فى عُطْبةٍ[(5)] فأعطتْنيها ووقَفْنا نتحدَّثُ ، فلمّا آحترقتِ العُطبةُ خَرقْتُ من بُرْدِى خِرقةً وجعلتُ النارَ فيها ، فكلما[(6)] آحترقتْ خرقتُ أخرى وأذكيتُ بها النارَ حتى لم يبق علىَّ من البرد إلا ما وارَى عورتى ، وما أعقِل ما أصنعُ ، وأنشدنى :

أَمُسْتَقبِلِى نَفحُ الصَّبا ثم شائقى ... بِبَرْدِ ثَنايا أُمِّ حَسّانَ شائِقُ
كأنَّ على أنيابها الخمرَ شَجَّها[(7)] ... بماء الندى من آخرِ الليلِ عاتِقُ[(8)]
وما شِمْتُه[(9)] إلا بعينى تَفرُّسًا ... كما شِيمَ فى أعلى السَّحابةِ بارِقُ

ومن الناس مَنْ يروِى هذه الأبياتَ لنُصَيْبٍ ، ولكن هكذا رُوى فى [هذا][(10)] الخبر .

---

(1) كذا فى أغلب النسخ . وفى ت : «أطلب» . (2) النحى عند العرب : الزق الذى يوضع فيه السمن خاصة . (3) القعب : القدح الضخم الغليظ ، وقيل : قدح من خشب مقعر . (4) كذا فى ت . وفى سائر النسخ : «فألهى بالحديث» . (5) العطبة : خرقة تؤخذ بها النار ، قال الكميت :

نارا من الحرب لا بالمرخ ثقبها ... قدح الأكف ولم تنفخ بها العطب

ويقال : «أجد ريح عطبة» أى قطنة أو خرقة محترقة . (6) كذا فى ت . وفى باقى النسخ : «فلما احترقت» . (7) شجها : مزجها . (8) العاتق : البكر التى لم تبن عن أهلها . ويحتمل أن تكون كلمة «عاتق» محرفة عن «غابق» وهو الساقى فى الغبوق أى العشى . (9) كذا فى ت . وفى باقى النسخ : «ذقته» وشمته من الشيم وهو النظر الى نحو النار والسحاب والبرق . يقال شام السحاب والبرق شيما أى نظر اليه أين يقصد وأين يمطر . (10) زيادة عن ت .

حدث الأصمعى أنه لم يكن مجنونا وروى من شعره

أخبرنا محمد بن خلف وكيع عن عبد الملك بن محمد الرقاشى[1] عن عبد الصمد ابن المعذّل قال :

سمعت الأصمعى يقول — و [قد][2] تذاكرنا مجنون بنى عامر — قال : هو قيس ابن معاذ العقيلى، ثم قال : لم يكن مجنونا إنما كانت به لوثة، وهو القائل :

أخذت محاسن كل ما • ضنت محاسنه بحسنه
كاد الغزال يكونها • لولا الشوى ونشوز قرنه

قال : وهو القائل :

[صوت][2]

ولم أر ليلى بعد موقف ساعة • بخيف منى ترمى جمار المحصّب
ويبدى الحصى منها إذا قذفت به • من البرد أطراف البنان المخضّب
فأصبحت من ليلى الغداة كناظر • مع الصبح فى أعقاب نجم مغرّب
ألا إنما غادرت يا أم مالك • صدى أينما تذهب به الريح يذهب

فى هذه الأبيات لحن من الثقيل الأول، ابتداؤه نشيد من صنعة الواثق وهو المشهور . وذكره ابن المكى لأبيه يحيى . وهو فى جامع غناء سليم بن سلام[3] له . وذكره حبش فى موضعين من كتابه فنسبه فى طريقة الثقيل الأول فى أحدهما إلى ابن محرز، والآخر إلى يحيى المكى . وزعم الهشامى أن فيه لسليم[3] بن سلام لحنا آخر من الثقيل الأول .

(١) كذا فى ت . وفى سائر الأصول «القرشى» . وما أثبتناه هو الصواب وانظر الحاشية رقم ١ ص ٦ من هذا الجزء . (٢) زيادة فى ت . (٣) كذا فى ت سليم بن سلام بضم السين فى الأول وفتح اللام المخففة فى الثانى ولم نقف على ضبطه فى غير هذه النسخة . وفى سائر النسخ «سليمان بن سلام» وهو تحريف إذ المغنى هو سليم بن سلام، وستأتى له ترجمة مستقلة فى ج ٦ من الأغانى طبع بولاق .

أخبرنا الحسنُ[1] بن علىّ قال حدّثنا أحمد بن عبد الجَبّار الصُّوفىّ قال حدّثنى ابراهيمُ بن سَعْد الزُّهرىّ قال: أتانى رجل من عُذْرَةَ لحاجة، فجرى ذكرُ العشق والعُشّاق، فقلتُ له: أنتم أرقُّ قلوبًا أم بنو عامر؟ قال: إنّا لأرقُّ الناس قلوبا، ولكن غلبتْنا بنو عامرٍ بمجنونها.

شىء من أوصافه

أخبرنى أحمدُ بن عمر بن موسى بن زكويه[2] القطّان إجازةً قال حدّثنا ابراهيمُ بن المُنْذر الحِزامىّ قال أخبرنى عبدُ الجبار بنُ سليمانَ بنِ نَوْفل بن مُسَاحِقٍ عن أبيه عن جدّه قال: أنا رأيتُ مجنونَ بنى عامر، وكان جميلَ الوجه أبيضَ اللون قد علاه شُحُوبٌ[3]، واستَنْشَدتُه فانشدَنى قصيدتَه التى يقول فيها:

تذَكَّرتُ ليلَى والسِّنينَ الخوَالِيَا * وأيامَ لا أُعْدَى[4] على اللّهوِ[5] عَادِيَا

أخبرنى محمدُ بنُ الحسن الكِنْدى خطيبُ مسجدِ القادسيةِ قال حدّثنا الرِّياشىّ قال: سمعت أبا عثمانَ المازنىَّ يقول: سمعتُ مُعَاذا وبشرَ بن المفضَّل جميعًا يُنشدَانِ هذين البيتين ويَنْسُبانهما لمجنون بنى عامر:

طمِعتُ بليلَى أن تَرِيعَ[6] وإنّما * تُقَطِّعُ[7] أعناقَ الرجالِ المطامِعُ

وداينتُ ليلَى فى خَلَاءٍ ولم يكن * شهودٌ على ليلى عُدُولٌ مَقَانِعُ[8]

---

(١) كذا فى ت. وفى أغلب النسخ: «الحسين» وقد تقدّم مرارا «الحسن بن على» باتفاق الأصول. (٢) كذا وقع هذا الاسم فى جميع الأصول، ولم نقف له على ضبط بعينه.

(٣) يقال: شحِب لونه يشحَب شحوبا اذا تغير لعارض مرض أو سفر ونحوه. (٤) لا أعدى: لا أعين ولا أنصر. (٥) كذا فى ت. وفى سائر النسخ: «على الدهر». وقد جاء هذا الشطر فى الديوان هكذا: * وأيام لا نخشى على اللهو ناهيا *

(٦) يقال: راع الشىء يَريع رَيْعا أى رجع وعاد. (٧) كذا فى جميع الأصول. ورواية اللسان فى مادة ريع: «تُضرِّبُ». (٨) جمع مقنع بفتح الميم وهو العدل من الشهود يقال: فلان شاهد مقنع أى رضًا يُقنع به.

وحدّثني محمدُ بن يحيى الصُّوليّ قال حدّثنا أبو خَليفة [الفضلُ بنُ الحُبَاب] (١) عن ابن سَلّام قال: قضى عُبيدُ (٢) الله بنُ الحسَن بنِ الحُصَين بن أبي الحرّ (٣) العَنْبريّ على رجل من قومه قضيّةً أوجبها الحكمُ عليه، وظنّ العَنْبريُّ أنه تحاملَ عليه وانصرف مُغضَبًا، ثم لقيه في طريق، فأخذَ بلِجَام بغلته وكان شديدًا أيدًا (٤)، ثم قال له: إيهِ يا عُبيدَ الله (٥)!

طمِعْتُ بليلى أن تَريعَ وإنّما * تُقطّعُ أعناقَ الرجالِ المطامعُ

فقال عُبَيدُ الله (٢):

وبايعتُ ليلَى في خلاءٍ ولم يكنْ * شهودٌ عدولٌ عند ليلى مَقانِعُ

خَلِّ عن البغلة. قال الصُّوليّ في خبره هذا: والبيتان للبَعيث (٦) هكذا، قال: فلا أدري أمن قوله هو أم حكاية عن أبي خليفة!.

زيارة ليلى له وحديثه معها

أخبرنا محمد بن القاسم الأنباريّ عن عبد الله بن خَلَف الدلّال قال حدّثنا زكريا ابن موسى عن شُعَيب بن السَّكَن عن يونُس النحويّ قال:

لما اختلطَ عقلُ قيسِ بن الملوّح وترك الطعامَ والشرابَ، مضت أُمُّه إلى ليلى فقالت لها: إنّ قيسا قد ذهب حُبُّك بعقله، وترك الطعامَ والشرابَ، فلو جئته وقتًا لرجوتُ أن يثوبَ إليه [بعضُ] (٧) عقله، فقالت ليلى: أمّا نهارا فلا [لأنني لا] (٧)

---

(١) زيادة في ت. (٢) كذا في ت. وفي سائر الأصول: «عبد الله» والصحيح ما أثبتناه فانه عبيد الله بن الحسن بن حصين التميمي العنبري قاضي البصرة. انظر كتاب تهذيب التهذيب والخلاصة في أسماء الرجال. (٣) كذا في تهذيب التهذيب وتقريب التهذيب والخلاصة في أسماء الرجال. وفي جميع الأصول: «ابن الحر». (٤) أيدا: قويا. (٥) كذا في ت وفي باقي النسخ «يا أبا عبد الله». (٦) استشهد صاحب اللسان في مادة «ريع» بالبيت الأوّل ونسبه للبعيث. (٧) زيادة في ت.

آمنُ قومِى على نفسى ولكن ليلا ، فأتته ليلا فقالت له : يا قيسُ ، إنّ أمّكَ تزعُم أنك جُنِنتَ من أجلى وتركتَ المطعمَ والمشربَ ، فاتقِ اللهَ وأبقِ على نفسك ، فبكى وأنشأ يقول :

قالتْ جُنِنتَ على أَيْش[1] فقلتُ لها * الحبُّ أعظمُ مما بالمجانين
الحبُّ ليس يُفيقُ الدهرَ صاحبُه * وإنما يُصرَعُ المجنونُ فى الحِين

قال : فبكتْ معه ، وتحدّثا حتى كاد الصبحُ أن يُسفِرَ، ثم ودّعتْه وآنصرفتْ ، فكان آخرَ عهدِه بها .

سبب جنونه بيت شعر قاله

أخبرنا آبنُ المَرْزُبانِ قال قال القَحْذَمِىُّ : لما قال المجنونُ :

قضاها لغيرِى وآبتلانى بحبها * فهلّا بشىءٍ غيرِ ليلى آبتلانِيَا

سُلِب عقله . الغناء لحَكَمٍ ثقيلٌ أوّلُ، وقيل إنه لآبن الهِرْبِذ[2] . وفيه لمتيَّمٍ خفيفُ ثقيلٍ أوّل من جامع أغانيها[3] . وحدّثنى جَحْظة بهذا الخبر عن مَيْمونِ بنِ هارونَ أنه بلغه أنه لما قال هذا البيت بَرِصَ .

(١) كذا فى أغلب النسخ . وقد ذكر الشهاب الخفاجىّ فى « شفاء الغليل » أنها مخففة من أىّ شىء وقد قيل إنها سمعت من العرب وإنها وردت فى شعر قديم ، كما قيل إنها مولدة . ثم قال : وقول الشريف فى حواشى الرضى : إنها كلمة مستعملة بمعنى أىّ شىء وليست مخففة منها ليس بشىء ، وتخفيفها من أىّ شىء كما يقال : ويلمّه فى معنى ويل لأمه لكثرة الاستعمال . وفى ت « على رأسى » ، وكذلك ورد فى كتاب تزيين الأسواق لداود الأنطاكى ، فانه قال فى سوق الحكاية : « فسلمت عليه ثم قالت له :

أُخبِرتُ أنك من أجلى جننتَ وقد * فارقتَ أهلكَ لم تعقِل ولم تُفِقِ

فرفع رأسه اليها وأنشد : * قالت جننتَ على رأسى فقلتُ لها * الخ »

(٢) كذا فى أغلب النسخ . وفى ب، س « ابن الهزبر » وهو تحريف أنظر الحاشية رقم ٣ ص ٣٦١ من الجزء الأوّل من هذا الكتاب . (٣) كذا فى أغلب النسخ وفى ا ، ب ، س « أغانيه » وهو تحريف إذ هى متيم الهاشمية . أنظر ترجمتها مستقلة بالجزء التاسع من هذا الكتاب طبع بولاق .

سبب تسميه المجنون واختلاف الرواة فى ذلك

أخبرنى الحسن بن علىّ [قال حدّثنا محمد بن طاهر] (١) القرشىّ عن ابن عائشة قال : إنما سُمّى المجنونَ بقوله :

ما بالُ قلبِكَ يا مجنونُ قد خُلِعَا * فى حبّ مَنْ لا تَرَى فى نَيْلِه طمَعَا
الحبُّ والودّ نِيطا بالفؤاد لها * فأصبحا فى فؤادِى ثابتَيْن معَا

حدّثنا وَكيعٌ عن ابن يونس (٢) قال قال الأصمعىّ : لم يكنِ المجنونُ مجنونا، إنما جنّنه العشقُ، وأنشدَ له :

يُسَمُّونَنِى المجنونَ حين يَرَوْنَنِى * نَعَمْ بِىَ مِن ليلى الغداةَ جنونُ
لَيالِىَ يَزْهَى بِى شَبَابٌ (٣) وشِرّةٌ (٤) * وإذ بِىَ مِنْ خَفْضِ المعيشة لِينُ

أخبرنى محمدُ بن المَرْزُبان عن إسحاقَ بن محمد بن أَبانَ قال حدّثنى علىّ بن سَهْل عن المدائنىّ : أنه ذُكِرَ عنده مجنونُ بنى عامر فقال : لم يكن مجنونا، وإنما قيل له المجنون بقوله :

وإنّى لمجنونٌ بليلَى مُوَكَّلٌ * ولستُ عَزُوفًا (٥) عن هواها ولا جَلْدَا
إذا ذُكِرَتْ ليلَى بكيتُ صَبَابةً * لِتَذْكارِها حتى يَبُلَّ البُكا الخَدَّا

أخبرنى عمرُ بن جَمِيلٍ العَتَكِىّ قال حدّثنا عمرُ بن شبّةَ قال حدّثنا عَوْنُ بن عبد الله العامرىّ أنه قال : ما كان والله المجنونُ الذى تَعْزُونه إلينا مجنونًا، إنما كانت به لُوثةٌ وسَهْوٌ أحدثهما به (٦) حُبُّ ليلَى، وأنشدَ له :

(١) زيادة فى ت . (٢) فى ت : « حدّثنا وكيع قال حدّثنا محمد بن يونس ».
(٣) فى ت : « يزهانى شباب وشرّة » أى يطيش بى الشباب ويستخفنى . (٤) كذا فى ت ، حـ . والشرّة : حرص الشباب ونشاطه . وفى باقى النسخ : « شدّة » والظاهر أنه تحريف .
(٥) كذا فى ت وكتاب تزيين الأسواق طبع بولاق ص ٨١ ، وفى سائر الأصول : « من » وما أثبتناه بالأصل هو الموافق لما فى كتب اللغة من تعدّى فعل عزف بعن ، يقال : عزف عن الشىء عزوفا فهو عزوف أى انصرف عنه زهدا فيه أو كراهة له . (٦) فى ت « فيه » .

وبى من هوًى ليلى الذى لو أبثّه * جماعةَ أعدائى بكت لى عيونُها
أرى النفس عن ليلى أبتْ أن تُطيعنى * فقد جُنّ من وَجْدى(1) بليلَى جُنونُها

أخبرنى ابن المرزُبانِ قال قال العُتبىّ : إنما سمى المجنونَ بقوله :

يقول أُناسٌ عَلّ مجنونَ عامرٍ * يرومُ سُلُوًّا قلتُ أنّى لِما بِيَا
وقد لامنى فى حُبّ ليلى أقاربى(2) * أخى وابنُ عمّى وابنُ خالِى وخالِيَا
يقولون ليلَى أهلُ بيتِ عَداوةٍ * بنفسىَ ليلى من عَدُوٍّ وماليَا
ولو كان فى ليلى شَذًا(3) من خصومةٍ * لَلَوّيتُ أعناقَ المَطِىّ(4) المَلاوِيَا(5)

أخبرنى هاشم [بن محمد](6) الخزاعىّ عن عيسى بن إسمعيلَ قال قال ابن سَلّام :
لو حلفتُ أن مجنونَ بنى عامرٍ لم يكن مجنونا لَصَدَقتُ ، ولكن تُولِّهَ(7) لما زُوِّجت ليلى
وأيقنَ اليأسَ منها ، ألم تسمعْ إلى قوله :

---

(1) فى ت ، ح : «من وجد» منكرا بغير ياء المتكلم . (2) كذا فى ت وديوانه وفى سائر الأصول « قرابتى » وما أثبتناه أكثر فى الاستعمال وأبعد عن الخلاف قال صاحب اللسان : تقول : بينى و بينه قرابة وهو ذو قرابتى وهم أقربائى وأقاربى ، والعامة تقول : هو قرابتى ، ثم قال : ويقال : فلان ذو قرابتى وذو قرابة منى وذو مقربة ، ومنهم من يجيز « فلان قرابتى » والأول أكثر ، وفى حديث عمر : « إلا حامى على قرابته » أى أقاربه ، سموا بالمصدر كالصحابة . (3) كذا فى أكثر النسخ بالذال المعجمة ومعناه الحدّ . وفى م : « شدا » بالدال المهملة وفسره ابن الأعرابىّ وابن خالويه بالبقية وفسره غيرهما بالحدّ وهما روايتان فى البيت ، قال صاحب اللسان : وأنشده الفرّاء بالدال المهملة وأنشده غيره بالذال المعجمة وأكثر الناس على الدال وهو الحدّ . (4) كذا فى اللسان فى المواد « شدا ، وشذا ، ولوى » . وفى جميع الأصول : « الخصوم » (5) الملاوى : جمع ملوى وهو مصدر ميمىّ من لوى بمعنى عطف . (6) زيادة فى ت ، وقد تقدم ذكر هاشم هذا غير مرّة منسوبا الى أبيه محمد مكنى بأبى دلف . (7) كذا فى أغلب النسخ ، يقال : توله أى أصابه الوله وهو ذهاب العقل من شدّة الوجد وفقدان الحبيب . وفى ت ، ح : « تدله » بالدال المهملة والتدله أيضا : ذهاب العقل من عشق أو نحوه .

أيا ويحَ مَنْ أمسى تُخُلِّسَ عقلُه * فأصبح مذهوبًا به كلَّ مذهبِ

خَليعًا(١) مِنَ الخُلّانِ إلا مُجامِلا(٢) * يُساعِدنى مَنْ كان يَهْوَى تَجنُّبِى

إذا ذُكِرتْ ليلى عَقَلتُ وراجَعتْ * عَوازِبُ قلبى مِنْ هَوًى مُتَشَعِّبِ

[أخبرنى به الحسنُ بن على عن دينار بن عامر التغلَبى عن مسعود بن سعد عن ابن سَلّام ونحوه.

أخبرنى محمدُ بن خَلَف بن المَرْزُبانِ قال أنشدنى صالح بن سعيد قال أنشدنى يعقوبُ بن السِّكِّيت للمجنون :

يُسَمُّونَنِى المجنونَ حين يرونَنِى * نَعَمْ بِىَ مِن ليلَى الغداةَ جُنُونُ(٣)]

قال : وأنشدنا له أيضا :

صوت

وشُغِلْتُ عن فهم الحديثِ سِوَى * ما كان فيكِ فإنه شُغْلِى(٤)

وأُدِيمُ لَحْظَ مُحَدِّثى لِيَرَى * أنْ قد فهِمتُ وعِندكُم عَقْلِى

الحديث عن تكنيته ليلى بأم مالك

أخبرنى ابنُ المرزُبانِ عن محمد بن الحَسَن بن دِينار الأَحْوَلِ عن علىّ بن المُغيرة الأَثْرَمِ عن أبى عُبيدةَ :

---

(١) كذا فى أغلب الأصول وهو الموافق لما فى الديوان طبع بولاق . والخليع : المخلوع أى المنزوع . وفى ء « خليا » وهكذا ورد فى جميع النسخ فيما تقدّم ص ١٩ من هذا الجزء . (٢) كذا فى جميع الأصول وقد تقدّم فى ص ١٩ من هذا الجزء فى جميع الأصول « معذرا » . (٣) ما بين القوسين زيادة فى ء . (٤) كذا فى أغلب الأصول . وفى ء والديوان طبع بولاق : « وحبكم شغلى » .

أنّ صاحبةَ مجنونِ بنى عامر التى كَلِفَ بها ليلَى بنتُ مَهْدِىّ بن سَعْد بن مهدى [بن رَبيعة](١) بن الحَرِيش، وكنيتها أمّ مالكٍ، وقد ذكر هذه الكنيةَ المجنونُ فى شعره فقال:

تكادُ بِلادُ اللهِ يا أمّ مالكٍ * بما رَحُبَتْ يومًا علىّ تَضِيقُ

وقال أيضا:

فإنّ الذى أمّلتُ مِن أُمّ مالكٍ * أشابَ قَذَالِى(٢) وآستهامَ فُؤاديَا
خليلَىّ إن دارَتْ على أُمّ مالكٍ * صُرُوفُ اللّيالِى فابغِيَا لِى ناعِيَا(٣)

وقال أبو عَمْرو الشيبانىّ: عَلِقَ المجنون ليلَى بنتَ مهدىّ بن سعد من بنى الحَرِيش، وكنيتُها أمّ مالكٍ، فشُهِرَ بها وعُرِفَ خبرُه فحُجِبَتْ عنه، فشَقّ ذلك عليه فخطبها إلى أبيها فردّه وأبى أن يزوّجه إياها، فاشتدّ به الأمرُ حتى جُنّ وقيل له: «مجنونُ بنى عامر»، فكان على حاله(٤) يجلِسُ فى نادى قومه فلا يَفهَمُ ما يُحدَّثُ به ولا يعقِله(٥) إلا إذا ذُكِرَتْ ليلى. وأنشد له أبو عمرو:

صــوت

ألا ما لليلَى لا تُرَى عند مَضْجَعِى * بليلٍ ولا يَجْرِى بذلكَ طائرُ — الرائية
بَلَى إنّ عُجْمَ الطيرِ تجرِى إذا جَرَتْ * بليلَى ولكنْ ليس للطيرِ زاجرُ
أزالَتْ عن العهد الذى كان بيننا * بذِى الأَثْلِ(٦) أم قد غيّرتْها المقادِرُ

---

(١) زيادة فى ت. (٢) القذال: جماع مؤخر الرأس. (٣) ناعيا: مناديا بموتى. (٤) فى ت: «حالة». (٥) كذا فى ت، ح وهو الموافق لقوله فيما تقدّم فى ص ١٧ من هذا الجزء: «فاذا أحبوا أن يتكلم أو يثوب عقله ذكروا له ليلى». وفى سائر الأصول: «ولا يعقله أحد» وهذا لا يستقيم الا أن يُقرأ ما قبله هكذا «فلا يُفهَمُ ما يُحدِّثُ به الخ». (٦) فى ت وفى تزيين الأسواق طبع بولاق ص ٧٩: «بذى الأيك».

فوالله مافى القرب لى منك راحةٌ * ولا البعدُ يُسْلِينِي ولا أنا صابرُ
ووالله ما أدرِى بأيَّةِ حيلَةٍ * وأىِّ مَرامٍ أو خِطارٍ[1] أُخاطِرُ
وتالله إنَّ الدهرَ فى ذاتِ بيننا * علىَّ لها فى كلِّ حالٍ لجائرُ
فلو كنتِ إذ أزمعتِ هَجْرِى تركتِنِي * جميعَ[2] القُوَى والعقلُ مِنِّى وافرُ
ولكنَّ أيامِى بِحَقْلِ[3] عُنَيزةٍ * وبالرَّضْمِ أيامٌ جناها التَّجاوُرُ
وقد أصبح الوُدُّ الذى كان بيننا * أمانِىَّ نفسٍ والمؤمَّلُ حائرُ
لَعَمْرِى لقد رنَّقْتِ[4] يا أمّ مالكٍ * حياتِى وساقَتْنِي إليكِ المقادرُ

قال أبو عمرو : وأخبرنى بعض الشاميين قال : دخلتُ أرضَ بنى عامر ، فسألتُ عن المجنون الذى قتله الحبُّ ، فخبَّرونى عنه أنه كان عاشقا لجارية منهم يقال لها ليلى ، رَبَا معها ثم حُجِبَتْ عنه ، فاشتدّ ذلك عليه وذهب عقلُه ، فأتاه إخوانٌ من إخوانه يلومونه على ما يَصنعُ[5] بنفسه ، فقال :

صوت

يا صاحِبَىَّ ألِمَّا بى بمنزلةٍ * قد مرَّ حينٌ عليها أيَّما حينِ
فى كل منزلةٍ ديوانُ مَعْرِفةٍ * لم يُبْقِ باقيةً ذكرُ الدواوينِ
إنى أرَى رَجَعَاتِ الحبِّ تقتُلُنى * وكان فى بدئها ما كان يكفينِي

الغناء لابن جامع خفيفُ ثقيلٍ .

---

(١) الخطار : مصدر خاطر بمعنى راهن . (٢) جميع : مجتمع . (٣) الحقل : المزرعة ويطلق على الموضع البكر الذى لم يزرع فيه قط . وعنيزة : موضع بين البصرة ومكة . والرضم : موضع على ستة أميال من زُبالَة ، وزبالة : منزل معروف بطريق مكة من الكوفة . (٤) رنقت : كدرت ، والترنيق كما يطلق على التكدير يطلق على ضدّه الذى هو التصفية . (٥) كذا فى ت ، حـ . وفى سائر الأصول : « صنع » .

جنونه بليلى وهيامه بوجهه من أجلها

أخبرنى هاشمُ الخزاعىّ عن [العباس بن الفرج](١) الرِّيَاشىّ قال :

ذكر العُتْبىُّ عن أبيه قال : كان المجنونُ فى بدء أمره يَرَى ليلى ويألَفُها ويأنَسُ بها ثم غُيِّبتْ عن ناظره ، فكان أهلُه يَعزُّونه عنها ويقولون : نُزَوِّجك أنفسَ جاريةٍ فى عَشِيرتك ، فيأبَى إلا ليلى ويَهْذِى بها ويذكُرها(٢) [فكان ربَّما استراحَ إلى أمانيّهم ورَكَنَ إلى قولهم](٣)، وكان ربما هاج عليه الحزنُ والهمُّ فلا يَملِكُ(٤) ممَّا هو فيه أن يَهِيمَ على وجهه ، وذلك قبل أن يتوحَّشَ مع البهائم فى القِفَار، فكان قومُه يلومونه ويَعذُلُونه ، فأكثروا عليه فى الملامةِ والعَذْلِ يوما فقال :

صوت

يا لَلرِّجالِ لِهمٍّ بات يَعْرُونِى * مُستطرَفٍ وقديمٍ(٥) كان يَعْنِينِى
على غَرِيمٍ مَلِيءٍ(٦) غيرِ ذى عُدُمٍ(٧) * يأبَى فيَمْطُلُنِى دَيْنِى ويَلْوِينِى(٨)
لا يَذْكُرُ البعضَ مِن دَيْنِي فيُنكِرَه(٩) * ولا يُحدِّثُنِى أنْ سوف يَقضِينِى
وما كَشُكْرِى شُكْرٌ لو يُوافِقُنِي(١٠) * ولا مُنًى كَمُناهُ إذ يُمَنِّينِى

(١) زيادة فى ت وفيها تصريح باسم الراوى واسم أبيه المعروفين فى كتب التراجم .

(٢) كذا فى أغلب النسخ . وفى ت : « ويهذى بذكرها » .

(٣) هذه الزيادة وقعت فى هامش نسخة ت وعليها كلمة «صح» .

(٤) أى لا يمسك نفسه عن الهيام بها .

(٥) كذا فى ت . وفى سائر النسخ : « وقديما » .

(٦) ملىء بالهمز أى ثقة غنىّ . قال صاحب اللسان : وقد أولع فيه الناس بترك الهمز وتشديد الياء .

(٧) عدم أى فقر ومثله العدم بضم العين وسكون الدال . قال صاحب اللسان : اذا ضمت أوّله خففت فقلت : العدم واذا فتحت أوّله ثقلت فقلت : العدم .

(٨) يلوينى : يمطلنى ، يقال : لواه دينه وبدينه : مطله .

(٩) كذا فى ب ، س . وفى ت : « لا يبعد النقد من دينى فيذكره» . وفى أ ، ء ، م : « لا ينكر البعض من دينى فينظره » . وفى حـ : « لا ينكر البعض من دينى فينكره» .

(١٠) كذا فى ب ، س ، حـ . وفى باقى النسخ : « إذ يوافقنى » .

أطعتُه وعَصَيتُ النّاسَ كُلَّهُمُ * فى أمره ثم يأبَى فهو يَعْصِينِي

خَيرِى لمن يبتغِي خيرى ويأمُلُه * من دون شَرّى وشَرّى غيرُ مأمونِ

وما أُشارِكُ فى رأيِي أخا ضَعَفٍ (١) * ولا أقولُ أخِى مَنْ لا يُواتِينِي (٢)

فى هذه الأبيات هَزَجٌ طُنْبُورِىٌّ للسّدودِ من جامعه .

وقال أبو عمرو الشَّيْبانى : حدّثني رَبَاح (٣) العامرىّ قال : كان المجنونُ أوّلَ ما علِق (٤) ليلى كثيرَ الذِّكر لها والإتيانِ بالليل إليها ، والعربُ ترى ذلك غيرَ منكرٍ أن يتحدّثَ الفِتْيَانُ إلى الفَتَياتِ ، فلما عَلِمَ أهلُها بعشقه لها منعوه مِنْ إتيانها وتقدّموا إليه (٥) ، فذهبَ لذلك عقلُه ويئِسَ (٦) منه قومُه واعتَنَوْا بأمْرِه (٧) ، واجتمعوا إليه ولاموه وعذَلوه على ما يصنعُ بنفسه ، وقالوا : والله ماهى لك بهذه الحال ، فلو تناسيتَها رَجَوْنا أن تَسلُوَ قليلا ، فقال لمّا سمِع مقالتَهم وقد غلب عليه البكاء :

---

(١) الضعف هكذا بالتحريك : لغة فى الضعف بالفتح والسكون . ويستعمل فى ضعف الرأى والعقل ، وأنشد عليه ابن الأعرابىّ هذا البيت . ويستعمل فى ضعف الجسم وأنشد عليه :

ومن يلق خيرا يغمز الدهر عظمه * على ضعف من حاله وفتور

(٢) كذا فى الأصول ، ومعناه : يساعدنى ، ورواه صاحب اللسان هكذا :

* ولا ألين لمن لا يبتغى لينى *

(٣) فى ت ، م : « رياح » ولم نعثر على مايرجح احدى الروايتين ، وقد سبق التنبيه على قول الحافظ الذهبىّ : إنّ اسم رباح بالموحدة أكثره فى الموالى . انظر الحاشية رقم ١ ص ٣٢٤ من الجزء الأوّل من هذا الكتاب . (٤) فى ت : « عشق » . (٥) أمروه بألّا يعود الى التحدّث اليها . (٦) فى ت : « أيس » . (٧) فى ت ، ح : « واغتموا بأمره » .

صـــوت

فوا كبِدَا(١) مِن حب من لا يُحِبنى * ومِن زَفَرَاتٍ مالهنَّ فَنَاءُ
أَرَيْتِك(٢) إن لم أُعطِكِ الحبَّ عن يدٍ(٣) * ولم يكُ عنـدى إذ أبيتِ إباءُ
أتارِكَتِى للمـوت أنتِ فَمِيتٌ * وما للنفوس الخائفاتِ بَقَاءُ

ثم أقبـل على القوم فقال : إنّ الذى بى ليس بهيِّنٍ ، فأقِلّوا من مَلَامِكم فلستُ بسامعٍ فيها ولا مُطيعٍ لقول قائلٍ .

قصة حبه ليلى فى رواية رباح العامرى

أخبرنى عَمّى ومحمـدُ بنُ حبيبٍ(٤) وآبنُ المَرْزُبانِ عن عبـد الله بن أبى سَعْد عن عبد العزيز بن صالح عن أبيه عن آبن دَأْبٍ عن رَبَاح(٥) بنِ حبيب العَامرىّ :

أنه سأله عن حالِ المجنون وليـلى ، فقال : كانتْ ليلَى من بنى الحَرِيش وهى بنت مَهْدِىّ بن سـعيد بن مهدىّ(٦) بن رَبِيعة بن الحَرِيش ، وكانت من أجمل النسـاء وأَظْرَفِهنّ وأَحْسَنِهنّ جِسما وعقلا وأَفْضَلِهنّ أدبا وأَمْلَحِهن شكلا ، وكان المجنون كَلِفًا بمحادثة النساء صَبًّا بهنّ ، فبلغه خبرُها ونُعِتَتْ له ، فصبا إليها وعزمَ على زيارتها ، فتأهبَ لذلك ولَبِس أفضلَ ثيابِه ورجَّلَ جُمَّتَـه ومسَّ طِيبًا كان عنـده ، وآرتحـلَ ناقةً له كريمةً برَحْلٍ حسنٍ وتقلَّد سيفَه وأتاها ، فسلَّم فردّتْ عليه السلامَ وتَحَفَّتْ(٧) فى المسئلة ، وجلس إليها فحادثَتْه وحادثها فأكثرَا ، وكلُّ واحد منهما مُقبِلٌ على

---

(١) كذا فى ب ، س ، ت وهو مندوب متوجع له لحقته ألف الندبة بعد حذف ياء المتكلم . وفى بقية النسخ : «فوا كبدى» بياء المتكلم . (٢) أصله أرأيتك حذفت همزته ، وهى كلمة تقولها العرب للاستخبار فهى بمعنى أخبرينى . (٣) يقال : أعطاه كذا عن يد أى عن آنقياد وآستسلام . (٤) كذا فى أغلب النسخ . وفى ت : « عمى وحبيب بن نصر » . (٥) فى ت : «رياح» بالياء . (٦) تقدمت فى ص ١١ من هذا الجزء «ليلى بنت مهدى بن سعد» . (٧) كذا فى ت . وفى حـ : « أحفت المسألة » ومعناهما بالغت فى ملاطفتـه والسؤال عنـه . وفى بقية النسخ : « أخفت المسألة » بالخاء المعجمة وهو تحريف .

صاحبه مُعْجَبٌ به ، فلم يزالا كذلك حتى أمسيا ، فانصرف إلى أهله فبات بأطولِ ليلةٍ شوقا إليها ، حتى إذا أصبح عاد إليها فلم يزل عندها حتى أمسى ، ثم آنصرفَ إلى أهله فبات بأطولَ من ليلته الأولى وآجتهدَ أن يُغْمِضَ فلم يقدر على ذلك ، فانشأ يقول :

نَهارِى نهارُ الناسِ حتى إذا بدا * لِىَ الليلُ هزّتْنِى إليكَ المضاجعُ
أُقضّى نهارِى بالحديث وبالمُنَى * ويَجمَعُنِى والهمَّ بالليلِ جامعُ
لقد ثبتَتْ فى القلب منك محبّةٌ * كما ثبتَتْ فى الراحتينِ الأصابعُ (١)

ـ عَروضه من الطويل . والغناءُ لإبراهيمَ الموصلىّ رملٌ بالوُسْطَى عن عمرو ـ قال : وأدامَ زيارتَها وترك مَنْ كان يأتيه فيتحدثُ إليه غيرَها ، وكان يأتيها فى كلّ يوم فلا يزال عندها نهارَه أجمعَ حتى إذا أمسى آنصرفَ ، فخرج ذاتَ يومٍ يريدُ زيارتَها فلما قَرُب من منزلها لقيَتْه جاريةٌ عسراءُ (٢) فتطير منها ، وأنشأ يقول :

وكيف يُرَجّى وصلُ ليلَى وقد جرى * بِجِدِّ (٣) القُوَى والوصلِ أعسرُ حاسرُ (٤)
صَديعُ (٥) العَصا صَعْبُ المرام إذا آنتحى (٦) * لوصلِ آمرِئٍ جُذّتْ عليه الأواصِرُ (٧)

---

(١) ستأتى هذه الأبيات فى قصيدة منسوبة الى قيس بن ذريح بالجزء الثامن من الأغانى طبع بولاق .

(٢) أى شؤم . (٣) الجدّ : القطع . والقوى : جمع قوة وهى الطاقة الواحدة من طاقات الحبل . (٤) الحاسر : الكاشف يوصف به الرجل والمرأة ، يقال : امرأة حاسر بغير هاء اذا حسرت عنها درعها ، وكل مكشوفة الرأس والذراعين : حاسر . (٥) من الصدع بمعنى الشق وهو كناية عن الفراق . قال أبو الهيثم : العصا تضرب مثلا للاجتماع ويضرب انشقاقها مثلا للافتراق الذى لا يكون بعده اجتماع ، وذلك لأنها لا تدعى عصا اذا انشقت (انظر لسان العرب مادّة صدع) . (٦) انتحى : قصد . (٧) الأواصر : جمع آصرة وهى ما عطفك على رجل من رحم أو قرابة أو صهر أو معروف .

ثم سار إليها فى غدٍ فخدّثها بقصته وطِيَرَته ممن لقيه ، وأنه يخاف تغيُّر عهدها وانتكاثه وبكى ، فقالت : لا تُرَعْ(١)، حاشَ لِله من تغيُّر عهدى ، لا يكون والله ذلك أبدا إن شاء اللهُ، فلم يزل عندها يحادثها(٢) بقية يومه ، ووقع له فى قلبها مثلُ ما وقع لها فى قلبه ، بخاءها يوما كما كان يجيء ، وأقبل يحدّثها فأعرضَتْ عنه ، وأقبلتْ على غيره بحديثها ، تريد بذلك محنته وأن تعلمَ مافى قلبه ، فلما رأى ذلك جَزِعَ جزَعاً شديدا حتى بان فى وجهه وعُرِفَ فيه ، فلما خافَتْ عليه أقبلَتْ عليه كالمُسِرّة إليه فقالت :

كِلَانا مُظهِرٌ للناس بغضا * وكلٌّ عند صاحبه مَكِينُ

فسُرِّىَ(٣) عنه وعلم ما فى قلبها ، فقالت له : إنما أردتُ أن أمتحنَكَ والذى لكَ عندى أكثرُ من الذى لى عندكَ ، وأُعطى اللهَ عهدا إن جالستُ بعد يومى هذا رجلا سواكَ حتى أذوقَ الموتَ إلا أن أُكرَه على ذلك ، قال : فانصرفَ(٤) عنه وهو من أشدّ الناس سرورا وأقرِّهم عينا ، وقال :

أَظُنُّ هواها تارِكِى بمَضَلّةٍ(٥) * من الأرضِ لا مالٌ لدىَّ ولا أهلُ
ولا أحدٌ أُفضِى(٦) إليه وصيتِى * ولا صاحبٌ إلا المطيّةُ والرَّحْلُ
مَحَا حبُّها حبَّ الأُلَى كُنَّ قبلها * وحَلَّتْ مكانا لم يكن حُلَّ مِنْ قبلُ

شعره فيها بعد أن تزوجت وأيس منها

أخبرنى جعفرُ(٧) بن قُدامةَ عن أبى العَيْناء عن العُتْبىّ قال :

---

(١) لا ترع : لا تخف ولا يلحقك فزع . (٢) كذا فى ت . وفى سائر النسخ : « يحدثها » . (٣) أى انجلى همه وانكشف . (٤) فى ت : « فانصرف عشا وهو الخ » . (٥) المضلة بفتح الضاد وكسرها : الأرض التى يضل فيها . (٦) كذا فى جميع الأصول . ولم نجد فى كتب اللغة التى بين أيدينا أفضى متعدّيا بنفسه والوارد تعديه بالباء فيقال : أفضيت اليه بسرّى ، ولعله فى الأصل « أقضى » بالقاف تقول : قضيت اليه الأمر أى أنهيته اليه وأبلغته ذلك . (٧) كذا فى ت وقد تقدّم كذلك غير مرّة . وفى باقى النسخ : « أبو جعفر » .

لما حُجبت ليلى عن المجنون خطبها جماعةٌ فلم يرضَهم أهلُها، وخطبها رجل من ثَقِيف مُوسِرٌ(١) فزوجوه وأخفَوْا ذلك عن المجنون ثم نُمِى إليه طَرَفٌ منه لم يتحقَّقه، فقال:

دَعَوْتَ إلهى دعوةً ما جهِلتُها * وربّى بما تُخفِى الصدورُ بصيرُ(٢)
لئن كنتَ تُهدِى بردَ أنيابها العُلا(٣) * لأفقرَ منّى إنّنى لفقيرُ
فقد شاعتِ الأخبارُ أنْ قد تزوّجتْ * فهل يأتينّى بالطلاق بشيرُ

وقال أيضا:

ألا تلك ليلى العامرِيّةُ أصبحتْ * تَقَطَّعُ إلا من ثَقِيفٍ حِبالُها
هُمُ حبَسُوها مَحْبَسَ البُدْنِ وابتغى * بها المالَ أقوامٌ ألا قلَّ مالُها
إذا التفتتْ(٤) والعِيسُ صُعْرٌ(٥) من البُرَى * بنخلةَ جلّت عبرةَ العينِ حالُها

قال: وجعل يمرّ ببيتها فلا يسأل عنها ولا يلتفتُ(٦) إليه، ويقول إذا جاوزه:

---

(١) كذا فى ت. وفى باقى النسخ: من بنى ثقيف وثقيف: أبو حىّ من قيس أو من هوازن، والأغلب عليه التذكير فيصرف. قال سيبويه: أما قولهم: هذه ثقيف فعلى ارادة الجماعة. قال صاحب اللسان: وانما قال ذلك لغلبة التذكير عليه وهو مما لا يقال فيه من بنى فلان، وكذلك كل ما لا يقال فيه من بنى فلان التذكير فيه أغلب، ولهذا أثبتنا ما فى نسخة ت بالأصل اذ مقتضى عبارة اللسان أنه يقال: فلان من ثقيف ولا يقال من بنى ثقيف، كما يقال: فلان من قريش أو معدّ ولا يقال: من بنى قريش أو من بنى معدّ. (٢) كذا فى أغلب النسخ. وفى ت «خبير».

(٣) فى نسخة ت وكتاب تزيين الأسواق ص ٦٦ طبع بولاق:

* لئن كان يهدى برد أنيابها العلا *

(٤) كذا فى الديوان. وفى جميع الأصول: «اذا ما التفت». (٥) صعر: جمع أصعر من الصعر وهو ميل فى العنق. والبرى: جمع برة وهى الحلقة تجعل فى أحد جانبى منخر البعير. ونخلة: اسم موضع. (٦) فى ب، س، حـ: «اليها».

صــــوت

ألا أيُّها البيتُ الذى لا أَزُوره * وإن حلَّه شخصٌ إلىَّ حبيبُ
هجرتُكَ إشفاقًا وزرتُك خائفا * وفيك علىَّ الدهــرَ منكَ رقيبُ
سأستعتِبُ الأيامَ فيــكَ لعلّهـا * بيومِ سُرورٍ فى الزمان تؤوبُ

الغناء لعَرِيبَ ثانى ثقيلٍ بالوسطى . قال : وبلغـه أن أهلَها يريدون نقلَها إلى الثَّقفِىّ فقال :

صــــوت

كأنّ القلبَ ليلةَ قِيلَ يُغدَى * بلَيْلَى العـامريَّةِ أو يُرَاحُ
قَطـاةٌ عزَّها(١) شَرَكٌ فباتَتْ * تُجاذِبُه وقـد عَلِقَ الجَنَاحُ

ـ عَرُوضه من الوافر . الغناء لابن المكىّ خفيفُ ثقيلٍ [أوّل](٢) بالوسطى فى مجراها عن إسحاق ، وفيه خَفِيفُ ثقيلٍ آخر لسُلَيْمان مطلقٌ فى مجرى البِنْصر ، وفيه لإبراهيمَ رَمَلٌ بالوُسْطَى فى مجراها عن الهِشَامىّ ـ قال : فلما نُقِلتْ [ليلى](٢) إلى الثَّقفِىّ قال .

قصيدته العينية

طَرِبتَ وشاقتكَ الحُمُولُ(٣) الدّوافعُ * غَداةَ دعا بالبين أسْفَعُ(٤) نازعُ
شَحَا(٥) فاهُ نعبًا(٦) بالفراق كأنه * حريبٌ(٧) سَليبٌ نازحُ الدار جازِعُ

---

(١) عزها : غلبها . وفى ب ، سـ : « غرها » بالغين والراء ، والأوّل أنسب بالتشبيه .
(٢) زيادة فى ت . (٣) الحمول : فى الأصل الهوادج واحدها حمل ثم اتسع فيها وصارت تستعمل فى الإبل التى عليها الهوادج . والدوافع : المندفعة فى السير . (٤) كذا فى أغلب النسـخ وتزيين الأسـواق . وفى ب ، سـ : « أسحم » والأسـفع والأسحم معناهما واحد وهو الأسود . والنازع : المسرع . والمراد بالأسفع النازع « الغراب » . (٥) شحافاه يشحوه ويشحاه : فتحه . (٦) نعبا : صياحا وتصويتا . (٧) الحريب : من سلب حريبته وهى ماله الذى يقوم به أمره .

فقلتُ ألا قد بيّن(١) الأمرُ فانصرف * فقد راعنا بالبين قبلكَ رائعُ
سُقيتَ سُموما(٢) من غراب فإنّنى * تبيّنتُ ما خبّرتَ مذ أنتَ واقعُ(٣)
ألم ترَ أنّى لا مُحِبٌّ ألومُه * ولا ببديل بعدهم أنا قانعُ
[ألم تر دارَ الحىّ فى رونقِ الضحى * بحيثُ انحنتْ للهضبتين الأجارعُ](٤)
وقد يتناءى الإلفُ من بعد أُلفةٍ * ويصدَعُ ما بين الخليطين صادعُ
وكم من هوًى(٥) أو جيرةٍ قد ألِفتُهم * زمانا فلم يمنعهمُ البينَ مانعُ(٦)
كأنّى غداةَ البينِ ميّتُ جوبةٍ(٧) * أخو ظمإ سُدّتْ عليه المشارعُ
تخلّس(٨) من أوشال(٩) ماءٍ صُبابةً * فلا الشُّربُ مبذولٌ ولا هو ناقِعُ(١٠)
وبيضٍ تَطَلّى بالعَبير كأنها * نِعاجُ المَلا(١١) جِيبتْ(١٢) عليها البراقعُ
تحمّلنَ من وادى الأراك(١٣) فأومَضتْ(١٤) * لهنّ بأطراف العيون المدامعُ

---

(١) بيّن بمعنى تبين، ومنه المثل: «قد بيّن الصّبحُ لذى عينين». (٢) كذا فى أغلب النسخ. وفى ت، حـ وتزيين الأسواق لداود الأنطاكى طبع بولاق: «سماما» وهو جمع لسم كسموم.
(٣) وقع الطائر: نزل عن طيرانه على شجرة أو غيرها. (٤) زيادة فى ت وتزيين الأسواق والهضبتان: مثنى هضبة وهى الرابية أو الجبل المنبسط على الأرض أو الجبل المخلوق من صخرة واحدة، والأجارع: جمع أجرع، والأجرع كالجرعاء: الأرض ذات الحزونة تشاكل الرمل أو الرملة السهلة المستوية أو القطعة من الرمل لا تنبتُ شيئا (انظر اللسان فى مادتى هضب وجرع).
(٥) الهوى بمعنى المهوىّ وهو المحبوب، ومنه قول الشاعر:

هَوَاىَ مع الركب اليَمانين مُصْعِدٌ * جنيبٌ وجُثْمانى بمكة مُوثَقُ

(٦) كذا فى ت وتزيين الأسواق. وفى باقى النسخ: «فلم يمنعه للبين مانع».
(٧) الجوبه: فضاء أملس سهل بين أرضين. (٨) تخلس الشىء: انتهبه وأخذه خلسة.
(٩) الأوشال: جمع وشل وهو الماء القليل. والصبابة: بقية الماء تبقى فى الاناء والسقاء.
(١٠) هو من نقع بمعنى روى. (١١) الملا: الصحراء. (١٢) أى قطعت.
(١٣) هو واد قرب مكة. (١٤) فى ت: «وأومضت» بالواو.

فما رِمْنَ(١) ربعَ الدار حتى تشابهت * هجائنُها(٢) والجُونُ منها الخواضعُ(٣)
وحتى حملنَ الحُورَ(٤) من كلّ جانب * وخاضت سُدُولَ(٥) الرَّقْم منها الأكارعُ(٦)
فلما استوت تحتَ الخدور وقد جرى * عَبيرٌ ومسكٌ بالعرانين رادعُ(٧)
أشرْنَ بأن حُثُّوا الجمالَ فقد بدا * من الصيف يومٌ لافحُ الحرّ ماتعُ(٨)
فلمّا لحقْنا بالحُمول تباشرَتْ * بنا مُقْصِراتٌ(٩) غاب عنها المطامعُ(١٠)
يَعرِضْنَ(١١) بالدَّلّ المَليح وإنْ يُرِدْ * جَناهُنّ مشغوفٌ فهنّ مَوانعُ

---

(١) كذا فى ت ، حـ ومعناه ما برحن . يقال : ما رام المكان أى ما برحه . وفى باقى النسخ : « رضن » بالضاد ولم يظهر له معنى . (٢) الهجائن : الابل البيضاء الكريمة واحدها هجان . والجُون : جمع جون بفتح الجيم وهو الأسود المشرب بحمرة ، ويطلق على الأسود اليحمومى وعلى الأبيض فهو من أسماء الأضداد . (٣) الخواضع : الابل وإنما يقال لها خواضع لأنها تخضع أعناقها حين يجدّ بها السير ، قال جرير :

ولقد ذكرتكِ والمطىّ خواضعٌ * وكأنهنّ قطَا فَلاةٍ مَجْهَلِ

(٤) الحور : جمع حوراء وهى البيضاء أو من فى عينها حور وهو شدّة سواد المقلة فى شدّة بياضها . (٥) السدول : جمع سديل وهو ما يجلل به الهودج من الثياب . (٦) الأكارع : جمع أكرُع والأكرُع جمع كراع ، أو الأكارع كما يقول سيبويه جمع كراع على غير قياس . والكراع من الانسان : ما دون الركبة الى الكعب ، ومن الدابة قوائمها مطلقا . (٧) المراد بالرادع هنا المردوع به الجسد أو الثوب وهو العبير والمسك . وأصل الردع اللطخ بالطيب والزعفران ، يقال : قميص رادع ومردوع أى فيه أثر الطيب والزعفران ، وفى حديث ابن عباس رضى الله عنهما : « لم ينه عن شىء من الأدوية الا عن المزعفرة التى تردع الجلد » أى تنفض صبغها عليه . (٨) الماتع : الطويل . (٩) كذا فى ت ، ب ، س . وهو جمع مُقْصِرة أى داخلة فى القَصْر وهو العشىّ ، يقال : أتيته قصرًا أى عشيا ، وأقصرنا أى دخلنا فى قصر العشىّ ، كما تقول أمسينا من المساء . وفى سائر النسخ : « مُعْصِرَاتٌ » بالعين المهملة وهو جمع مُعْصِرة من أعصَرتِ الجاريةُ اذا بلغت عَصْرَ شبابها ، أو من أعصَرت أى دَخلتْ فى العَصْر (انظر لسان العرب مادتى قصر وعصر) . (١٠) كذا فى جميع النسخ . وفى ت وتزيين الأسواق : « المطالع » باللام . (١١) كذا فى ت . وفى ب ، س : « تعترضن » . وفى ا ، حـ ، م : « تعرّضن » .

فقلتُ لأصحابى ودَمعِى مُسْبَلٌ * وقد صَدَعَ الشملَ المشتَّتَ صادعُ
أليلَى بأبواب الخُدورِ تعرّضَتْ * لِعينِى أم قرنٌ من الشمس طالعُ

مروره مع ابن عم له على حمامة تهدل وما قال فى ذلك من الشعر

أخبرنى عيسى بنُ الحُسَين الورّاق قال حدّثنا الهَيْثمُ بنُ فِراسٍ قال حدّثنى العُمَرِىُّ عن الهَيثم بنِ عَدِىّ :

أنّ أبا المجنون حجّ به لِيدعوَ الله عزّ وجلّ فى الموقف أن يُعافيَه، فسار ومعه ابنُ[1] عمه زيادُ بنُ كعب بن مُزَاحِم، فمرّ بحمامة تدعو[2] على أيْكة فوقف يبكى، فقال له زياد : أىّ شىء هذا؟ ما يُبكيك أيضا؟ سربنا نلحقِ الرُّفقةَ، فقال :

أأن هتفَتْ يوما بوادٍ حمامةٌ * بكيتَ ولم يَعْذِرك بالجهل عاذرُ
دعَتْ ساقَ حُرٍّ[3] بعد ماعَلَتِ الضُّحَى * فهاج لكَ الأحزانَ أن ناحَ طائرُ
تُغنِّى[4] الضُّحَى والصُّبحَ فى مُرْجَحِنَّةٍ[5] * كِثَافِ الأعَالِى تحتها الماءُ حائرُ[6]
كأن لم يكن بالغَيْل[7] أو بطنِ أيْكةٍ[8] * أو الجزعِ[9] من تول الأشَاءةِ[10] حاضرُ

(١) كذا فى ت . وفى سائر النسخ : « فسار معه الخ » . (٢) تدعو : تصوّت وتنوح . (٣) ساق حرّ : أصله صوت القمارى، ويطلق على الذكر من القمارى تسمية له باسم صوته وهو المراد هنا (انظر اللسان مادتى سوق وحرّ) . (٤) كذا فى ت وتزيين الأسواق . وفى م : « نعى » هكذا بدون اعجام . وفى باقى النسخ هكذا : « نعىّ » . (٥) كذا فى أغلب الأصول، والمرجحنة : المهتزة المتمايلة . (٦) حائر : متردّد . (٧) الغيل : اسم لعدّة مواضع والظاهر أنّ المراد هنا واد لبنى جعدة وهم قوم المجنون . (٨) الأيكة : الغيضة الملتفة الأشجار، ولم نجد فى الكتب التى بأيدينا « أيكة » ولا « بطن أيكة » اسما لموضع خاص (٩) الجزع — بالكسر، وقال أبو عبيدة : اللائق به أن يكون مفتوحا — : منعطف الوادى ولعله هنا اسم لموضع خاص، وقد يكون جزع بنى جماز وهو واد باليمامة . (١٠) كذا فى ب، س . وفى بقية النسخ : « قول » بالقاف ولم يظهر لكلتا النسختين معنى . والأشاءة : موضع باليمامة فيه نخيل فلعل كلمة « تول » محرّفة عن « تال » والتال : صغار النخل واحدته تالة .

يقول زِيادٌ إذ رأى الحىّ (١) هجّروا (٢) * أرى الحىّ قد ساروا فهل أنت سائرُ

وإنى وإن غالَ (٣) التقادُمُ حاجتى * مُلِمٌّ على أوطان لَيْلَى فناظِرُ (٤)

هيامه الى نواحى الشام وما يقوله من الشعر عند عوده ورؤية التوباد

أخبرنى [محمد بن مَزْيَد] (٥) بن أبى الأزهر عن الزُّبَيْر عن محمد بن عبد الله البَكْرى عن موسى بن جعفر بن أبى كَثِير وأخبرنى عمى عن [عبد الله] (٥) بن شَبِيب عن [هارون بن موسى] (٥) الفروِىّ (٦) عن موسى بن جعفر بن أبى كَثِير وأخبرنى آبنُ المرزُبان عن آبن الهَيْثم عن العُمَرى عن العُتْبى قالوا جميعا :

كان المجنونُ وليلَى وهما صَبيّانِ يَرْعَيانِ غنما لأهلهما عند جبلٍ فى بلادهما يقال له التَّوْبادُ (٧)، فلما ذهب عقلُه وتوحّش، كان يجىء إلى ذلك الجبلِ فيقيمُ به، فإذا تذكر أيام كان يُطِيفُ هو وليلى به جَزِع جزعاً شديدا وآستوحش فهام على وجهه حتى يأتىَ نواحىَ الشامِ، فإذا ثاب إليه عقلُه رأى بلدا لا يعرفه فيقولُ للناس الذين يلقاهم : بأبى أنتم، أين التَّوبادُ من أرض بنى عامر ؟ فيقال له : وأين أنت من أرض بنى عامر ! أنت بالشام عليك بنجم كذا فأُمَّه، فيمضى على وجهه نحوَ ذلك النجم حتى يقعَ بأرض اليمن، فيَرَى بلادا يُنكِرها وقوما لا يَعرِفهم فيسألهم عن التَّوباد

(١) كذا فى ب ، س ، ت . وفى باقى النسخ : «أن رأى» . (٢) هجروا : ساروا فى وقت الهاجرة . (٣) غال الشىءَ : ذهب به . (٤) كذا فى ت ، حـ وتزيين الأسواق . وفى باقى النسخ : «مناظر» بالميم . (٥) زيادة فى ت . (٦) كذا فى ت «الفروى» بالفاء وهو الموافق لما فى كتب التراجم مثل تهذيب التهذيب والخلاصة والأنساب للسمعانى . وفى بقية النسخ : «المروى» بالهاء وهو تحريف . (٧) كذا فى جميع الأصول «التوباد» بالدال المهملة وهو الموافق لما فى معجم ما آستعجم للبكرى إذ قال فى ضبطه : هو بفتح أوّله وباء معجمة بواحدة ودال مهملة وأنشد عليه : * وأجهشت للتوباد حين رأيته * البيت . وضبطه ياقوت بالذال المعجمة فقال فى معجمه : «توباذ» بالفتح ثم السكون والباء موحدة وآخره ذال معجمة : جبل بنجد .

وأرض بنى عامر، فيقولون: وأين أنتَ من أرض بنى عامر! عليك بنجم كذا وكذا، فلا يزال كذلك حتى يقع على التَّوبادِ، فإذا رآه قال فى ذلك:

أبياته النونية التى يصف فيها انصباب الدمع

وأجْهَشْتُ[1] للتَّوبادِ حين رأيتُـه * وكَبَّرَ[2] للرحمن حينَ رآنِي

وأذرَيتُ[3] دمعَ العين لمّـا عرفتُه * ونادى بأعلى صـوته فدعانِي

فقلتُ له قد كان حولكَ جيرةٌ * وعهدِى بذاكَ الصّرم منذ زمانِ[4]

فقال مَضَوْا واستودَعُونِى بلادَهم[5] * ومَنْ ذا الذى يبقَى على الحدَثانِ

وإنى لأبكى اليومَ منْ حَذَرِى غدًا * فِـراقَكَ والحيَّانِ مُجْتَمِعانِ[6]

سِجَالًا وتَهْتَانًا[7] ووَبْلًا وديمَةً * وسحًّا وتَسْجَامًا[8] الى هَمَلَانِ[9]

---

(١) أجهشت: تهيأت للبكاء. (٢) كذا فى جميع الأصول. وفى الديوان: «وهلّل».

(٣) كذا فى ت والديوان وتزيين الأسواق. وفى بقية الأصول: «وأذرفت» ولم نجد «أذرف» فى كتب اللغـة التى بأيدينا، وإنما يقال: ذرفت العين الدمع وذرّفتـه بالتضعيف أى أسالته.

(٤) ورد بدل هذا البيت فى الديوان بيت آخر وهو:

فقلت له أين الذين عهـدتهم * حواليك فى خصب وطيب زمان

وجاءت القصيدة فى تزيين الأسواق مشتملة على البيتين فأورد البيت الذى فى الأصول ثم جاء بعده بالبيت الثانى هكذا:

وقلت له أين الذين عهـدتهم * بقربك فى حفظ وطيب أمان

(٥) كذا فى أغلب النسخ والديوان. وفى ت وتزيين الأسواق لداود الأنطاكى: «ديارهم».

(٦) كذا فى أغلب الأصول والديوان. وفى ت وتزيين الأسواق: «مؤتلفان». (٧) يقال: هتنت السماء تهتن هتنا وتهتانا أى صبت. (٨) يقال: سجمت السحابة مطرها تسجيا وتسجاما اذا صبته. (٩) كذا فى الديوان، والهملان: فيض العين بالدموع. وفى جميـع الأصول «وتنهملان».

سبب ذهاب عقله

أخبرنى(١) عمى عن [عبد الله](٢) بن شَبيب عن هارونَ بنِ موسى الفَرْوِىّ عن موسى بن جعفر بن أبى كَثير قال : لما قال المجنونُ :

خليلىّ لا واللهِ لا أملكُ الذى * قضى اللهُ فى ليلى ولا ما قَضَى لِيَا
قضاها لغيرى وٱبتلانِى بحبّها * فهلّا بشىءٍ غيرِ ليلَى ٱبتلانيَا

سُلِبَ عقلَه .

وحدّثنى جحظةُ عن ميمون بن هارونَ عن إسحاقَ الموصلِىّ أنه لما قالها بَرِص .

شعره حين توهم أن صائحا يصيح : ياليلى

قال موسى بن جعفر فى خبره المذكور : وكان المجنونُ يسير مع أصحابه فسمع صائحا يصيح : ياليلى فى ليلةٍ ظلماءَ أو توهَّم ذلكَ ، فقال لبعض مَنْ معه : أما تسمعُ هذا الصوتَ ؟ فقال : ما سَمِعْتُ شيئا ، قال : بلى ، والله هاتفٌ يهتِفُ بليلى ، ثم أنشأ يقول :

أقولُ لأدنَى صاحبَىَّ كُلَيمةً * أُسِرَّتْ من الأقصى أجبْ ذا المناديَا
إذا سِرْتُ فى الأرضِ الفضاءِ رأيتُنِى * أُصانِعُ رَحْلِى(٣) أن يَمِيلَ حِيَالِيَا
يمينًا إذا كانت يمينًا وإن تكن * شِمالًا يُنازِعْنِى الهوَى عن شِمالِيَا

(١) جاء فى صلب نسخة س بعد انتهاء القصيدة وقبل قوله «أخبرنى» مانصه : «الجهش : أن يفزع الانسان الى غيره وهو مع ذلك متهيّئ للبكاء كالصبى يفزع الى أمه وقد تهيأ للبكاء ، يقال : جهش اليه يجهش ، وفى الحديث "طال بنا العطش فجهشنا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم" وكذلك الاجهاش يقال : جهشت بنفسى وأجهشت» ولم نثق بصحة هذه الزيادة حتى نثبتها فى الصلب لأنا وجدناها فى نسخة م موضوعة فى الصلب قبل القصيدة بل قبل البيت الأول التى هى شرح لبعض مفرداته ووجدناها بحاشية نسخة أ فى صورة شرح لقوله «وأجهشت» ومعزوّة الى الجوهرى وهى نص عبارته فى كتاب الصحاح ، والظاهر أن بعض النساخ وجد هذا التعليق على حاشية إحدى نسخ الكتاب فظنه من الأصل وأدخله فى الصلب . (٢) زيادة فى ت . (٣) كذا فى ب ، س والديوان والرحل : ما يوضع على البعير للركوب ثم يعبر به عن البعير وهو المراد هنا . وفى أغلب النسخ : «رجلى أن تميل حياليا» .

شعر له فى منى وغيرها يرويه غرير ابن طلحة

وقال ابنُ شَبيبٍ وحدّثنى هارونُ بنُ موسى قال : قلتُ لِغَريرِ(١) بنِ طلحةَ المخزومِيّ : مَن أشعرُ الناس ممن قال شعرا فى مِنًى ومكةَ وعرفاتٍ ؟ فقال : أصحابُنا القُرَشيُّون ، ولقد أحسنَ المجنونُ حيث يقول :

وداعٍ دعا إذ نحن بالخَيف من مِنًى * فهيَّجَ أحزانَ(٢) الفـؤادِ وما يدرِى

دعا باسم ليـلى غيرَها فكأنمـا * أطارَ بليلى طائراً كان فى صـدرى

فقلت له : هل تَروِى للمجنون غيرَ هذا ؟ قال : نعم ، وأنشدنى له :

أما والذى أرْسَى ثَبِيراً مكانه * عليـه السَّحابُ فوقه يتنصَّبُ(٣)

وما سَـلَكَ المَوْماةَ(٤) من كلّ جَسْرةٍ(٥) * طليحٍ(٦) بخفن السّيف تهْوِى فتُركَبُ

لقـد عِشْتُ مِنْ ليـلى زمانا أُحِبُّهَا * أخا الموت إذ بعضُ المحِبين يكذِبُ

---

(١) اختلفت النسخ فى هذا الاسم فوقع فى ب ، حـ : « عرير » بمهملات وفى س : « جرير » وفى ـ : « عزيز » بعين مهملة وزايين وفى م ، ى ، أ : « شرير » بشين معجمة ورامين وقد اعتمدنا فيما أثبتناه بالصلب على ما جاء فى تاج العـروس حيث ذكر فى مادة « غرر » من يسمون بغُرَير كزبير وعدّ منهم غُرَير بن طلحة القرشىّ .

وجاء هذا الاسم فى الجزء الثالث عشر من الأغانى ص ١١٧ طبع بولاق هكذا « غُرَيْر بن طلحة » بغين معجمة ثم مهملتين وجاء فى تاج العروس فى مادة رقم بعد ذكر أبى عبد الله الأرقم المخزومى ما نصه : « ومن ولده عزير بن طلحة بن عبد الله بن عثمان بن الأرقم » والظاهر أنه هو غُرَير بن طلحة وانما وقعت نقطة الغين على الراء .

وفى كتاب الأنساب للسمعانى فى اسم « الأرقى » : « والمشهور بهـذه النسبة عزيز بن طلحة بن عبد الله بن الأرقم من أهـل مكة » هكذا بعين مهملة وزايين معجمتين والظاهر أنه « غُرير » حتى يوافق ما ذكره صاحب تاج العروس فى مادة غرر .

(٢) كذا فى أغلب الأصـول وديوانه وكتاب الشعر والشعراء . وفى ـ : « أطراب » وهو ما اتفقت عليـه الأصول فيما تقدّم بصحيفة ٢٢ من هذا الجزء . (٣) يتنصّب : يرتفع .

(٤) كذا فى أغلب الأصول . وفى ـ : « البوباة » بالباء ، وكلاهما صحيح فان المَوْماة والبوباة معناهما واحد وهو الفلاة . (٥) يقال : ناقة جسرة ومتجاسرة : ماضية فى سيرها . وفى ـ : « نصوة » وهى التى هزلها السير . (٦) يقال : ناقة طليح اذا جهدها السير وهزلها .

أخبرنى محمد بن مزيد عن حماد [بن إسحاق](١) عن أبيه قال : كانت كنيةُ ليلى أمَّ عمرو، وأنشدَ للمجنون :

صـــوت

أبى القلبُ إلا حُبَّـهُ عامريّةً * لها كنيةٌ عمرٌو وليس لها عمرُو
تكادُ يدِى تَنْدَى إذا ما لمستُها * ويَنْبُتُ فى أطرافها الورَقُ الخُضْرُ

الغناء لعرِيبَ ثقيلٌ أوّلُ، وقال حبش : فيه لإسحاق خفيفُ ثقيلٍ .

ليلى برجل من ثقيف وما قاله المجنون فى ذلك الشعر

أخبرنى هاشمُ [بن محمد](١) الخزاعىّ عن دماذ(٢) عن أبى عُبيدةَ قال : خطب ليلَى صاحبةَ المجنون جماعةٌ من قومها فكرِهَتْهم ، فخطبها رجلٌ من ثَقِيف موسرٌ فرضيته ، وكان جميلا فتزوّجها وخرج بها ، فقال المجنونُ فى ذلك :

ألا إنّ ليـلى كالمَنِيحةِ(٣) أصبحَتْ * تَقَطَّعُ إلا من ثقيفٍ حِبالُها
فقد حبسوها مَحْبَسَ البُدْنِ وٱبتغى * بها الربحَ أقوامٌ تَساحتَ(٤) مالُهـا
خليلىّ هل مِنْ حيلةٍ تعلمانِها * يُدَنِّى لنا تكليمَ ليلَى ٱحتيالُهـا
فإن أنتمـا لم تَعـلَمَاها فلستُما * باوِى باغٍ حاجةً لا ينالُهـا
كأنّ مع الركب الذين ٱغتدَوْا بها * غمامةَ صيفٍ زعزعَتْها شَمالُهـا

(١) زيادة فى ت . (٢) فى ت : « قال حدّثنا أبو غسان دماذ » . وأبو غسان كنية دماذ . انظر صحيفة ١٥٣ حاشية رقم ١ من الجزء الأوّل من الأغانى . (٣) المنيحة فى الأصل : الشاة أو الناقة يعطيها صاحبها رجلا يشرب لبنها ثم يردّها اذا انقطع اللبن ، ثم كثر استعمالها فى كل موهوب . وفى ت « العامرية » بدل « كالمنيحة » . (٤) كذا فى أغلب الأصول . يقال أسحت ماله : استأصله وأفسده ، ومال مسحوت ومسحت أى مذهب . وأسحتت تجارته : خبثت وحرمت ، ولم نجد فى كتب اللغة « تساحت » على وزن تفاعل من هذه المادة . وفى ت وتز بين الأسواق « ألا قلّ مالها » وهكذا جاءت فى جميع النسخ كما تقدّم فى ص ٤٧ من هذا الجزء .

نظرتَ بمُفْضَى سَيلِ جَوْشَنَ(١) إذ غَدَوْا(٢) * تَخُبُّ بأطـراف المَخَـارِمِ(٣) آلُهـا

بشافيـةِ(٤) الأحزانِ هيَّج شوقها * مُجَامَعَـةُ الأُلاف ثم زِيَالُهـا

إذا التفتتْ من خلفِها وهى تَعْتَلى * بها العِيسُ جَلَّى عَبْرَةَ العينِ حالُها

أخبرنى علىّ بن سليمان الأخْفشُ قال أنشدنى أحمد بن يحيى ثَعْلَبٌ عن أبى نصر أحمدَ بن حاتم قال : وأنشدناه المبرّد للمجنون فقال :

صـوت

وأَحْبِسُ عنكِ النفسَ والنفسُ صَبَّةٌ * بذِكْراكِ والمَمْشَى إليـكِ قـريبُ

مخافةَ أن تسعى الوُشَاةُ بظِنَّـةٍ * وأَحْرُسُكم أن يستريبَ مُرِيبُ

فقد جعلتْ نفسِى ــ وأنتِ اجترمتِه * وكنتِ أعزَّ الناسِ ــ عنكِ تَطِيبُ

فلو شئتِ لم أَغضَبْ عليك ولم يزل * لكِ الدهرَ منِّى ما حييتُ نصيبُ

أمَا والذى يَبْـلُو(٥) السرائرَ كلَّهـا * ويعـلَمُ ما تُبْـدِى به وتَغيبُ

لقد كنتِ ممن تَصْطَفِى النفسُ خُلَّةً(٦) * لها دون خُلَّانِ الصَّفاء حُجُوبُ

---

(١) كذا فى أغلب النسخ ، ولم نجد فى بلاد العرب ما يسمى جوشن الا جبلا فى غربى حلب . وفى ت : « جوشين » وهو مثنى جوش وهو جبل فى بلاد بنى القين بين أذرعات والبادية ، وثنى مع جبل آخر لم يقال له «جدد» فيقال : جوشان ، قال البعيث :

تجاوزن من جوشين كلَّ مفازة * وهنّ سوام فى الأزمة كالإجْلِ

(٢) كذا فى نسختى ب ، س . وفى باقى النسخ : « والضحى » . (٣) كذا فى ت « المخارم » بالراء المهملة : جمع مخرم وهو الطريق فى الجبل أو الرمل . وفى بقية النسخ : «المخادم» بالدال المهملة ولم نجد له معنى مناسبا . (٤) فى ت وتزيين الأسواق : «بمنهلة الأجفان» .

(٥) كذا فى ت والديوان . وفى سائر النسخ : « يُبْلى السرائر » . (٦) كذا فى ت والديوان . وفى باقى النسخ : « يصطفى الناسُ » .

ذكر يحيي المكّى أنه لابن سُرَيج ثقيلٌ أولُ، وقال الهِشَامىّ : إنه من منحول يحيي إليـه .

خبر أبى الحسن البغاء والمرأة التى أحبت صديقا له من قريش

أخبرنى الحَرَمِىّ بن أبى العَلَاء قال حدّثنى الحَسَن (١) بن محمد بن طالب الدِّينارى قال حدّثنى إسحاق الموصلىّ، وأخبرنى به محمد بن مَزْيَد والحُسَين بن يحيي عن حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال حدّثنى سَعيد بن سُلَيمان عن أبى الحسن البَبَّغَاء قال :

بينا أنا وصديق لى من قريش نمشى بالبلاط (٢) ليلا ، إذا بظلّ نسوة فى القمر، فسمعتُ إحداهنّ تقول : أهو هو؟ فقالت لها أخرى (٣) معها : اى والله إنه لهو هو! فدنت منّى ثم قالت : يا كهلُ، قل لهذا الذى معك :

ليستْ لياليكَ فى خاخٍ (٤) بعائدةٍ * كما عهدتَ ولا أيامُ ذى سَلَمِ

فقلت : أجِبْ فقد سمعتَ، فقال : قد والله قُطِعَ بى وأُرْتِجَ علىّ (٥) فاجبْ عنّى، فقلت :

فقلتُ لها يا عزّ كلُّ مصيبةٍ * اذا وُطِّنتْ يوما لها النفسُ ذَلَّتِ

ثم مضينا حتى إذا كنّا بمَفرِق طريقين مضى الفتى الى منزله ومضيتُ الى منزلى، فإذا أنا بجويرية تجذِب ردائى فالتفتُّ ، فقالت لى : المرأةُ التى كلمتَها تدعوكَ ، فمضيتُ معها حتى دخلت دارا واسعة ثم صرتُ الى بيتٍ فيه حصيرٌ، وقد ثُنِّتْ لى وسادةٌ فجلستُ عليها ، ثم جاءت جاريةٌ بوسادة مَثنيةٍ فطرحتها ، ثم جاءت المرأةُ فجلستْ عليها، فقالت لى : أنت المجيبُ؟ قلتُ : نعم، قالت: ما كان أفظّ لجوابكَ

---

(١) كذا فى أغلب النسخ وفى ت ، ء « الحسين بن محمد » . (٢) البلاط : ضرب من الحجارة تفرش به الأرض ثم سمى المكان بلاطا اتساعا ، وهو معروف بالمدينة وقد تكرر ذكره فى الأحاديث . انظر النهاية لابن الأثير فى مادة « بلط » . (٣) كذا فى ت بالتنكير . وفى باق النسخ : « الأخرى » . (٤) كذا فى ب ، ء . وفى سائر النسخ : « جمع » وجمع هو المزدلفة . (٥) هذه الكلمة ساقطة من ب ، ء .

وأغلظَه! فقلت لها : ما حضرنى غيرُه، فسكتتْ، ثم قالت : لا، والله ما خلق الله خلقا أحبَّ إلىّ من إنسان كان معكَ! فقلت لها : أنا الضامنُ لكِ عنه ما تُحبّين، فقالت : هيهاتَ أن يقع بذلك وفاءٌ، فقلت : أنا الضامن وعلىّ أن آتيَك به فى الليلة القابلة فانصرفتُ، فإذا الفتى ببابى، فقلتُ : ما جاء بكَ ؟ قال : ظننتُ أنها ستُرسل إليكَ وسألتُ عنكَ فلم أعرف لك خبرا. فظننتُ أنكَ عندها، فجلستُ أنتظركَ، فقلت له : وقد كان الذى ظننتَ، وقد وعدتُها أن آتيَكَ فأمضىَ بك إليها فى الليلة المقبلة، فلما أصبحنا تهيأنا وانتظرنا المساءَ، فلما جاء الليلُ رحلنا إليها، فإذا الجاريةُ منتظرةٌ لنا، فمضت أمامَنا حين رأتنا حتى دخلتْ تلك الدارَ ودخلْنا معها، فإذا رائحةٌ طيبة ومجلسٌ قد أُعِدّ ونُضّد، فجلسنا على وسائدَ قد ثُنيتْ [لنا] (١)، وجلستْ مَليًّا ثم أقبلتْ عليه فعاتبته مليًّا ثم قالت :

صــوت

وأنتَ الذى أخلفتَنى ما وعدتَنى * وأشمتَّ بى مَنْ كان فيكَ يلومُ

وأبرزتَنى للناس ثم تركتَنِى * لهم غرَضًا أُرمَى وأنتَ سليمُ

فلو كان قولٌ يَكْلُمُ الجلدَ قد بدا * بجِلْدىَ من قول الوشاة كُلُومُ

هذه الأبيات لأُميمة (٢) آمرأة آبن الدُّمَينة، وفيها غناء لإبراهيم الموصلى ذكره إسحاق ولم يُجنّسه. وقال الهشامىّ : هو خفيفُ رملٍ. وفيه لعَريبَ خفيفُ ثقيلٍ أوّلَ يُنسب إلى حَكَم الوَادِى وإلى يعقوبَ. قال : ثم سكتتْ وسكت الفتى هُنَيهةً ثم قال :

غَدَرْتِ ولم أغدِر وخُنْتِ ولم أخُنْ * وفى بعض هـذا للمحبّ عَزاءُ

جزيتُـكِ ضِعفَ الودّ ثم صَرمتِنى * فحُبُّكِ من قلبى إليـكِ أداءُ

(١) زيادة فى ت (٢) كذا فى ت «لأميمة» وهو الموافق لما سيأتى فى ترجمة ابن الدمينة فى ج ١٥ ص ١٥١ أغانى طبع بولاق. وفى باقى النسخ : «لآمنة» وهو تحريف.

فالتفتت إلىّ فقالت : ألا تسمع ما يقول ! قد خبرتُكَ، فغمزتُه أن كُفّ فكفّ، ثم أقبلتْ عليه وقالت :

صوت

تجاهلتَ وَصلِي حينَ جَدّتْ (١) عَمَايتِي * فهلّا صرمتَ الحبلَ إذ أنا أُبصِرُ
ولى من قُوَى الحبل الذى قد قطعتَه * نصيبٌ وإذ رأيِي جميعٌ مُوَفَّـرُ
ولكنما آذنتَ بالصَّـرْمِ بغتـةً * ولستُ على مثل الذى جئتَ أَقدِرُ

— الغناء لإبراهيمَ ثقيلٌ أول بالوسطى عن عمرو — فقال :

لقد جعلتْ نفسِي — وأنتِ آجترمتِه * وكنت أعزَّ الناس — عنكِ تطيبُ

قال : فبكت، ثم قالت : أوقد طابتْ نفسُك! لا، والله مافيك بعدها خير، ثم آلتفتت إلىّ وقالت : قد علمتُ أنك لا تفى بضمانك ولا يفى به عنك. وهذا البيت الأخير للمجنون، وإنما ذُكر هذا الخبرُ هنا وليس من أخبار المجنون لذكره فيه.

رجع الخبر إلى سِيَاقَةِ أخبار المجنون

رأى المجنون أبيات أهل ليلى فقال شعرا

أخبرنى عمى قال حدثنا الكُرانى عن العُمَرى عن الهيثم بن عدى أن رهطَ المجنون آجتازوا فى نُجْعةٍ (٢) لهم بحىّ ليلى، وقد جمعتْهم نُجعةٌ فرأى أبياتَ أهل ليلى ولم يُقْدِم (٣) على الإلمام بهم وعدَلَ أهلُه إلى جهة أخرى، فقال المجنونُ :

---

(١) كذا فى جميع النسخ، يقال : جدّ به الأمر أى اشتد. وفى ت : «لجت» وهو من لجّ به الشىء : لزمه وأبى أن ينصرف عنه. (٢) النجعة عند العرب : الذهاب فى طلب الكلأ والعشب فى موضعه. (٣) كذا فى أغلب النسخ. وفى ت : «يقدر».

لعمرُكَ إنّ البيتَ بالقِبَلِ(١) الذى * مررتُ ولم أُلِمْ عليه لَشَائِقُ
وبالجَزْعِ(٢) مِن أعلى الجنيبةِ(٣) منزلٌ * شَجَا حَزَنَ صدرِى به مُتضايِقُ
كأنى إذا لم ألقَ ليلى مُعلّقٌ * بسَبَبين(٤) أهفُو(٥) بين سَهْلٍ وحَالِقِ(٦)
على أننى لو شئتُ هاجت صبابتى * علىّ رسومٌ عىّ فيها التّناطُقُ
لَعَمْرُكِ إن الحبَّ يا أمَّ مالكٍ * بقلبى برانى اللهُ منه للَاصِقُ
يَضمُّ علىّ الليلُ أطرافَ حُبّكم * كما ضمَّ أطرافَ القميصِ البَنَائِقُ

صوت

وماذا عسى الواشونَ أن يتحدّثوا * سوى أن يقولوا إننى لكِ عاشقُ
نَعَم صدق الواشون أنتِ حبيبةٌ * إلىّ وإن لم تَصْفُ منكِ الخلائِقُ

الغناء لمتيّم ثقيلٌ أوّلُ من جامعها . وفيه لدِعَامةَ رملٌ عن حَبَش .

حديث ليلى ، جارة لها من عقيل

أخبرنى أحمد بن جعفر جحظةُ قال حدّثنى أحمدُ بن الطَّيّب قال قال ابن الكلبىّ : دخلَتْ ليلى على جارة لها من عُقَيلٍ وفى يدها مِسْواكٌ تَستاكُ به ، فتنفّستْ ثم قالت : سقى الله من(٧) أهدى لى هذا المِسْواكَ ؛ فقالت لها جارتُها : مَنْ هو ؟ قالت : قيسُ بنُ الملوح ، وبكت ثم نزعتْ ثيابَها تغتسلُ ؛ فقالت : وَيْحَه ! لقد

---

(١) القبل : الناحية . وفى ت : « بالظاهر الذى » والظاهر يطلق على المكان المرتفع ، فيقال : ظواهر الأرض أى أشرافها وأعاليها . (٢) الجزع : منعرج الوادى ومنعطفه .
(٣) كذا فى أغلب النسخ . وفى ت « الجنينة » وفى ياقوت الجُنَينة : روضة نجدية بين ضريّة وحزن بنى يربوع وأنها صحراء باليمامة أيضا . ولم نجد الجنيبة اسما لموضع خاص ولعله تصغير جنبة بمعنى الناحية .
(٤) السب : الحبل كالسبب أى يذهب فى الهواء . (٥) أهفو : أذهب فى الهواء .
(٦) الحالق : الجبل المرتفع وفى هذا البيت إقواء وهو اختلاف حركة الروىّ . (٧) كذا فى ت . وفى أغلب النسخ : « ومن » بالواو .

عَلِقَ منى ما أهلكه مِنْ غير أن أستحِقَّ ذلك، فنشدتُكِ الله ، أصدَق فى صفتى أم كذَب؟ فقالت : لاوالله، بل صدق، قال : وبلغ المجنونَ قولُها فبكى ثم أنشأ يقول :

نُبِّئتُ ليلى وقد كنَّا نبخّلها * قالت سقى المزنُ(١) غيثًا منزلا خربَا
وحبّذا راكبٌ كُنَّا نَهَشُّ به * يُهدِى لنا من أراكِ الموسم القُضُبَا
قالتْ لجارتِها يوما تُسائلُها * لَمَّا استحمّتْ وألقتْ عندها السَّلَبا(٢)
يا عَمْـرَكِ الله أَلَّا(٣) قُلْتِ صادقةً * أَصَدَقَتْ صِفةُ المجنون أم كذبَا

ويروى : "نشدتُكِ الله" ويروى : "أصادقًا وصفَ المجنونُ أم كذبا" .

سمع المجنون بخروج ليلى مع زوجها فقال شعرا

وقال أبو نصر فى أخباره : لما زُوِّجَتْ ليلى بالرجل الثقفى سمع المجنونُ رجلا من قومها يقول لآخر : أنتَ ممن يُشَيِّعُ لَيْلَى ؟ قال : ومتى تخرج ؟ قال : غدًا، ضَحْوةً أو الليلةَ، فبكى [المجنونُ](٤) ثم قال :

صـوت

كأنّ القلبَ ليلةَ قيل يُغْدَى * بليلى العامريّةِ أو يُراحُ
قطاةٌ عزّها شَرَكٌ فباتتْ * تُجاذِبه وقد عَلِقَ الجناحُ

الغناء ليحيى المكى خفيفُ ثقيلٍ بالوسطى عن عمرو، وفيه رَمَلٌ ينسب إلى إبراهيم وإلى أحمد بن يحيى المكى، وقال حَبَش : فيه خَفيفُ ثقيلٍ [بالوسطى](٤) لسليم .

---

(١) فى ت : «سقى الله منه منزلا جدبا» . وفى تزيين الأسواق : «قالت سقى الله منه منزلا خربا» .

(٢) السَّلَب : كلّ ما على الانسان من الثياب . (٣) ألّا هنا للتحضيض بمعنى هلّا .

(٤) زيادة فى ت .

وعظه رجل من بنى عامر فأنشده شعرا

وقال الهيثمُ بنُ عدى فى خبره: حدّثنى عبد الله بن عيّاش الهَمْدانى(١) قال حدّثنى رجلٌ من بنى عامر قال: مُطِرنا مطرًا شديدا فى ربيع ٱرتبعْناه، ودام المطرُ ثلاثا ثم أصبحنا فى اليوم الرابع على صَحْوٍ وخرج الناس يمشون على الوادى، فرأيت رجلا جالسا بجُرَةٍ(٢) وحدَه فقصدْتُه، فإذا هو المجنون جالسٌ وحدَه يبكى فوعظتُه وكلّمتُه طويلا وهو ساكتٌ لم يرفع رأسَه إلىّ، ثم أنشدنى بصوت حزين لا أنساه أبدا وحُرْقَتَه:

صوت

جَرى السَّيلُ(٣) فاستبكانِىَ السيلُ إذ جرى * وفاضتْ له من مُقْلَتَىَّ غُروبُ(٤)
وما ذاكَ إلا حينَ أيقنتُ أنه * يكون بوادٍ أنتِ(٥) فيه قريبُ
يكون أُجاجًا دونكم فإذا ٱنتهى * إليكم تَـلَقَّى طيبَكم فيطيبُ
أَظَـلُّ غريبَ الدارِ فى أرض عامرٍ * ألا كلُّ مهجورٍ هناكَ غـريبُ
وإن الكثيبَ الفردَ من أيمن الحمى * إلىّ وإن لم آتـه لحبيبُ
فلا خيرَ فى الدنيا إذا أنتَ لم تَزُر * حبيبا ولم يَطرَبْ إليـكَ حبيبُ

وأول هذه القصيدة — وفيه أيضا غناء —:

صوت

ألا أيها البيتُ الذى لا أزوره * وهِجْرانُه منّى إليـه ذُنوبُ
هجرتُكَ مشتاقا وزرتُكَ خائفًا * وفيكَ علىّ(٦) الدهرَ منكَ رقيبُ
سأستَعْطِفُ الأيامَ فيكَ لعلّها * بيومِ سرورٍ فى هواكَ تُثيبُ

(١) كذا فى أغلب النسخ. وفى ت: «عبد الله بن عباس الهذلى». (٢) جُرَة: ناحية.
(٣) كذا فى أغلب النسخ. وفى ب، س، حـ: «جرى الدمع فاستبكانى السيل» وهو تحريف.
(٤) الغروب: جمع غرب وهو الدمع. (٥) فى ت وتزيين الأسواق: «منه».
(٦) كذا فى ت وتزيين الأسواق. وفى باقى النسخ: «وفىّ عليك الدهر منك رقيب».

هـذه الأبيات فى شعر محمد بن أميّة مَرْوِيّةٌ[(١)]، ورُوِيتْ ها هنا للمجنون [فى هذه القصيدة][(٢)]. وفيها لعَرِيبَ ثقيلٌ أوّلُ. ولعبد الله بن العباس ثانى ثقيل. ولأحمد بن المكىّ خفيفُ ثقيلٍ:

وأُفرِدْتُ إفرادَ الطرِيد وباعدتْ * إلى النفس حاجاتٌ وهنّ قريبُ
لئن حال يأسٌ[(٣)] دون لَيْلَى لربّما * أتى اليأسُ دون الأمر فهو عَصِيبُ[(٤)]
ومنّيتِنى حتى إذا ما رأيتِنى * على شَرَفٍ للناظرين يُرِيبُ
صددتِ وأشمتِّ العدوّ بصرْمنا * أثابكِ يالَيلَى الجزاءَ مُثيبُ

لقاؤه فى توحشه ليلى بجفاة وشعره فى ذلك

أخبرنى هاشم بن محمد الخُزاعىّ قال حدّثنا محمد بن زكَريا الغَلّابىّ قال حدّثنا مَهْدِىّ بن سَابق قال حدّثنا بعضُ مشايخ بنى عامر أن المجنون مرّ فى توحُّشه فصادف حىَّ ليلَى راحلًا ولقيها بجَفَاةٍ فعرفها وعرفته فصَعِق وخرّ مغشيًّا على وجهه، وأقبل فِتيانٌ من حىّ ليلى فأخذوه ومسحوا الترابَ عن وجهه، وأسندوه إلى صدورهم وسألوا ليلى أن تَقِفَ له وَقْفةً، فرقّتْ لِمَا رأته به، وقالت: أمّا هذا فلا يجوز أن أفتضِحَ به، ولكن يا فلانةُ ـ لأَمةٍ لها ـ اذهبى إلى قيس فقولى له: ليلى تقرأُ عليك السلامَ، وتقول لكَ: أَعزِزْ علىّ بما أنتَ فيه، ولو وجدتُ سبيلا إلى شفاء دائك لوقَيْتُكَ بنفسى منه، فمضتِ الوَليدةُ إليه وأخبرتْه بقولها، فأفاقَ وجلس وقال: أَبْلغيها

---

(١) كذا وقعت هذه العبارة فى أغلب النسخ. وفى ت ما نصه: «هذان البيتان الأوّلان فى شعر محمد بن أمية مدوّنان». وقد رجح صاحب تزيين الأسواق: أن البيت الأوّل للجنون وأن الثانى والثالث ليسا له. (٢) زيادة فى ت. (٣) كذا فى أغلب النسخ وفى ت وتزيين الأسواق: «لئن حال واش». (٤) كذا فى تزيين الأسواق. وقد ورد فى جميع الأصول: «أتى اليأس دون الأمر وهو قريب» وبهذه الرواية يكون فيه الإيطاء وهو تكرير القافية مع اتحاد المعنى.

السلامَ وقولى لها : هيهاتَ ! إنّ دائى ودوائى أنتِ ، وإنّ حياتى ووفاتى لفى يديكِ ، ولقد وكّلتِ بى شقاء لازما وبلاء طويلا . ثم بكى وأنشأ يقول :

أقول لأصحابى هى الشمس ضوءُها * قـريبٌ ولكن فى تناوُلِها بُعْدُ
لقـد عارضتْنا[1] الريحُ منها بنفحةٍ * على كَبِدى من طيبِ أرواحها بَرْدُ
فما زلتُ مَغْشيًّا علىّ وقد مَضتْ * أناةٌ[2] وما عنـدى جوابٌ ولا رَدُّ
أُقلَّبُ بالأيدى وأهـلى بِعَـوْلةٍ[3] * يُفَدُّوننى لو يستطيعون أن يَفْدُوا
ولم يبق إلا الجـلدُ والعظمُ عاريا * ولا عظمَ لى إن دام مابى ولا جِلدُ
أدُنياىَ مالى فى ٱنقطاعى وغُربتى[4] * إليكِ ثوابٌ منـكِ دَينٌ ولا نَقْـدُ
عِدينِى - بنفسِى أنتِ - وعدًا فربّما * جلا كُربةَ المكروب عن قلبه الوعدُ
وقـد يُبتلَى قومٌ ولا كـبليّتِى * ولا مثلَ جَدّى[5] فى الشقاء بكم جَدُّ
غَزَتنِى جنودُ الحبّ من كلّ جانبٍ * إذا حان من جندٍ قُفُولٌ[6] أتى جُندُ

وقال أبو نصر أحمد بن حاتم : كان أبو عمرو المدنىّ[7] يقول قال نَوْفَل بن مُساحِق : أُخبِرتُ عن المجنون أن سببَ توحّشـه أنه كان يوما بِضَرِيّةَ جالسـا وحده إذ ناداه مُنادٍ من الجبل :

كِلانَا يا أُخىّ يُحِبُّ لَيـلَى * بفِىَّ وفِيـكَ من لَيْـلَى الترابُ

(١) كذا فى أغلب النسخ . وفى ت : * لقد عارضتنا ريح ليلى بنفحة *
(٢) أناة : انتظار . (٣) العولة كالعول : رفع الصوت بالبكاء . (٤) كذا فى ت وتزيين الأسواق . وفى سائر النسخ : « ورغبتى » . (٥) الجدّ بالفتح : الحظ والنصيب
(٦) القفول : رجوع الجند بعد الغزو . (٧) كذا فى أغلب الأصول . وفى ت : « قال ٱبن عمرو المرّى » .

لقد خَبَلتْ فؤادكَ ثم ثَنَّتْ ⁂ بقلبى فهو مهمومٌ مُصابُ
شَرِكْتُكَ فى هَوَى مَن ليس تُبدِى ⁂ لنا الأيامُ منه سِوَى اجتنابِ (١)

خبر نوفل ابن مساحق مع المجنون

قال : فتنفس الصُّعَداءَ وغُشِىَ عليه، وكان هذا سببَ توحّشه فلم يُرَ له أثرٌ حتى وجده نوفلُ بنُ مُسَاحِقٍ. قال نوفل: قَدِمتُ البادية فسألتُ عنه، فقيل لى: توحّشَ وما لنا به عهدٌ ولا ندرِى إلى أين صار، فخرجتُ يوما أتصيّدُ الأُرْوِىَّ (٢)، ومعى جماعةٌ من أصحابى، حتى إذا كنتُ بناحية الحِمَى إذا نحن بأَرَاكةٍ (٣) عظيمة قد بدا منها قَطِيعٌ من الظباء، فيها شخصُ إنسانٍ يُرَى من خَلَل تلك الأراكةِ، فعجِبَ أصحابى من ذلك، فعرفتهُ وأتيته وعرفتُ أنه المجنونُ الذى أُخبِرتُ عنه، فنزلتُ عن دابتى وتخفّفتُ (٤) من ثيابى وخرجتُ أمشى رُوَيدًا حتى أتيت الأراكةَ فارتقيت حتى صرت على أعلاها وأشرفتُ عليه وعلى الظباء، فإذا به وقد تدلّى الشعرُ على وجهه، فلم أكد أعرفُه إلا بتأمّل (٥) شديد، وهو يرتَعِى فى ثمر تلك الأراكةِ، فرفع رأسَه فتمثّلتُ ببيت من شعره :

أتبكِى على ليلى ونفسُك باعدتْ (٦) ⁂ مزارَكَ من ليلى وشِعْباكُما معا

قال : فنفرَتِ الظباءُ، واندفع فى باقى القصيدة يُنشِدُها، فما أنسى حُسْنَ نَغْمَته وحسنَ صوته وهو يقول :

---

(١) كذا فى جميع النسخ. وفيه إقواء وهو اختلاف حركة الروىّ بالرفع أو الجر. وقد تقدّم البيتان الأوّلان فى ص ٧ من هذا الجزء وثانيهما هكذا :

شركتك فى هوى من كان حظى ⁂ وحظّك من مودّتها العذاب

(٢) الأروى : الوعول وهى تيوس الجبل واحده أروية. (٣) الأراكة : واحدة الأراك وهو شجر كثير الورق والأغصان ينبت بالغور تتخذ منه المساويك. انظر اللسان مادة أرك. (٤) أى نزعت شيئا منها. (٥) فى ت : «إلا بعد تأمل شديد». (٦) كذا فى جميع الأصول. وفى ترجمة الصمة القشيرى فى ج ٥ ص ١٣٢ أغانى طبع بولاق : «حننت الى ريا».

فما حَسَنٌ أن تأتى الأمرَ طائعاً * وتَجْزَعَ أن داعى الصبابةِ أسمعا
بكتْ عينيَ اليسرى فلما زجرتُها * عن الجهلِ بعد الحلم اسبلَتا معًا
وأذكرُ أيامَ الحِمَى ثم أنثنِى * على كبِدى من خشيةٍ ان تَصدَّعا
فليستْ عشيَّاتُ الحِمَى برواجعٍ * عليكَ[(١)] ولكن خلِّ عينيكَ تَدمعا[(٢)]
معى كلُّ غِرٍّ قد عصَى عاذلاته * بوصلِ الغوانِى من لَدُنْ أن تَرعرَعا
إذا راحَ يمشِى فى الرداءينِ أسرعتْ * إليه العيونُ الناظراتُ التطلُّعا

قال : ثم سقط مغشيًا عليه ، فتمثَّلتُ بقوله :

يا دارَ ليلى بسِقْطِ[(٣)] الحَىِّ قد دَرَسَتْ * إلا الثُّمامَ[(٤)] وإلا مَوقِدَ النَّارِ
ما تنفتأ الدهرَ من ليلى تموت كذا * فى موقفٍ وقفته أو على دارِ
أبلَى عظامَكَ بعد اللحمِ ذِكْرُكَها * كما يُنحِّتُ[(٥)] قِدْحَ[(٦)] الشَّوحَطِ البارِى

فرفع رأسه إلىّ وقال : مَنْ أنت حيّاك الله ؟ فقلت : أنا نوفلُ بنُ مُساحِقٍ ، فحيّانى فقلت له : ما أحدثتَ بعدى فى يأسِكَ منها؟ فأنشدنى يقول :

(١) كذا فى أغلب النسخ وديوان الحماسة . وفى ت وتزيين الأسواق : « اليك » .

(٢) هذا البيت والأبيات الأربعة قبله أوردها المؤلف على هذا الترتيب فى ترجمة الصمة القشيرى على أنها للصمة ثم قال : وهذه الأبيات تُروى لقيس بن ذريح ويُروى بعضها للمجنون ، والصحيح فى البيتين الأولين أنهما لقيس بن ذريح وروايتهما أثبت وقد تواترت الروايات بأنهما له من عدّة طرق ، والآخر مشكوك فيها أهى للمجنون أم للصمة . وأورد أبو علىّ القالى هذه الأبيات الخمسة فى جملة أبيات نسبها الى الصمة القشيرى . أنظرج ١ ص ١٩٠ أمالى القالى طبع دار الكتب المصرية .

(٣) السقط مثلث السين : حيث انقطع معظم الرمل ورق .

(٤) الثمام : نبت فى البادية ، كان العرب يسدّون به خصاص البيوت ، وهو من النبات الذى لا يطول ، ولهذا كانوا يقولون للشىء الذى لا يعسر تناوله : « هو على طرف الثمام » .

(٥) كذا فى جميع الأصول ، ولم نجد فى كتب اللغة التى بأيدينا « نحت » هكذا مضعفا من هذه المادة ، ولعلها يَنجُب ، يقال : نجَب الشجرةَ والعود اذا قشر ما عليهما من اللحاء .

(٦) القدح : السهم . والشوحط : ضرب من النبع تتخذ منه القسىّ ، وهو من أشجار الجبال .

ألا حُجِبَتْ ليلى وآلى أميرُها * علىّ يمينا جاهدًا لا أزورُها
وأوعدنى فيها رجالٌ أبوهمُ * أبى وأبوها خُشِّنَتْ لى صُدورُها
على غير جُرمٍ غيرَ أنى أُحبُّها * وأنّ فؤادى رهنُها وأسيرُها

قال: ثم سنَحَتْ له ظِباء فقام يعدو فى أثرها حتى لحقها فمضى معها.

حدّثنى الحسن بن علىّ قال حدّثنا عبد الله بن أبى سعد قال حدّثنى على بن الصَّبّاح عن ٱبن الكلبىّ قال: لما قال مجنون بنى عامر:

قضاها لغيرِى وٱبتلانى بحبّها * فهلّا بشىءٍ غيرِ ليلى ٱبتلانيا

نُودِى فى الليل: أنت المتسخِّط لقضاء الله والمعترض فى أحكامه! وٱختُلِس عقلُه فتوحّش منذ تلكَ الليلةِ وذهب مع الوحش على وجهه. وهذه القصيدة التى قال فيها هذا البيتَ من أشهر أشعاره، والصوت المذكور بذكره أخبارُ المجنون ها هنا منها. وفيها أيضا عدّة أبيات يُغنَّى فيها، فمن ذلك:

صوت

قصيدته اليائية

أَعُدُّ الليالى ليلةً بعد ليلةٍ * وقد عِشتُ دهرًا لا أَعُدُّ اللياليَا
أَرانى إذا صَلّيتُ يمّمتُ نحوَها * بوجهى وإن كان المصلَّى ورائيَا
وما بِىَ إشراكٌ ولكنّ حبّها * كعُودِ الشجا(١) أعيا الطبيبَ المُداوِيَا
أُحِبُّ من الأسماء ما وافق ٱسمَها * وأشبهه أو كان منه مُدانيَا

فى هذه الأبيات هَزَجٌ خفيفٌ لمعان(٢) معزفى:

(١) فى ت: «كثل». (٢) كذا فى ب، س، حـ وفى باقى النسخ هكذا: «لمان» بدون عين بعد اللام، ولم نهتد الى تصحيح هذه الكلمة والتى بعدها.

صـــوت

وخبّرتماني أنّ تيماءَ منزلٌ * لليلى إذا ما الصيفُ ألقى المراسيا
فهذى شهورُ الصيف عنّى(١) قد انقضت * فما للنوى ترمى بليلى المراميا

فى هذين البيتين لحنٌ من الرمل صنعته عجوزُ عُمير الباذَغِيسىّ(٢) على لحن إسحاق :

* أماوىّ إنّ المالَ غادٍ ورائحُ *

وله حديث قد ذُكِرَ فى أخبار إسحاق . وهذا اللحن إلى الآن يغنّى ، لأنه أشهر فى أيدى الناس ، وإنما هو لحن إسحاق أُخِذَ بجُعْلٍ على هذه الأبياتِ وكِيدَ بذلك :

صـــوت

فلو كان واشٍ باليمامة بيتُه * ودارى بأعلى حضرموتَ اهتدى لِيَا(٣)
وماذا لهم – لا أحسنَ اللهُ حالَهم(٤) – * من الحظ فى تصريم ليلى حِباليا
فأنتِ التى إن شئتِ أشقيتِ عِيشتى(٥) * وإن شئتِ بعدَ اللهِ أنعمتِ باليا
وأنتِ التى ما من صديقٍ ولا عِدًا * يرى نِضْوَ(٦) ما أبقيتِ إلا رَثَى لِيَا

---

(١) فى ت وتزيين الأسواق والديوان : «عنّا» . (٢) نسبة الى « باذَغِيس » بالغين المعجمة وهى ناحية تشتمل على قرى من أعمال هراة ومرو الروذ . انظر معجم ياقوت .

(٣) كذا فى جميع الأصول . والنحويون يروونه كما جاء فى ديوانه هكذا :

ولو أنّ واشٍ باليمامة داره * ودارى بأعلى حضرموتَ اهتدى ليا

ويستشهدون به على أنّ من العرب من يسكن الياء من الاسم المنقوص فى حالة النصب . انظر شرح الأشمونى فى باب المعرب والمبنى . (٤) كذا فى الديوان وتزيين الأسواق . وفى جميع النسخ : « حفظهم » . (٥) كذا فى ت والديوان وتزيين الأسواق ، وفى باقى النسخ : « الذى » وهو تحريف . (٦) أصل النضو : المهزول من الدواب ويطلق على المبلى من الثياب وقد يستعمل فى الإنسان . ويريد الشاعر هنا جسمه الذى أضناه الحبّ وأبلاه .

أمَضروبةٌ ليلى على أن أزورَها * ومُتَّخَذٌ ذنبًا لها أن ترانيا
إذا سِرْتُ فى الأرض الفضاءِ رأيتُنى * أُصانِعُ رَحْلى[1] أن يَميلَ حِيَاليا
يمينًا إذا كانت يمينًا وإن تكن * شِمالًا يُنازِعْنِى الهوى عن شِماليا
أُحِبُّ من الأسماء ما وافق اسمَها * وأشبَهَهُ أو كان منه مُدانيا
هى السحرُ إلا أنّ للسحر رُقْيَةً * وإنِّى لا أُلْفِى لها الدهرَ راقيا

وأنشد أبو نصر للمجنون وفيه غناء :

صوت

تكاد يدِى تَنْدَى إذا ما لمستُها * ويَنْبُتُ فى أطرافها الوَرَقُ الخُضْرُ
أبى القلبُ إلا حُبَّها[2] عامريّةً * لها كُنيةٌ عمرٌو وليس لها عمرُو

الغناء لعَرِيبَ ثقيلٌ أولُ، وذكر الهشامىّ أن فيه لإسحاق خفيفَ ثقيل .

أخبرنى محمد بن مَزْيَدَ بن أبى الأزهر قال حدّثنا حماد بن إسحاق عن أبيه عن الهَيْثم بنِ عَدِىّ قال : أنشدنى جماعةٌ من بنى عُقَيل للمجنون يرثى أباه، ومات قبل اختلاطه وتوحّشه، فعقر على قبره ورثاه بهذه الأبيات : رثاؤه لأبيه

عقَرتُ على قبر الملوّح ناقتى * بذِى السَّرْحِ لمّا أن جَفتْه[3] أقاربُهْ
وقلتُ لها كونى عقيرًا فإنّنى * غداةَ غدٍ ماشٍ وبالأمس راكبُهْ

---

(١) كذا فى الديوان وتزيين الأسواق . وفى جميع النسخ «أصانع رجلى أن تميل حياليا» . وانظر فيما تقدّم ص ٥٤ حاشية رقم ٣ من هذا الجزء .

(٢) كذا فى أغلب النسخ . وفى ت «حُبَّه» . (٣) كذا فى أغلب النسخ . وفى ت : «جفاه» وكلاهما صحيح .

فلا يُبعدنَّكَ اللهُ يابنَ مزاحمٍ * وكلُّ آمرئٍ لِلْموتِ(١) لا بدّ شاربُهْ

فقد كنتَ طلّاعَ النِّجادِ(٢) ومُعطِى الـ * ـجياد وسيفًا لا تُفَلُّ مضارِبُهْ

وعظه رجل من بنى جعدة فقال شعرا

أخبرنى حبيب بن نصر المهلبىّ قال حدّثنا عبدالله بن شبيب عن الحِزامىّ عن محمد بن مَعْنٍ قال : بلغنى أنّ رجلا من بنى جعدةَ بن كعب كان أخًا وخِلًّا للمجنون، مرّ به يوما وهو جالسٌ يخطّ فى الأرض ويعبَثُ(٣) بالحصى، فسلّم عليه وجلس عنده، فأقبل يخاطبه ويَعِظُه ويُسَلّيه، وهو ينظر إليه ويلعب بيده كما كان وهو مُفكِّرٌ قد غمره ما هو فيه، فلما طال خطابه إياه قال : يا أخى، أمَا لكلامى جوابٌ ؟ فقال له : والله يا أخى ما علمتُ أنك تكلّمنى فاعذِرْنى ، فإنى كما ترى مذهوبُ(٤) العقلِ مُشترَكُ اللُّبِّ وبكى، ثم أنشأ يقول :

صـوت

وشُغِلتُ عن فهمِ الحديثِ سِوى * ما كان منكِ فإنه شُغْلى

وأُدِيمُ لَحْظَ مُحدِّثى ليرَى * أنْ قد فهمتُ وعندكم عقْلِى

شعره فى حمام يتجاوب

الغناء لِعَلُّوِيَةَ . وقال الهيثم : مرّ المجنون بوادٍ فى أيام الربيع وحَمامُه يتجاوبُ فأنشأ يقول :

---

(١) كذا فى ت . وفى سائر النسخ : «فالموت» .

(٢) يقال : فلان طلّاع الثنايا وطلّاع أنجد اذا كان يعلو الأمور فيقهرها بمعرفته وتجاربه وجودة رأيه . والنجاد والأنجد : جمع نجد وهو الطريق فى الجبل، وكذلك الثنية . (٣) كذا فى أغلب النسخ . وفى ت : «ويعبث» . (٤) كذا فى أغلب النسخ . وفى ت ، حـ : «مذهوب بى» .

صـــوت

ألا يا حَمَامَ الأيك مالكَ باكيًا * أفارقتَ إلفًا أم جفاكَ حبيبُ
دعاكَ الهوى والشوقُ لما ترنّمَتْ * هَتُوفُ(1) الضحى بين الغصون طَروبُ
تُجاوِبُ وُرْقًا قد أذِنَّ(2) لصوتها * فكلٌّ لِكلّ مُسْعِدٌ(3) ومُجيبُ

الغناء لرذاذ(4) ثقيلٌ أوّلُ مطلق فى مجرى الوسطى .

خروج زوج ليلى وأبيها الى مكة واختلاف المجنون اليها

وقال خالد بنُ حمل(5) : حدّثنى رجالٌ من بنى عامر أنّ زوجَ ليلى وأباها خرجا فى أمرٍ طَرَقَ الحىَّ إلى مكة، فأرسلتْ ليلى بأمةٍ لها إلى المجنون فدعتْه فأقام عندها ليلةً فأخرجَتْه فى السَّحَر، وقالت له : سِر(6) إلىّ فى كلّ ليلة ما دام القومُ سَفْرًا(7)، فكان يختلِفُ إليها حتى قدِموا . وقال فيها فى آخر ليلة لَقِيها وودّعته :

تمتّعْ بليلى إنما أنتَ هامةٌ(8) * من الهام يدنو كلَّ يوم حِمَامُها
تمتّعْ إلى أن يرجعَ الركبُ إنهم * متى يرجعوا يَحْرُمْ عليكَ كلامُها

---

(1) هتفت الحمامة هتفا : ناحت، فهى هتوف . (2) أى استمعن لصوتها وأصغين اليه . (3) من أسعدت المرأةُ المرأة اذا ساعدتها بالنياحة فى مصيبتها . وكانت النساء فى الجاهلية اذا أصيبت إحداهنّ بمصيبة فيمن يعز عليها بكت حولا وأسعدها على ذلك جاراتها وذوات قرابتها، فاذا أصيبت صواحباتها بعد ذلك بمصيبة أسعدتهنّ . وفى الحديث : «لا إسعاد ولا عَقْرَ فى الاسلام» .

(٤) كذا وقع هنا هذا الاسم فى حـ بالذال المعجمة وهو الموافق لما اتفقت عليه النسخ فيما تقدّم بالجزء الأوّل ص ٩٦ و ١٠٠ وفى سائر النسخ لرداد بالدال المهملة . (٥) كذا فى أغلب النسخ بالحاء المهملة . وفى حـ : «جمل» بالجيم المعجمة وفى ت : «جميل» . (٦) كذا فى أغلب النسخ . وفى ت : «صر» بالصاد المهملة . (٧) السفر : جمع سافر وهو مَنْ خرج الى السفر .

(٨) الهامة : أعلى الرأس واسم طائر، وكان العرب يزعمون أنّ عظام الموتى وقيل أرواحهم تصير هامة فتطير، ونشأ من هذا الزعم قولهم : «هذا هامة اليوم أو غد» أى يموت اليوم أو غدا .

مرض ولم تعده ليلى فقال شعرا

وقال الهيثم : مَرِضَ المجنونُ قبل أن يختلط فعاده قومُه ونساؤهم ولم تَعُدْه ليلى فيمن عاده، فقال :

صـوت

ألا ما لِليلَى لا تُرَى عند مَضْجَعِى * بليـلٍ ولا يَجْـرِى بها لِىَ طائرُ
بلى إنّ عُجْمَ الطير تجرى إذا جَرَتْ * بليـلَى ولكن ليس للطـير زاجرُ
أحالَتْ عن العهد الذى كان بيننا * بذى الرِّمْثِ(١) أم قـد غيّبتْها المقابرُ

الغناء لِسُليم ثانى ثقيل بالوسطى عن الهشامىّ .

فوالله ما فى القرب لى منكِ راحةٌ * ولا البُعـدُ يُسْلِينى ولا أنا صابرُ
ووالله ما أدرِى بأيّةِ حِيلةٍ * وأىّ مَرامٍ أو خِطارٍ أُخاطرُ
ووالله إنّ الدهـرَ فى ذاتِ بينِنا * علىّ لهـا فى كلّ أمرٍ لجائرُ
فلو كنتِ إذ أزمعتِ(٢) هَجْرِى تركتِنى * جميعَ(٣) القُوى والعقلُ منّىَ وافـرُ
ولكنّ أيامى بحَفْـلِ(٤) عُنَيزةٍ * وذى الرِّمثِ أيامٌ جناها التجاورُ
فقـد أصبح الودُّ الذى كان بيننا * أمانىَّ نفس إن تَخَـبَّرَ خابرُ
لعَمْرِى لقـد أرهقتِ يا أمّ مالكٍ * حياتى وساقتْنِى إليـكِ المقادرُ

خبر الظبى الذى ذكره ليلى

أخبرنى عمّى قال حدّثنى محمد بن عبد الله الأصبهانىّ المعروف بالحَزَنْبَل عن عمرو بن أبى عمرو الشيبانىّ عن أبيه قال : حدّثنى بعضُ بنى عُقَيل قال : قيل للمجنون

---

(١) الرمث : شجر يشبه الغضا لا يطول و ينبسط ورقه . وذو الرمث : واد لبنى أسد . انظر ياقوت .

(٢) كذا فى أغلب النسخ . وفى ت ، ح : « إذ أجمعت » وهو بمعنى « أزمعتِ » .

(٣) أى مجتمع القوى .

(٤) كذا فى ب ، ت بالفاء . والحفل : الاجتماع يقال : حفل الماء، أى اجتمع ، وحفـل الوادى اذا جاء بمل، جنبيه . والمراد هنا موضع الحفل . وعنيزة : بقعة ينتهى اليها ماء أودية، وهى لبنى عامر . وفى ح ، ء : «حقل» بالقاف، والحقل : المزرعة وفى ا ، م : « جفل » بالجيم والفاء، ولم يظهر له معنى مناسب .

أى شىء رأيته أحبّ إليك؟ قال : ليلى، قيل : دَعْ ليلى فقد عرفنا ما(١) لها عندكَ ولكن سواها، قال : والله ما أعجبنى شىء قطّ فذُكِرَتْ ليلى إلا سقط من عينى وأذهب ذكرُها بشاشته عندى، غيرَ أنى رأيتُ ظبيا مرّةً فتأملته وذكرتُ ليلى فجعل يزداد فى عينى حسنًا، ثم إنه عارضه ذئبٌ وهرب منه فتبعتُه حتى خَفِيا عنّى فوجدتُ الذئبَ قد صرعه وأكل بعضه، فرميته بسهم فما أخطأتُ مقتلَه، وبقرتُ بطنَه فأخرجتُ ما أكل منه، ثم جمعتُه إلى بقية شِلْوه(٢)، ودفنتُه وأحرقتُ الذئبَ، وقلتُ فى ذلك :

أبى اللهُ أن تبقَى لحىّ بشاشةٌ * فصبرًا على ما شاءه اللهُ لى صبرَا
رأيتُ غزالا يرتَعِى وَسْطَ روضةٍ * فقلتُ أرى ليلى تراءتْ لنا ظُهْرا
فيا ظبيُ كُلْ رَغْدا هنيئا ولا تخف * فإنكَ لى جارٌ ولا ترْهَب الدهرَا
وعندى لكم حِصنٌ حصينٌ وصارمٌ * حُسَامٌ إذا أعملتهُ أحسنَ الهَبْرَا(٣)
فما راعنى إلا وذئبٌ قد انتحَى(٤) * فأعلقَ فى أحشائه النابَ والظُّفْرَا
ففوّقتُ(٥) سهمى فى كَتُوم(٦) غَمزْتُها * فخالط سهمى مُهجَةَ الذئبِ والنَّحْرَا(٧)
فأذهب غيظى قتلُه وشفى جَوًى * بقلبىَ إن الحرَّ قد يُدرِكُ الوِتْرا

---

(١) فى ت : «حالها» . (٢) الشلو : الجسد من كلّ شىء ويطلق على العضو من أعضاء اللحم . (٣) الهبر : القطع . ومنه قول علىّ عليه السلام : «أُنظروا شزرا وآضربوا هبْرا» . وفى حديث الشراة : «فهبرناهم بالسيوف» . (٤) انتحى : اعترض . (٥) كذا فى أغلب النسخ . وفى ت وتزيين الاسواق : «فبوّأتُ» أى سدّدت يقال : بوّأ الرمح نحوه اذا قابله به وسدّده . (٦) كذا فى ت ، حـ . والكتوم من القسىّ : التى لاترنّ اذا أنبضت . وكانت قوس رسول الله صلى الله عليه وسلم تسمّى الكتومَ لانخفاض صوتها اذا رمى عنها . وفى سائر النسخ : «كلوم» . (٧) كذا فى أغلب النسخ . وفى ت «والسَّحْرا» والسَّحْر : الرئة والكبد وسواد القلب ونواحيه وقيل : القلب .

بلغه أن زوج ليلى سبه فقال فيه شعرا

قال أبو نصر : بلغَ المجنونَ قبل توحّشه أنّ زوجَ ليلى ذكره وعضهه(١) وسبّه وقال : أوَ بلغَ من قدر قيس بن الملوّح أن يدعى محبةَ ليلى ويُنَوِّهُ باسمها ! فقال ليَغيظَه بذلك :

فإن كان فيكم بعلُ ليلى فإنّنى * وذى العرش قد قبّلتُ فاها ثمانيا

وأشهدُ عند الله أنى رأيتُها * وعشرون منها أصبعا مِنْ ورائيا

أليس من البلوى التى لاشَوَى(٢) لها * بأن زُوِّجتْ كلبا وما بُذِلتْ ليا

خبر رفقة أبوا أن يعدلوا معه الى جهة رهط ليلى

أخبرنى الحسن بن على قال حدّثنا عبد الله بن عمرو بن أبى سعد قال حدّثنا علىّ بن الصباح عن ابن الكلبىّ قال : خرج المجنونُ فى عِدّةٍ من قومه يريدون سَفَرا لهم، فمرّوا فى طريق يتشعّب وِجْهتينِ : إحداهما ينزلها رهطُ ليلى وفيها زيادةُ مرحلةٍ، فسألهم أن يَعْدِلوا معه إلى تلك الوِجهة فأبَوْا، فمضى وحده وقال :

صوت

أأتركُ ليلَى ليس بينى وبينها * سوَى ليلةٍ إنى إذًا لَصَبُورُ

هَبُونِى امرأً منكم أضلّ بعيرَه * له ذِمّةٌ إنّ الذّمام كبيرُ

ولَلصّاحبُ المتروكُ أعظمُ حرمةً * على صاحبٍ مِنْ أن يَضلّ بعيرُ

عفا اللهُ عن ليلَى الغداةَ فإنها * إذا وَلِيَتْ حُكمًا علىّ تجُورُ

---

(١) عضهه يعضهه عضها : قال فيه ما لم يكن . (٢) لا شوى لها أى لا بقيا لها . والمراد وصف البلوى بمنتهى الشدّة يقال : القتل الخطّة التى لا شوى لها أى لا بُقيا لها، ومنه قول الهذلىّ :

فإنّ من القول التى لا شوى لها * إذا زلّ عن ظهر اللسان انفلاتها

يريد : بالقول الكلمة التى لا إبقاء لها أى القاتلة .

الغناء لابن سريج خفيفُ رملٍ بالوسطى عن [عمرو وفيه للغريض ثانى ثقيل بالوسطى عن] حَبَش (١)، وفيه لابن المارِق خفيفُ ثقيلٍ عن الهشامى، وفيه لعلُّويه رَمَلٌ بالبِنْصر .

حمامة فقال شعرا

وذكر عمرو بن أبى عمرو الشَّيْبانى عن أبيه : أن المجنونَ كان ذاتَ ليلة جالسا مع أصحاب له من بنى عمّه وهو وَلِهٌ يتلظَّى ويتململُ وهم يَعظونه ويُحادِثونه، حتى هتفتْ حمامةٌ من سَرْحةٍ (٢) كانت بإزائهم، فوثب قائما وقال :

صــوت

لقد غَرَّدَتْ (٣) فى جنح ليل حمامةٌ * على إلفها تبكى وإنى لنائمُ
كَذبتُ وبيتِ الله لوكنتُ عاشقًا * لَمَا سَبَقتْنى بالبكاء الحمائمُ (٤)

ثم بكى حتى سقطَ على وجهه مَغْشيًّا عليه، فما افاق حتى حَمِيَتِ الشمسُ عليه من غدٍ (٥) . الغناء فى هذين البيتين لعبد الله بن دَحْمانَ ثقيلٌ أوّلُ مطلق فى مجرى الوسطى

(١) زيادة فى ت . (٢) السرحة : واحدة السرح، وهو كل شجر لا شوك فيه وقيل كل شجر طال . (٣) فى الديوان : «هتفت» . (٤) كذا ورد هذا البيت متصلا بالبيت الذى قبله فى جميع النسخ وجاء بهامش ت بيتان كتب فى آخرهما « صح » وأشير الى أن محلهما بعد البيت الأوّل أعنى قوله : لقد غرّدت فى جنح ليل الخ . والبيتان هما :

فقلت اعتذارا عند ذاك وإننى * لنفسى فيما قد رأيت للائم
أأزعم أنى عاشق ذو صبابة * بليلى ولا أبكى وتبكى البهائم

والأبيات الأربعة وردت فى الديوان على نحو ما جاء فى ت إلا قوله « رأيت » فى البيت الأوّل فقد جاء بدله فى الديوان « أتيت » . والاقتصار على البيتين المثبتين فى الأصل موافق لما ذكره المؤلف

وذكر أبو نصر عن أصحابه أن رجلا مرّ بالمجنون وهو برملِ يَبْرِينَ(١) يُخَطِّط فيه، فوقف عليه متعجبا منه وكان لا يعرفه، فقال له: ما بك يا أخى؟ فرفع رأسه إليه وأنشأ يقول: — مرور رجل به وهو برمل يبرين.

بِيَ اليأسُ والداءُ الهُيَامُ(٢) أصابنى * فإياكَ عنّى لا يكُنْ بكَ ما بِيَا

كأنّ جفونَ العيرِ تَهْمِى(٣) دموعُها * غداةَ رأتْ أظعانَ(٤) ليلى غواديا

غُروبُ أمرَّتها نواضحُ بُزَّلٌ * على عَجَلٍ عُجْمٍ يُروِّينَ صاديا(٥)

وقال خالد بن جمل(٦): ذكر حمادُ الراويةُ أن نفرا من أهل اليمن مرُّوا بالمجنون، فوقفوا ينظرون إليه فأنشأ يقول: — مرّ به نفر من اليمن فقال شعرا.

ألا أيها الركبُ اليمانُونَ عرِّجوا * علينا فقد أمسى هوانا يمانيا

نُسائِلُكم هل سالَ نَعْمانُ بعدنا * وحَبَّ إلينا بطنُ نَعْمانَ واديا

---

(١) يبرين — ويقال: أبرين بالألف — قرية كثيرة النخل والعيون العذبة وفيها رمل كثير، بينها وبين الأحساء مرحلتان. انظر ياقوت فى يبرين وأبرين. وجاء فى معجم ما استعجم للبكرى: «وحدّ اليمن مما يلى المشرق رمل بنى سعد الذى يقال له رمل يبرين، وهو منقاد من اليمامة حتى يشرع فى البحر».

(٢) كذا فى أغلب النسخ. وفى ت والديوان وتزيين الأسواق «أو داء الهيام» والهيام: شبه الجنون من العشق، يقال: هام الرجل هياما فهو هائم اذا ذهب على وجهه عشقا. (٣) كذا فى أغلب النسخ. وفى ب، س: «تمشى» وهو تحريف. (٤) الأظعان: جمع ظعينة وهى الجمل يظعن عليه. (٥) الغروب: جمع غرب وهو الدلو الكبير الذى يستقى به على السانية. وأمرّتها: جعلتها تمرّ وتذهب. والنواضح: جمع ناضح، وهو ما يستقى عليه الماء من نحو البعير والثور وغيرهما من النضح وهو سقى الزرع وغيره بالسانية. والبزل: جمع بازل وهو البعير الذى استكمل السنة الثامنة وطعن فى التاسعة وفطر نابه. (٦) كذا فى أغلب النسخ بالجيم. وفى ت، حـ: «حمل» بالحاء المهملة، وهو الموافق لأغلب النسخ فيما تقدّم فى ص ٧٢ من هذا الجزء.

يقول فى هذه القصيدة :

صـــوت

ألا ياحمامَىْ قصرِ ودّانَ[(١)] هِجْتُما * علىَّ الهوَى لمّا تغنّيتُما لِيا

فأبكيتُمانى وسْطَ صَحْبِى ولم أكن * أُبالِى دموعَ العينِ لو كنتُ خاليا

غنى فى هذين البيتين عَلُّويه غناء لم يُنسبْ .

فوالله إنّى لا أُحِبُّ ، لغيرِ أن * تَحُلَّ بها لِى[(٢)] البِراقَ الأعاليا

ألا ياخليلَى حُبُّ ليلَى مُجَشِّمِى * حياضَ المنايا أو مُقِيدِى[(٣)] الأعاديا

ويا أيها القُمْرِيَّتانِ تجاوَبا * بلحنيكما ثم ٱسجعا عَلَّانِيا

فإن أنتما ٱستطربتما[(٤)] وأردتُما * لحاقًا بأطراف[(٥)] الغَضَى فٱتبعانِيا

بلغه أن زوج ليلى سيرحل بها فقال شعرا

قال أبو نصر : وذكر خالد بن كلثوم أنّ زوجَ ليلى لما أراد الرحيلَ بها إلى بلده بلغ المجنونَ أنه غادٍ بها فقال :

صـــوت

أمُزْمِعةٌ للبينِ ليلَى ولم تَمُتْ * كأنكَ عما قد أظلَّك غافلُ

ستَعلم إن شطَّتْ بهم غُرْبَةُ[(٦)] النَّوَى * وزالوا بليلَى أنّ لُبَّك زائلُ

---

(١) سبق الكلام على « ودّان » بصفحة ٣٢٤ بالجزء الأول . (٢) كذا فى ت وفى باقى النسخ « به » والبراق : جمع بُرْقة وهى أرض غليظة مختلطة بحجارة ورمل . (٣) أى يجعل قيادى فى يد الأعداء ، يقال : أقاده خيلا أعطاه إياها يقودها . (٤) استطر.ت : طلبتما الطرب . (٥) كذا فى أغلب النسخ . وفى ت ، « الديوان وتزيين الأسواق : « بأطلال » .
(٦) غربة النوى : بعدها .

الغناء للزُّبَير بن دَحْمانَ ثقيلٌ اول بالوسطَى :

قال أبو نصر قال خالد : وحدّثنى جماعة من بنى قُشَير أنّ المجنونَ سقِم سَقاما(١) شديدا قبلَ آختلاطه حتّى أشفَى على الهلاك ، فدخل إليه أبوه يعلّله(٢) فوجده يُنشِدُ هذه الأبياتَ ويبكى أحرَّ بكاء ويَنشِجُ(٣) أحرَّ نشيج :

ألا أيها القلبُ الذى لجّ هائما * بليلَى وليدًا لم تُقطَّع تمائمُه

أَفِقْ قد أفاقَ العاشقون وقد أنَى(٤) * لمالَكَ(٥) أن تلقَى طبيبا تلائمُه

فمالَكَ مسلوبَ العزاء كأنّما * تَرى نأىَ ليلَى مَغْرَما أنتَ غارِمُه

أجِدَّكَ(٦) لا تُنسيكَ ليلَى مُلِمَّةٌ * تُلِمُّ ولا يُنسيك عهدا تقادُمُه

خبر نظره الى أظعان ليلى وقد رحل بها زوجها

قال : ووقف مستترا ينظر الى أظعان ليلى وقد رحَل بها زوجُها وقومُها، فلما رآهم يرتحلون بكى وجزِع ، فقال له أبوه : ويحكَ ! إنما جئنا بك مُتخفّيا ليتروّح بعضُ ما بك بالنظر إليهم ، فاذا فعلتَ ما أرى عُرِفتَ ، وقد أهدرَ السلطانُ دمَكَ إن مررتَ بهم ، فأمسِكْ أو فانصرِف ؛ فقال : مالى سبيلٌ إلى النظر إليهم يرتحلون وأنا ساكنٌ غيرُ جازع ولا باكٍ فانصرِف بنا ، فانصرفَ وهو يقول :

صوت

ذُدِ الدمعَ حتى يظعَنَ الحىّ إنّما * دموعُكَ إن فاضت عليكَ دليلُ

كأنّ دموعَ العين يومَ تحمّلوا(٧) * جُمانٌ على جَيب(٨) القميص يسيلُ

---

(١) فى ت «سقما» وكلاهما صحيح . (٢) يعلله : يحدّثه ويسليه . (٣) ينشج : من نشج الباكى نشجا أى غص بالبكاء فى حلقه من غير انتحاب . (٤) كذا فى أغلب الأصول، ووردت فى أوّل هذا الجزء فى ت «أبى» انظر ص ٦ حاشية ٤ . (٥) كذا فى ب ، صه . وفى ت «لمابك» وفى بقية الأصول «لمالك» ووردت فى أوّل هذا الجزء : «لك اليوم» انظر ص ٦ . (٦) كذا فى أغلب النسخ وفى ب : «وجدتك» . (٧) تحملوا : ارتحلوا . (٨) جيب القميص : ما ينفتح على النحر .

أخبرنى محمد بن خلف بن المَرْزُبان قال أنشدنى إسحاق بن محمد عن بعض أصحابه عن ابن الأعرابى للمجنون :

صوت

ألا ليتَ ليلَى أطفأتْ حَرَّ زَفْرةٍ * أُعالجها لا أستطيع لها رَدَّا
إذا الرِّيحُ من نحوِ الحِمَى نَسَمَتْ لنا * وجدتُ لمَسْراها ومَنْسَمِها(١) بَرْدَا
على كَبِد قد كاد يُبدِى(٢) بها الهوَى * نُدُوبا(٣) وبعضُ القوم يحسَبُنى جَلْدَا

هذا البيت الثالثُ خاصّةً يُروى لابن هَرْمةَ فى بعض قصائده، وهو من المائة المختارة التى رواها إسحاق، أوّلُه :

* أفاطمَ إنّ النّأىَ يُسلى من الهوَى(٤) *

وقد أُخرِج فى موضع آخر . غنّى فى هذين البيتين عبدُ آل الهذلى(٥)، ولحنُه المختارُ على ماذكره جحظةُ ثانى ثقيل، وهما فى هذه القصيدة(٦) :

وإنّى يَمانىٌّ الهوى مُنجِدُ النّوَى * سبيلان ألقى من خلافهما جَهْدَا
سقَى اللهُ نجدًا من رَبيعٍ(٧) وصَيِّفٍ(٨) * وماذا يُرَجَّى من ربيعٍ سقَى نجْدَا

(١) كذا فى ت ، حـ وتزيين الأسواق، وفى بقية الأصول « ومبسمها » وهو تصحيف . (٢) كذا فى ت ، حـ وتزيين الأسواق، وفى بقية الأصول « كان » . (٣) الندوب : جمع ندب، والندب : جمع ندبة وهى أثر الجرح . وقيل : الندب واحد كالندبة والجمع أنداب وندوب . (٤) كذا فى أغلب النسخ . وفى ت « يسلى ذوى الهوى » . (٥) كذا فى ت وهو الموافق لما سيأتى فى ذكر الهذلى وأخباره فى ج ٤ طبع بولاق وهو عبد آل بن مسعود . وفى بقية الأصول « عبدان » بالنون وهو تحريف . (٦) كذا فى أغلب النسخ . وفى ت : « وتمام هذه القصيدة » . (٧) الربيع : المطر فى الربيع . (٨) الصيف : المطر يجىء فى الصيف أو بعد الربيع .

بلى إنه قد كانَ للعيش قُرَّة * وللصَّحب والرُّكبان منزلة حَمْدَا (١)

أبَى القلبُ أن ينفكَّ من ذِكرِ نِسوةٍ * رِقاقٍ ولم يُخلَقن شُؤْمًا (٢) ولا نُكدا

إذا رُحن يَسحَبنَ الذُّيولَ عشيّةً * ويقتُلْنَ بالألحاظ أنفُسنا عَمْدَا

مَشَى عيطَلاتٌ (٣) رُجَّحٌ بخصورها * رَوادفُ (٤) وَعْثاتٌ (٥) تردُّ الخُطا ردَّا

وتَهتزّ ليلَى العامريّةُ فوقَها * ولاثتْ (٦) بسِبِّ (٧) القزّ ذا غُدُرٍ (٨) جَعْدَا

إذا حرّكَ المِدرَى (٩) ضفائرَها العُلا * مَجَجْنَ نَدَى الريحانِ والعنبرَ الوَرْدَا

وأخبارُ الهُذَليّينِ (١٠) تُذكر فى غير هذا الموضع إن شاء الله لئلا تنقطعَ أخبارُ المجنون، ولهما فى المائة الصوت المختارة أغانٍ تذكَر أخبارُها معًا إن شاء الله .

خبر ظبية صادها رجلان فسألهما أن يطلقاها

أخبرنى أحمد بن جعفر جحظةُ قال حدّثنى ميمونُ بن هارونَ قال ذكر الهيثمُ ابن عدىّ، وأخبرنى محمد بن خلَف [بن المرزبان] (١١) عن أحمدَ بن الهيثم عن العُمَرىّ عن الهيثم بن عدىّ قال : مرّ المجنونُ برجلينِ قد صادا ظَبيةً فربطاها بحبل وذهبا بها، فلما نظر إليها وهى تركُضُ فى حِبالها دمَعتْ عيناه، وقال لهما : حُلّاها وخُذا مكانَها

(١) حمدا أى محمودة يقال : رجل حمد ومنزل حمد أى محمود وهو من قبيل الوصف بالمصدر فيوصف به المذكر والمؤنث . (٢) فى ت وتزيين الأسواق : «شوها» : جمع شوهاء .
(٣) العيطلات : جمع عيطلة وهى الطويلة العنق فى حسن، وتوصف به المرأة والناقة، والمراد بها هنا النياق . (٤) الروادف : الأعجاز . قال ابن سيدة : ولا أدرى أهو جمع ردف على غير قياس أو هو جمع رادفة . (٥) الوعثات : اللينات . (٦) لاثت : لفت وعصبت، يقال : لاث العمامة على رأسه لوثا إذا لفها وعصبها . (٧) السبّ : الخمار .
(٨) الغدر : جمع غديرة وهى الذؤابة . (٩) المدرى : المشط وقيل : حديدة على شكل سنّ من أسنان المشط وأطول منه يسرّح بها الشعر المتلبد . (١٠) هما سعيد وعبد آل ابنا مسعود، وقد ذكرا بالجزء الرابع من الأغانى طبع بولاق ص ١٥٢ (١١) زيادة فى ت .

شاةً من غنمى — وقال ميمونُ فى خبره : وخُذَا مكانها قَلُوصًا من إبلى — فأعطاهما وحَلَّاها فولَّتْ تعدو هاربةً . وقال المجنونُ للرجلين حين رآها فى حبالهما :

يا صاحبَيِّ اللذَيْنِ اليومَ قد أخذا * فى الحبلِ شِبْهًا لليلى ثم غَلَّاها
إنى أرى اليومَ فى أعطاف شاتِكُما * مَشابِهًا أشبهَتْ ليلَى فَحُلَّاهَا

قال : وقال فيها وقد نظر إليها [وهى] (١) تعدو أشدَّ عدوٍ هاربةً مذعورةً :

صوت

أيا شِبهَ ليلَى لا تُرَاعِى فإنّنى * لكِ اليومَ من وَحْشِيَّةٍ لَصديقُ
ويا شِبهَ ليلَى لو تَلَبَّثِتِ ساعةً * لعلَّ فؤادى مِنْ جَوَاه يُفِيقُ
تَفِرُّ وقد أطلقتُها من وَثَاقِها * فأنتِ لليلَى لو علِمْتِ طَلِيقُ

خبره مع نسوة عذلنه فى حب ليلى

وذكر أبو نصر عن جماعة من الرواة وذكر أبو مسلم ومحمد بنُ الحسن الأحولُ أن ٱبنَ الأعرابيّ أخبرهما أنّ نسوةً جلسن إلى المجنون فقلن له : ما الذى دعاك إلى أن أحللتَ بنفسك ماترى فى هَوَى (٢) ليلى، وإنما هى ٱمرأة من النساء، هل لكَ فى أن تصرِفَ هواكَ عنها إلى إحدانا فنُسَاعِفَكَ ونَجزِيَكَ بهواكَ ويَرجِعَ إليك ما عَزَبَ من عقلك وجسمك؟ فقال لهنّ : لو قَدَرتُ على صرف الهوى عنها إليكنّ لصرفتُه عنها وعن كلّ أحد بعدها وعِشتُ فى الناس سويًّا مستريحا؛ فقلن له : ما أعجبك منها (٣)؟ فقال : كلّ شىء رأيتُه وشاهدتُه وسمعتُه منها أعجبنى، والله ما رأيتُ شيئا منها قطّ إلا كان فى عينى حَسَنًا وبقلبى عَلِقًا، ولقد جَهَدتُ أن يَقبُحَ منها عندى شىء أو يَسمُجَ أو يُعابَ لأسلُوَ عنها فلم أجده؛ فقلن له : فَصِفْها لنا، فأنشأ يقول :

---

(١) زيادة فى ت . (٢) كذا فى أغلب النسخ . وفى م ، أ : « ترى » بالنون .
(٣) كذا فى أغلب النسخ . وفى ب ، س : « فيها » .

بيضاءُ خالصةُ البياض كأنها * قمرٌ توسّط جُنحَ ليلٍ مُبْرِدِ
مَوْسُومةٌ بالحسن ذاتُ حواسدٍ * إنّ الجمالَ مَظِنّةٌ لِلحُسَّدِ
وتَرى مدامعُها تَرَقرقُ مُقْلةٍ * سوداءَ ترغبُ عن سواد الإثمد
خَوْدٌ(١) إذا كثُرَ الكلامُ تعوّذتْ * بِحمَى الحياء وإن تَكلّمْ تَقْصِدِ(٢)

قال : ثم قال ابنُ الأعرابىّ : هذا والله من حَسَنِ الكلام ومُنقّح(٣) الشّعر .

وأنشد أبو نصر للمجنون أيضا، وفيه غناء، قال :

كأنّ فؤادى فى مخالبِ طائرٍ * إذا ذُكِرتْ ليلى يَشُدُّ(٤) بها قَبْضَا
كأنّ فِجَاجَ الأرض حلْقةُ خاتمٍ * علىّ، فما تزدادُ طولاً ولا عَرضَا

أودع رجلا شعرا ينشده على مسمع من ليلى

أخبرنى الحسن بن على قال حدّثنا محمد بن القاسم بن مَهْرُويَهْ قال حدّثنا أبو مسلم عن القَحْذَمىّ قال : قال رجل من عشيرة المجنون له : إنى أُريد الإلمامَ بحىّ ليلى فهل تُودِعُنى إليها شيئا؟ فقال : نعم! قِفْ بحيثُ تسمعُكَ ثم قُلْ :

صــوت

اللهُ يعلمُ أنّ النفسَ هالكةٌ(٥) * باليأس منكِ ولكنّى أُعنّيها(٦)
مَنّيتُكِ النفسَ حتى قد أضرّ بها * وٱستيقَنتْ خُلُفًا ممّا أُمنّيها
وساعةٌ منكِ أَلْهُوهَا وإن قَصُرتْ * أشهى إلىّ من الدنيا وما فيها

---

(١) الخود : الفتاة الحسنة الخلق الشابة ما لم تصر نَصَفًا . (٢) يقال : قصد فى الأمر قصدا : توسط وطلب السداد ولم يجاوز الحدّ . (٣) فى ت : « ومليح الشعر » .
(٤) كذا فى جميع النسخ . وفى تزيين الأسواق : « يشدّ به » . وفى الديوان : « اذا ذكرتها النفس شَدّت به قبضا ». (٥) كذا فى أغلب النسخ . وفى ت وتزيين الأسواق : « قد هلكت » . (٦) أعنيها : أكلفها ما يشق عليها .

قال : فمضى الرجل ، ولم يزل يرقُبُ خَلوةً حتى وجدها ، فوقف عليها ثم قال لها : يا ليلى لقد أحسنَ الذى يقول :

اللهُ يعلم أنّ النفسَ هالكةٌ * باليأس منكِ ولكنّى أُعنّيها

وأنشدَ الأبيات ، فبكت بكاء طويلا ثم قالت : أبلغهُ السلامَ وقل له :

نفسِى فداؤكَ ، لو نفسى ملكتُ إذًا * ما كان غيرُكَ يَجْزِيها ويُرضيها
صبرًا على ما قضاه الله فيكَ على * مرارةٍ فى ٱصطبارى عنكَ أخفيها

قال : فأبلغه الفتى البيتين وأخبره بحالها ، فبكى حتى سقط على وجهه مغشيًّا عليه ، ثم أفاق وهو يقول :

عَجِبتُ لعُروةَ العُذرِىّ أضحى * أحاديثًا لقومٍ بعد قومِ
وعروةُ مات موتا مُسْتَريحًا * وها أنا ميّتٌ فى كلّ يومِ

أخبرنا محمد بن يحيى الصُّولىّ قال أنشدنا أحمد بن يحيى ثعلبُ عن أبى نصر للمجنون :

صـوت

أيا زينةَ الدنيا التى لا ينالُها * مُناىَ ولا يبدو لقلبى صريمُها
بعينى قَذاةٌ من هواكِ لَوَ ٱنّها * تُداوَى بمن تَهْوَى[1] لصحّ سقيمها
وما صبرتْ عن ذكركِ النفسُ ساعةً * وإن كنتُ أحيانا كثيرًا ألومُها

سأل أبو المجنون رجلا أن يبلغه أن ليلى تشتمه

أخبرنى الحسن بن على قال حدّثنا عبدُ الله بن أبى سعد قال حدّثنا على ٱبن الصَّبّاح عن ٱبن الكلبىّ قال : سأل المُلوّحُ أبو المجنون رجلا قَدِمَ من الطائف

(١) كذا فى ت . وفى سائر النسخ « أهوى » .

أن يمرّ بالمجنون فيجلسَ إليه فيخبرَه أنه لقِيَ ليلى وجلس إليها، ووصفَ(١) له صفاتٍ منها ومن كلامها يعرفها المجنونُ، وقال له: حَدِّثه بها، فإذا رأيتَه قد آشرأبَّ(٢) لحديثك وآشتهاه فعرِّفه أنك ذكرتَه لها ووصفتَ مابه فشتَمَتْه وسبّته، وقالت: إنه يكذب عليها ويُشَهِّرُها بفعله، وإنها ما آجتمعت معه قط كما يصفُ؛ ففعل الرجلُ ذلك، وجاء إليه فأخبره بلقائه إياها، فأقبل عليه.وجعل يسائله عنها،(٣) فيخبره بما أمره به الملوحُ، فيزداد نشاطا ويثوبُ إليه عقلُه، إلى أن أخبره بسبِّها إياه وشتمِها له؛ فقال وهو غير مُكترثٍ لمَا حكاه عنها:

صوت

تمرّ الصَّبا صَفْحًا بساكن ذى الغَضَى * ويَصدَعُ قلبى أن يَهُبَّ هُبُوبُها
إذا هبّتِ الريحُ الشَّمالُ فإنما * جوايَ بما تُهدِى إلىّ جَنُوبُها
قريبةُ عهدٍ بالحبيب وإنما * هَوَى كلِّ نفسٍ حيثُ كان حبيبُها
وحسبُ الليالى أن طرَحْنَكَ مَطْرَحًا * بدارِ قِلًى تُمسِى وأنتَ غريبُها
حلالٌ لِلَيلَى شتمُنا وآنتقاصُنا(٤) * هنيئًا ومغفورٌ لليلى ذُنُوبُها

ذكر أبو أيوب المدينىّ(٥) أن الغناء فى هذا الشعر لآبن سريج ولم يذكر طريقته. وفيه لمتيم غناءٌ يُنسبُ. وذكر الهيثمُ بن عدىّ أن المجنونَ قال — وفيه غناء —:

---

(١) كذا فى ت. وفى باقى النسخ «ويصف له». (٢) اشرأب: رفع رأسه لينظر.
(٣) زيادة فى ت. (٤) كذا فى أغلب النسخ. وفى ب، س، حـ: «شتمها وانتقاصها». (٥) فى أغلب النسخ: «المدنى». وفى ت: «المدائنى»، وما أثبتناه هو الذى جاء فى أغلب النسخ فى مواضع تقدّمت (انظر الحاشية رقم ٢ ص ٨ من هذا الجزء).

صـوت

كأن لم تكن ليلى تُزارُ بذى الأثْلِ (١) * وبالجِزْعِ (٢) من أجراع وَدّانَ فالنخلِ (٣)
صديقٌ (٤) لنا فيما نَرَى غيرَ أنها * تَرَى أن حتى قد أحلّ لها قتلى

وصف رجل المجنون لليلى فبكت وقالت شعرا

أخبرنى عمّى قال حدّثنا الكُرانى قال حدّثنا العُمَرِىّ عن الهَيْثم بن عَدِىّ عن عثمانَ ابن عمارة بن حريم (٥) عن أشياخ من بنى مُرّة قالوا : خرج منا رجلٌ إلى ناحية الشأم والحجاز وما يلى تَيْماءَ والسَّراةَ (٦) وأرضَ نَجْد، فى طلب بُغْيَة له ، فإذا هو بخيمة قد رُفِعتْ له وقد أصابه المطرُ فعدَل إليها وتنحنح ، فإذا امرأةٌ قد كلّمته فقالتْ : انزل ، فنزل . [قال] (٧)

(١) الأثل : واحدته أثلة وهى شجرة مستقيمة تعمل منها القصاع والاقداح ، و يقال لها : سمرة . ولم نجد فى أسماء المواضع إلا «ذات الأثل» وهو موضع فى بلاد تيم الله بن ثعلبة ، وقد تجىء فى الشعر باسم ذى الأثل كما قال الشاعر :

فإن ترجع الايام بينى و بينكم * بذى الاثل صيف مثل صيفى ومربعى

انظر ياقوت فى مادة الاثل . ومن المحتمل أن يريد الشاعر بذى الأثل موضعا به شجر الأثل . (٢) كذا فى أغلب النسخ . والجزع : منقطع الوادى . وفى ت : «و بالسدر من أجراع» والسدر : النبق واحدته سدرة ، والمراد موضع به هذا الشجر . (٣) كذا فى أغلب النسخ . وفى ت : «فالنحل» بالحاء . قال ياقوت فى الكلام على ودّان : وقرأت بخط كراع الهنائى على ظهر كتاب المنضد من تصنيفه : قال بعضهم : خرجت حاجا فلما جزت بودّان أنشدت :

أيا صاحب الخيمات من بعد أرثد * الى النخل من ودّان ما فعلتْ نُعْمُ

فقال رجل من أهلها : انظر هل ترى نخلا؟ فقلت : لا ؛ فقال : هذا خطأ إنما هو النحل ، ونحل الوادى : جانبه . ولم نجد فى كتب اللغة التى بين أيدينا أن من معانى النحل جانب الوادى . (٤) الصديق يوصف به المذكر والمؤنث ، قال كثير :

ليالىَ من عيش لهونا بوجهه * زمانا وسُعْدَى لى صديقٌ مواصلُ

(٥) كذا فى ت ، ء «ابن حريم» بالحاء والراء المهملتين ، وهو الموافق لما جاء فى تاريخ ابن جرير الطبرى ص ٢٨١ قسم ٣ طبع أوربا وفى ب ، س ، حـ ، م «عن حزيم» بالحاء المهملة والزاى المعجمة . (٦) السراة : الجبال والأرض الحاجزة بين تهامة ونجد . (٧) زيادة فى ت .

وراحتْ إبلُهم وغنمُهم فإذا أمرٌ عظيم، فقالت : سَلُوا هذا الرجلَ من أين أقبل ؛ فقلت : من ناحية تِهامةَ ونجدٍ، فقالت : ادخل أيها الرجلُ، فدخلتُ إلى ناحية من الخيمة، فأرختْ بيني وبينها سِترًا ثم قالت لى : يا عبدَالله، أىَّ بلادِ نجدٍ وطِئتَ ؟ فقلت : كلّها، قالت : فبِمنْ نزلتَ هناكَ ؟ قلت : ببنى عامر، فتنفَّستِ الصُّعَداءَ ثم قالت : فبأىّ بنى عامر نزلتَ ؟ فقلتُ : ببنى الحَرِيش، فاستعبرتْ ثم قالت : فهل سمعتَ بذكرِ فتًى منهم يقال له : قيس بن الملوّح ويلقب بالمجنون؟ قلتُ : بلى والله ! وعلى أبيه نزلتُ، وأتيتُه فنظرتُ إليه يهيمُ فى تلك الفيافى، ويكون مع الوحش لا يعقل [ولا يفهم] [(١)] إلا أن تُذكَرَ له امرأةٌ يقال لها ليلى، فيبكى ويُنشِدُ أشعارا قالها فيها . قال : فرفعَتِ السترَ بينى وبينها، فاذا فِلقةُ قمرٍ لم ترَ عينى مثلَها، فبكتْ حتى ظننتُ — والله — أنّ قلبها قد انصدعَ، فقلتُ : أيتها المرأةُ، اتّقِى اللهَ فما قلتُ بأسا، فمكثتْ طويلا على تلك الحالِ من البكاء والنحيب ثم قالتْ :

ألا ليتَ شِعرِى والخُطُوبُ كثيرةٌ * متى رَحْلُ قيسٍ مُسْتقِلٌّ فراجعُ
بنفسى مَنْ لا يستقلّ برَحْلِه * ومَنْ هو إن لم يحفَظِ اللهُ ضائعُ

ثم بكتْ حتى سقطَتْ مغشيًّا عليها، فقلتُ لها : مَنْ أنتِ يا أمةَ اللهِ؟ وما قِصَّتُكِ؟ قالت : أنا ليلى [صاحبته] [(١)] المشئومةُ [واللهِ] [(١)] عليه غيرُ المؤنسةِ [(٢)] له ؛ فما رأيتُ مثلَ حزنها ووجدِها عليه [قطّ] [(١)] .

خبر شيخ من بنى مرة لقى المجنون وشهده ميتا فى واد

أخبرنى أحمد بن عبد العزيز الجوهرىّ وحبيبُ بن نصر المهلّبىّ قالا : حدّثنا عمرُ بن شبّة قال ذكر الهيثم بن عدىّ عن عثمان بن عمارة، وأخبرنى عثمانُ [(٣)] عن الكُرانى عن العُمَرِىّ عن لَقِيط، وحدّثنا إبراهيمُ بن أيوبَ عن عبد الله بن مسلم قال ذكر الهيثمُ

(١) زيادة فى ت . (٢) فى ت : «المواسية» . (٣) فى ت : «عمّى عن الكرانى» .

ابنُ عدى- عن عثمانَ بنِ عمارةَ، وذكر أبو نصر أحمدُ بن حاتم صاحبُ الأصمعى- وأبو مسلم المُستَملى عن ابن الأعرابى — يزيد بعضهم على بعض —

أنّ عثمانَ بنَ عمارة المرّى أخبرهم أنّ شيخا منهـم من بنى مرّة حدّثه أنه خرج إلى أرض بنى عامر ليلقَى المجنونَ، قال: فدُلِلْتُ على محلّته فأتيتُها، فإذا أبوه شيخ كبيرٌ وإخوةٌ له رجال، وإذا نَعَمٌ[1] كثيرٌ وخيرٌ ظاهرٌ، فسألتُهم عنـه فاستعبَروا جميعا، وقال الشيخُ: والله لهو كان آثرَ فى نفسى من هؤلاء وأحبَّهم إلىّ! وإنه هَوِىَ امرأةً من قومه، والله ما كانت تَطمعُ فى مثـله، فلمّـا أن فشا أمرُه وأمرُها كره أبوها أن يُزوّجَها منه بعـد ظهور الخبر فزوجها من غيره، فذهب عقلُ ابنى ولَحِقَه خَبَلٌ وهام فى الفَيَافِى وَجْدًا عليها، فحبسناه وقيَّدناه، فجعل يَعَضُّ[2] لسانَه وشفتَيْه حتى خِفْنا [عليه][3] أن يقطعَها[4] فخلّينا سبيلَه، فهو يهيم فى [هذه][3] الفيافى مع الوحوش يُذْهَبُ إليه كلّ يوم بطعامه فيوضَعُ له حيث يراه، فإذا تنحَّوا عنـه جاء فأكلَ منـه . قال: فسألتُهم أن يَدُلّونى عليـه، فدلّونى على فتًى من الحىّ- كان صـديقًا له وقالوا: إنه لا يأنسُ إلا به ولا يأخذ أشعارَه عنـه غيرُه، فأتيتُه فسألتُه أن يُدلّنى عليه، فقال: إن كنتَ تريد شِعرَه فكلُّ شِعْرٍ قاله إلى أمسِ عندى، وأنا ذاهبٌ إليه غدًا فإن كان قال شيئا أتيتُكَ به، فقلتُ: بل [أريد أن][3] تَدُلّنى عليه لآتيَه، فقال لى: إنه إن نفر منك نفر منّى فيذهبُ شِعرُه، فأبَيْتُ إلا أن يَدُلّنى عليه، فقال: اطلبه فى هذه الصحارى [فإذا رأيتَـه][3] فادنُ [منـه][3] مستأنِسا ولا تُرِه أنك تَهابُه، فإنه يتهدّدك ويتوعّدك

(١) كذا فى ب، س، ح. وفى باقى النسخ: «نَعَم كثيرة» بالتاء، وكلاهما صحيح لأن النعم يذكر ويؤنث. (٢) فى ت: «مكان». (٣) زيادة فى ت. (٤) كذا فى أغلب الأصول. وفى ت «يقطعهما».

أن يرميَكَ بشىء ، فلا يَرُوعَنْكَ واجلِسْ صارفاً بصرَكَ عنه والحظه أحيانا ، فإذا رأيتَه قد سكن من نِفاره فأنشِدْه شعرا غزَلًا ، وإن كنتَ تروِى من شعر قيس بن ذَرِيح شيئا فأنشِدْه إياه فانه مُعجَبٌ به ؛ فخرجتُ فطلبتُه يومى إلى العصر فوجدتُه جالسا على رَمْل قد خطَّ فيه بأصبعه خطوطا ، فدنوتُ منه غيرَ منقبض ، فنفر منّى نفورَ الوحش من الإنس ، وإلى جانبه أحجارٌ فتناول حجرا فأعرضتُ عنه ، فمكث ساعةً كأنه نافرٌ يريد القيامَ ، فلمّا طال جلوسى سكَن وأقبلَ يخط بأصبعه ، فأقبلتُ عليه وقلت : أحسنَ والله قيسُ بن ذَرِيح حيث يقول :

ألا يا غرابَ البينِ ويحكَ نبِّنى * بعلمك فى لُبنَى وأنتَ(١) خبيرُ
فإن أنتَ لم تُخبِرِ بشىءٍ علمتَه * فلا طِرْتَ(٢) إلا والجناحُ كسيرُ
ودُرْتَ بأعداءٍ حبيبُكَ فيهمُ * كما قد ترانى بالحبيب أدورُ

فأقبل علىّ وهو يبكى فقال : أحسنَ والله ، وأنا أحسنُ منه قولًا حيث أقولُ :

كأنّ القلبَ ليلةَ قِيلَ يُغدَى * بليلى العامريّةِ أو يُراحُ
قطاةٌ عزّها شَرَكٌ فباتت * تُجاذِبه وقد عَلِقَ الجناحُ

فأمسكتُ عنه هُنيهةً ، ثم أقبلتُ عليه فقلت : وأحسنَ واللهِ قيس بنُ ذَرِيح حيث يقول :

وإنى لَمُفْنٍ دمعَ عَيْنَىَّ بالبكا * حِذارًا لِمَا قد كان أو هو كائنُ
وقالوا غدًا أو بعد ذاكَ بليلةٍ * فراقُ حبيبٍ لم يَبِن وهو بائنُ
وما كنتُ أخشى أن تكونَ مَنِيّتى * بكفّيكِ إلا أن مَنْ(٣) حانَ حائنُ

(١) كذا فى ت ، ب . وفى سائر النسخ : «فأنت» بالفاء وقد اتفقت جميع النسخ فى الروايات الآتية للبيت على الواو . (٢) كذا فى أغلب النسخ . وفى س : «فلا عشت» .
(٣) كذا وقع هذا الشطر فى جميع النسخ ، وقد ورد فى الديوان هكذا : «بكفّى الا أنّ ما حان حائن» .

قال : فبكى — والله — حتى ظننتُ أنّ نفسَه قد فاضَتْ، وقد رأيتُ دموعَه قد بلّتِ الرملَ الذى بين يديه، ثم قال: أحسنَ لَعَمرُ الله، وأنا والله أشعرُ منه حيث أقول:

صـوت

وأدنيتِنى حتى إذا ما سَـبَيتِنى * بقولٍ يُحِلُّ العُصْمَ(١) سَهْلَ الأباطحِ
تناءيتِ عنّى حينَ لا لِىَ حيـلةٌ * وخلّفتِ ما خلّفتِ بين الجـوانحِ(٢)

— ويروى : «وغادرْتِ ماغادَرْتِ(٣) ...» — ثم سنحَتْ له ظبيةٌ فوثب يعدُو خلفَها حتى غاب عنّى وآنصرفتُ، وعُدتُ من غدٍ فطلبتُه فلم أجده، وجاءت آمرأةٌ كانت تصنَع له طعامه إلى(٤) الطعام فوجدَتْه بحاله، فلما كان فى اليوم الثالث غدوتُ وجاء أهلُه معى فطلبناه يومَنا فلم نَجِده، وغَدَوْنا فى اليوم الرابع نَسْتَقرِى أثرَه حتى وجدناه فى وادٍ كثير الحجارة خَشِنٍ، وهو ميتٌ بين تلك الحجارةِ، فاحتملَه أهلُه فغسّلوه وكفنوه ودفنوه .

الحزن على المجنون ندم أبى ليلى على وعدم تزويجه بها

قال الهيثمُ : فحدّثنى جماعةٌ من بنى عامر : أنه لم تبقَ فتاةٌ من بنى جعدةَ ولا بنى الحَرِيش إلا خرجتْ حاسرةً صارخةً عليه تندُبه، وآجتمعَ فِتيانُ الحىّ يبكون عليه أحرَّ بكاء، ويَنْشِجُون عليه أشدَّ نَشِيج، وحضرهم حىُّ ليلى مُعزِّين وأبوها معهم فكان أشدَّ القوم جزعا وبكاءً عليه، وجعل يقول : ما علمنا أن الأمرَ يبلُغ كلَّ هذا، ولكنّى كنتُ امرأً عربيّـا أخاف من العار وقُبحِ الأُحدُوثة ما يخافه مثلى، فزوجتُها

---

(١) العصم : جمع أعصم وهو الوعل الذى فى ذراعيه بياض . والوعل : تيس الجبل . يريد أن قولها يخلب العصم ويستنزلها من الجبال وهى مساكنها الى الأباطح السهلة . (٢) فى ت «وغادرت ما غادرت بين الجوانح» وهو الموافق لما فى الديوان وتزيين الأسواق . (٣) كذا فى جميع الأصول وفى ت «ويروى وخلّفت ما خلّفت» . (٤) كذا فى ت . وفى باقى النسخ طعاما .

وخرجتْ عن يدى ، ولو علمتُ أن أمره يجرى على هـذا ما أخرجتُها عن يده ولا آحتملتُ ما كان علىّ فى ذلك . قال : فما رُئِىَ يومٌ(١) كان أكثرَ باكيةً وباكيا على ميّتٍ من يومئذ .

نسبة ما فى هـذا الخبر من الأغانى

[منها](٢) الصوتُ الذى أوّله :

أَلَا يا غرابَ البين ويحكَ نَبِّنِى * بعلمكَ فى لُبْنَى وأنتَ خبـيرُ

الغناء لأبن محرز(٣) ثقيلُ أوّلُ بالوسطى عن الهشامىّ ، وذكر إبراهيمُ أنّ فيه لحنًا لحكَم . وفى رواية آبن الأعرابىّ أنه أنشده مكانَ :

ألا يا غرابَ البينِ ويحكَ نَبِّنِى * بعلمكَ فى لُبنَى وأنتَ خبـيرُ

صـوت

ألا ياغرابَ البينِ هل أنتَ مُخْبِرى * بخيرٍ كما خبّرتَ بالنـأيِ والشّـرّ

وخبّرتَ(٤) أن قد جدّ بَيْنٌ وقرّبُوا * جِمالًا لبينٍ(٥) مُثْقَلاتٍ من الغـدْرِ

وهِجتَ قـذَى عينٍ بلُبنَى مريضةٍ * إذا ذُكِرَتْ فاضتْ مدامعُها تجرِى

وقلتَ(٦) كذاكَ الدهرُ ما زال فاجعًا * صدقتَ وهل شىءٌ بباقٍ على الدهرِ

---

(١) فى جميع الأصول التى بين أيدينا « يوما » بالنصب وظاهر مخالفته للقواعد .

(٢) زيادة فى ت .

(٣) فى ت « الحسين بن محرز » وفيها تصريح باسمه . (٤) كذا فى ت . وفى سائر النسخ : « أخبرت ... ... » . (٥) فى ت «للبنى» (٦) فى ت « فقلت » .

الشعر لقيس بن ذَرِيح، والغناء لابن جامع، ثقيلٌ أوّلُ بالسبّابة فى مجرى البنصر عن إسحاق. وفيه لبَحْرٍ ثقيلٌ أوّلُ بالوسطى عن عمرو. وفيه لدَحْمانَ ثانى ثقيل عن الهشامىّ وعبد الله بن موسى.

ومنها الصوت الذى أوّلُه:

كأنّ القلبَ ليلةَ قِيلَ يُغْدَى * بليلى العامريّةِ أو يُراحُ

ومنها الصوت الذى أوّلُه:

وأدنيتِنى حتى إذا ما سبيتِنى * بقولٍ يُحِلّ العُصْمَ سهلَ الأباطحِ

الغناء لإبراهيم، خفيفُ ثقيلٍ بالوسطى عن الهشامىّ.

بكاء أبى ليلى على المجنون وشعر وجد بعد موت المجنون فى خرقة

أخبرنا الحسين بن القاسم الكَوْكَبىّ قال حدّثنا الفضل الرَّبعىّ عن محمد بن حَبِيبَ قال:

لما مات مجنونُ بنى عامر وُجد فى أرض خَشِنةٍ بين حجارةٍ سُودٍ، فحضر أهلُه وحضر [معهم](1) أبو ليلى ـ المرأةِ التى كان يهواها ـ وهو متذمّم(2) من أهله، فلما رآه ميتا بكى واسترجع وعلم أنه قد شَرِكَ فى هلاكه، فبينما هم يقلّبونه إذ وجدوا خِرْقةً فيها مكتوبٌ:

ألَا أيها الشيخُ الذى ما بنا يرضَى * شَقِيتَ ولا هُنّيتَ من عَيشكَ الغَضَا(3)

شَقِيتَ كما أشقيتَنى وتركتَنى * أهيمُ مع الهُلّاكِ لا أطْعَمُ الغَمْضَا(4)

---

(1) زيادة فى ت. (2) أى مستنكف منقبض. (3) كذا فى أغلب النسخ. وفى ت وتزيين الأسواق: «الخفضا». وفى ديوانه: «ولا أدركت من عيشك الخفضا».

(4) كذا فى ت وتزيين الأسواق والديوان. وفى أغلب النسخ ذكر بدل هذا البيت البيت الأخير:

«كأن بفجاج الأرض حلقة خاتم * علىّ فما تزداد طولا ولا عرضا»

ثم كرر هذا البيت مرة ثانية بعد كلمة صوت.

صوت

كأنّ فؤادى فى مخالب طائرٍ * إذا ذُكِرَتْ ليلى يَشُدّ بها قَبْضَا
كأن فِجاجَ الأرض حَلْقةُ خاتَمٍ * علىّ فما تزدادُ طُولًا ولا عَرْضَا

فى هذين البيتين رَمَلٌ ينسب إلى سُلَيم وإلى ابن محرز، وذكر حَبَشٌ والهشامىّ أنه لإسحاق .

عوتب على التغنى بالشعر فقال شعرا

أخبرنى محمد بن خَلَف قال حدّثنى أبو سَعيد السُّكَّرىّ عن محمد بن حَبيب قال حدّثنى بعض القُشَيْرِيِّين(١) عن أبيه قال :

مررتُ بالمجنون وهو مُشرِفٌ على وادٍ فى أيام الربيع، وذاك قبل أن يختلطَ، وهو يتغنَّى بشعر لم أفهمه، فصِحتُ به : يا قيسُ، أما تشغَلُك ليلى عن الغناء والطرب! فتنفّس تنفُّسا ظننت أنّ حيازيمه(٢) قد انقدّتْ، ثم قال :

صوت

وما أُشرِفُ الأيفاعَ(٣) إلا صَبابةً * ولا أُنشدُ الأشعارَ إلا تَداويا
وقد يجمعُ اللهُ الشتيتَين بعد ما * يظنّان جَهْدَ(٤) الظنّ أن لا تلاقيا
لحَى(٥) اللهُ أقوامًا يقولون إننى * وجدتُ(٦) طَوالَ الدهر للحبّ شافيا

التقاؤه بقيس بن ذريح وطلبه منه إبلاغ سلامه لليلى

أخبرنى محمد بن مَزْيَد قال حدّثنا الزُّبَيرُ بن بَكّار قال حدّثنا إسماعيلُ بن أبى أُوَيْس قال : اجتاز قيسُ بنُ ذَرِيح بالمجنون وهو جالسٌ وحدَه فى نادِى قومِه، وكان

---

(١) فى ت : «القرشيين» . (٢) الحيازيم : ضلوع الفؤاد . وفى ت : «قد انصدعت» .
(٣) الأيفاع : جمع يفع واليَفَع كاليَفاع : ما أشرف وعلا من الرمل . (٤) كذا فى أغلب النسخ . والجهد : الغاية . وفى ت وتزيين الأسواق والديوان : «كلّ الظنّ» . (٥) يقال لحاه الله : قبحه ولعنه وأبعده . (٦) كذا فى أغلب النسخ . وفى ت وتزيين الأسواق والديوان «إننا وجدنا» .

كلّ واحد منهما مشتاقا إلى لقاء الآخر، وكان المجنونُ قبل توحّشه لايجلس إلا مُنفردا ولا يُحدِّث أحدا ولا يردّ على متكلّم جوابا ولا على مُسلّم سلاما، فسلّم عليه قيسُ بن ذَرِيح فلم يردّ عليه السلامَ؛ فقال له: يا أخى، أنا قيسُ بن ذَرِيح؛ فوثب إليه فعانقه وقال: مرحبا بك يا أخى، أنا والله مذهوبٌ [بى] (١) مُشْتَرَكُ اللّب فلا تلُمنى، فتحدّثا ساعة وتشاكيا و بكيا، ثم قال له المجنونُ: يا أخى، إنّ حىَّ ليلَى منا قريبٌ، فهل لك أن تمضىَ إليها فتبلّغَها عنى السلامَ؟ فقال له: أفعل. فمضى قيسُ بن ذَرِيح حتى أتى ليلى فسلّم وآنتسب؛ فقالت له: حيّاكَ الله، ألكَ حاجة؟ قال: نعم، ابنُ عمّكِ أرسلنى إليكِ بالسلام؛ فأطرقَتْ ثم قالت: ما كنتَ أهلا للتحيّة لو علمتُ أنك رسولُه، قل له عنّى: أرأيتَ قولكَ:

أبَتْ ليلةٌ بالغَيلِ (٢) يا أمّ مالكٍ * لكم غيرَ حب صادقٍ ليس يكذبُ
ألا إنما أبقيتِ يا أمَّ مالكٍ * صَدًى (٣) أينما تذهبْ به الريحُ يذهبِ (٤)

أخبرنى عن ليلة الغَيل، أىُّ ليلة هى؟ وهل خلوتُ معكَ فى الغَيل أو غيره ليلا أو نهارا؟ فقال لها قيسٌ: يابنة عمّ، إن الناس تأوّلوا كلامَه على غير ما أراد، فلا تكونى مثلَهم، إنما أخبر أنه رآكِ ليلةَ الغَيل فذهبتِ بقلبه، لا أنه عناكِ بسوء؛ قال: فأطرقتْ طويلا ودموعُها تجرِى وهى تُكفكِفُها، ثم آنتحبَتْ حتى قلتُ تقطّعَتْ حيازِيمُها، ثم قالت: آقرأ على آبن عمّى السلامَ، وقل له: بنفسِى أنتَ! والله إنّ وجدى بكَ لفوقَ ما تجدُ، ولكن لا حيلةَ لى فيكَ؛ فآنصرفَ قيسٌ إليه ليخبره فلم يجدْه.

---

(١) زيادة فى ت. (٢) الغيـل بالفتح ثم السكون: اسم وادلبنى جعدة.

(٣) انظر الكلام على معنى الصدى فيما تقدّم فى ص ١٩ حاشية رقم ٩ من هذا الجزء.

(٤) فى هذين البيتين اقواء لاختلافهما بحركة الروىّ ضما وكسرا وقد ورد هذا البيت الاخير فى جملة أبيات مكسورة الروىّ فى ص ١٩ من هذا الجزء.

رأى ليلى فبكى ثم قال شعرا

أخبرني الحسن بن علي قال حدثني محمد[(١)] بن القاسم بن مَهْرُوَيْه قال حدثني عمي عن ابن الصباح عن ابن الكلبي عن أبيه قال: مرّ المجنونُ بعد اختلاطه بليلى [وهي][(٢)] تمشي في ظاهر البيوت بعد فقدٍ لها طويلٍ، فلما رآها بكى حتى سقط على وجهه مغشيا عليه، فانصرفت[(٣)] خوفا من أهلها أن يلقَوْها عنده، فمكث كذلك مليًّا ثم أفاق وأنشأ يقول:

بكى فرحًا بليلى إذ رآها * محبٌّ لا يرى حَسَنًا سواها
لقد ظفِرَتْ يداه ونال مُلكًا[(٤)] * لئن كانتْ تراه كما يراها

الغناء لابن المكي رملٌ بالبنصر. وفيه لعَريبَ ثقيلُ أولُ عن الهشامي. وفيه خفيفُ رملٍ ليزيد حوراءَ[(٥)]. وقد نُسِبَ لحنُه إلى ابن المكي ولحنُ ابن المكي إليه.

صوت

من المائة المختارة من رواية عليّ بن يحيى

رُبَّ ركبٍ قد أناخوا عندنا * يشربون الخمرَ بالماء الزلالِ
عَصَفَ[(٦)] الدهرُ بهم فانقرضوا * وكذاكَ الدهرُ حالًا بعد حالِ

الشعر لعدي بن زيد العِبَادي[(٧)]، والغناء لابن مُحْرِز، ولحنُه المختارُ خفيفُ [رملٍ بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى عن إسحاق. وفيه خفيفُ رملٍ] آخر بالبنصر ابتداؤه

(١) كذا في ت، وهو ما اتفقت عليه النسخ في مواضع تقدمت في الجزء الأول من الأغاني وفي هذا الجزء أيضا. وفي أغلب النسخ «موسى بن مهرويه».

(٢) زيادة في ت. (٣) كذا في أغلب النسخ. وفي ب، س، حـ: «فانصرف» وهو تحريف. (٤) في ت: «وطاب عيشا». (٥) كذا في أغلب النسخ. وفي ب، س: «خورا» بالخاء المعجمة وهو تحريف وستأتي ترجمته في الجزء الثالث من الأغاني طبع بولاق. (٦) أي ذهب بهم وأهلكهم. (٧) زيادة في ت.

نشيدُ ذكر عمرو بن بانة أنه لابن طُنْبورةَ، وذكر أحمد بن المكىّ أنه لأبيه. وهذه الأبياتُ قالها عدىّ بن زيد العِبَادىّ على سبيل المَوْعظة للنُّعْمان بن المُنْذر، فيقال: إنها كانت سبب دخوله فى النصرانية.

عظة عدىّ بن زيد النعمان بن المنذر وتنصرِ النعمان

حدّثنى بذلك أحمد بن عِمْرانَ(١) المؤدب قال حدّثنا محمد بن القاسم بن مَهْرُوَيْهِ قال حدّثنا عبد الله بن عمرو قال حدّثنى علىّ بن الصَّبَّاح عن ابن الكَلْبىّ قال: خرج النعمانُ بنُ المنذر إلى الصيد ومعه عدىُّ بن زيد فمروا بشجرةٍ، فقال له عدىّ بن زيد: أيُّها الملكُ، أتدرى ما تقولُ هذه الشجرةُ؟ قال: لا، قال تقول:

رُبَّ ركبٍ قد أناخوا عندنا * يشربون الخمرَ بالماء الزُّلالِ
عصَفَ الدهرُ بهم فانقرضوا * وكذاكُ الدهرُ حالًا بعد حالِ

قال: ثم جاوز الشجرةَ فمرّ بمقبُرةٍ، فقال له عدىّ: أيها الملكُ، أتدرى ماتقول هذه المقبرةُ؟ قال: لا، قال تقول:

أيها الركبُ المُخِبّـو * نَ على الأرض المُجِدّون
فكما أنتـمُ كُنّا * وكما نحن تكونون

فقال له النعمان: إنّ الشجرة والمقبرة لَا يتكلّمان(٢)، وقد علمتُ أنك إنما أردتَ عِظَتِى، فما السبيلُ التى تُدرِكُ بها النجاةُ؟ قال: تدعُ عبادةَ الأوثان وتعبدُ اللهَ وتدينُ بدين المسيح عيسى بنِ مريمَ؛ قال: أَوَفى(٣) هذا النجاةُ؟ قال: نعم، فتنصر يومئذ. وقد قيل: إنَّ هـذه القصةَ كانت لعدىّ مع النعمان الأكبر بن المُنْذِر، وإنّ النعمان الذى قتله هو ابن المنذر بن النعمان الأكبر الذى تنصر. وخبرهذا [يأتى](٤) مع أحاديث عدىّ.

---

(١) كذا فى أغلب النسخ. وفى ت: «محمد». (٢) كذا فى أغلب النسخ. وفى ت: «لم يتكلما». (٣) كذا فى أغلب النسخ. وفى ت: «أفى» بدون واو. (٤) زيادة فى ت.

ذكر عدىّ بن زيد ونسبه وقصته ومقتله

نسبه

هو عَدِىّ بن زيد بن حَمَّاد(١) بن زيد بن أيُّوب بن مَحْرُوف(٢) بن عامر بن عُصَيَّة ابن آمرئ القَيْس بن زيد مَنَاة بن تَمِيم بن مُرّ بن أُدّ بن طابِخَة بن إلياس بن مُضَر ابن نِزَار. وكان أيوبُ هذا فيما زعم آبن الأعرابىّ أوّلَ مَنْ سُمِّى من العرب أيوبَ.

عدىّ بن زيد لا يعدّ فى فحول الشعراء

شاعرٌ فصيحٌ(٣) من شعراء الجاهلية، وكان نصرانيا وكذلك كان أبوه وأمه وأهلُه، وليس ممن يُعَدّ فى الفحول، وهو قروىّ. وكانوا قد أخذوا عليه أشياء(٤) عِيب فيها. وكان الأصمعىّ وأبو عبيدةَ يقولانِ: عدىُّ بنُ زيد فى الشعراء بمنزلة سُهَيل فى النجوم يعارضها ولا يَجرى معها مَجْراها. وكذلك عندهم أُمَيَّةُ بنُ أبى الصَّلْت، ومثلهما كان عندهم من الإسلاميين الكُمَيتُ والطِّرِمّاحُ. قال العَجّاج: كانا يسألانى عن الغريب فأُخبرهما به، ثم أراه فى شعرهما وقد وضعاه فى غير مواضعه؛ فقيل له: ولم ذاك؟ قال: لأنهما قَرَوِيّانِ يَصِفَانِ مالم يَرَيَا فيضعانه فى غير موضعه، وأنا بدوىّ أَصِفُ ما رأيتُ فأضعُه فى مواضعه. وكذلك عندهم عدىٌّ وأُمَيَّةُ.

سبب نزول آل عدى الحيرة

قال ابنُ الأعرابىّ فيما أخبرنى به علىّ بن سُلَيمان الأخفشُ عن السُّكَّرىّ عن محمد ابن حَبِيبَ عنه وعن هِشَام بن الكَلْبىّ عن أبيه قال: سببُ(٥) نزول آلِ عَدِىّ بن زيد

(١) كذا فى أغلب النسخ ومعاهد التنصيص ص ١٤١ طبع بولاق سنة ١٢٧٤ هـ وفى ى «حمار» بالراء. واضطربت النسخ فيما يأتى فى هذا الاسم، وسنجرى فى كتابته على ما أثبتناه هنا بالأصل. وجاء هذا الاسم فى كتاب الشعر والشعراء لابن قتيبة مرة هكذا «حماد» بالدال ومرة «حماز» بالزاى. وفى شعراء النصرانية «حمار» بالراء، وكتب فى التعليق عليه ويروى حمار وحماد وحماز. (٢) كذا فى ب، سـ، حـ. وفى ى، ا، م «مجروف» بالجيم. واضطربت النسخ بعد هذا فتارة يجىء بالجيم ومرة يجىء بالحاء المهملة. وفى شعراء النصرانية «مجروف» بالجيم وكتب عليه فى التعليق ويروى «محروف» أى بالحاء المهملة. (٣) كذا فى حـ، ى. وفى باقى الأصول «شاعرا فصيحا». (٤) كذا فى حـ، ى، ا. وفى سائر النسخ: «أخذوا عليه فى أشياء». (٥) كذا فى ب، سـ، حـ. وفى ى، م، ا: «أنه كان سبب».

الحيرةَ أن جدّه أيوبَ بنَ مَحْرُوف كان منزلُهُ اليمامةَ فى بنى آمرئ القيس بن زيد مناةَ، فأصاب دما فى قومه فهرَب فلَحِقَ بأَوْس بنِ قَلَّامٍ(١) أحد بنى الحارث بن كعب بالحيرة. وكان بين أَيُّوبَ بن مَحْرُوف وبين أوس بن قَلَّامٍ هـذا نسبٌ من قِبَل النساء، فلما قدِم عليه أيُّوبُ بنُ محروفٍ أكرمه وأنزله فى داره، فمكث معه ماشاء الله أن يمكُثَ، ثم إن أوسا قال له : يآبنَ خالِ، أتريدُ المُقامَ عنـدى وفى دارى ؟ فقال له أيُّوبُ : نعمْ، فقد علمتُ أنى إن أتيتُ قومى وقد أصبتُ فيهـم دمًا لم أَسْلَمَ ، وما لى دارٌ إلا دارُكَ آخرَ الدهرِ؛ قال أوس : إنى قد كبِرتُ وأنا خائف أن أموتَ فلا يَعرِفُ ولدى لكَ من الحقِّ مثلَ ما أعرِفُ، وأخشى أن يقعَ بينكَ و بينهم أمرٌ يقطعون فيه الرَّحِمَ، فآنظر أحبَّ مكانٍ فى الحيرة إليكَ فأَعلِمْنى به لِأُقْطِعَكه أو أبتاعَه لكَ؛ قال : وكان لأيوبَ صديقٌ فى الجانب الشرقىّ من الحِيرةِ ، وكان منزلُ أَوْسٍ فى الجانب الغربىّ، فقـال له : قد أحببتُ أن يكون المنزلُ الذى تُسكِنُنِيه عند منزل عِصَامِ ابنِ عَبْدَةَ أحدِ بنى الحارث بن كَعْب؛ فآبتاعَ له موضعَ داره بثلثمائة أُوقيةٍ من ذهبٍ وأنفَق عليها مائتى أوقية ذهبا، وأعطاه مائتين من الإبل بِرِعَائِها وفرسًا وقَيْنَةً؛ فمكث فى منزل أوس حتى هلَك، ثم تحوّل إلى داره التى فى شرقىّ الحيرة فهلك بها . وقد كان أيوبُ آتصـل قبل مَهْلَكِهِ بالملوك الذين كانوا بالحيرة وعرفوا حقَّه وحقَّ آبنه زيد ابن أيوب، وثبت أيوب فلم يكن منهم مَلِكٌ يَملِكُ إلا ولِوَلَدِ أيوبَ منه جوائزُ وحُمْلَانٌ(٢).

مقتل زيد بن أيوب

ثم إنّ زيدَ بنَ أيوبَ نكح آمرأة من آل قَلَّام فولدت له حمّادا، فخرج زيدُ بنُ أيوبَ

(١) جرينا فى ضبط هـذا الاسم على نحو ما جاء فى تاريخ ابن جرير الطبرى ص ٨٥٠ قسم ١ طبع أوروبا ، والقسم الرابع من شـعراء النصرانية ص ٤٣٩ طبع بيروت سنة ١٨٩٠ م .

(٢) الحملان بالضم : ما يحمل عليه من الدواب فى الهبة خاصة .

يومًا من الأيام يريد الصيدَ فى ناس من أهل الحِيرَة وهم مُنْتَدُون[(١)] بِحَفِير — المكانِ الذى يذكره عدىّ بن زيد فى شعره — فآنفرد فى الصيد وتباعد من أصحابه، فلقيه رجلٌ من بنى آمرئ القيس الذين كان لهم الثأرُ قِبَلَ أبيه، فقال له — وقد عَرَف فيه شَبَهَ أيوبَ —: مِمَّنِ الرجلُ؟ قال: من بنى تَمِيم، قال: مِنْ أيّهم؟ قال: مَرَئِيّ[(٢)]، قال له الأعرابىّ: وأين منزلُك؟ قال: الحِيرةُ، قال: أمن بنى أيوبَ أنتَ؟ قال: نعم، ومن أين تعرف بنى أيوبَ؟ وآستوحش من الأعرابىّ وذكر الثأر الذى هرب أبوه منه، فقال له: سمعتُ بهم، ولم يُعلِمْه أنه قد عرفه، فقال له زيدُ بن أيوبَ: فمن أىّ العرب أنتَ؟ قال: أنا آمرؤ من طيئ، فأمِنه زيدٌ وسكتَ عنه، ثم إن الأعرابىّ اغتفل[(٣)] زيدَ بنَ أيوب فرماه بسهم فوضعه بين كتفيْه ففَلَقَ قلبَه، فلم يَرِمْ[(٤)] حافرُ دابته حتى مات، فلبِثَ أصحابُ زيد حتى إذا كان الليلُ طلبوه وقد آفتقدوه وظنُّوا أنه قد أمعن فى طلب الصيد، فباتوا يطلبونه حتى يئسوا منه، ثم غَدَوْا فى طلبه فاقتفَوْا أثَرَه حتى وقفوا عليه ورأَوْا معه أثرَ راكب يُسايِرُه فآتبعوا الأثرَ حتى وجدوه قتيلًا، فعرفوا أنّ صاحبَ الراحلة قتله، فآتبعوه وأغَذُّوا السيرَ فأدركوه مساءَ الليلة الثانية، فصاحوا به وكان مِن أرمَى الناس فآمتنع منهم بالنَّبْلِ حتى حال الليلُ بينهم وبينه وقد أصاب رجلا منهم فى مَرْجِع كَتِفَيه[(٥)] بسهم فلما أجنَّه الليلُ ماتَ وأفلتَ الرامى، فرجعوا وقد قَتَل زيدَ بن أيوب ورجلًا آخر[(٦)] معه من بنى الحارث بن كعب. فمكث حماد

تولى حماد بن زيد الكتابة للنعمان الأكبر

(١) انتدى القوم: اجتمعوا. وحفير: موضع بالحيرة ذكره البكرى فى «معجم ما آستعجم» وأنشد عليه قول عدىّ بن زيد:

قد أرانا وأهلنا بحفير * نحسب الدهر والسنين شهورا

(٢) نسبة الى آمرئ القيس، ويقال فى النسبة إليه: «آمرئى» أيضا. (٣) كذا فى أغلب الأصول ولم نجد فى معاجم اللغة التى بأيدينا آغتفل فلانا بمعنى تغفله أو استغفله. وفى م: «اعتقل». (٤) أى لم يبرح. (٥) مرجع كتفيه: أسفلهما. (٦) كذا فى أغلب النسخ. وفى أ، م: «وقد قُتِلَ زيدُ بن أيوب ورجل آخر».

فى أخواله حتى أيفع ولحق بالوُصَفَاء(١)، فخرج يومًا من الأيام يلعب مع غلمان بنى لحيان، فلَطَم اللّحيانىُّ عينَ حماد فشجه حمّادٌ، فخرج أبو اللّحيانىّ فضرب حمادا، فأتى حمادٌ أُمّه يبكى، فقالت له: ماشأنك؟ فقال: ضربنى فلان لأن ٱبنَه لطمنى فشجَجْتُه، فجزِعَتْ من ذلك وحوّلته إلى دار زيد بن أيوبَ، وعلّمتْه الكتّابةَ فى دار أبيه، فكان حمادٌ أوّلَ من كتَب من بنى أيُّوبَ، فخرج مِنْ أكْتَبِ الناس وطُلِبَ حتى صار كاتبَ الملكِ النُّعْمانِ(٢) الأكبرِ، فلبِث كاتبا له حتى وُلد له ٱبنٌ مِن ٱمرأة تزوجها من طيئ فسمّاه زيدا بٱسم أبيه، وكان لحمّاد صديقٌ من الدَّهَاقينِ(٣) العُظماء يقال له فرّوخ ماهَان، وكان مُحسنا إلى حمادٍ، فلما حضرَتْ حمادًا الوفاةُ أوصى بٱبنه زيدٍ إلى الدِّهقانِ، وكان من المَرَازِبة(٤)، فأخذه الدِّهقانُ إليه فكان عنده مع ولده، وكان زيدٌ قد حذَق الكتّابةَ والعربيةَ قبل أن يأخذه الدِّهقانُ، فعلَّمه لمّا أخذه الفارسيَّةَ فلَقِنَها(٥)، وكان لَبِيبا فأشار الدِّهْقانُ على كِسْرى أن يجعَلَه على البَرِيد فى حوائجه، ولم يكن كسرى يفعل ذلك إلا بأولاد المَرَازِبة، فمكث يتولّى ذلك لِكِسْرى زمانًا؛ ثم إنّ النُّعْمانَ النَّصْرِيَّ اللَّخْمِيَّ هلكَ، فٱختلف أهلُ الحِيرة فيمن يُملّكونه إلى أن يعقِدَ كِسْرى الأمرَ لرجل يُنَصِّبُهُ، فأشار عليهم المَرْزُبانُ بزيد بن حمّاد، فكان على الحِيرة إلى أن ملّكَ كِسْرى المُنْذِرَ بنَ ماءِ السماء

سبب اتصال زيد ابن حماد بكسرى

تمليك زيد بن حماد على الحيرة

(١) يقال: أيفع الغلام فهو يافع اذا شارف الاحتلام. والوصفاء: جمع وصيف وهو الغلام دون المراهق. ويقال: وصف الغلام اذا بلغ الخدمة فهو وصيف.

(٢) كذا فى ا، حـ. وفى باقى النسخ: «مُلْك» بدون أل. (٣) الدهاقين: جمع دهقان وهو التاجر فارسىّ معرّب. (٤) المرزبان بضم الزاى: أحد مرازبة الفرس وهو الفارس الشجاع المقدّم على القوم دون الملك وهو فارسىّ معرّب. (٥) كذا فى أغلب الأصول، ولقنها: فهمها. وفى ب، سـ: «فلقفها» بالفاء، يقال: لقف الشىء يلقفه لقفا أى تناوله بسرعة ويستعمل فى سرعة الأخذ لما يرمى باليد أو باللسان ومنه رجل ثقف لقف أى سريع الفهم لما يرمى اليه من كلام باللسان، وسريع الأخذ لما يرمى اليه باليد، وقد يفرد لقف فيكون معناه ما تقدّم.

ونكح زيدُ بن حمّاد نعمة بنتَ ثعلبـة العَدَوِيّة فولدت له عَدِيّاً ، وملك المنذرُ وكان لا يَعصِيه فى شىء ، ووُلِد للمرزُبان آبنٌ فسمّاه «شاهَانَ مَرْد» . فلما تحرّك عدىّ بن زيد وأيفعَ طرحه أبوه فى الكُتّاب(١) ، حتى إذا حَذَقَ أرسله المَرْزُبانُ مع آبنه «شاهَانَ مَرْد» إلى كُتّاب الفارسية ، فكان يختلِفُ مع آبنه ويتعلّمُ الكتابةَ والكلامَ بالفارسيّة حتى خرج من أفهم الناس بها وأفصحِهم بالعربية وقال الشعرَ ، وتعلّمَ الرمىَ بالنُّشّاب فخرج من الأساورة(٢) الرُّماةِ ، وتعلّم لِعبَ العجم على الخيل بالصَّوَالجة(٣) وغيرها . ثم إنّ المَرْزُبانَ وفَد على كسرى ومعه آبنه «شاهان مرد» ، فبينما هما واقفان بين يديه إذ سقط طائران على السُّور فتطاعما كما يتطاعمُ الذكر والأنثى فجعـل كلُّ واحدٍ منقارَه فى منقـار الآخر ، فغضِبَ كسرى من ذلك ولحِقتْه غيرةٌ(٤) ، فقال للمرزُبان وآبنِـه : لِيَرْمِ كلُّ واحدٍ منكما واحدا من هذَينِ الطائرَينِ ، فإن قتلتماهما أدخلتُكما بيتَ المـال وملأتُ أفواهَكما بالجَوْهر ، ومَنْ أخطأ منكما عاقبتُه ؛ فآعتمدَ كلُّ واحد منهما طائرا منهما ورَمَيَا فقتلاهما جميعا ، فبعثَهما إلى بيت المـال فمُلِئَتْ أفواهُهما جَوْهَرا ، وأثبتَ «شاهان مرد» وسائرَ أولادِ المَرْزُبانِ فى صَحابته ؛ فقال فرُّوخُ ماهان عند ذلك للملك : إنّ عندى غلاما من العرب مات أبوه وخلّفَه فى حِجْرِى(٥) فربّيتُـه ، فهو أفصحُ الناسِ وأكتبُهم بالعربيّـةِ

تعلم عدىّ بن زيد الكتابة والكلام بالفارسية

اتصاله بكسرى وتوليه الكتابة فى ديوانه

---

(١) الكُتّابُ : موضع تعليم الكتابة ، يقال : سلّم ولدَه فى الكُتّاب أى المكتب . وأنكر المبرّد هذا المعنى وقال : من جعل الموضعَ الكُتّابَ فقد أخطأ . وقال الشهاب فى شرح الشفاء : انّ الكُتّاب للمكتب واردٌ فى كلامهم كما فى الأساس وغيره ولا عبرة بمن قال : إنه مولد (انظر تاج العروس مادة كتب) .

(٢) الأساورة : جمع الأسوار بالضم أو الكسر وهو الجيـد الرمى بالسهام . وقال أبو عبيد : أساورة الفرس : فرسانهم المقاتلون . وقال الخوارزمى فى «مفاتيح العلوم» : العجم لا تضع اسم أسوار إلا على الرجل البطل الشجاع .

(٣) الصوالجة : جمع صولجان وهو عصا يعطف طرفها يضرب بها الكرة على الدواب ، وهو فارسىّ معرّب ، فأما العصا التى اعوج طرفاها خلقـة فى شجرتها فهى المحجن .

(٤) كذا فى أغلب النسخ . وفى حـ : «من تلك الحال» .

(٥) فى حـ : «وخلفه عندى» .

والفارسيّة، والملكُ محتاجٌ إلى مثله، فإن رأى أن يُثبِتَه فى وَلَدى فعلَ؛ فقال: آدعه، فأرسل إلى عدىّ بن زيد، وكان جميلَ الوجه فائقَ الحُسْنِ وكانت الفُرسُ تتبرّك بالجميل الوجه، فلما كلّمه وجده أظرفَ الناس وأحضرَهم جوابا، فرغِبَ فيه وأثبته مع وَلَدِ المرزُبان، فكان عدىّ أوّلَ مَنْ كتَبَ بالعربيـة فى ديوان كِسْرى، فرغِبَ أهـلُ الحِيرة إلى عدىّ ورَهِبُوه، فلم يزل بالمَدَائن فى ديوان كسرى يؤذَنُ له عليه فى الخاصّة وهو مُعجَبٌ به قريبٌ منه، وأبوه زيد بنُ حماد يومئذ حىّ إلا أنّ ذِكرَ عدىّ قد آرتفع وخَمَل ذِكرُ أبيه، فكان عدىّ إذا دخل على المنذر قام جميعُ مَنْ عنده حتى يقعدَ عدىّ، فعَلَا له بذاك صِيتٌ عظيمٌ[1]، فكان إذا أراد المُقَامَ بالحيرة فى منزله ومع أبيـه وأهله آستأذنَ كسرى فأقام فيهم الشهرَ والشهرَينِ وأ كثرَ وأقلَّ. ثم إنّ كسرى أرسل عدىَّ بن زيد إلى ملِكِ الروم بهديّة من طُرَفِ ما عنده، فلما أتاه عدىّ بها أكرمه وحمله إلى عُمّاله على البريد ليُرِيَه سَعَةَ أرضه وعَظِيمَ مُلْكِه[2] — وكذلك كانوا يصنعون — فمن ثَمَّ وقع عدىّ بِدِمَشْقَ، وقال فيها الشعرَ. فكان مما قاله بالشام وهى[3] أوّلُ شعر قاله فيما ذكر:

عدىّ أوّل من كتب بالعربيـة فى ديوان كسرى

إرسال كسرى له الى ملك الروم

رُبَّ دارٍ بأسفلِ الجزعِ مِنْ دُو * مَةَ[4] أشْهى إلىّ مِنْ جَيْرُونِ[5]

(١) فى حـ، ا، م: «صوت» وكلاهما صحيح فان الصوت لغة فى الصيت. (٢) كذا فى ب، سـ. وفى باقى النسخ: «وعِظَمَ ملكه». (٣) كذا فى جميع النسخ والضمير عائد على الأبيات الثلاثة الآتية. وفى معاهد التنصيص ص١٤٣ طبع بولاق سنة ١٢٧٤هـ: «وهو أوّل شعر قاله».

(٤) دومة: قرية من قرى غوطة دمشق، والظاهر أنها غير مرادة فى هذا البيت، واسم لموضع بين الشام والموصل. قال البكرى فى معجم ما آستعجم: «ودومة هذه من منازل جذيمة الأبرش، وهذه دومة الحيرة أمّا دومة الجندل فهى على عشر مراحل من المدينة وعشر من الكوفة وثمان من دمشق وكان بها طائفة من النصارى». (٥) جيرون: بناء عند باب دمشق وهو سقيفة مستطيلة على عمد وسقائف وحولها مدينة تطيف بها، والمعروف اليوم أن بابا من أبواب الجامع بدمشق وهو بابه الشرقى يقال له: «باب جيرون» وقال قوم: جيرون هى دمشق نفسها. انظر معجم ياقوت.

ونَدَامَى لا يفرَحون بما نا * لُوا ولا يرهَبُونَ[(١)] صَرْفَ المَنُونِ
قد سُقيتُ الشَّمُولَ فى دار بِشْرٍ * قَهْوَةً مُزَّةً[(٢)] بماء سَخِينِ

ثم كان أوّلُ ما قاله بعدها قولَه :

لِمَنِ الدارُ تعفَّتْ بِخِيَمْ[(٣)] * أصبحتْ غيَّرَها طولُ القِدَمْ
ما تَبِينُ العينُ من آياتها * غيرَ نُؤْيٍ مثلِ خطٍّ بالقَلَمْ
صالحا قد لفَّها فآستوسقتْ[(٤)] * لَفَّ بازٍ حَمَامًا فى سَلَمْ[(٥)]

تولية أهل الحيرة زيدا أبا عدىّ على الحيرة وابقاء اسم الملك للنذر

قال : وفسد أمرُ الحِيرة وعدىّ بدمشق حتى أصلح أبوه بينهم ، لأن أهلَ الحيرة حين كان عليهم المنذرُ أرادوا قتلَه لأنه كان لا يعدِل فيهم ، وكان يأخذُ من أموالهم ما يُعجِبه ، فلما تيقّن أن أهلَ الحيرة قد أجمعوا على قتله بعث إلى زيد بن حماد آبن زيد بن أيوب ، وكان قبلَه على الحيرة ، فقال له : يا زيدُ أنتَ خليفةُ أبى ، وقد بلغنى ما أجمعَ عليه أهلُ الحيرة فلا حاجة لى فى مُلككُم ، دونكموه مَلِّكوه مَنْ شئتم ؛ فقال له زيد : إنّ الأمرَ ليس إلىّ ، ولكنّى أَسْبُرُ[(٦)] لكَ هذا الأمرَ ولا آلُوكَ نصحًا ، فلما أصبح غدا إليه الناسُ فحيَّوْهُ تحيّةَ الملك ، وقالوا له : ألا تبعثُ إلى عبدك الظالِم — يعنُونَ المنذرَ — فتُرِيحَ منه رعيَّتكَ ؟ فقال لهم : أَوَلَا خيرٌ من ذلكَ ! قالوا : أَشِرْ علينا ، قال : تَدَعُونه على حاله فإنه من أهل بيت مُلكٍ ، وأنا آتيه فأُخْبِرُه أنّ أهلَ الحِيرة قد آختاروا رجلا يكون أمرُ الحيرة إليه إلا أن يكون غزوٌ أو قتالٌ ،

(١) فى م ، ا : «يتّقون» . (٢) كذا بالأصول ولعلها مُزّة والمُزّة : الخمر اللذيذةُ الطعم وتفتح ميمها ، سميت بذلك للذعها اللسان ، قال الأعشى :

نازعتهم قضب الريحان متكئاً * وقهوة مُزّةً راووقها خضل

وقد ورد هذا البيت فى اللسان بضم الميم فى مادة مزز وفى المخصص فى باب الخمر بفتحها . (٣) خيم : موضع . (٤) أى جمعها فآجتمعت . (٥) السلم : شجر ورقه القرظ الذى يدبغ به .
(٦) سبر الأمر : آختبره وآستخرج كنهه .

فلك اسم المُلكِ وليس إليكَ سوى ذلك من الأمور ؛ قالوا : رَأْيُكَ أفضلُ . فأتى المنذرَ فأخبره بما قالوا ، فقَبِلَ ذلك وفَرِح ، وقال : إنّ لك يا زيدُ علىّ نعمةً لا أكفُرُها ما عرفتُ حَقَّ سبد — وسبد صنم كان لأهل الحيرة — فولّى أهلُ الحيرة زيدا على كل شىء سوى آسم المُلْكِ فإنهم أقرّوه للمنذر . وفى ذلك يقول عدىّ :

نحن كنّا قد علِمتُمْ قبلَكُمْ * عَمَدَ البيتِ وأوتادَ الإصَارِ (٢)

قال : ثم هلك زيدٌ وآبنُه عدىّ يومئذ بالشام . وكانت لزيدٍ ألفُ ناقةٍ للحَمَالاتِ (٣) كان أهلُ الحيرة أعطَوْهُ إياها حين ولَّوْه ما ولَّوْه ، فلما هلك أرادوا أخذَها ، فبلغ ذلك المنذرَ ، فقال : لا ، واللّاتِ والعُزَّى لا يؤخذ مما كان فى يد زيدٍ ثُفْرُوقٌ (٤) وأنا أسمعُ الصَّوتَ .

قدوم عدىّ للحيرة وخروج المنذر للقائه

ففى ذلك يقول عدىّ بن زيد لآبنِهِ النُّعْمانِ بنِ المنذرِ :

وأبوكَ المرءُ لم يُشْنَأْ (٥) به * يومَ سِيمَ الخَسْفَ منّا ذو الخَسَارِ

قال : ثم إنّ عديا قَدِمَ المدائنَ على كسرى بهديّةِ قيصرَ ، فصادف أباه والمَرْزُبانَ الذى ربّاه قد هلكا جميعا ، فآستأذن كسرى فى الإلمام بالحِيرة فأَذِن له فتوجّه إليها ، وبلغ المنذرَ خبرُه فخرج فتلقّاه فى الناس ورجع معه . وعدىّ أنبلُ أهل الحيرة فى أنفسهم ، ولو أراد أن يُملّكوه لملّكوه ، ولكنه كان يُؤْثِرُ الصيدَ واللّهوَ واللعبَ على المُلْكِ ، فمكث

(١) لم نجد اسم هذا الصنم فى كتاب الأصنام لآبن الكلبىّ ولا فى كتب اللغة التى بين أيدينا . وقد آطلعنا على مقالة للأب انستانس الكرملى نشرت فى صحيفة دار السلام البغدادية فى عدد تشرين الثانى سنة ١٩١٩ م وأورد صاحب المقالة المذكورة كلام الأغانى هذا وقال فيه : « ولعله مصرىّ الأصل إذ كان عند أبناء وادى النيل اله يعرف باسم (سو بدو) » . (٢) الإصار : الطنب وهو حبل الخباء والسرادق ونحوهما.
(٣) الحمالات : جمع حَمَالة بالفتح وهى الدية والغرامة التى يحملها قوم عن قوم . (٤) الثفروق : علاقة ما بين النواة والقِمع من التمرة ، وقال الأصمعىّ : الثفروق قمع البسرة والتمرة ، ويكنى به عن القلة فيقال : ماله ثفروق أى ماله شىء ، والذفروق بالذال لغة فيه . انظر اللسان فى مادة « ثفرق » . (٥) كذا فى أغلب النسخ . وفى حـ « لم نشق به » .

سنينَ يبدو(١) فى فَصْلَى السَّنة فيقيمُ فى جفير(٢) ويشتو بالحيرة، ويأتى المدائنَ فى خلال ذلك فيخدُم كِسرى، فمكث كذلك سنينَ، وكان لا يؤثِرُ على بلادِ بنى يَرْبوع مَبْدًى من مَبَادِى العربِ ولا ينزل فى حىّ من أحياء بنى تميم غيرِهم، وكان أخِلّاؤه من العرب كلُّهم بنى جعفر، وكانت إبله فى بلاد بنى ضَبَّة وبلاد بنى سَعْد، وكذلك كان أبوه يفعل: لا يجاوز هذين الحيَّيْن بإبله. ولم يزل على حاله تلك حتى تزوج هندَ(٣) بنتَ النعمان ابن المنذر، وهى يومئذ جاريةٌ حين بلغَتْ أو كادتْ. وخبرُه يذكر فى تزويجها بعد هـذا.

تزوّجه هند بنت النعمان

قال ابنُ حبيبَ وذكر هِشام بنُ الكَلْبى عن إسحاق بن الجَصَّاص وحمَّاد الراوية وأبى محمد بن السائب قال: كان لعدىّ بن زيد أخوان: أحدُهما اسمه عَمّار ولقبُه أُبَىّ، والآخر اسمه عمرو ولقبه سُمَىّ، وكان لهم أخ من أمهم يقال له عدىّ بنُ حَنْظلة من طيئ، وكان أبىّ يكون عند كسرى، وكانوا أهلَ بيتٍ نصارى يكونون مع الأكاسرة، ولهم معهم أُكُلٌ(٤) وناحيةٌ، يُقطِعونَهم القطائعَ ويُجزِلُون صِلاتِهم. وكان المنذرُ لما ملكَ جعل ابنَه النعمانَ بنَ المنذر فى حِجْرِ عدىّ بن زيد، فهم الذين أرضعُوه وربَّوْه، وكان للمنذر ابنٌ آخر يقال له «الأسود»، أمّهُ ماريةُ بنتُ الحارث بنِ جُلْهُم من تَيْم الرِّبَابِ،

جعل المنذر ابنه النعمان فى حجر عدىّ

---

(١) أى يخرج الى البادية. (٢) كذا فى جميع النسخ وجفير بفتح الجيم وكسر الفاء. ذكره ياقوت فى معجمه وقال: هو موضع فى شعر حجر الملك آكل المرار. وقال البكرى فى «معجم ما استعجم»: هو ماءة فى ضرية، ومعلوم أن ضرية بنجد، أما جفير كزبير فقرية بالبحرين ذات رياض ومياه ومنازه.

(٣) كذا فى ا، م بالمنع من الصرف وفى ب، س، حـ «هندا» بالصرف وكلاهما صحيح إلا أن المنع أكثر. (٤) الأُكُل: الرزق يقال: فلان ذو أكل اذا كان ذا رزق وحظ واسع فى الدنيا.

فأرضعه وربّاه قومٌ من أهل الحِيرة يقال لهم بنو مَرِينا[(١)] ينتسبون إلى لَخْم وكانوا أشرافا . وكان للمنذر سوى هذين من الولد عشرةٌ، وكان وَلَدُه يقال لهم "الأشاهبُ"[(٢)] من جمالهم، فذلك قول أعْشَى بن قَيْس بن ثَعْلبة :

وبنو المنذرِ الأشاهبُ فى الحِيـ * ـرَةِ يمشون غُـدْوةً كالسيوفِ

سعى عدىّ بن زيد فى ولاية النعمان بن المنذر وسبب الخلاف بينه وبين عدىّ بن مرينا

وكان النعمانُ من بينهم أحمرَ أبرشَ[(٣)] قصيرا ، وأُمّه سَلْمَى بنتُ وائل بن عَطيّة الصائغ من أهل فَدَكَ[(٤)]، فلما آحتُضِرَ المنذرُ وخلَّفَ أولادَه العشرةَ، وقيل : بل كانوا ثلاثة عشر، أوصى بهم إلى إيَاس بن قَبِيصةَ الطّائِي، وملّكه على الحيرة إلى أن يرى كِسرى رأيَه ، فمكث مُمَلَّكًا عليها أشهرًا وكسْرى فى طلب رجل يُملّكه عليهم، وهو كسرى بنُ هُرْمُز، فلم يجد أحدا يَرْضاه فضَجِرَ، فقال : لأبعثنّ إلى الحِيرة آثنَىْ عشرَ ألفا من الأَسَاورة، ولَأُمَلّكنّ عليهم رجلا من الفُرْس، ولَآمرنّهم أن ينزلوا على العرب فى دُورِهم ويَمْلِكُوا عليهم أموالَهم ونساءَهم، وكان عدىُّ بن زيد واقفا بين يديه ، فأقبل عليه وقال : ويحكَ ياعدىُّ : مَن بقى من آل المنذر؟ وهل فيهم أحدٌ فيه خيرٌ؟ فقال: نعم أيها الملكُ السعيدُ، إنّ فى ولد المنذر لبقيةً وفيهم كلِّهم خيرٌ، فقال : آبعث إليهم فأحضِرْهم، فبعث عدىٌّ إليهم فأحضرَهم وأنزلهم جميعا عنده، ويقال : بل شَخَص

---

(١) بنو مرينا : قوم من أهل الحيرة من قبائل العباد، وهم الذين ذكرهم آمرؤ القيس فى قوله :

فلو فى يوم معركة أصيبوا * ولكن فى ديار بنى مرينا

وليس مرينا بكلمة عربية . (انظر تاج العروس واللسان مادة مرن) . (٢) الشهبة فى الأصل : بياض يخالطه سواد وقيل البياض الذى يغلب على السواد، وقد يقال على مطلق البياض كما قالوا سنة شهباء أى بيضاء لكثرة الثلج وعدم النبات . وفى القاموس « والأشاهب بنو المنذر لجمالهم » قال شارحه السيد مرتضى : سموا بذلك لبياض وجوههم . (٣) الأبرش : الأرقط الأنمر وهو الذى يكون فيه بقعة بيضاء وأخرى أىّ لون كان . (٤) فدك : قرية بالحجاز بينها وبين المدينة يومان

عدىّ بن زيد إلى الحيرة حتى خاطبهم بما أراد وأوصاهم[(١)]، ثم قَدِم بهم على كسرى. قال: فلما نزلوا على عدىّ بن زيد أرسل إلى النُّعمان: لستُ أُملِّكُ غيرَك فلا يُوحشنَّك ما أُفَضِّلُ به إخوتَكَ عليك من الكرامة فإنى إنما أغترُّهم بذلك، ثم كان يُفَضِّلُ إخوته جميعًا عليه فى النُّزُلِ والإكرام والملازمة ويُرِيهِمْ تنقُّصًا للنُّعمان وأنه غيرُ طامعٍ فى تمام أمرٍ على يده، وجعلَ يخلو بهم رجلًا رجلًا فيقول: إذا أدْخَلتُكم على الملِكِ فالبَسُوا أنخرَ ثيابكم وأجملَها، وإذا دعا لكم بالطعام لتأكلوا فتباطئوا فى الأكل وصَغِّرُوا اللُّقَمَ ونَزِّرُوا ماتأكلون، فإذا قال لكم: أَتَكْفُونَنِى العربَ؟ فقولوا: نعم، فإذا قال لكم: فإن شذَّ أحدُكم عن الطاعة وأفسد، أَتَكْفُونَنيه؟ فقولوا: لا، إنّ بعضَنا لايقدر على بعض، لِيَهابكم ولا يَطمَعَ فى تَفرّقكم ويعلَمَ أن للعرب مَنَعةً وبأسا فقبِلوا منه؛ وخلا بالنعمان فقال له: آلبَسْ ثيابَ السفر وآدخُل مُتقلِّدا بسيفك، وإذا جلستَ للأكل فعظِّم اللُّقَمَ وأسرع المضغَ والبلعَ وزِدْ فى الأكل وتجوَّعْ قبل ذلك، فإنّ كسرى يُعجبه كثرةُ الأكلِ من العرب خاصّةً، ويَرَى أنه لاخيرفى العربىّ إذا لم يكن أَكُولا شَرِهًا، ولا سِيّما إذا رأى غيرَ طعامه ومالا عَهْد له بمثله، وإذا سألكَ هل تكفِينِي العربَ؟ فقل: نعم، فإذا قال لك: فَمَنْ لى بإخوتكَ؟ فقل له: إن عجزتُ عنهم فإنى عن غيرهم لأَعْجَزُ. قال: وخلا آبنُ مَرِينَا بالأَسْود فسأله عما أوصاه به عدىّ فأخبره، فقال: غشَّكَ والصليبِ والمعموديّةِ ومانصَحَك، ولئن أطَعتنى لتُخالفنَّ كلَّ ما أمركَ به ولَتُملَّكنّ، ولئن عصيتَنى لَيُملَّكَنّ النعمانُ ولايَغرَّنك ماأراكه من الإكرام والتفضيل على النعمان، فإن ذلك دهاء فيه ومكر، وإن هذه المَعَدِّيَّةَ لاتخلو من مكرٍ وحيلةٍ؛ فقال له: إن عديا لم يأْلُنِي نصحا وهو أعلم بِكِسْرى منك، وإن خالفتُه أوحشتُه وأفسد علىّ

(١) فى ب، سـ: «أرادوا» والصواب ما أثبتناه.

وهو جاء بنا ووصَفَنا و إلى قوله يرجع كسرى ، فلمَّا أَيِس آبنُ مَرِينَا من قبوله منه قال : سَتعلمُ . ودعا بهم كسْرى ، فلما دخلوا عليه أعجبه جمالُهم وكمالُهم ورأى رجالا قلَّما رأى مثلَهم، فدعا لهم بالطعام ففعلوا ما أمرهم به عدىّ ، فجعل ينظر إلى النعمان مِنْ بينهم و يتأملُ أَكله ، فقال لعدىّ بالفارسية : إن يكن فى أحد منهم خيرٌ ففى هذا ، فلما غسلوا أيديَهم جعل يدعو بهم رجلا رجلا فيقولُ له : أتكفينى العربَ ؟ فيقولُ : نعم أكْفِيكَها كلَّها إلا إخوتى ، حتى آنتهى إلى النعمان آخرهم فقال له : أتكفينى العربَ؟ قال : نعم قال : كلَّها؟ قال : نعم ، قال : فكيف لى بإخوتك؟ قال : إن عجزتُ عنهم فأنا عن غيرهم أعجزُ ؛ فملّكه وخلع عليه وألبسه تاجا قيمته ستون ألفَ درهم فيه اللؤلؤُ والذهبُ .

توعد عدىّ بن مرينا لعدىّ بن زيد بأن يهجوه و يبغيه الغوائل ما بقى

فلما خرج وقد مُلِّك قال آبن مَرِينَا للأسود : دونكَ عُقْبَى خلافِكَ لى ! . ثم إن عديًّا صنع طعاما فى بِيعةٍ وأرسل إلى آبن مرينا أن آئتنى بمن أحببتَ فإنّ لى حاجةً ، فأتى فى ناس فتغدَّوْا فى البِيعة ؛ فقال عدىُّ بنُ زيد لآبن مرينا : يا عدىّ ، إنّ أحقّ مَنْ عرفَ الحقَّ ثم لم يَلُم عليه مَن كان مثلكَ ، و إنى قد عرفتُ أنّ صاحبك الأسودَ بنَ المنذر كان أحبَّ إليك أن يُمَلَّكَ من صاحبى النعمانِ ، فلا تلمْنِى على شىء كنتَ على مثله ، وأنا أحِبُّ ألّا تحقِدَ علىّ شيئا لو قدرتَ عليه ركبتَه ، وأنا أحِبُّ أن تُعطِيَنى من نفسك ما أُعطيكَ من نفسى ، فإنّ نصيبى فى هذا الأمرِ ليس بأوفرَ من نصيبك ؛ وقام إلى البِيعة فحلف ألّا يَهجوه أبدا ولا يَبْغِيَه غائلةً ولا يَزْوِىَ عنه خيرا أبدا . فلما فرغ عدىُّ بن زيد ، قام عدىُّ بن مرينا فحلف مثلَ يمينه ألّا يزالَ يهجُوه أبدا ويَبغِيه الغوائلَ مابقى . وخرج النعمانُ حتى نزل منزلَ أبيه بالحِيرة ، فقال عدىُّ بن مرينا لعدىّ بن زيد :

ألا أبلغ عديًّا عن عدىّ * فلا تجزعْ وإن رَثَّتْ قُواكا (١)

هياكلَنا تَبَرُّ لغير فَقْرٍ (٢) * لِتُحمَدَ (٣) أو يَتِمَّ به غِناكا (٤)

فإن تظفرْ فلم تظفر حميدًا * وإن تعطَبْ فلا يَبْعُدْ سِواكا

ندمتَ ندامةَ الكُسَعِىّ (٥) لمّا * رأتْ عيناكَ ما صنعتْ يداكا

تدبير عدى بن مرينا المكيدة لعدى بن زيد

قال : ثم قال عدىُّ بن مَرِينا للأسود : أمّا إذا لم تظفَر فلا تعجِزَنَّ أن تطلبَ بثأرِكَ من هذا المَعَدّىّ الذى فعل بكَ ما فعل ، فقد كنتُ أُخبِرُكَ أن مَعَدًّا لا ينام كيدُها ومكرها وأمرتُكَ أن تَعصِيَه فخالفتنى ؛ قال : فما تريد؟ قال : أريد ألّا تأتيكَ فائدةٌ من مالك وأرضك إلا عَرَضتَها علىّ ففعلَ . وكان آبنُ مرينا كثيرَ المال والضَّيعةِ ، فلم يكن فى الدهر يومٌ يأتى إلا على باب النعمان هديّةٌ من آبن مرينا ، فصار من أكرمِ الناس عليه حتى كان لا يَقْضِى فى ملكه شيئا إلا بأمر آبن مرينا ، وكان إذا ذُكِر عدىُّ بنُ زيد عند النعمان أحسنَ الثناءَ عليه وشيَّع (٦) ذلك بأن يقول : إن عدىَّ بنَ زيد فيه مكر وخديعة ، والمعدّىُّ لا يصلح إلا هكذا . فلما رأى مَنْ يُطِيفُ بالنعمان منزلةَ آبنِ مرينا عنده لزموه وتابعوه ، فجعل يقول لمن يَثِق به من أصحابه : إذا رأيتمونى أذكر عديًّا عند الملك بخير فقولوا : إنه لكذلكَ ، ولكنه لا يَسلَم عليه

---

(١) رثّت : ضعفت . (٢) كذا فى م « فقر » بالراء المهملة . وفى باقى النسخ « فقد » بالدال المهملة . (٣) كذا فى ح وشعراء النصرانية « لتُحمد » بالتاء . وفى باقى النسخ « ليحمد » بالياء . (٤) كذا فى ح بالغين المعجمة . وفى باقى النسخ « عناكا » بالعين المهملة . (٥) الكسعىّ : نسبة الى كسع : حىّ من قيس عيلان وقيل هم حىّ من اليمن رماة . والكسعىّ هذا يضرب به المثل فى الندامة وهو رجل رام رمى بعدما أظلم الليل عيرا فأصابه وظنّ أنه أخطأه فكسر قوسه ثم ندم من الغد حين نظر الى العير مقتولا وسهمه فيه ، فصار مثلا لكل نادم على فعل يفعله . وإياه عنى الفرزدق بقوله :

ندمتُ ندامة الكسعىّ لمّا * غدت منّى مطلّقةً نَوارُ

(انظر اللسان مادة كسع) . (٦) شيّع : أتبع .

أحدٌ، وإنه ليقول : إنّ الملكَ ـ يعنى النعمان ـ عاملُه، وإنه هو ولّاه ما ولّاه ؛ فلم يزالوا بذلك حتى أضْغَنوه عليه، فكتبوا كتابا على لسانه إلى قهرمانٍ(١) له ثم دسّوا إليه حتى أخذوا الكتاب منه وأتَوْا به النعمانَ فقرأه فآشتدّ غضبُه، فأرسل إلى عدىّ بن زيد: عزمتُ عليك إلّا زُرتَنِي فإنّى قد آشتقتُ إلى رؤيتك، وعدىٌّ يومئذ عند كسرى، فاستأذَن كسرى فأذِنَ له. فلما أتاه لم ينظر إليه حتى حبسه فى محبِسٍ لا يدخل عليه فيه أحدٌ، فجعل عدىٌّ يقول الشعر وهو فى الحبس، فكان أوّلُ ما قاله وهو محبوس من الشعر :

حبس النعمان لعدىّ ابن زيد وما خاطب به عدىّ النعمان من الشعر

ليتَ شِعْرِى عن الهمام ويأتيـــكَ * بُخبْرِ الأنباء عطفُ السُّؤَالِ
أين عنّا إخطارُنا(٢) المالَ والأنـفُسَ * إذ ناهَدُوا(٣) لِيوم المِحَالِ(٤)
ونِضَالِى فى جنبكَ الناسَ يرمُو * ن وأرْمِى وكُلُّنا غيرُ آلِي(٥)
فأُصِيبُ الذى تُرِيد بلا غِشٍّ * وأُرْبِى عليهِمُ وأُوَالِي
ليتَ أنّى أخذتُ حَتْفِى بكَفِّى * ولم ألْقَ مِيتَةَ الأَقْتَالِ(٦)
مَحَلوا مَحْلَهُم(٧) لصَرْعَتِنَا العا * مَ فقد أوقَعُوا الرحا بالثِّفالِ(٨)

---

(١) القهرمان : أمين الملك وخاصته فارسىّ معرّب، ويطلق فى لغة الفرس على القائم بأمور الرجل كالخازن والوكيل . (٢) إخطار المال والنفس : بذلها وجعلهما خطرا . قال صاحب اللسان : والمخطر : الذى يجعل نفسه خطرا لقرن فيبارزه ويقاتله، وساق فى الاستشهاد على هذا المعنى بيت عدىّ هذا «أين عنا إخطارنا» البيت . (٣) المناهدة فى الحرب : المناهضة . وفى المحكم : المناهدة فى الحرب : أن ينهد بعض الى بعض وهو فى معنى النهوض الا أن النهوض قيام عن قعود، والنهود : نهوض على كل حال . (انظر المخصص لابن سيده فى ج ٦ واللسان مادة نهد) . (٤) المحال : الكيد أو المكر .
(٥) أى غير مقصر . (٦) الأقتال : جمع قتل (بالكسر) وهو العدوّ . (٧) يقال : محل فلان بصاحبه (مثلثة الحاء) اذا سعى به الى السلطان . (٨) الثفال بالكسر : الجلد الذى يبسط تحت رحا اليد ليقى الطحين من التراب، وقد يطلق الثفال على الحجر الأسفل من الرحا .

وهى قصيدة طويلة . قالوا : وقال أيضا وهو محبوس :

أرِقتُ لمكفهرٍّ بات فيه * بوارِقُ يرتقين رءوسَ شِيبِ

تلوحُ المشرِفيّةُ فى ذُرَاه * ويجلو صفحَ دَخدارٍ قشيبِ

ويروى : تخالُ المشرفيّةُ . الدخدار : فارسية معرّبة وهو الثوب المصون . يقول فيها :

سعى الأعداءُ لا يألون شرًّا * علىّ (١) وربِّ مكّة والصليبِ

أرادوا كى تُمَهّلَ عن عدىٍّ * ليُسجَن أو يُدهْدَه (٢) فى القَليبِ

وكنتُ لِزازَ (٣) خصمِكَ لم أُعرِّدْ (٤) * وقد سلكوكَ (٥) فى يومٍ عصيبِ

أُعالِنُهم وأُبطِنُ كلّ سرٍّ * كما بينَ اللِّحاء (٦) إلى العَسيبِ

فَفُزتُ عليهم لمّا التقينا * بتاجِكَ فوزةَ القِدحِ الأريبِ (٧)

وما دهْرِى (٨) بأن كُدِّرتُ فضلًا * ولكن ما لقيتُ من العَجيبِ

---

(١) كذا فى م ، ا وهو المناسب للمعنى . وفى ب ، س ، ح «عليك» . (٢) دهده الشيء : حدره من علو الى سفل تدحرجا .

(٣) أى لا أدع خصمك يخالف و يعاند ، يقال : فلان لزاز لفلان أى لا يدعه يخالفه و يعانده .

(٤) الذى فى جميع الأصول وشعراء النصرانية « لم أعدّد » بالدال المهملة وهو تحريف وما أثبتناه هو الوارد فى لسان العرب فى مادة « سلك » والتعريد : الاحجام والنكول يقال : عرّد الرجل عن قرنه اذا أحجم ونكل وفرّ . (٥) سلكوك أى أدخلوك ، وفى التنزيل : (كذلك سَلَكْنَاه فى قلوبِ المجرمينَ) أى أدخلناه . (٦) اللحاء : ما على العود من القشر . والعسيب : جريد النخل اذا نحى عنه خوصه . ولعل المراد أن الشرّ يبقى عنده مكتوما مستورا كما أن ما بين العصا ولحائها يكون مستورا عن أعين الناظرين . (٧) لم نجد للأريب معنى يناسب القدح ومن أسماء القداح "الرقيب" و بعضهم يسميه "الضريب" وكلاهما متفق مع هذه القافية ولم نجزم بالتحريف ؛ وقد وجدنا آرب على القوم : فاز عليهم وفلج . وأرب عليه : قوى ، وأرب الدهر يأرب إذا اشتدّ . فلعل وصف القدح بالأريب يرجع الى معنى الفوز . (٨) يقال : ما دهرى بكذا أى ما إرادتى وغايتى كذا . قال متمم بن نويرة :

لعمرى وما دهرى بتأبين هالكٍ * ولا جزَعًا مما أصاب فأوجعا

ألا مَنْ مُبلغُ النعمانِ عنّى * وقد تُهدَى[(١)] النَّصيحةُ بالمغيبِ
أحظّى كان سِلسلةً وقَيدًا * وغُلًّا والبيانُ لدى الطبيبِ
أتاكَ بأنّنى قد طالَ حبسِى * ولم تَسْأمْ بمسجونٍ حَرِيبِ[(٢)]
وبَيْتِى مُقْفِرٌ إلا نساءً[(٣)] * أراملَ قد هلَكْنَ من النّحيبِ
يُبَادِرْنَ الدموعَ على عَدِىٍّ * كَشَنٍّ[(٤)] خانَه خَرْزُ الرَّبِيبِ
يُحاذِرْنَ الوُشاةَ على عَدِىٍّ * وما آقترفُوا عليه من الذُّنوبِ
فإن أخطأتُ أو أوهمتُ أمرا * فقد يَهِمُ المصافِى بالحبيبِ
وإن أُظْلَمْ فقد عاقبتمُونِى * وإن أَظْلِمْ فذلكَ من نصيبِى
وإن أهلِكْ تجِدْ فَقدِى وتُخذَلْ * إذا التقَتِ العَوالِى فى الحروبِ
فهل لكَ أن تَدارَكَ ما لدينا * ولا تُغْلَبْ على الرأيِ المصيبِ
فإنى قد وَكَلْتُ اليومَ أمرِى * إلى ربٍّ قريبٍ مستجيبِ[(٥)]

قالوا : وقال فيه أيضا :

طال ذا الليلُ علينا وآعتكَرْ * وكأنى ناذرُ الصبحِ سَمَرْ
مِنْ نجِىِّ الهمِّ عندى ثاوِيًا * فوقَ ما أُعْلِنُ منه وأُسِرّْ
وكأنّ الليلَ فيه مِثْلُه * ولَقِدْمًا ظُنَّ بالليلِ القِصَرْ

---

(١) كذا فى م ، ا . وفى ب ، س ، حـ : « تهوى » بالواو وهو تحريف .

(٢) الحريب : الذى سلب ماله وعقاره .

(٣) كذا فى جميع النسخ . وورد هذا الشطر فى شعراء النصرانية هكذا « وبيتى مقفر الأرجاء فيه » .

(٤) الشنّ : الخلق من كل آنية صنعت من جلد . والربيب : من رب الأمر إذا أصلحه ، ومنه الربيبة للحاضنة لأنها تصلح الصبىّ وتقوم به . (٥) فى م ، ا : « سميع مستجيب » .

لم أُغَمِّضْ طـولَه حتى انقضى * أتمنّى لو أَرى الصُّبحَ جَشَـرْ (١)

غير ما عِشقٍ ولكن طارقٌ * خَلَسَ النومَ وأجـدانى (٢) السَّهَرْ

وفيها يقول :

أبلِـغ النُّعمانَ عَنِّى مَأْلُكًا (٣) * قولَ مَنْ قـد خاف ظَنًّا فاعتذَرْ

أنّنِى والله، فاقبَـلْ حَـلِفِى * لأَبِيـلٌ (٤) كُلَّمـا صَـلَّى جَأَرْ

مُرْعَـدٌ أحشاؤه فى هَيكَلٍ * حَسَنٌ لِمتهُ وافِى الشَّـعَرْ،

ما حَمَلْتُ الغِـلَّ مِن أعدائكم * ولَدَى الله مِنَ العِـلْمِ المُسُرْ

لا تكونَنَّ كآسِى (٥) عظمِه * بأَسًا حتى إذا العَظْـمُ جَـبَرْ

عَادَ بعـدَ الجَبْرِ يبغِى (٦) وَهْنَـهُ * يَنْحُونَّ المَشْىَ مِنـه فانكسَرْ

واذكُرِ النُّعمَى التى لم أنسَهـا * لكَ فى السَّعى إذا العبـدُ كَفَـرْ

---

(١) كذا فى ح . وجشر : طلع ، يقال : جشَر الصبحُ يجشُر جشورا أى طلع وانفلق . وفى أغلب النسخ : « حسر » بالسين المهملة . (٢) أجدانى : أعطانى .

(٣) المألك بفتح اللام وضمها : الرسالة لأنها تؤلك فى الفم (تلاك) ، قال ابن برّى : وقد يقال مألُكة ، وروى عن محمد بن يزيد أنه قال : مألُك جمع مألُكة . انظر اللسان مادة ألك . وقال البغدادى فى خزانة الأدب ص ٥٩٧ ج ٣ : والمألك بسكون الهمزة وضم اللام : الرسالة ، وقال الزجّاج : مألك جمع مألكة . (٤) كذا فى ب ، س ، ء وشعراء النصرانية . وفى سائر النسخ : « بأبيل » والأبيل : الراهب . ولعله يريد على الرواية الأولى أنه يحلف بالله كما يحلف الراهب إنه ما حمل الغل الخ ، وعلى الرواية الثانية يريد استحلافه بالله أن يقبل حلفه بأبيل موصوف بهذه الصفات إنه ما حمل الغل الخ . وقد أورد صاحب اللسان هذا البيت بالرواية الثانية هكذا :

إننى والله فاسمع حلفى * بأبيل كلما صلى جأر

ثم قال : « كانوا يعظمون الأبيل فيحلفون به كما يحلفون بالله » . (٥) الآسى : المداوى . والأسا : العلاج والمداواة . (٦) كذا فى ح ، أ ، م . وفى ب ، س وشعراء النصرانية : « ينعى » بالنون والعين ولم يظهر له معنى مناسب .

وقال له أيضا — وهى قصيدة طويلة — :

٢٦/٢ أبلــغ النُّعمانَ عنِّى مَأْلُكًا (١) * أنه قــد طال حَبسِى وٱنتِظارِى

لو بغــير المــاءِ حَلْقِى شَــرِقٌ * كنتُ كالغَصَّان بالمــاءِ ٱعتِصَارِى (٢)

ليتَ شِعرى عن دخيلٍ يفترِى * حيثما أدرك لَيــلِى ونَهــارِى

قاعِــدًا يكرُبُ (٣) نفسى بثُّهــا * وحرامًا كان سِجْنى واحتِصَــارِى (٤)

أَجْــلَ (٥) نُعمَى ربُّهــا (٦) أوَّلُكُمْ * ودُنُوِّى كان منكم وٱصْــطِهَارِى (٧)

---

(١) كذا فى م ، ا وشواهد التلخيص . وفى ب ، س ، حـ : «أننى» .. (٢) قال الجوهرى : الاعتصار : أن يَغَصّ الانسان بالطعام فيعتصر بالماء ، وهو أن يشرب به قليلا قليلا ليسيغه ، وأنشد هذا البيت . قال البغدادى فى الخزانة ج ٣ ص ٥٩٦ : وتحقيقه أن الاعتصار الالتجاء ، كما قاله أبو القاسم على بن حمزة البصرى فيما كتبه على النبات لأبى حنيفة الدينورى . وساق البغدادىّ كلام أبى القاسم هــذا بنصّه ، ثم قال : وقد صار البيت مثلا للتأذى ممن يرجى إحسانه . وقد أورد الميدانى فى مجمع الأمثال المثل : «لو بغير الماء غصصت» وقال : إنه يضرب لمن يوثق به ثم يؤتى الواثق من قِبَله ، واستشهد بهذا البيت .

(٣) يكرب نفسى بثها : يشتدّ عليها حزنها . (٤) كذا فى أغلب النسخ وشعراء النصرانية طبع بيروت ص ٤٥٤ ومعاهد التنصيص شرح شواهد التلخيص طبع بولاق ص ١٤٣ ، والظاهر من سياق الشعر أن المراد الحصر بمعنى الحبس . ولم نجد فى كتب اللغة هذه الصيغة بهذا المعنى سوى مافى قولهم : احتصر البعيرَ أى شدّه بالحصار وهو كساء يجعل حول سنامه ، أو مركب يركب به الراضة ، أو وسادة تلق عليه و يرفع مؤخرها فتجعل كآخرة الرحل و يحشى مقدّمها فتكون كقادمة الرحل . وفى حـ : «واحتقارى» بالقاف . و يحتمل أن تكون كلتا النسختين محرفتين عن : «واحتضارى» بمعنى موتى . (٥) أجل (بفتح الهمزة وكسرها) : كلمة تستعمل للتعليل ، وفى حديث المناجاة : «أجل أن يحزنه» أى من أجله ولأجله . وفى حديث آخر : «أن تقتل ولدك أجل أن يأكل معك» . (٦) ربها : رباها ونماها وتعهدها . (٧) كذا فى جميع النسخ والظاهر أن الشاعر يريد المصاهرة ، وسيأتى هذا البيت بهذا النص بعدُ فى صفحة ١٣٣ عقب رواية الأغانى أن عدىّ بن زيد كان زوج هنــد أخت النعمان أو بنته ، وأن عديا ذكر صهره هذا فى قصائده . ولكننا لم نجد فى كتب اللغة التى بأيدينا لاصطهر معنى سوى ما جاء فى قولهم : اصطهره أى أذابه وأكله . ولو قال : «وصِهارى» لصح المعنى واتزن البيت أيضا .

رواية المفضل الضبى فى سبب حبس النعمان عدىّ ابن زيد

فى قصائدَ كثيرةٍ كان يقولها فيه ويكتب بها إليه فلا تُغْنِى عنده شيئا . (هذه رواية الكلبىّ)(١) . وأما المفضَّل الضَّبِّىّ فانه ذكر أن عدىّ بن زيد لما قدم على النعمان صادفه لا مالَ عنده ولا أثاثَ ولا ما يَصْلُحُ لمَلِكٍ ؛ وكان آدمَ إخوته مَنْظَرًا وكلُّهم أكثر مالًا منه ؛ فقال له عدىّ : كيف أصنعُ بكَ ولا مال عندك ! فقال له النعمان : ما أعرف لك حيلةً إلا ما تعرفه أنت ؛ فقال له : قم بنا نَمْضِ الى آبن قَرْدَس(٢) — رجلٍ من أهل الحِيرة من دُومةَ — فأتياه ليقترضا منه مالًا ، فأبى أن يُقرِضَهما وقال : ما عندى شىء ، فأتيَا جابرَ بن شَمْعُون وهو الأُسْقُفُ أحد بنى الأَوْسِ بن قلّام بن بطين ابن جمهير(٣) بن لَحْيان من بنى الحارث بن كَعْب فآستقرضا منه مالا ، فأنزلها عنده ثلاثة أيام يذبح لهم ويَسقيهمُ الخمرَ ، فلما كان فى اليوم الرابع قال لهما : ما تريدان ؟ فقال له عدىّ : تُقرِضُنا أربعينَ ألف درهم يستعينُ بها النعمان على أمره عند كسرى ؛ فقال : لكما عندى ثمانون ألفا ، ثم أعطاهما إياها ؛ فقال النعمانُ لجابر : لا جَرَم(٤) لا جَرى لِى درهمٌ إلّا على يديْك إن أنا ملكت . قال : وجابر هو صاحبُ القَصْرِ الأبيض بالحِيرة ، ثم ذكر من قصة النعمانِ وإخوته وعدىّ وآبنِ مَرِينَا مثلَ ما ذكره آبن الكَلْبىّ . وقال المفضَّل خاصّةً : إن سببَ حبس النعمان عدىَّ بنَ زيد ، أنّ عديا صنعَ ذاتَ يوم طعاما للنعمان ، وسأله أن يركبَ إليه ويتغدّى عنده هو وأصحابه ، فركب النعمانُ إليه فاعترضه عدىّ بن مَرِينا فاحتبسَه حتى تغدّى عنده هو وأصحابُه وشربوا حتى ثَمِلُوا ،

---

(١) هذه الجملة وقعت فى ب ، س عقب الأبيات مباشرة وقبل قوله « فى قصائد كثيرة » .

(٢) كذا وقع هذا الاسم فى ب ، س ، ح بالقاف . وجاء فى أ ، م : «فردس» بالفاء . ولم نهتد الى تصحيحه .

(٣) كذا فى ب ، س . وفى ح ، أ ، م : «جهير» بصيغة التصغير .

(٤) تستعمل هذه الكلمة فى الأصل بمعنى لا بدّ ولا محالة ، وكثر استعمالها فى هذا المعنى حتى تحوّلت الى معنى القسم . قال صاحب اللسان فى مادة جرم : والعرب تقول : لا جرم لآتينّك ، ولا جرم لقد أحسنت ، فتراها بمنزلة اليمين .

ثم ركب إلى عدىّ ولا فَضْلَ فيه، فأحفظه (١) ذلك، ورأى فى وجه عدى الكراهةَ، فقام فركب ورجع إلى منزله؛ فقال عدىّ بن زيد فى ذلك من فعل النعمان :

أَحَسِبْتَ مجلِسَنا وحُسْـ ـنَ حديثِنا يُودِى بمالِكْ
فالمـالُ والأهلون مَصْـ ـرَعَةٌ لأَمرِكَ أو نَكالِكْ
ما تأمُرَنْ (٢) فينا فأَمْـ ـرُكَ فى يمينكَ أو شِمالِكْ

قال : وأرسل النعمانُ ذات يوم إلى عدىّ بن زيد فأبى أن يأتيَه ثم أعاد رسولَه فأبى أن يأتيَه، وقد كان النعمان شَرِب فغضِبَ وأمر به فسُحِبَ من منزله حتى آنتُهِىَ به إليه، فحبسه فى الصِّنِّينِ (٣) ولجّ فى حبسه وعدىّ يرسل إليه بالشعر، فما قاله له :

لَيسَ شَىْءٌ على المَنونِ بباقِ * غيرُ وجه المسبِّح الخـلّاقِ
إن نكُنْ آمنينَ فاجانا شَرٌّ * مُصيبٌ ذا الوُدِّ والإشفاقِ
فبرىءٌ صدرِى من الظلم للرَّ * بِّ وحِنثٍ بمُعْقَدِ (٤) الميثاقِ
٢٧ / ٢ ولقد ساءنى زيارةُ ذى قُر * بَى حبيبٍ لوُدِّنا مُشتاقِ
ساءه ما بنا تبيَّنَ فى الأيـ (٥) ـدى وإشناقُها (٦) إلى الأعناقِ
فآذهبِى يا أُمَيمَ غيرَ بعيدٍ * لايُؤاتِى العِناقُ مَنْ فى الوَثاقِ (٧)

(١) أحفظه : أغضبه . (٢) كذا فى أغلب النسخ . وفى حـ : « ما تأمر فينا » . (٣) الصِّنِّين : بلد كان بظاهر الكوفة من منازل المنذر، وبه نهر ومزارع . (٤) كذا فى شعراء النصرانية . وعقد الميثاق وعقده بالتشديد : أكده . ولم نجد فى كتب اللغة أعقد الميثاق بالهمز . وليس هو من باب القاصر الذى يتعدى بالهمزة حتى يقال إن التعدية فيه قياسية ولعله « بمعقد الميثاق » على أنه مصدر ميمى يراد به عقده . (٥) كذا فى جميع الأصول ولسان العرب مادة شنق . وفى اللسان مادة يدى :

ساءها ما تأملت فى أياديـ * ـنا وإشناقها الى الأعناق

(٦) الإشناق : أن تغل اليد الى العنق . (٧) سيأتى هذا البيت فى قصيدة منسوبة لمهلهل ابن ربيعة هكذا :

فاذهبى ما اليك غير بعيد * لا يؤاتى العناق من فى الوثاق

انظر ص ١٤٨ ج ٤ من الأغانى طبع بولاق .

وَٱذْهَبِى يا أُمَيمَ إن يشأ اللّه * يُنَفِّسْ مِن أَزْمِ(1) هذا الخِناقِ
أو تكنْ وِجهةٌ فتلكَ سبيلُ النـاس * لا تَمنعُ الحتـوفَ الرَّواقِى(2)

ويقول فيها :

وتقول العُـداةُ أَوْدَى عدىٌّ * وبنـوه قد أيقنوا بغَـلاقِ(3)
يا أبا مُسْهِرٍ فأبلِـغْ رسـولا * إخوتى إن أتيتَ صَحْنَ العِراقِ
أبلِغَا(4) عامرًا وأبلِـغْ أخاه * أنّنى مُـوثَقٌ شـديدُ وِثاقِى(5)
فى حديد القِسْطاس(6) يرقُبنى الحا * رِسُ والمـرءُ كلَّ شىء يُلاقِى
فى حديدٍ مُضاعَفٍ وغُـلُولٍ * وثيابٍ مُنَضَّحاتٍ(7) خِـلاقِ
فاركبُوا فى الحرام فُكُّوا أخاكم * إنّ عِيرًا(8) قد جُهِّزَتْ لانطلاقِ

يعنى الشهرَ الحرام . قالوا جميعا : وخرج النعمانُ إلى البحرين ، فأقبل رجل من غَسّانَ فأصاب فى الحِيرة ما أحب ؛ ويقال : إنه جَفْنة(9) بن النُّعْمان الجَفْنِىّ ، فقال عدىّ بنُ زيد فى ذلك :

---

(1) الأزم : الشدّة . (2) الرواق : جمع راقية وصفا لأمرأة أو وصفا لرجل والهاء للبالغة وهو من رقى يرقى رقية اذا عوّذ ونفث فى عوذته . (3) كذا فى حـ بالغين المعجمة وهو اسم من إغلاق القاتل وهو إسلامه الى ولىّ المقتول فيحكم فى دمه ما شاء . وقد أورد صاحب اللسان فى مادة غلق هذا المعنى وآستشهد عليه بالبيت . وفى سائر النسخ وشعراء النصرانية : «بعلاق» بالعين المهملة وليس له معنى الّا أن يكون اسم مصدر لأعلق أى أورد عليه العلوق وهى الداهية ، ومنه حديث البخارى : «علام تدغرْنَ أولادكنّ بهذا العلاق» فقد حمل العلاق هنا على أنه اسم مصدر لأعلق أى أورد عليه العلوق . انظر اللسان وتاج العروس ونهاية ابن الأثير مادة علق وشرح القسطلانى للبخارى ج ٨ ص ٤٤٨ طبع بولاق . (4) كذا فى أغلب النسخ ، وأصله أبلغن بنون التوكيد الخفيفة فأبدلت ألفا كقوله :
* قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل * على أحد الوجوه فيه . وفى حـ : «أبلغن» . (5) فى حـ : «شديد الوثاق» بالتعريف . (6) القسطاس : أعدل الموازين وأقومها ، وقيل هو القَبَّانُ . وقد أورد صاحب اللسان هذا البيت ونقل عن الليث أنه قال مفسرا لقوله : «فى حديد القسطاس» : أُرَاه حديد القبّان .
(7) كذا فى جميع الأصول وشعراء النصرانية ولم نر لها معنى واضحا . ولعلها «منصحات» بالصاد المهملة من نصح الثوب اذا خاطه وان كنا لم نجد فى المصادر التى بين أيدينا «نصح» بالتشديد . ولعل الفعل ضعف للدلالة على كثرة ما بالثياب من ترقيع لبلاها وقدمها . (8) العير : القافلة ، وقيل العير : الإبل التى تحمل الميرة .
(9) كذا فى حـ ، م وتاريخ ابن جرير الطبرى قسم ١ ص ١٠٢١ وفى باقى الأصول : «جحبة» بالباء والعين .

سما صقرٌ فأشعلَ جانبيها * وألهاكَ المروِّحُ والعَزِيبُ

المروّح: الإبل المروّحة إلى أعطانها. والعَزيبُ: ماتُرِكَ فى مراعيه

وثبن لدى الثَّوِيَّة(1) مُلْجَمات * وصبَّحنَ العِبادَ(2) وهنَّ شِيبُ

ألا تلكَ الغنيمةُ لا إفالٌ(3) * تُرجِّيها مُسَوَّمةٌ ونِيبُ(4)

تُرجِّيها وقد صابتْ بِقُرٍّ(5) * كما ترجو أصاغرَها عَتِيبُ(6)

لما طال سجنه كتب الى أخيه فى ذلك شعرا فأجابه

وقالوا جميعا: فلما طال سجنُ عدىّ بن زيد كتب إلى أخيه أُبَىّ وهو مع كسرى بهذا الشعر:

أَبلغْ أُبَيًّا على نأيِهِ * وهل ينفعُ المرءَ ماقد عَلِمْ

بأنّ أخاكَ شقيقَ الفُؤا(7) * دِ كنتَ به واثقا ماسَلِمْ

لَدَى مَلِكٍ مُوثَقٌ فى الحديـ * ـدِ إمّا بحقٍّ وإمّا ظُلِمْ

---

(1) الثوية بالفتح ثم الكسر وياء مشددة، ويقال: الثوية بالتصغير: موضع قريب من الكوفة أو بالكوفة، وقيل خريبة الى جانب الحيرة على ساعة منها. ذكر العلماء أنها كانت سجنا للنعمان بن المنذر كان يحبس بها من أراد قتله، وكان يقال لمن حبس بها: ثوى أى أقام فسميت الثوية بذلك. انظر معجم ياقوت فى اسم «الثوية». وفى ب، سـ: «المثوبة» بالباء، وهو تحريف. (2) العباد ــ بكسر العين وقيل بفتحها ــ: قوم من قبائل شتى من بطون العرب اجتمعوا على النصرانية ونزلوا بالحيرة. (3) الإفال: صغار الإبل، بنات المخاض ونحوها. وقال ابن سيدة: والأفيل: ابن المخاض فما فوقه. والأفيل: الفصيل والجمع إفال. (4) النيب: جمع ناب وقيل جمع نَيوب، والناب والنيوب: الناقة المسنة، سموها بذلك حين طال نابها وعظم. (5) كذا فى جميع الأصول. وصابت من الصوب وهو النزول. والقر: القرار أى نزل الأمر فى قراره فلا يستطاع له تحويل. وفى اللسان مادة قرر وتنشد * ترجيها وقد وقعت بقر * والعرب يقولون: «صابت بقر» و«وقعت بقر» وهو مثل يضرب عند شدة تصيب القوم، أى صارت الشدة فى قرارها. (6) قال ياقوت فى المعجم فى الكلام على «عتيب» بعد أن ضبطه بفتح أوله وكسر ثانيه: جفرة عتيب بالبصرة إحدى محالها تنسب الى عَتِيب بن عمرو من بنى قاسط بن هنب، وكان قد أغار عليهم بعض الملوك فقتل جميع رجالهم فكانت النساء تقول: اذا كبر صبياننا أخذوا بثأر رجالنا فلم يكن ذلك فقال عدىّ بن زيد هذا البيت. (7) فى أ، م: «ورأيها».

فلا أُعْرِفَنْكَ كذات الغلا(١) * م مالم تجِدْ عارِمًا(٢) تَعْتَرِم(٣)
فارضَكَ أرضَكَ إن تأتِنَا * تَنَمْ نومةً(٤) ليس فيها حُلُمْ

قال : فكتب إليه أخوه أبىّ :

إن يكن خانك الزمانُ فلا عا * جِزُ باعٍ(٥) ولا أَلَفٌّ(٦) ضَعيفُ
ويمينِ الإلٰه لو أنّ جأْوا * ءَ(٧) طَحُونا تُضِىءُ فيها السيوفُ
ذاتَ رِزٍّ(٨) مجتابةً غمـرةَ المو * تِ صحيحٌ سِرْبالُها مكفُوفُ(٩)
كنتَ فى حَمْيِها لجئتُكَ أسعى * فاعلمن لوسمعتُ إذ تَستَضيفُ(١٠)
أو بمالٍ سألتَ(١١) دونكَ لم يُمْـ * ـنَعْ تِلادٌ لحاجةٍ أو طَرِيفُ

(١) الذى فى جميع الأصول : «كذاب» والصواب ما أثبتناه وهى رواية الأزهرى فى مادة عرم فى لسان العرب . وقال صاحب اللسان : أراد بذات الغلام الام المرضع . ورواية صاحب اللسان «فلا تُلفين كأم الغلام» . (٢) عارما : راضعا يقال : عرم الصبىّ أمه عرما : رضعها . (٣) تعترم يقال : اعترم الصبىّ ثدى أمه أى مصّه واعترمت هى أى تبغَّت من يعرمها ، وقد أورد صاحب اللسان البيت وقال فى معناه : إن لم تجد من ترضعه درّت هى فحلبت ثديها وربما رضعته ثم مجته من فيها . وقال ابن الأعرابى : إنما يقال هذا للتكاف ما ليس من شأنه . وقال الأزهرىّ : معناه لا تكن كمن يهجو نفسه اذا لم يجد من يهجوه . انظر اللسان مادة «عرم» . (٤) كذا فى حـ ، م ، أ وتاريخ ابن جرير الطبرى قسم ١ ص ١٠٢١ وفى ب ، س وشعراء النصرانية : «تنم ليلة» .

(٥) فى جميع الأصول : «باغ» بالغين المعجمة وهو تحريف .

(٦) كذا فى حـ ، م ، أ وتاريخ ابن جرير الطبرى قسم ١ ص ١٠٢١ ؛ والألف : الثقيل البطىء ، ويقال : البطىء الكلام اذا تكلم ملأ لسانه فه . وفى ب ، س : «أليف» وهو تحريف .

(٧) الجأواء : وصف للكتيبة يقال : كتيبة جأواء أى بيّنة الجأى وهى التى يعلو لونها السوادُ لكثرة الدروع ؛ وفى ب ، س : «لو أنهم جاءوا» وهو تحريف . والطحون : الكتيبة العظيمة تطحن ما لقيت .

(٨) الرز : الصوت يسمع من بعيد . (٩) كذا فى م ، أ وتاريخ ابن جرير الطبرى وشعراء النصرانية . والسربال : القميص . والمكفوف من كففت الثوب اذا خطت حاشيته . وفى ب ، س «ملفوف» وهو تحريف . (١٠) تستضيف : تستجير . (١١) كذا فى ب ، س . وفى بقية النسخ وتاريخ الطبرى وشعراء النصرانية : «سُئلتُ» بالبناء للمجهول .

٢٨/٢

أو بأرضٍ أسـتطيعُ آتيكَ فيها * لم يَهُلْنِي بُعْـدٌ[1] بها أو مَخُوفُ
إن تَفُتْنِي واللهِ إلْفًـا بجُـوعًا * لا يُعَقِّبْكَ[2] ما يَصوبُ الخريفُ
فى الأعادى وأنتَ منِّى بعيـدٌ * عزَّ[3] هـذا الزمانُ والتعْنيفُ
ولَعَمْـرى لئن جزِعتُ عليـه * لجزوعٌ على الصديق أسُوفُ
ولَعَمْرى لئن ملكتُ عَزائِى * لقليـلٌ شَرْوَاكَ[4] فيما أطُـوفُ

أمر كسرى النعمان بإطلاق عدىّ فقتله قبل وصول الرسول إليـه

قالوا جميعا : فلمـا قرأ أبىّ كتاب عدىّ قام إلى كسرى فكلمـه فى أمره وعرّفه خبَرَه، فكتب إلى النعمان يأمره بإطلاقه، وبعث معه رجلا ؛ وكتب خليفة النعمان إليه : إنه قد كُتِب إليك فى أمره، فأتى النعمانَ أعداءُ عدىّ من بنى بُقَيْلَة[5] وهم من غسّانَ، فقالوا له : اقتُـله الساعةَ فأبى عليهم، وجاء الرسولُ، وقد كان أخو عدىّ تقدّم إليه ورشاه وأمره أن يبدأ بعدىّ فيدخلَ إليه وهو محبوس بالصِّنِّين، فقال له : آدخل عليه فآنظر ما يأمرك به فآمتثله، فدخل الرسولُ على عدىٍّ، فقال له : إنى قد جئتُ بإرسالك، فما عندك؟ قال : عندى الذى تُحِبُّ ووعَدَه بعِدَةٍ سنيّةٍ، وقال له : لا تخرُجَنّ من عندى وأعطنى الكتابَ حتى أُرسلَه إليه، فإنك والله إن خرجتَ من عندى لأُقتلَنّ، فقال : لا أستطيعُ إلا أن آتىَ الملك بالكتاب فأوصلَه إليه، فآنطلق بعضُ مَنْ كان هناكَ من أعدائه فأخبرَ النعمانَ أن رسولَ كسرى دخل على عدىّ وهو

(١) كذا فى أغلب النسخ وشعراء النصرانية . وفى تاريخ الطبرى قسم ١ ص ١٠٢٢ : « بعيدها أو مخوف » . (٢) كذا فى تاريخ الطبرى . وفى ب ، سـ وشعراء النصرانيّة :

إن يعنِّ والله إلف بجوع * لا يغنيك ما يصوب الخريف

وقد اضطربت بقية الأصول فى بعض كلمات من هذا البيت ، وأقوم هذه الروايات ما أثبتناه فى الأصل

(٣) كذا فى أغلب النسخ . وفى م ، ا : « غز » .

(٤) شرْواك : مِثْلُكَ . (٥) كذا فى حـ وتاريخ الطبرى قسم ١ ص ١٠٢٣ ؛ وبُقَيْلَة : بطن من الحيرة . وفى باقى النسخ : « نفيلة » بالنون والفاء وهو تحريف .

ذاهبٌ به ، وإن فعلَ واللهِ لم يَسْتبقِ منّا أحدا أنتَ ولا غيرَك ، فبعث إليه النعمانُ أعداءه فغمّوه[١] حتى مات ثم دفنوه . ودخل الرسولُ إلى النعمان فأوصل الكتابَ إليه ، فقال : نَعَمْ وكرامةً ، وأمر له بأربعة آلاف مثقال ذهبًا وجاريةٍ حسناء ، وقال له : إذا أصبحتَ فادخل أنتَ بنفسك فأَخرِجْه ، فلما أصبح ركِبَ فدخلَ السجنَ ، فأعلمَه الحرسُ أنه قد مات منذ أيامٍ ولم نجترئ على إخبار الملك خوفًا منه ، وقد عرفنا كراهته لموته . فرجع إلى النعمان ، وقال له : إنى كنت أمسِ دخلتُ على عدىّ وهو حىّ ، وجئتُ اليوم فجَحَدَنِى[٢] السَّجّانُ وبهَتَنِى[٣] ، وذكر أنه قد مات منذُ أيامٍ . فقال له النعمان : أيبعثُ بكَ الملكُ إلىّ فتدخلَ إليه قبلى ! كذبتَ ، ولكنّكَ أردتَ الرشوةَ والخبثَ ، فتهدّده ثم زاده جائزة وأكرمه ، وتوثّق منه ألّا يخبر كسرى إلا أنه قد مات قبل أن يقدَمَ عليه . فرجع الرسولُ إلى كسرى ، وقال : إنى وجدتُ عديّا قد مات قبل أن أدخل عليه . ونَدِم النعمان على قتل عدىّ وعرف أنه احتيل عليه فى أمره ، واجترأ أعداؤه عليه وهابَهم هيبةً شديدةً .

مدح النعمان لدى كسرى زيد بن عدى فاتخذه كاتبا

ثم إنه خرج إلى صيده ذات يوم فلقى ابنا لعدىّ يقال له زيد ، فلما رآه عرف شبهَهُ ، فقال له : مَنْ أنت ؟ فقال : أنا زيد بن عدىّ بن زيد ، فكلّمه فإذا غلام ظريفٌ ، ففرح به فرحا شديدا وقرّبه وأعطاه ووصله واعتذر إليه من أمر أبيه وجهّزه[٤] ، ثم كتب إلى كسرى : إنّ عديّا كان ممن أُعِينَ به الملكُ فى نُصحه ولُبّه ، فأصابه ما لا بدّ منه وانقطعت مُدّتُه وانقضى أجله ، ولم يُصَبْ به أحدٌ أشدّ من مصيبتى ، وأما الملكُ فلم يكن ليَفقِدَ رجلا إلا جعل الله له منه خَلَفا لِمَا عظّم اللهُ من ملكه وشأنه ، وقد بلغ ابن له ليس بدونه ، رأيته يصلُحُ لخدمة الملِك فسرَّحته إليه ، فإن رأى الملِكُ أن يجعله مكانَ أبيه فليفعَلْ وليصرفْ عمَّه عن ذلك إلى عملٍ آخر . وكان هو

---

(١) يريد أنهم غطوا وجهه بشىء حتى اختنق . (٢) كذا فى م ، ا ، ح . وفى بقية النسخ « فجزنى » . (٣) بهت الرجل : قابله بكذب . (٤) جهزه : أعد له معدات السفر .

الذى يلى المكاتبةَ عن الملك إلى ملوك العرب فى أمورها وفى خواصّ أمور الملك . وكانت له من العرب وظيفةٌ موظَّفةٌ فى كل سنة: مُهْرانِ أشقرانِ يُجعلَانِ له هُلَامًا[1]، والكَمْأةُ الرَّطْبةُ فى حينها واليابسةُ والأَقِطُ والأُدْمُ وسائرُ تجارات العرب ؛ فكان زيدُ بن عدىّ يلى ذلك له وكان هذا عملَ عدىّ . فلما وقع زيد بن عدىّ عند الملك هذا الموقعَ سأله كسرى عن النعمان، فأحسنَ الثناءَ عليه . ومكث على ذلك سنوات على الأمر الذى كان أبوه عليه . وأُعجِبَ به كسرى ، فكان يكثر الدخول عليه والخدمة له .

كيد زيد بن عدىّ للنعمان عند كسرى حتى غضب عليه فقتله

وكانت لملوك العجم صفةٌ من النساء مكتوبةٌ عندهم ، فكانوا يبعثون فى تلك الأَرَضِينَ بتلك الصفة، فإذا وُجِدَتْ حُمِلَتْ إلى الملك ، غير أنهم لم يكونوا يطلبونها فى أرض العرب ولا يظنونها عندهم . ثم إنه بدا للملك فى طلب تلك الصفة ، وأمر فكُتِب بها إلى النواحى ، ودخل إليه زيد بن عدىّ وهو فى ذلك القول ، فخاطبه فيما دخل إليه فيه ، ثم قال : إنى رأيت الملك قد كتب فى نسوة يُطلَبنَ له وقرأتُ الصفةَ ، وقد كنت بآل المنذر عارفا ، وعند عبدك النعمانِ من بناته وأخواته وبنات عمه وأهله أكثرُ من عشرين امرأة على هذه الصفة ؛ قال : فاكتب فيهنّ ؛ قال : أيها الملك ، إنّ شرّ شىء فى العرب وفى النعمان خاصّةً أنهم يتكرّمون — زعموا فى أنفسهم — عن العجم ، فأنا أكره أن يُغَيِّبهنّ عمن تبعث إليه أو يَعرِضَ عليه غيرَهنّ ، وإن قدِمتُ أنا عليه لم يقدر على ذلك ، فابعثنى وابعث معى رجلا من ثِقاتك يفهم العربيةَ حتى أبلغَ ما تحبّه ؛ فبعث معه رجلا جَلْدا فَهِمًا ، فخرج به زيد ، فجعل يكرم الرجلَ ويُلْطِفُه حتى بلغ الحِيرةَ ، فلما دخل عليه أعظم الملكَ وقال : إنه قد احتاج إلى نساء لنفسه وولده وأهل بيته ، وأراد كرامتكَ بصِهْره فبعث إليكَ ؛ فقال : ما هؤلاء النِّسوة ؟

---

(١) كذا فى جميع الأصول وشعراء النصرانية . والهُلَام كغراب : مرق السِّكْبَاج المبرّد المصفّى من الدهن ؛ والسكباج : لحم يطبخ بخلّ .

فقال: هــذه صفتُهنّ قد جئنا بهـا . وكانتِ الصفةُ أن المنذر الأكبر أهـدَى إلى أَنُوشِرْوانَ جاريةً كان أصابها إذ أغار على الحارث الأكبر بن أبى شِمر الغَسّانىّ، فكتب إلى أَنُوشِروانَ بصفتها، وقال: إنى قد وجّهتُ إلى الملك جاريةً معتدلةَ الخَلْق، نقيّةَ اللون والثغر، بيضاءَ قمراءَ وَطْفاءَ (١) كَحْلاءَ دَعْجاءَ (٢) حَوْراءَ عَيْناءَ قَنْواءَ (٣) شَمّاءَ (٤) بَرْجاءَ (٥) زَجّاءَ (٦) أَسِيلةَ الخدّ، شهيّةَ المقبَّل، جَثْلةَ (٧) الشَّعَر، عظيمةَ الهامة، بعيدةَ مَهْوَى القُرط، عَيْطاءَ (٨)، عريضةَ الصدر، كاعبَ الثدى، ضخمةَ مُشَاشِ المَنْكِب والعضد، حسنةَ المِعصم، لطيفةَ الكفّ، سَبْطَةَ البَنَان، ضامرةَ البطن، خَمِيصةَ الخَصْر، غَرْثَى (٩) الوِشاح، رَدَاحَ (١٠) الأقبال، رابيةَ الكَفَل، لَفّاءَ (١١) الفخذين، ريّا الروادِف، ضخمةَ المأْكَمَتين (١٢)، مُفعَمةَ (١٣) الساق، مُشبعةَ (١٤) الخَلْخال، لطيفةَ الكعب والقدم، قَطُوفَ (١٥) المشى، مِكسالَ (١٦) الضُّحَى، بَضّةَ (١٧) المتجرَّد، سَمُوعًا للسيّد، ليستْ بخنساءَ (١٨) ولا سَفْعاءَ (١٩)، رقيقةَ الأنف،

(١) الوطفاء: غزيرة الأهداب وشعر الحاجبين . (٢) الدعج: شدّة سواد العين وشدّة بياض بياضها . (٣) القنواء: وصف من القنا وهو ارتفاع فى أعلى الأنف واحديداب فى وسطه وسبوغ فى طرفه . (٤) الشمم فى الأنف: ارتفاع القصبة وحسنها (٥) البرجاء: الجميلة الحسنة الوجه . (٦) الزجاء: دقيقة الحاجبين فى طول . (٧) الجثلة: كثيفة الشعر سوداؤه . (٨) العيطاء: الطويلة العنق . (٩) غرثى الوشاح: دقيقة الخصر . (١٠) الرداح: العجزاء الثقيلة الأوراك التامة الخلق . والأقبال: ما استقبلك من مشرف والواحد قَبَل (١١) لفاء: ضخمة الفخذين مكتنزة . (١٢) المأكتان: اللحمتان اللتان على رءوس الوركين، الواحدة مأكمة . (١٣) مفعمة الساق: ممتلئتها . (١٤) مشبعة الخلخال: كناية عن السمن، وفى اللسان: امرأة شبعى الخلخال: ملأى سمنا . (١٥) القطوف: وصف من القطاف وهو تقارب الخطو . (١٦) المكسال: المرأة التى لا تكاد تبرح مجلسها، وهو مدح لها مثل نؤوم الضحى . (١٧) البضة: الناعمة، يقال: امرأة بضة المتجرَّد بالفتح أى بضة عند التجرّد، فالمتجرّد على هذا مصدر . ومن قال: بضة المتجرِّد بالكسر أراد الجسم . (١٨) الخنساء من الخنس وهو تأخر الأنف الى الرأس وارتفاعه عن الشفة وليس بطويل ولا مشرف، وقيل هو قريب من الفطس وهو لصوق القصبة بالوجنة وضخم الأرنبة . (١٩) السفعاء من السفع وهو السواد، وفى الحديث: «أنا وسفعاء الخدّين الحانية على ولدها يوم القيامة كهاتين» وضم أصابعه، أراد بسفعاء الخدّين أنها بذلت نفسها وتركت الزينة والترفه حتى شحب لونها واسودّ، إقامة على ولدها بعد وفاة زوجها .

عزيزة النفس[١]، لم تُغَذَّ فى بؤس، حيية رَزِينة، حليمة رَكينة، كريمة الخال، تقتصر على نسب أبيها دون فصيلتها، وتستغنى بفصيلتها دون جماع قبيلتها، قد أحكمتها الأمورُ فى الأدب، فرأيُها رأىُ أهل الشرف، وعملُها عمَلُ أهل الحاجة، صَنَاع الكفَّين، قَطِيعة اللسان[٢]، رَهْوَة الصوت[٣] ساكنته، تَزِينُ الولىَّ، وتَشِينُ العدوَّ، إن أردتَها اشتهت، وإن تركتَها انتهت، مُحَمْلِق[٤] عيناها، وتحمرُّ وجنتاها، وتَذَبْذَبُ شفتاها، وتبادِرُكَ الوثبة إذا قمتَ، ولا تجلسُ إلا بأمرك إذا جلستَ. قال: فقبِلَها أنوشِروانُ وأمر بإثباتِ هذه الصفةِ فى دواوينه، فلم يزالوا يتوارثونها حتى أفضى ذلك إلى كِسْرى بن هُرْمُز. فقرأ زيد هذه الصفة على النعمان، فشقت عليه، وقال لزيد والرسولُ يسمع: أما فى مَهَا السَّواد وعِين فارسَ ما يبلُغ به كسرى حاجتَه! فقال الرسول لزيد بالفارسية: ما المَهَا والعِينُ؟ فقال له بالفارسية: كاوان أى البقر؛ فأمسك الرسولُ. وقال زيد للنعمان: إنما أراد الملكُ كرامتَكَ، ولو علم أنّ هذا يشُقُّ عليكَ لم يكتُبْ إليكَ به. فأنزلهما يومين عنده، ثم كتب إلى كسرى: إن الذى طلب الملكُ ليس عندى، وقال لزيد: اعذِرْنى عند الملكِ. فلما رجعا إلى كسرى؛ قال زيدٌ للرسول الذى قَدِم معه: اصْدُقِ الملكَ عما سمعتَ، فإنى ساحدّثه بمثل حديثك ولا أُخالفكَ فيه. فلما دخلا على كسرى، قال زيدٌ: هذا كتابه إليك، فقرأه عليه. فقال له كسرى: وأين الذى كنت خبَّرتنى به؟ قال: قد كنتُ خبَّرتُكَ بِضَنَّتِهم بنسائهم على غيرهم، وإنّ ذلك من شقائهم واختيارهم الجوعَ والعُرْىَ على الشِّبَع

---

(١) كذا فى أغلب النسخ. وفى حـ: «عزيزة النَّفَر» بالراء. (٢) كذا فى جميع الأصول بهاء التأنيث، وجاء فى اللسان والقاموس: وامرأة قطيع الكلام بغير هاء اذا لم تكن سليطة.

(٣) كذا فى م. ورهوة الصوت: رقيقته سهلته. وفى باقى النسخ: «زهوة» بالزاى ولم يظهر له معنى مناسب. (٤) فى اللسان: والمحملق من الأعين: ما حول مقلتيها بياض لم يخالطه سواد.

والرِّياشِ، وإيثارهم السَّمومَ والرياحَ على طِيب أرضكَ هذه، حتى إنهم ليسمّونها السّجنَ، فسَلْ هذا الرسولَ الذى كان معى عمّا قال، فإنى أُكْرِمُ الملكَ عن مشافهته بما قال وأجاب به. قال للرسولِ: وما قال؟ فقال له الرسولُ: أيها الملكُ، إنه قال: أمَا كان فى بقَرِ السواد وفارسَ ما يكفيه حتى يطلبَ ما عندنا، فعُرِف الغضبُ فى وجهه، ووقَع فى قلبه منه ما وقع، لكنّه لم يزد على أن قال: رُبَّ عبدٍ قد أراد ما هو أشدُّ من هذا ثم صار أمره إلى التَّباب. وشاع هذا الكلامُ حتى بلغ النعمانَ، وسكتَ كسرى أشهرًا على ذلك. وجعل النعمانُ يستعدّ ويتوقّعُ حتى أتاه كتابُه: أنْ أَقبِلْ فإن للملِكِ حاجةً إليك، فانطلق حين أتاه كتابُه، فحمل سلاحَه وما قوِىَ عليه، ثم لحق بجبلَىْ طَيِّئ وكانت فَرْعَةُ[1] بنتُ سعد بن حارِثة بن لَأْم عنده، وقد ولدت له رجلا وامرأة، وكانت أيضا عنده زينبُ بنتُ أوس بنِ حارثةَ، فأرادَ النعمانُ طيّئا على أن يُدخِلوه الجبلين ويمنعوه فأبَوْا ذلك عليه، وقالوا له: لولا صِهرُكَ لقتلناكَ، فإنه لا حاجة بنا إلى مُعاداة كسرى، ولا طاقةَ لنا به. وأقبل يطوف على قبائلِ العرب ليس أحدٌ منهم يقبلُه، غيرَ أنّ بنى رَوَاحةَ بنِ قُطَيعةَ بن عَبْسٍ قالوا: إن شئتَ قاتلنا معك، لِمنّة كانت له عندهم فى أمر مروانِ القَرَظ[2]، قال: ما أُحبُّ أنْ أُهلِكَكُم، فإنه لا طاقة لكم بكِسْرَى. فأقبل حتى نزل بذى قارٍ[3] فى بَنِى شَيْبانَ سِرًا، فلقِىَ هانئَ آبنَ قَبِيصة، وقيل بل هانئ بن مسعود بن عامر بن عمرو بن أبى ربيعةَ بن ذُهلِ

استجارة النعمان بسادات العرب ثم تسليمه نفسه لكسرى

---

(١) كذا فى تاريخ الطبرى قسم ١ ص ١٠٢٧ وشعراء النصرانية والأغانى طبع بولاق ج ٢٠ ص ١٣، وفى أ، م: «قرعة» بالقاف والراء. وفى ب، س: «قزعة» بالقاف والزاى.

(٢) هو مروان بن زنباع العبسى، أضيف الى القرظ لأنه كان يغزو اليمن وبها منبته، أو لأنه كان يحمى القرظ لعزته. ويضرب به المثل فى العزة فيقال: «أعز من مروان».

(٣) ذو قار: ماء لبكر بن وائل قريب من الكوفة بينها وبين واسط، وفيه كانت الوقعة المشهورة بين بكر بن وائل والفرس.

ابن شيبان، وكان سيدًا منيعًا، والبيتُ يومئذ من رَبيعة فى آلِ ذِى الجَدين لقَيس ابن مسعود بن قيس بن خالد ذى الجَدّين[١]، وكان كسرى قد أطعم قيسَ بنَ مسعود الأُبُلَّة[٢]، فكره النعمانُ أن يدفع إليه أهلَه لذلك، وعلم أن هانئًا يمنعه مما يمنع منه نفسَه.

وقال حَمّاد الراويةُ فى خبره : إنه إنما آستجار بهانئ كما آستجار بغيره فأجاره، وقال له : قد لزمني ذِمامُكَ وأنا مانِعُكَ مما أمنع نفسى وأهلى وولدى منه مابقى من عشيرتى الأَدْنَيْنَ رجلٌ، وإن ذلك غيرُ نافِعكَ لأنه مُهلِكِي ومُهلِكُكَ، وعندى رأىٌ لكَ، لستُ أُشير به عليك لأدفعكَ عما تريده من مجاورتى ولكنه الصوابُ؛ فقال : هَاتِه؛ فقال : إن كلَّ أمرٍ يجمُلُ بالرجل أن يكون عليه إلا أن يكون بعد المُلْكِ سُوقَةً، والموت نازلٌ بكل أحدٍ، ولأَنْ تموتَ كريمًا خيرٌ من أن تتجرَّعَ الذلَّ أو تبقى سُوقَةً بعد المُلْكِ، هذا إن بقيتَ، فآمضِ إلى صاحبك وآحمل إليه هدايا ومالًا وأَلْقِ نفسَكَ بين يديه، فإمّا أن صفح عنك فعُدتَ مَلِكًا عزيزًا، وإما أن أصابك فالموتُ خيرٌ من أن يتلعَّبَ بكَ صعاليكُ العرب ويتخطّفكَ ذئابُها وتأكلَ مالكَ وتعيش فقيرًا مجاورًا أو تُقتلَ مقهورًا؛ فقال : كيف بحُرَمِى؟ قال : هنّ فى ذِمتى، لايُخلَصُ إليهنّ حتى يُخلَصَ إلى بناتى؛ فقال : هذا وأبيكَ الرأىُ الصحيحُ، ولن أُجاوِزَه. ثم اختار خيلا وحُلَلًا من عَصْبِ اليمن[٣] وجوهرًا وطُرَفًا كانت عنده، ووجّه بها إلى كسرى وكتب إليه يعتذِرُ ويُعلِمُه أنه صائرٌ إليه، ووجّه بها مع رسوله، فقبلها كسرى

---

(١) كذا فى تاج العروس فى مادة « جدد » وتاريخ الطبرى قسم ١ ص ١٢٠٨ والكامل لابن الأثير ج ١ ص ٢٠٦ وفى جميع الأصول : « خلد » بدون ألف .

(٢) الأبلة : بلدة على شاطئ دجلة فى زاوية الخليج الذى يدخل الى مدينة البصرة، وهى أقدم من البصرة، وكانت مدينة فيها مسالح وقائد من قبل كسرى .

(٣) العصب : ضرب من برود اليمن يعصب غزله أى يجمع ويشد ثم يصبغ وينسج فيأتى موشيا لبقاء ما عصب منه أبيض لم يأخذه صبغ .

وصول النعمان لكسرى وسجنه ثم موته

وأمره بالقدوم؛ فعاد إليه الرسول فأخبره بذلك وأنه لم ير له عند كسرى سوءا . فمضى إليه حتى إذا وصل إلى المدائن (١) لقيه زيدُ بن عدىّ على قنطرة سَابَاطَ (٢) ، فقال له : انجُ نُعيمُ ، إن آستطعتَ النَّجاءَ ، فقال له : أفعلتَها يا زيدُ ! أما واللهِ ، لئن عشتُ لك لأقتلنَّك قِتْلةً لم يُقتَلْها عربىٌّ قط ولأُلحِقَنَّك بأبيك ! فقال له زيد : امض لشأنِكَ نُعَيمُ ، فقد والله أخّيتُ لك أخِيَّةً (٣) لا يقطعُها المهرُ الأرِنُ (٤) . فلما بلغ كسرى أنه بالباب بعث إليه ، فقيّده وبعث به إلى سجن كان له بخَانقين (٥) ، فلم يزل فيه حتى وقع الطاعونُ هناك فمات فيه .

وقال حَمّادٌ الراويةُ والكوفيون : بل مات بساباطَ فى حبسه . وقال آبن الكلبىّ : ألقاه تحت أرجل الفِيَلة فوطِئته حتى مات ، وآحتجُّوا بقول الأعشى :

فذاك (٦) وما أنجى من الموت ربَّه * بساباطَ حتى ماتَ وهو مُحَزْرَقُ (٧)

---

(١) المدائن : الموضع الذى كان مسكن الملوك من الأكاسرة ، فكان كل واحد منهم اذا ملك بنى لنفسه مدينة الى جنب التى قبلها وسماها باسم ، فسميت المدائن بذلك . وكان فتحها فى أيام عمر بن الخطاب رضى الله عنه على يد سعد بن أبى وقاص فى صفر سنة ١٦ هـ . (٢) ساباط : موضع بالمدائن لكسرى أبرويز . (٣) الأَخِيَّة كأبِيَّة ويقال أخِيَة بتخفيف الياء ، وآخِيَّة بالمدّ والتشديد ؛ وهى عود يعرض فى الحائط ويدفن طرفاه فيه ويصير وسطه كالعروة تُشدّ اليه الدابة . وقال ابن السكيت : الأخيّة : أن يدفن طرفا قطعة من الحبل فى الأرض وفيها عُصَيَّة أو حُجَير ويظهر منه مثل عروة تشدّ اليها الدابة وإنما تؤخى الأخية فى مهواة الأرضين لأنها أرفق بالخيل من الأوتاد الناشزة عن الأرض . (٤) الأرِنُ : النشيط ، يقال أرِنَ يأرَنُ أرَنًا اذا مَرِح مَرَحًا فهو أرِنٌ . (٥) خانقين : بلد بسواد بغداد كان النعمان خنق به عدىّ بن زيد حتى قتله . (٦) كذا فى حـ وتاريخ الطبرى قسم ١ ص ١٠٢٨ وتاج العروس واللسان مادّة حزرق ومعجم ياقوت فى اسم ساباط . وفى باقى الأصول : «فداك» بالدال المهملة وهو تصحيف . (٧) كما يقال حزرق الرجلَ بمعنى حبسه وضيّق عليه ؛ يقال : حزرقه أيضا بهذا المعنى . قال التوّزىّ : قلت لأبى زيد الأنصارى أنتم تنشدون قول الأعشى : «حتى مات وهو محزرق» وأبو عمرو الشيبانى ينشده «محرزق» بتقديم الراء على الزاى ؛ فقال : إنها نبطية ، وأم أبى عمرو نبطية فهو أعلم بها منا .

قال : المحزَّق : المضيَّق عليه . وأنكر هذا من زعم أنه مات بخانِقِينَ ، وقالوا : لم يزل محبوسا مدّة طويلة ، وإنه إنما مات بعد ذلك بحين قُبيلَ الإسلام ، وغَضِبَت له العربُ حينئذ ، وكان قتلُه سببَ وقعةِ ذِى قارٍ .

أحب عدى بن زيد هند بنت النعمان ثم تزوّجها وقال فيها شعرا

أخبرنى عمّى قال حدّثنا عبدُ الله بنُ أبى سعد قال حدّثنا علىّ بن الصَّبّاح وأخبرنى الحسن بن على قال حدّثنى محمد بن القاسم بن مَهْرُويَهْ قال قال علىّ بن الصباح حدّثنى هشامُ بن الكلبىّ عن أبيه قال :

كان عدىّ بنُ زيد بن حمّاد بن زيد بن أيوب الشاعر العِبَادىّ يهوَى هِنْدَ بنتَ النعمانِ بنِ المنذر بنِ المنذر[1] بنِ آمرئ القيس بنِ النعمانِ بنِ آمرئ القيس بن عمرو ابن عدىّ بن نَصْر بن رَبيعة بن عمرو بن الحارث بن مسعود بن مالك بن غَنْم بن نُمَارة ابن لَخْم وهو مالك بن عَدِىّ بن الحارث بن مُرّة بن أُدَد بن زَيْد بن يَشْجُب بن عَرِيب بنِ زيد بن كَهْلانَ بن سَبَأ بن يَشْجُب بن يَعْرُب بن قَحْطَانَ ، ولها يقول :

عَلِقَ الأحشاءَ من هِنْدٍ عَلَقْ[2] * مُستسِرٌّ فيه نَصْبٌ[3] وأَرَقْ

وهى قصيدةٌ طويلةٌ . وفيها أيضا يقول :

مَنْ لِقَلب دَنِفٍ أو مُعْتَمِدْ[4] * قد عَصَى كُلَّ نَصُوحٍ ومُفَنِّدْ[5]

وهى طويلةٌ . وفيها أيضا يقول :

يا خليلىّ يسِّرَا التعسيرَا * ثم رُوحَا فهجِّرا تهجيرَا

عرِّجا بى على ديارٍ لهند * ليس أن عُجْتُما المَطِىَّ كبيرَا

---

(١) هذه الكلمة ليست موجودة فى ب ، س ، حـ .

(٢) العَلَق : العشق والهوى . (٣) النَّصْب والنُّصْب والنُّصُب : الداء والبلاء والشرّ .

(٤) انظر فيما سيأتى الحاشية رقم ٣ ص ١٥٢ من هذا الجزء . (٥) هو اسم فاعل من فدّاه يفدّيه اذا قال له : جعلت فداكَ .

قصة تزوجه بهند

قال ابن الكلبىّ : وقد تزوجها عدىّ . وقال ابنُ أبى سعد، وذكر ذلكَ خالدُ ابنُ كُلثومٍ أيضا قالا : كان سببُ عِشقه إياها أن هندًا كانتْ من أجملِ نساء أهلها وزمانها، وأُمُّها ماريةُ الكِنديّةُ؛ نخرجتْ فى خميس الفِصْح⁽¹⁾، وهو بعد السَّعانِينِ بثلاثة أيام، تتقرّب فى البِيعة، ولها حينئذ إحدى عَشرةَ سنةً، وذلك فى مُلْكِ المنذر؛ وقد قَدِم عدىّ حينئذ بهديّةٍ من كسرى إلى المنذر، والنعمانُ يومئذ فتىً شابٌّ، فاتفق دخولُها البِيعة وقد دخلها عدىّ لِيتقرّبَ، وكانت مديدة القامة عَبْلَةَ⁽²⁾ الجسم، فرآها عدىّ وهى غافلةٌ فلم تَنتَبِهْ له حتى تأمّلها، وقد كان جوارِيها رأيْنَ عديًّا وهو مُقبِلٌ فلم يقُلْنَ لها ذلكَ، كَىْ يراهَا عدىّ، وإنما فعلن هذا من أجل أَمةٍ لهند يقالُ لها ماريةُ، وقد كانت أحبّتْ عديا فلم تَدرِ كيفَ تأتِى له. فلما رأتْ هند عديا ينظر إليها شقَّ ذلكَ عليها، وسَبّتْ جوارِيَها ونالَتْ بعضَهنّ بضرب؛ فوقَعتْ هند فى نفس عدىّ، فلبِثَ حولا لا يخبر بذلك أحدًا. فلما كان بعد حولٍ وظنّتْ ماريةُ أنّ هندا قد أضربتْ عمّا جرى وصَفَتْ لها بِيعةَ دُومةَ — وقال خالدُ بنُ كلثومٍ: بِيعةَ تُومَا⁽³⁾ وهو الصحيح — ووصَفتْ لها مَنْ فيها من الرواهب، ومَنْ يأتيها من جوارى الحِيرة، وحسنَ بِنائها وسُرُجِها؛ وقالت لها : سَلِي أُمّكِ الإذنَ لكِ فى إتيانها، فسألَتْها ذلكَ فأذِنَتْ لها، وبادرتْ ماريةُ إلى عدىّ فأخبرته الخبرَ فبادرَ فلبِسَ يَلْمَقًا⁽⁴⁾ كان «فَرْخَانْشَاهْ مَرْد» قد كساهُ إياهُ، وكان

(1) كذا فى الأصول، والمعروف فى أعياد النصارى «خميس العهد» وهو عيد يعمل قبل الفصح بثلاثة أيام، والفصح : عيدهم اذا أفطروا وأكلوا اللحم، وصومهم ثمانية وأربعون يوما، ويوم الأحد الذى يجىء بعد ذلك هو العيد. والسعانين : عيد لهم يعمل قبل الفصح بسبعة أيام (والمشهور الشعانين بالشين المعجمة عبرانية معرّبة)، فيكون عيد السعانين قبل خميس العهد بثلاثة أيام. (انظر بلوغ الأرب للآلوسى والعقد الفريد والقاموس).

(2) عبلة الجسم : ضخمته وتامّة خلقه.

(3) ذكر ياقوت فى معجم البلدان «دير توما» ولم يذكر موقعه وانما أورد فيه أبياتا للزار الفقعسىّ منها :

تصبح اذا هجعت بدير توما * حمامات يزدن الليل طولا

(4) اليلمق : القباء، فارسىّ معرّب.

مُذْهَبًا لم يُرَ مثلُه حُسنًا، وكان عَدِىّ حسنَ الوجه، مديدَ القامة، حُلوَ العينين، حَسَنَ المَبسِم، نقىّ الثغر. وأخذ معه جماعةً من فِتيانِ الحيرة، فدخل البِيعةَ؛ فلما رأته ماريةُ قالتْ لهند: انظرى إلى هذا الفتى! فهو والله أحسنُ من كُلِّ ماتَرَيْنَ من السُرُج وغيرِها! قالت: ومن هو؟ قالت: عدىُّ بنُ زيد، قالت: أتخافينَ أن يعرفَنى إن دنوتُ منه لِأَراهُ من قريب؟ قالت: ومِنْ أين يَعرفُكِ وما رآكِ قطّ مِنْ حيثُ يعرِفُكِ! فدنَتْ منه وهو يُمازح الفتيانَ الذين معه وقد بَرَع عليهم بجماله، وحُسْن كلامه وفصاحته، وما عليه من الثياب، فذَهَلَتْ لمَّا رأته وبُهِتَتْ[(١)] تنظر إليه. وعَرَفَتْ ماريةُ ما بها وتبيَّنَتْه فى وجهها، فقالت لها: كَلِّميه، فكلَّمَتْه، وانصرفَتْ وقد تبعتْه نَفْسُها وهَوِيَتْه، وانصرف بمثل حالها. فلما كان الغدُ تعرَّضَتْ له ماريةُ، فلما رآها هَشَّ لها، وكان قبل ذلك لا يكلِّمها، وقال لها: ما غدَا بِكِ؟ قالت: حاجةٌ إليكَ، قال: اذكريها، فوالله لا تسأليني شيئا إلا أعطيتُكِ إياه، فعرَّفَتْه أنها تهواهُ، وأن حاجتَها الخَلوةُ به على أن تحتالَ له فى هند، وعاهدَتْه على ذلك؛ فأدخلها حانوتَ خمّارٍ فى الحِيرة ووقَعَ عليها؛ ثم خرجَتْ فأتت هِندًا، فقالَتْ: أما تشتَهِين أن تَرَىْ عديا؟ قالت: وكيفَ لى به؟ قالت: أَعِدُه مكانَ كذا وكذا فى ظَهْر القصر وتُشرِفينَ عليه؛ قالت: ٱفعلى، فواعدَتْه إلى ذلك المكانِ، فأتاه وأشرفَتْ هند عليه، فكادَتْ تموتُ[(٢)]، وقالت: إن لم تُدخِليه إلىّ هلَكْتُ. فبادرتِ الأمةُ إلى النعمان فأخبرَتْه خبرَها وصَدَقَتْه، وذَكَرَتْ أنها قد شُغِفَتْ به، وأن سببَ ذلك رؤيتُها إياه فى يوم الفِصْح، وأنه إن لم يزوِّجها به افتضحت فى أمره أو ماتت؛ فقال لها: ويلكِ! وكيف أبدؤه بذلكَ! فقالت: هو أرغبُ فى ذلكَ مِنْ أن تبدأه أنتَ، ٣٣/٢

---

(١) كذا فى حـ ، ا . وفى ب ، سـ : «هبت» . (٢) كذا فى حـ بدون أن وهو الأفصح . وفى باقى النسخ : «أن تموت» .

وأنا أحتال فى ذلكَ من حيث لايعلم أنك عرفتَ أمره. وأتتْ عديّا فأخبرته الخبرَ، وقالت: ادعُه، فإذا أخذ الشرابُ منه فاخطُبْ إليـه فإنه غيرُ رادِّك؛ قال: أخشَى أن يُغضِبَه ذلكَ فيكونَ سببَ العداوةِ بينَنا؛ قالت: ما قلتُ لكَ هذا حتى فرغتُ منه معه؛ فصنع عدىٌّ طعاما واحتفل فيه، ثم أتى النعمانَ بعد الفِصْح بثلاثة أيام، وذلكَ فى يوم الاثنين، فسأله أن يتغدّى عنده هو وأصحابُه، ففعل. فلما أخذ منه الشرابُ خطبها إلى النعمان، فأجابه وزوّجه وضمّها إليه بعد ثلاثة أيام.

ترهب هند بعد قتل عدىّ

قال خالدُ بن كُلثوم: فكانت[(١)] معه حتى قتـله النعمانُ، فترهّبَتْ وحبسَتْ نفسَها فى الدير المعروف بدير هنـد[(٢)] فى ظاهر الحِيرةِ. وقال ابن الكلبىّ: بل ترهّبت بعد ثلاث سنين رمنعته نفسَها واحتبسَتْ فى الدير حتى ماتت، وكانت وفاتُها بعد الإسلام بزمان طويل فى ولاية المُغيرة بن شُعْبة الكوفةَ، وخطبها المغيرةُ فردّته.

خطبها المغيرة بن شعبة فردّته

أخبرنى عمى قال حدّثنى ابنُ أبى سَعْد قال حدّثنا علىّ بن الصَّبّاح عن هشام ابن[(٣)] محمد بن الكلبىّ عن أبيه والشَّرقِىّ بنِ القَطَامِىّ قالا:

مرّ المغيرةَ بنَ شعبة لمـا ولاه معاوية الكوفةَ بدير هند، فنزله ودخل على هند بنتِ النعمانِ بعد أن استأذن عليها، فأذِنت له وبسطَتْ له مِسْحًا[(٤)] فجلس عليه، ثم قالتْ له: ما جاء بكَ؟ قال: جئتُكِ خاطبا؛ قالت: والصليبِ لو علمتُ أن فىّ خَصلةً

---

(١) كذا فى أغلب الأصول. وفى م، ا: «فمكثت». (٢) دير هند هذا هو المسمى بدير هند الصغرى، أما دير هند الكبرى فهو أيضا بالحيرة، وقد بنته هند أم عمرو بن هند، وهى هند بنت الحارث ابن عمرو بن حجر آكل المرار الكندى. انظر معجم البلدان لياقوت فى اسم «دير هند الصغرى» و «دير هند الكبرى». (٣) كذا فى حـ. وفى باقى الأصول «عن هشام بن محمد عن ابن الكلبىّ». وكلمة «عن» هنا وقعت غلطا لأن علىّ بن الصباح يروى عن هشام بن محمـد بن الكلبىّ ولأن المؤلف سيقول بعد: «وقد روى عن ابن الكلبى غير علىّ بن الصباح». (٤) المسح: كساء من الشعر.

من جمالٍ أو شبابٍ رغّبتُكَ فىَّ لأجبتُكَ ، ولكنّكَ أردتَ أن تقولَ فى المواسم : مَلَكتُ مملكةَ النعمانِ بن المنذر ونكحتُ ابنته ، فبحقّ معبودك أهذا أردتَ؟ قال : إى والله ؛ قالت : فلا سبيل إليه ؛ فقام المغيرةُ وانصرف وقال فيها :

أدركتِ ما منّيتُ نفسِى خالياً * للهِ درُّكِ يا ٱبنـةَ النعمانِ
فلقد رددْتِ على المغيرة ذِهْنَهُ * إنّ الملوكَ نَقيّةُ الأذهانِ

وفى رواية أخرى : * إنّ الملوكَ بَطِيّةُ الإذعانِ *

ياهندُ حسبُكِ قد صَدَقتِ فأمسِكِى * فالصِّـدقُ خيرُ مَقالَةِ الإنسانِ

حديث عشقها لزرقاء اليمامة

وقـد روَى عن ابن الكلبىّ غيرُ علىّ بن الصّبّاح فى هند أنهـا كانت تهوَى زرقاءَ اليمامةِ ، وأنها أول امرأة أحبّتْ ٱمرأةً فى العرب ، فإنّ الزرقاء كانت ترَى الجيشَ من مَسيرة ثلاثين ميلا ؛ فغزا قوم من العرب اليمامةَ ، فلما قَرُبُوا من مسافة نظرها قالوا : كيف لكم بالوصول ، مع الزرقاء! فاجتمع رأيُهم على أن يقتلعُوا شجرًا تستُرُ كلُّ شجرة منها الفارسَ إذا حملها ؛ فقطعَ كلُّ واحد منهم بمقدار طاقتـه وساروا بها ؛ فأشرفَتْ ، كما كانتْ تفعلُ ، فقال لها قومُها : ما ترَيْنَ يا زرقاءُ ؟ وذلك فى آخر النهار ؛ قالت : أرَى شجرًا يسيرُ ؛ فقالوا : كذبتِ أو كذبَتْكِ عينُكِ ، واستهانوا بقولها ؛ فلما أصبحوا صبّحهم القومُ(١) ، فاكتسحوا(٢) أموالهم وقتلوا منهم مقتلةً عظيمةً وأخذوا الزرقاء فقلَعوا عينها فوجدوا فيها عروقا سوداءَ ، فسُئِلَتْ عنها فقالت : إنى كنتُ أُدِيمُ الاكتحالَ بالإثمِدِ فلعلّ هـذا منه ، وماتَتْ بعد ذلك بأيام ؛ وبلغ هندًا(٣) خبرُها

(١) يقال : صبح القوم إذا أتاهم صباحا بخير أو شرّ ، وصبّحهم بتشديد الباء إذا أتاهم صباحا .

(٢) فى م ، ا : « فاستباحوا » .

(٣) حكى إسماعيل الموصلىّ فى « كتاب الأوائل » ما أوزده أبو الفرج من أنّ هندا أحبّت الزرقاء وأنها أوّل امرأة أحبت امرأة ، ثم قال : وفيه نظر ، فان هند بنت النعمان ماتت فى ولاية المغيرة بن شعبة على الكوفة وزرقاء اليمامة من جديس ولهم خبر مع طسم وكانوا فى زمن ملوك الطوائف و بينهما زمان طويل ، فما أعلم من أين وقع لأبى الفرج هذا ! . (انظر خزانة الأدب للبغدادى ج ٣ ص ١٨٢) .

فترهَّبتْ ولَبِستِ المُسُوحَ وبنَتْ ديرا يعرفُ بديرِ هند إلى الآن، فأقامت فيه حتى ماتت.

قيل إن النعمان أكره عديا على طلاق هند فطلقها

وروى ٱبنُ حبيبَ عن ٱبن الأعرابىّ: أنّ النعمانَ لما حبَس عديّاً أكرهه فى أمرِها على طلاقها ولم يزل به حتى طلَّقها. قال ابنُ حبيبَ: وذكر عدىٌّ بنُ زيد صِهرَه هذا للنعمان فى قصائده وكان زوجَ أختِه ـ هكذا ذكر العلماءُ من أهل الحيرة. وقالتْ رُواةُ العرب: إنه كان زوجَ ٱبنتِه هندٍ ـ فمِن ذلكَ قولُه فى قصيدته التى أوّلها: ٣٤/٢

* أبصَرَتْ عينِى عِشاءً ضَوءَ نَارِ *

فقال فيها:

أَجْلَ نُعمَى رَبِّهَا أَوّلُكُمْ * ودُنُوِّى كان منكم وٱصْطِهَارِى

نحن كُنَّا قد علِمتُم قبلها[1] * عَمَدَ البيتِ وأوتادَ الإصَارِ

سبب تنصر النعمان وما وقع بينه وبين عدىّ فى ذلك

أخبرنى محمد بن يحيي الصُّولِىّ قال حدّثنا إبراهيمُ بن فَهْد قال حدّثنا خليفةُ بنُ خياط شَبابٌ[2] العُصْفُرِىُّ قال حدّثنا هشامُ بن محمد قال حدّثنى يحيي بن أيوبَ البَجَلىّ قال حدّثنا أبو زُرْعَةَ بن عمرو بن جرير بن عبد الله البَجَلىّ قال: سمعتُ جدّى جريرَ ٱبنَ عبدالله يقول، وأخبرنى به عمّى قال حدّثنا أحمدُ بن عبيد الله قال أخبرنا محمّدُ بن يزيدَ بن زياد الكلبىّ أبو عبدالله قال حدّثنى معروفُ بنُ خَرَّبُوذَ[3] عن يحيي بن أيوبَ

---

(١) كذا وقع هنا فى جميع الأصول، وقد تقدّم فى جميع الأصول فى ص ١٠٤ من هذا الجزء: «قبلكم». (٢) كذا فى حـ. وفى ب، س، م: «خليفة بن خياط عن شباب العصفرى» والصواب ما أثبتناه اذ هو «خليفة بن خياط بن خليفة بن خياط العصفرى الملقب بشَباب» (انظر تهذيب التهذيب والخلاصة فى أسماء الرجال فى اسم خليفة). (٣) خَرَّبُوذ بفتح الخاء وتشديد الراء أو بسكونها ثم ضم الموحدة هو محدّث لغوىّ إخبارىّ مكىّ من موالى آل عثمان. (انظر تهذيب التهذيب وتاج العروس).

عن أبى زُرعة بن عمرو قال: سمعت جدّى جرير بن عبد الله — ولفظ هذا الخبر لأحمد ابن عبيد الله وروايته أتم — قال:

كان سببُ تنصّر النعمان — وكان يعبد الأوثانَ قبل ذلك، وقال أحمد بن عبيد الله فى خبره: النعمان بن المنذر الأكبر — أنه كان قد خرج يتنزه بظهر الحيرة ومعه عدىّ بن زيد، فمرّ على المقابر من ظهر الحيرة ونهرها؛ فقال له عدىّ بن زيد: أبيتَ اللّعنَ، أتدرِى ما تقولُ هذه المقابرُ؟ قال: لا، وقال أحمدُ بنُ عُبيد الله فى خبره: فقال له تقول:

أيُّها الركبُ المخبُّو * نَ على الأرض المجِدُّون
كما أنتُم كُنَّا(١) * وكما نحن تكونُون

وقال الصُّولىُّ فى خبره: فقال له تقول:

كنّا كما كنتُم حينًا فغيَّرنَا * دهرٌ فسوف كما صِرنَا تصيرونَا

قال: فانصرف وقد دخلته رِقّةٌ، فمكث بعد ذلك يسيرا؛ ثم خرج خرجةً أخرى فمرّ على تلك المقابر ومعه عدىّ، فقال له: أبيتَ اللّعنَ، أتدرِى ما تقولُ هذه المقابر؟ قال: لا؛ قال: فإنها تقول:

مَنْ رآنا فَلْيُحَدِّثْ نفسَه * أنه مُوفٍ على قَرْنِ(٢) زَوالِ
وصُروفُ الدَّهرِ لا يَبقَى لها * ولِمَا تأتِى به صُمُّ الجبالِ
رُبَّ ركبٍ قد أناخوا عندنا(٣) * يشربون الخمرَ بالماء الزُّلالِ

---

(١) كذا فى جميع الأصول، والشعر من مجزوء الرمل المسبغ، وتقطيعه:

فاعلاتن فاعلاتن * فاعلاتن فاعلاتان

فيكون على هذا غير موزون. وجاء فى شعراء النصرانية ج ٢ ص ٤٤٢ هكذا: * كما أنتم كذا كنّا * وهذا الشطر أيضا من بحر آخر يقال له: الهزج، وتقطيعه: * مفاعيلن مفاعيلن * ومن المحتمل أن يكون معطوفا بالواو على بيت قبله سقط حتى يصح الوزن. (٢) أى على طرف زوال.

(٣) كذا فى أغلب الأصول. وفى حـ والكامل للمبرد ص ٢٨٣ طبع أوروبا: «حولنا».

والأباريـــقُ عليهـا فُــدُمٌ(١)(٢) * وجيادُ الخيل تَرْدِى(٣) فى الجِلالِ
عَمِــرُوا دهرا بعيشٍ حَسَنٍ * آمِنِى دَهْرِهِمُ(٤) غــيرَ عِجَــالِ
ثم أضحَوْا عصفَ الدَّهرُ بهـم * وكذاكَ الدهرُ يُودِى بالرِّجالِ(٥)
وكذاكَ الدهرُ يرمِى بالفــتى * فى طِلَابِ العيش حالًا بعدَ حالِ

قال الصُّولىّ فى خبره وهو الصحيح : فرجع النعمان فتنصّر ؛ وقال أحمد بن عبيد الله فى خبره عن الزيادىّ الكلبىّ : فرجع النعمانُ من وجهــه وقال لعدىّ : ائتنى الليلةَ إذا هَدَأَتِ الرِّجْلُ لتعلَمَ حالى ، فأتاه فوجده قد لَبِسَ المُسوحَ وتنصّر وترهّب وخرج سائحا على وجهه فلا يُدْرَى ما كانت حالُه ، فتنصر ولدُه بعده ، وبَنَوُا البِيَعَ والصوامعَ ، ٣٥/٢ وبَنَتْ هنـد بنتُ النعمان بنِ المنذر [بن النعمان بن المنذر](٦) الديرَ الذى بظهر الكوفة ويقال له : « دير هند » ، فلما حبَسَ كِسرى النعمانَ الأصـغَرَ أباها ومات فى حبسه ترهّبتْ هند ولبِست المسوحَ وأقامت فى ديرها مُترهّبةً حتى ماتت فدُفِنَتْ فيه .

قال مؤلفُ هذا الكتابِ : إنما ذكرتُ الخبرَ الذى رواه الزيادىّ على ما فيه من التخليط لأنى إذا أتيتُ بالقصّة ذكرتُ [كلَّ](٧) ما يُروَى فى معناها . وهو خبر مختلط ،

(١) كذا فى حـ والكامل للبرد ص ٢٨٣ طبع أوروبا وشعراء النصرانية . وفى سائر النسخ « وأباريق » بدون أل .

(٢) فُدُمٌ : جمع فَدَام بفتح الفاء وكسرها وهو ما يوضع فى فم الأبريق لتصفية ما فيه من شراب ، ولم ينص فى كتب اللغة على جمعه ولكن ما كان على وزن فِعال بكسر الفاء يجمع على فُعُل باطّراد نحو كتاب وكتب ، وكذلك ما كان على وزن فَعَال نحو قَذَال وقُذُل . (٣) تردى : تعدو وترجم الأرض بحوافرها يقال : ردت الخيل رديا ورديانا أى رجمت الأرض بحوافرها فى سيرها وعدوها . (٤) كذا فى جميع الأصول ، وفى شعراء النصرانية والكامل للبرد ص ٢٨٣ : « قطعوا دهرهم » .

(٥) كذا فى جميع النسخ وقد تقدّم هذا البيت فى ص ٩٥ من هذا الجزء هكذا :

عصف الدهرُ بهم فانقرضوا * وكذاك الدهرُ حالًا بعد حال

(٦) زيادة فى حـ وعليها يرد نقض أبى الفرج الآتى بعدُ . (٧) زيدت لفظة كل هكذا فى نسختى ا ، م . وفى حـ وقعت هذه الجملة هكذا : « اذا ذكرت القصة أتيت بكل ما يروى الخ » .

لأن عدىَّ بن زيد إنما كان صاحبَ النعمان بن المنذر وهو المحبوس والنعمان الأكبر لا يعرفه عدىّ ولا رآه ولا هو جدّ النعمان الذى صحبه عدىّ كما ذكر ابن زياد، وقد ذكرتُ نسبَ النعمان آنفا، ولعل هذا النعمانَ الذى ذكره عمُّ النعمان بن المنذر الأصغر بن المنذر الأكبر، والمتنصِّر السائح على وجهه ليس عدىّ بن زيد أدخله فى النصرانية، وكيف يكون هو المدخِلَ له فى النصرانية وقد ضربه مثلا للنعمان فى شعره لمّا حبسه مع مَنْ ضربه مثلا له من الملوك السالفة!.

حكاية خالد بن صفوان مع هشام ابن عبد الملك وتذكره قصة النعمان وتنصره

حدّثنا بخبر ذلك الملك جعفرُ بن محمد الفِرْيابِىّ وأحمدُ بنُ عبد العزيز بن الجَعْدِ الوَشّاء قالا: حدّثنا إسحاقُ بنُ البُهْلُولِ الأَنْبارىّ قال حدّثنى أبى البُهْلُولُ بن حَسّان التَّنُوخىّ قال حدّثنى إسحاقُ بن زِيَاد من بنى سَامَةَ بنِ لُؤَىّ عن شَبِيبِ بن شَيْبَةَ عن خالد بن صَفْوان بن الأَهْتَم قال:

أوفدنى يوسفُ بن عمرَ إلى هشام بن عبد الملك فى وَفْد أهل العراق قال: فقَدمتُ عليه وقد خرج بقَرابته وحَشَمه وغَاشيته[(١)] وجُلَسَائه، فنزل فى أرض قاعٍ صَحْصَحٍ[(٢)] مُنيفٍ أَفْيحَ[(٣)]، فى عامٍ قد بكّر وسْمِيُّه[(٤)]، وتتابع وَلِيُّه، وأخذت الأرضُ [فيه][(٥)] زينتَها على اختلاف ألوان نَبتها من نَوْرِ رَبيع مُونِقٍ فهو فى أحسنِ منظرٍ، وأحسن مُخْتَبَرٍ، وأحسنِ مُسْتَمْطَرٍ، بصعيد كأنّ ترابَه قِطَعُ الكافور، قال: وقد ضُرِب له سُرادِقٌ من حِبَرةٍ[(٦)] كان يوسفُ بن عُمر صنعه له باليمن، فيه فُسطاطٌ فيه أربعة أفرِشَةٍ من خزٍّ أحمر مِثلُها مَرافِقُها، وعليه دُرَّاعةٌ من خزٍّ أحمرَ مثلُها عِمامتُها، وقد أخذ

(١) غاشية الرجل: مَنْ ينتابه من زوّاره وأصدقائه. (٢) الصحصح: الأرض الجرداء المستوية ذات حصى صغار. (٣) الأفيح: الواسع. (٤) الوسمىّ: مطر الربيع الأول. والولىّ: المطر الذى يلى الوسمىّ. (٥) زيادة فى حـ.

(٦) الحِبَرةُ والحَبَرة: ضرب من منسوج اليمن مُنَمَّر (فيه نقط سود).

النـاسُ مجالسَهم ؛ قال : فأَخرجتُ رأسى من ناحية السِّماطِ (١) فنظر إلىّ شِبْهَ المستَنْطِقِ لى فقلتُ : أتمّ اللهُ عليكَ يا أمـير المؤمنين نِعَمَهُ ، وجعل ما قلّدكَ من هـذا الأمر رُشْدا ، وعاقبةَ مايؤول اليه حمدا ، وأخلصَه لك بالتُّقَى ، وكثّره لك بالنَّماء ، ولا كدَّر عليك منه ما صَفا ، ولا خالط سرورَه بالرَّدَى ، فلقد أصبحتَ للمؤمنين ثِقةً ومُستَرَاحًا ، إليك يقصدون فى مَظَالمهم ، ويفزَعون فى أمورهم ، وما أجِدُ شيئا ياأميرَ المؤمنين هو أبلغُ فى قضاء حقك ، وتوقيرِ مجلسك ، وما منَّ اللهُ جلّ وعز علىّ به من مجالستك من أن أُذَكِّرَكَ نعمَ اللهِ عليكَ ، وأُنبّهكَ لشكرها ، وما أجِدُ فى ذلك شيئا هو أبلغ من حديث مَنْ سلف قبلك من الملوك ، فإن أذِنَ أمير المؤمنين أخبرتُه به ؛ قال : فاستوى جالسًا وكان مُتّكئا ثم قال : هاتِ يآبن الأهْتَم ، قال : قلت يا أمـير المؤمنين إنّ مَلِكًا من الملوك قبلك خرج فى عامٍ مثلِ عامكَ هذا إلى الخَوَرْنَقِ والسَّدِيرِ (٢) فى عامٍ قد بكّر وسميُّه ، وتتابعَ وَلِيُّه ، وأخذتِ الأرضُ [فيه] (٣) زينتَها على اختلافِ ألوانِ نَبتها فى رَبيع مُونِقٍ ، فهو
٣٦ / ٢ فى أحسن مَنظَر ، وأحسنِ مختبَر ، بصعيد كأن ترابَه قِطعُ الكافور ، وقد كان أُعْطِىَ فَتَاءَ السنّ مع الكثرة والغلبة والقهر ، فنظر فأبعد النظرَ ثم قال لجلسائه : لِمَنْ مِثلُ هذا ، هل رأيتم مثلَ ما أنا فيه ! وهل أُعطِىَ أحدٌ مثلَ ما أُعطيتُ ! قال : وعنده رجل من بقايا حَمَلة الحُجَّـة ، والمضىّ على أدب الحقّ ومِنهاجه ، قال : ولم تخـلُ الأرضُ من قائم للهِ بِحُجَّةٍ فى عباده ؛ فقال : أيها الملكُ إنكَ سألتَ عن أمرٍ ، أفتأذَنُ فى الجواب عنه ؟ قال : نعم ؛ قال : أرأيتَ هذا الذى أنتَ فيه ، أشىءٌ لم تزلْ فيـه ، أم شىءٌ

(١) السماط : جمع سمط وهو الصف من الناس وغيرهم (٢) ذكر صاحب القاموس أن السدير نهر بالحيرة ، قال شارحه : وقيل السدير : قصر فى الحيرة من منازل آل المنـذر وأبنيتهم . وذكر الخلاف ياقوت فى معجم البلدان فقال : السدير : نهر ، وقيل : قصر قريب من الخورنق كان النعمان الأكبر اتخذه لبعض ملوك العجم . وسيتكلم المؤلف بعد قليل عن الخورنق . (٣) زيادة عن حـ .

صار إليك ميراثا وهو زائلٌ عنكَ وصائرٌ إلى غيرك كما صار إليك؟ قال: كذلك هو، قال: فلا أراكَ إلا عَجِبْتَ[(١)] بشىء يسيرٍ تكون فيه قليلاً وتغيبُ عنه طويلا، وتكون غدًا بحسابه مُرْتَهنا؛ قال: وَيْحكَ! فأين المَهْربُ وأين المَطْلبُ؟ قال: إما أن تُقيمَ فى ملكك فتعملَ فيه بطاعة الله ربِّكَ على ما ساءكَ وسرَّكَ، وأَمَضَّكَ[(٢)] وأَرْمَضَكَ[(٣)]، وإما أن تضعَ تاجكَ، وتَخلَعَ[(٤)] أطْمارَكَ، وتلبسَ أَمْسَاحك، وتعبدَ ربك حتى يأتيَك أجلُكَ؛ قال: فإذا كان السَّحَرُ فَٱقرَعْ علىَّ بابى فإنى مختارٌ أحدَ الرأيينِ، وربما قال إحدَى المنزلتين، فإن ٱخترتُ ما أنا فيه كنتَ وزيرا لا يُعصَى، وإن اخترتُ فَلَواتِ الأرض وقَفْرَ البلاد كنتَ رفيقًا لا يُخالَفُ؛ قال: فقرعَ عليه عند السَّحَر بابَه فإذا هو قد وضع تاجَه، وخلع[(٥)] أطمارَه، ولبس أمساحَه، وتهيأ للسياحة، فلزِما والله الجبلَ حتى أتاهما أجلُهما، وهو حيثُ يقول عدىّ بن زيد أخو بنى تميم:

أيُّها الشّامتُ المعيِّرُ بالدَّهـــرِ * أأنتَ المبرَّأُ الموفُورُ
أم لديكَ العهدُ الوثيقُ من الأيّـــام بل أنتَ جاهلٌ مغرورُ
مَنْ رأيتَ المَنُونَ خَلَّدْنَ[(٦)] أمْ مَنْ * ذا عليه مِنْ أن يُضامَ خفيرُ

---

(١) كذا فى أغلب الأصول. وفى حـ: «فلا أراكَ أعجبت إلا بشىء الخ». وذكر فى المصباح: أن التعجب على وجهين: تعجب على وجه الاستحسان وهذا يقال فيه: أعجبنى بالألف. وتعجب بمعنى الانكار وهذا يقال فيه: عجبت على وزان تعبت. ولكن فى القاموس ما يدل على أن عجب الثلاثى يستعمل فى الاستحسان كقوله: وأُعجب به: عَجِب وسُرّ كأعجبه. (٢) كذا فى م، أ. وفى باقى الأصول «ومضّك» هكذا بدون ألف وكلاهما صحيح عربيـة إلا أن ثعلبا يقدم «أمضنى» ومعناهما: أحرقنى وشق علىّ. (٣) أرمضك: أوجعك، يقال: أرمضنى الأمر أى أوجعنى. (٤) كذا فى أغلب النسخ. وفى حـ: «وتضع أطمارك». (٥) فى حـ: «ووضع أطماره». (٦) كذا فى جميع الأصول. وفى لسان العرب مادة «منّ» بدل خلدن: «عزين». والمنون: الموت وقيل الدهر. قال صاحب اللسان: وقد جعله عدىّ بن زيد جمعا وأورد هذا البيت. وفى معاهد التنصيص طبع بولاق ص ١٤١: «جازنه» بدل خلدن.

أين كسرى كسرى الملوك أنوشر(١) * وانُ أم أينَ قبله سابورُ(٢)
وبنو الأصفر الكرام ملوكُ الر * وم لم يبق منهم مذكورُ
وأخو الحضر إذ بناه وإذ دجـ * ـلة تُجْبَى إليه والخابورُ(٣)
شاده مرمرًا وجلّله كلـ * ـسًا(٤) فللطير فى ذُراه وُكورُ
لم يهبه ريبُ المنون فباد الـ * ـمُلكُ عنه فبابُه مهجورُ
وتذكَّرْ(٥) ربَّ الخورنق إذ أشـ * ـرف يومًا وللهُدَى تفكيرُ
سرّه مالُه(٦) وكثرةُ ما يمـ * ـلِكُ والبحرُ مُعرِضًا(٧) والسديرُ
فارعوى قلبُه فقال وما غبـ * ـطةُ حىٍّ إلى المماتِ يصيرُ
ثم بعد الفلاح والملكِ والإمَّـ * ـةِ(٨) وارتهمُ هُناكَ القُبُورُ
ثم صاروا(٩) كأنهم ورقٌ جفّ * فألوت(١٠) به الصَّبا والدَّبُورُ

---

(١) كذا فى أغلب النسخ، وجاء فى لسان العرب مادة «كلس»: «أبو ساسان» بدل «أنوشروان».

(٢) سابور الجنود وهو ابن أردشير، وسابور ذو الأكتاف وهو سابور بن هرمز وكلاهما من ملوك العجم قبل كسرى أنوشروان.

(٣) الخابور: اسم لنهر كبير بين رأس عين والفرات من أرض الجزيرة. (٤) الكلس: الصاروج وهى النورة وأخلاطها التى تصرّج (تطلى) بها البرك وغيرها وهو بالفارسية جاروف عرّب فقيل صاروج وربما قيل شاروق. (٥) كذا فى جميع النسخ. وفى معاهد التنصيص ص ١٤٢ طبع بولاق سنة ١٢٧٤ هـ وكتاب الشعر والشعراء ص ١١١ طبع ليدن سنة ١٩٠٢ م «وتبين». وفى شعراء النصرانية: «وتفكّرْ». (٦) كذا فى جميع النسخ وفى كتاب الشعر والشعراء ص ١١٢ ومعاهد التنصيص ص ١٤٢ طبع بولاق: «سرّه حاله». (٧) مُعرِض بمعنى متسع، ومنه أعرض الثوب أى اتسع وعرض. (٨) كذا فى جميع النسخ، والإمّة بالكسر: النعمة. وفى شعراء النصرانية: «والنعمة». (٩) كذا فى جميع النسخ، وفى الشعر والشعراء ومعاهد التنصيص: «ثم أضحوا». (١٠) ألوت به أى ذهبت به.

قال : فبكى والله هشامٌ حتى أخضل لحيتَه [١]، وبلّ عمامتَه ، وأمَرَ بنزع أبنيته ، وبنقلان [٢] قرابته وأهـله وحشَمه وغاشِيَته من جلسائه ، ولزم قصرَه ، فأقبلتِ الموالى والحشَمُ على خالد بن صفوانَ فقالوا : ما أردتَ إلى أمير المؤمنين ! أفسدتَ عليه لذّته ، ونغّصتَ عليه مأدُبَتَه ، فقال : إليكم عنّى فإنى عاهدتُ اللهَ عزّوجلّ ألّا أخلوَ بملِكٍ إلا ذكّرتُه اللهَ عز وجل .

قصرا الحضر والخورنق

فأما خبرُ الحَضْر وصاحبه ، والخورنقِ وصاحبه ، فإنى أذكر خبرهما ها هنا لأنه مما يحسنُ ذكرُه بعَقِبِ هذه الأخبارِ ولا يُستغنَى عنه ، والشىءُ يتبعُ الشىءَ .

أخبرنى بخبره إبراهيمُ بنُ السَّرِىّ عن أبيه عن شُعيب عن سَيْف ، وأخبرنى به الحسنُ بن علىّ قال حدّثنا الحارثُ بن محمـد قال حدّثنا محمدُ بن سَعْد عن الوَاقِدىّ ، وأخبرنى به علىّ بنُ سليمان الأخفشُ فى كتاب المغتالين عن السُّكَّرىّ عن محمد بن حَبِيب عن ابن الأعرابىّ عن المفضَّل بن سَلَمة الضَّبّىّ ، وهشامُ بن الكلبىّ عن أبيه ، وإسحاق ابن الجَصّاص عن الكوفيِّين :

أن الحَضْر كان قصرا بحِيَال تَكرِيتَ بين دِجْلَةَ والفُرَاتِ ، وأن أخا الحَضْرِ الذى ذكره عدىّ بنُ زيد هو الضَّيْزَنُ بن مُعاويةَ بن العَبِيد بن الأَجْرام بن عمرو بن النَّخَع ابن سَلِيح من بنى تَزِيدَ [٣] بنِ حُلْوانَ بنِ عِمْرانَ بن الحاف بن قُضاعةَ ، وأمه جُهَيْلةُ [٤] امرأةٌ

(١) فى أ ، م : «حتى اخضلت لحيته» . (٢) كذا فى جميع الأصول ولم نجد فى كتب اللغة فى هذه المادّة النقلان مصدر النقل . وفى كتاب الإمامة والسياسة طبع مطبعة النيل سنة ١٣٢٢ﻫ ص ٢٠٣ ج ٢ «ثم أمر بنزع أبنيته وانتقاله وأقبلت العامة من الموالى على ابن الأهتم الخ» ولم يذكر ما يتعلق بقرابته وأهله . (٣) كذا فى م ، أ وتاريخ الطبرى . وفى ب ، س : «يزيد» بالتحتية . وفى القاموس : «وتزيد بن حلوان أبو قبيلة» ، قال المرتضى فى شرحه : «هكذا بالمثناة الفوقية ، وفى نسختنا بالفوقية والتحتية ، ثم نقل عن كتاب الايناس للوزير المغربى : أن فى قضاعة تزيد بن حلوان وفى الأنصار تزيد بن جشم ، وسائر العرب غير هذين فبالياء المنقوطة من أسفل . ونقل عن السهيلى فى الروض الأنف : أنه لا يعرف تزيد الا تزيد بن جشم وتزيد بن الحاف بن قضاعة وهم الذين تنسب إليهم الثياب التزيدية» قال المرتضى : وبه قال الدارقطنى والحق بيده ووافقه على ذلك أئمة النسب . (انظر تاج العروس فى مادة زيد) . (٤) كذا فى جميع الأصول «جبهلة» بالجيم والباء . وفى تاريخ الطبرى قسم ١ ص ٨٢٧ : «جيهلة» بالجيم والياء المثناة .

من بنى تَزِيد بن حُلْوانَ أخى سَلِيح بن حُلوان، وكان لا يُعرَفُ إلا بأمه هذه، وكان مِلكَ تِلكَ الناحيةِ وسائرِ أرض الجزيرة، وكان معه من بنى الأجرام [(١) ثم من بنى العَبيد ابن الأجرام] وسائرِ قبائلِ قضاعة ما لا يُحصَى، وكان مُلْكه قد بلغ الشامَ. فأغارَ الضيزنُ فأصاب أختا لسابور ذى الأكتافِ (٢) وفتح مدينةَ نهر شِير (٣) وفتكَ فيهم، فقال فى ذلك عمرو بن السَّلِيح بن حُدَىّ (٤) بن الدَّها بن غَنْم بن حُلوانَ بن عِمرانَ بن الحاف بن قُضاعةَ:

لَقِيناهم بجمعٍ من عِلافٍ (٥) * وبالخيل الصَّلادمة الذكورِ
فلاقتْ فارسٌ منا نَكالًا * وقتَّلنا هَرابِذَ شَهْرَزُورِ (٦)
دلَفْنا (٧) للأعاجم من بعيدٍ * بجمعٍ مِ الجزيرة كالسَّعيرِ

قالوا: ثم إن سابورذا الأكتاف جمع لهم وسار إليهم، فأقام على الحَضْر أربع سنين لا يَستغِلّ منهم شيئا. ثم إن النَّضِيرة (٨) بنتَ الضَّيْزنِ عَرَكَتْ — أى حاضت — فأُخرِجَتْ

(١) زيادة فى ح. (٢) كذا فى جميع الأصول وقد نبّه ياقوت فى معجم البلدان فى اسم الحَضْر على أنّ صاحب القصة انما هو سابور الجنود وهو سابور بن أردشير لا سابور ذو الأكتاف وهو سابور ابن هرمز، وقال: انما ذكرت ذلك لأن بعضهم يغلط ويروى أنه ذو الأكتاف. (٣) كذا فى جميع الأصول ولم نجد هذا الاسم فى معجم ياقوت. (٤) كذا فى جميع الأصول. وفى تاريخ الطبرى قسم ١ ص ٨٢٨: «الجدىّ بن الدهاء». وفى معجم ياقوت فى اسم الحَضْر: «الجُدَىّ بن الدلهاث».

(٥) هو علاف بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة وهو ربّان أبو جرم من قضاعة، واليه تنسب الخيل العلافيّة. والخيل الصلادمة: القويّة الشديدة.

(٦) كذا فى ح. وتاريخ الطبرى ومعجم البلدان، وشهرزور: كورة واسعة بين إربل وهمذان، قال ياقوت: وأهل هذه النواحى كلهم أكراد ولأهلها بطش وشدّة. وفى بقية الأصول: «نهر شير» ولم نجده فى أسماء الأماكن. والهرابذ: خدم نار المجوس وقومة بيت النار للهند (وهم البراهمة) وقيل: هم عظماء الهند أو علماؤهم، واحده هربذ، فارسية. (انظر القاموس وشرحه مادة هربذ وعباد النار وسبب عبادتها وبيوت النيران فى الجزء الأوّل من نهاية الأرب للنويرى طبع دار الكتب ص ١٠٥ — ١١٣).

(٧) دلفنا: تقدّمنا. (٨) كذا فى ح، أ وتاريخ الطبرى قسم ١ ص ٢٢٩ ومعجم البلدان فى اسم الحضر. وفى ب، س: «النصيرة» بالصاد المهملة.

إلى الرَّبَض[١]، وكانت من أجمل أهل دهرها، وكذلك كانوا يفعلون بنسائهم إذا حِضْنَ، وكان سابور من أجمل أهل زمانه، فرآها ورأته، وعشِقها وعشِقَته، فأرسلت إليه: ما تجعل لى إن دللتُك على ما تهدِمُ به هذه المدينةَ وتقتلُ أبى؟ قال: أحكِّمُكِ وأرفعُكِ على نسائى، وأخصُّكِ بنفسى دونهنّ؛ قالت: عليكَ بحمامةٍ مطوقةٍ ورْقاء، فاكتُب فى رجلها بحيض جاريةٍ بكرٍ تكون زرقاءَ، ثم أرسلْها فإنها تقعُ على حائط المدينة فتتداعى المدينةُ، وكان ذلكَ طِلَّسْمَها[٢] لا يَهدِمُها إلا هو، ففعل وتأهّب لهم، وقالت له: أنا أسقى الحرَسَ الخمرَ، فإذا صُرِعوا فاقتلْهم وادخل المدينة، ففعل فتداعت المدينةُ، وفتحها سابورُ عَنْوةً، فقتَل الضيزنَ يومئذ، وأبادَ بنِي العَبيد، وأفنى قُضاعةَ الذين كانوا مع الضَّيْزنِ فلم يبق منهم باقٍ يُعرف إلى اليوم، وأُصيبتْ قبائلُ حُلْوان وانقرضوا ودَرَجُوا، فقال فى ذلك عمرُو بن آلة[٣] وكان مع الضَّيزنِ:

أَلَمْ يَحْـزُنْكَ والأنباءُ تَنمِى[٤] * بما[٥] لاقتْ سَراةُ بَنِي العَبيدِ
ومَصْرَعُ ضَيْزَنٍ وبَنِي أبيـه * وأحْلاسِ[٦] الكتائبِ مِنْ تَزِيدِ

(١) الربض: ما حول المدينة من خارج.

(٢) طِلَّسْمها: سرّها المكتوم؛ قال المرتضى فى تاج العروس فى المستدرك بعد مادة «آطلخم»: والطِّلَّسْم كسبطر — وشدّد شيخنا اللام وقال: إنه أعجمىّ وعندى أنه عربىّ —: اسم للسرّ المكتوم، وقد كثر استعمال الصوفية له فى كلامهم فيقولون: سرّ مطلسم وحجاب مطلسم والجمع طلاسم. وذكر الشهاب الخفاجىّ فى شفاء الغليل: أنّ الطِّلَّسْم لفظ يونانىّ ولكنه قال: لم يعرّبه من يوثق به، ثم نقل عن كتاب السرّ المكتوم أنه عبارة عن علم بأحوال تمزيج القوى الفعالة السماوية بالقوى المنفعلة الأرضيّة لأجل التمكن من إظهار ما يخالف العادة والمنع مما يوافقها.

(٣) كذا فى جميع الأصول. وفى تاريخ الطبرى قسم ١ ص ٨٢٨: «عمرو بن إلّة» ونسب ياقوت فى معجم البلدان فى اسم الحضر هذه الأبيات لشاعر سماه «الجدىّ بن الدلهاث».

(٤) تمى أى تشيع، وأصله من نمى الشىء ينمى إذا ارتفع وزاد.

(٥) الباء هنا زائدة و«ما لاقت» فاعل لقوله «يحزنك».

(٦) أحلاس الكتائب: الشجعان الملازمون لها، يقال: فلان من أحلاس الخيل أى هو فى الفروسية ولزوم ظهر الخيل كالحلس اللازم لظهر الفرس.

أتاهم بالفُيُولِ مُجلَّلاتٍ * وبالأبطال سابورُ الجنود

فهدَّمَ من أَوَاسِى[١] الحضْرِ صخرا * كأنّ ثِقالَه زُبَرُ الحديد

٣٨/٢ قال : فأخربَ[٢] سابورُ المدينةَ واحتملَ النَّضيرةَ بنتَ الضَّيْزن فأعرَسَ بها بعينِ التمرِ[٣]، فلم تزل ليلتَها تتضوّرُ[٤] من خشانةٍ فى فُرُشِها وهى من حرير محشوّ بالقزّ، فالتُمِس ما كان يؤذيها فإذا هى ورقة آسٍ ملتصقةٌ بعُكْنةٍ من عُكَنِها قد أثَّرتْ فيها . قال : وكان يُنظر إلى مُخِّها من لِينِ بشرَتِها . فقال لها سابور : ويحكِ! بأىّ شىء كان أبوكِ يُغذّيك ؟ قالت : بالزُّبدِ والمخِّ[٥] وشُهْدِ الأبكار من النحل وصَفْوةِ الخمر . فقال : وأبيكِ لأنا أحدثُ عهدا بمعرفتكِ، وآثَرُ لكِ[٦] من أبيكِ الذى غذاكِ بما تذكرين! ثم أمر رجلا فركب فرسا جَمُوحًا وضَفَر غدائرَها بذنَبه ، ثم استركضَه فقطَّعها قِطَعًا ، فذلك قولُ الشاعر :

---

(١) كذا فى ح ، م ، أ وتاريخ الطبرى وهو جمع آسية وهى ما أسس من بنيان فأحكم أصله من سارية وغيرها . وفى ب ، سـ : « رواسى » بالراء . (٢) الظاهر من السياق هنا أن أخرب بمعنى هدم ودمر وقد ذكر الفيومىّ فى المصباح المنير والفيروزابادى فى القاموس والجوهرىّ فى الصحاح الكلمتين « أخرب وخرّب » ولم يذكروا بينهما فرقا الا أن صاحب اللسان والمرتضى فى شرح القاموس نقلا بينهما فرقا عن أبى عمرو بن العلاء، فقالا : الاخراب : أن يترك الموضع خربا أى خاليا من السكان والتخريب : الهدم وخرجا عليه قوله تعالى : (يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدى المؤمنين) فمن قرأها بالتشديد فمعناه يهدمونها ومن قرأها يخربون (بضم الياء وتخفيف الراء) فمعناه يخرجون منها و يتركونها خالية ومثله ما فى النهاية لابن الأثير فى هذه المادة . وفى روح المعانى ذكر الآلوسى فى تفسير هذه الآية هذا الفرق ثم قال : وقيل هما بمعنى واحد (انظر الكتب المتقدمة فى هذه المواد) .

(٣) عين التمر : بلدة قريبة من الأنبار غربىّ الكوفة . (٤) تتضور : تتلوى ، يقال : تضوّر أى تلوّى وأظهر الضرر . وفى ب ، سـ : « تتضرّر » . (٥) فى م ، أ ، ب : « المح » بالحاء ، وهو ما فى جوف البيضة من أصفر ، وقال ابن شميل : من أصفر وأبيض .

(٦) كذا فى تاريخ الطبرى قسم ١ ص ٨٣٠ وفى أغلب النسخ : « أورلك فى أبيك » . وفى ب ، سـ : « وأنارلك فى أبيك » ولم يظهر لهما معنى .

أقفرَ الحَضْرُ من نضيرةَ فالمِرْ * بَاعُ مِنهـا فجانبُ الثَّرْثارِ[1]

قالوا : وكان الضَّيزنُ صاحبُ الحَضْر يُلَقَّبُ السَّاطِرونَ ، وقال غيرُهم : بل السَّاطِرُون صاحبُ الحَضْر كان رجلا من أهـل بَاجَرْمَى[2] والله أعلم أىّ ذلك كان . هذا خبر صاحب الحَضْر الذى ذكره عدىٌّ .

وأما صاحبُ الخَوَرْنَقِ فهو النعمانُ بنُ الشَّقِيقةِ ، وهو الذى ساح على وجهه فلم يُعرف له خبرٌ ، والشقيقةُ أمه بنتُ أبى رَبِيعـةَ بن ذُهْل بن شَيْبان . وهو النعمانُ آبنُ آمرئ القيس بن عمـرو بن عَدِىّ بن نَصْر بن رَبِيعة بن الضَّخْم اللَّخمىّ ، وهو صاحب الخَوَرْنق ، فذكر آبنُ الكلبىّ فى خبره الذى قدمنا ذكرَه ورواية علىّ بن الصبّاح إياه عنـه : أنه كان سببُ بنائه الخورنَق أنَّ يزدِجرد بنَ سابور كان لا يَبقى له ولد ، فسأل عن منزل مَرِىءٍ صحيح من الأدواء والأسقام ، فَدُلَّ على ظَهْر الحِيرة ، فدفع آبنَه بَهْرام جُور بن يزدَجِرد إلى النعمان بن الشقيقة ، وكان عاملَه على أرض العرب ، وأمره بأن يبنىَ الخورنَقَ مسكنًا له ولآبنه ويُنزِلَه إياه معه ، وأمره بإخراجه إلى بوادى العرب ، وكان الذى بنى الخورنقَ رجلا يقال له "سِنِمَّار" فلما فرغ من بنائه عجبوا من حسنه وإتقان عمله ، فقال : لو علمتُ أنكم تُوفُونى أجرتى وتصنعون بى ما أستحِقُّه ، لَبنيتُه بناء يدورُ مع الشمس حيثما دارَتْ ، فقالوا : وإنك لتبنى ما هو أفضل منه ولم تَبْنِه ! ثم أَمَرَ به فطُرِحَ من أعلى الجَوْسَقِ[3] . وقال : فى بعض الروايات أنه قال له : إنى لأعرِفُ فى هـذا القصر موضعَ عيبٍ إذا هُدِم تداعى القصرُ أجمعُ ، فقال

(١) الثرثار : واد عظيم بين سنجار وتكريت كان فى القديم منازل بكر بن وائل ، وآختص بأكثره بنو تغلب منهم ، ويمر بمدينة الحَضْر ثم يصبّ فى دجلة أسفل تكريت . (٢) بَاجَرْمَى : قرية من أعمال البَلِيخ قرب الرقة من أرض الجزيرة . (٣) الجوسق : القصر ، فارسىّ معرّب .

له : أمَا واللهِ لا تدلُّ عليه أحدًا أبدا ، ثم رُمِىَ به من أعلى القَصْرِ ، فقالت الشعراء فى ذلك أشعارا كثيرة منها قولُ أبى الطَّمَحَانِ القَيْنِىّ :

جزاءَ سِنِمَّارٍ جَزَوْها(١) وربِّها * وباللّاتِ والعُزَّى جزاءَ المكفِّرِ

ومنها قولُ سَلِيطِ بنِ سَعْد(٢) :

جزى بَنوه أبا الغِيلان(٣) عن كِبَرٍ * وحُسْنِ فِعلٍ كما يُجْزَى سِنِمَّارُ

وقال عبدالعُزَّى بن آمرئ القيس الكَلْبىّ — وكان أهدَى إلى الحارث بن مَارِيَةَ الغَسّانىّ أفراسا ، ووفَدَ إليه فأُعْجِبَ به وآختصّه ، وكان للملك آبنٌ مُسترضَعٌ فى بنى عَبْدِ وُدٍّ مِن كَلْبٍ فنهشَتْه حيّةٌ ، فظنّ الملكُ أنهم آغتالُوه ، فقال لعبد العُزَّى : جِئنى بهؤلاء القوم ، فقال : هم قوم أحرار ليس لى عليهم فضلٌ فى نسبٍ ولا فعلٍ(٤) ، فقال :

لتأْتِيَنّى بهم أو لأفعلنّ وأفعلنّ ، فقال له : رَجَوْنَا من حِبائِكَ أمرًا حال دونه عِقابُكَ ، ٣٩/٢

ودعا آبنيه شَرَاحِيلَ وعبدَ الحارث — فكتب معهما إلى قومه :

جزانى جزاه اللهُ شَـرَّ جزائه * جزاءَ سِنِمَّارٍ وما كان ذَا ذنبِ

سوى رَصِّه البُنيانَ عِشرينَ حِجّةً * يُعَلِّى عليـه بالقَرامِيدِ(٥) والسَّكْبِ

---

(١) كذا فى أغلب النسخ وخزانة الأدب للبغدادىّ ج ١ ص ١٤٢ . وفى حـ وتاريخ الطبرىّ قسم ١ ص ٨٥١ : « جزاها » .

(٢) كذا فى حـ ، أ وشرح الأشمونىّ ج ١ ص ٤٠٧ طبع بولاق وخزانة الأدب للبغدادىّ ج ١ ص ١٤٢ وشرح الشواهد للعينىّ الموجود بهامش الخزانة . وفى ب ، سـ : « سعيد » .

(٣) كذا فى شرح الأشمونىّ وخزانة الأدب للبغدادىّ وشرح الشواهد للعينىّ . وفى الأصول : « غيلان » بالتنكير .

(٤) كذا فى جميع الأصول . وفى تاريخ الطبرىّ قسم ١ ص ٨٥٣ : « فعال » والفعال : اسم للفعل الحسن والكرم .

(٥) القراميد : جمع قَرْمد وهو الآجرّ ، وقيل : حجارة لها خروق يوقد عليها حتى إذا نضجت بنى بها وهو رومىّ تكلمت به العرب قديما . والسكب : النحاس أو الرصاص .

وهى أبيات ، قال : فقتله النعمان ، وكان أمره قد عظُم وجعل معه كسرى كتيبتين : إحداهما يقال لها : "دَوْسَر"(١) وهى لِتَنُوخ ، والأخرى : "الشَّهْباءُ" وهى للفُرسِ ، وكانتا أيضا تُسمَّيانِ القبيلتينِ ، وكان يغزو بهما بلادَ الشام ، وكلَّ مَنْ لم يَدِنْ له من العرب. فجلس يوما يُشرِفُ من الخَوَرْنَقِ فأعجبه ما رأى من مُلكه . ثم ذكر باقىَ خبره مثلَ ما ذكره خالدُ بن صفوانَ لهشامٍ من مخاطبة الواعِظ وجوابِه وما كان من آختياره السياحةَ وتركِه مُلكَه .

أخبرنى الحسن بن علىّ قال حدّثنا محمد بن القاسم بن مَهْرُوَيْهْ قال حدّثنى عبدالله آبن عمرو قال ذكر آبنُ حمزةَ عن مشايخه :

أن النعمان بنَ المنذر لما نُعِيَ إلى النابغة الذُّبيانِيّ وحُدِّثَ بما صنع به كسرى قال : طلبه من الدهر طالبُ الملوكِ ثم تمثَّلَ :

مَنْ يَطْلُبِ الدهرُ تُدرِكْه مَخالِبُه * والدَّهرُ بالوِتْرِ(٢) ناجٍ غيرُ مطلوبِ
ما منْ أُناسٍ ذَوِى مجدٍ ومَكْرُمةٍ * إلا يَشُدُّ عليهم شَدَّةَ الذِّيبِ
حتى يُبِيدَ على عَمْدٍ سَرَاتَهمُ * بالنافذاتِ من النَّبْلِ المَصَايِيبِ
إنى وجدتُ سِهامَ الموت مُعرِضَةً(٣) * بكلّ حَتْفٍ من الآجال مكتوبِ

وفى سائر قصائدِ عدىّ بن زيد التى كتب بها إلى النعمان يستعطفه ويعتذر إليه أغانٍ .

---

(١) كانت أخشن كتائب النعمان وأشدّها بطشا ونكاية ، وكانوا من كل قبائل العرب ، وأكثرهم من ربيعة . وسميت «دوسرا» اشتقاقا من الدسر وهو الطعن بالثقل لثقل وطأتها (انظر بلوغ الأرب للآلوسى ج ٢ ص ١٩١ طبع بغداد سنة ١٣١٤ ﻫ) . (٢) الوتر بالفتح والكسر : الذحل والثأر .
(٣) كذا فى جميع النسخ بالعين المهملة ولعل معناه متعرضة ففى اللسان مادة عرض : والعرب تقول عرض لى الشىء وأعرض وتعرّض واعترض بمعنى واحد ، ويحتمل أنه محرف عن مغرضة بالغين المعجمة بمعنى مصيبة الغرض وهو الهدف .

منهـا :

صـــوت

لم أر مثـلَ الفتيانِ فى غَبَنِ الـ * ـأيام يَنْســـوْنَ ما عواقِبُهـا
ينســـوْنَ إخوانَهم ومصرعَهم * وكيف تَعْتاقُهُـم مخَالِبُهـا
ماذا تُرجّى النفوسُ مِن طلبِ الـ * ـخير وحبُّ الحياةِ كارِبُهـا
تظنّ أن لن يصيبها عَنَتُ الد * هرِ ورَيبُ المنـونِ صَائِبُهـا

ويروى عُقَبُ(١) الدهر — يقول : الأيامُ تَغْبِنُ الناسَ فتخدَعُهمْ وتختِلُهُم مثلَ الغبنِ فى البيع . وتعتاقُهم : تحبسُهم ، يقال : اعتاقه واعتقاه(٢) . وكاربها هاهنا : دامُها ، وهو فى موضع آخر القريبُ منها ، يقال كَرَبُه الأمر وكرثه(٣) وبهضه وغنظه(٤) اذا غمّه — الغناء فى هذه الأبيات لابن مُحرز خفيفُ رمل بالوسطى عن عمرو بن بانة . وفيها رمل بالبنصر ، نسبه حَبَشٌ ودنانيرُ إلى حُنينٍ ، ونسبه الهشامىّ وابن المكىّ إلى الهُذَلِى .

ومنهـا :

صـــوت

يا لُبَينَى أوقِدى النّارَا * إنّ مَنْ تَهْوَيْنَ قد حارَا
رُبَّ نارٍ بِتُّ أَرْمُقُهـا * تَقْضِمُ الهِندىَّ والغـارَا
عندها ظَبْـىٌ يؤرِّثُهـا * عاقِدٌ فى الجيدِ تِقْصارَا

---

(١) عقب : جمع عقبة وهى الشدة ، يقال : لقى منه عقبة أى شدة . (٢) اعتقاه : احتبسه . قال الأصمعىّ الاعتقاء : الاحتباس وهو مقلوب الاعتياق . (٣) كذا فى ء بالثاء المثلثة أى اشتد عليه وبلغ منه المشقة كما يقال أكرثه ، وقال الأصمعىّ : لا يقال كرثه وانما يقال أكرثه على أن رؤبة قد قال : * وقد تجلى الكرب الكوارث * انظر اللسان فى مادة كرث . وفى باقى نسخ الأصول « كربه » وهو تحريف . (٤) كذا فى ح وغنظه الأمر : غمه وبلغ منه المشقة فهو بمعنى بهظه وبهضه . وفى باقى النسخ : « وغيظه » وهو تحريف .

٤٠ / ٢

عروضه من المديد — حار يحير هنا: ضلّ، وحار فى موضع آخر: رجع . والغار: شجر طيّبُ الريح، والغار أيضا: شجرُ السوس، والغار: الغيرةُ . ويؤرِّثها: يوقِدُها ويُكثِر حَطَبها . والتَّقْصارُ: المِخْنقةُ — الغناء لحُنينٍ خَفيفُ ثقيل أوّل بالسبابة فى مجرى الوسطى عن إسحاق . وفيه خفيفُ رملٍ يقال إنه لعَريبَ .

أخبرنى محمد بن مَزيد بن أبى الأزهر قال حدّثنا حمّاد بنُ إسحاق، وأخبرنا به يحيى بن علىّ عن داود بن محمد عن حمّاد بن إسحاقَ عن أبيه عن ابن عائشة عن يونس النحوىّ قال:

مات رجل من جُندِ أهل الشام عظيمُ القدر، له فيهم عزّ [وعدد][1]، فحضر الحجّاجُ جنازتَه وصلّى عليه وجلَس على قبره وقال: لِيَنْزِلْ إليه بعضُ إخوانه، فنزل نفرٌ منهم، فقال أحدهم وهو يُسَوِّى عليه: رحمكَ اللهُ أبا قنان[2]، إن كنتَ ما علمتُ لَتُجِيدُ الغناء، وتُسرِعُ ردَّ الكأس، ولقد وقعتَ فى موضع سُوءٍ لا تخرجُ منه والله إلى يوم القيامة[3]. قال: فما تمالكَ الحجّاجُ أن ضحِكَ، وكان لا يكثر الضحكَ فى جِدّ ولا هزلٍ. فقال له: أهذا موضع هـذا لا أمَّ لكَ! فقال: أصلح اللهُ الأميرَ، فرسُه حبيسٌ فى سبيل الله لو سمعه الأميرُ وهو يُغنّى:

يا لُبينَى أوقِدى النارا * إن مَنْ تهوَيْنَ قد حارا

لانتشر الأميرُ على سعْنةَ[4]، وكان الميتُ يلقّبُ بسعنةَ، فقال: إنّا لله أخرجوه من القبر! ما أبينَ حُجّةَ أهل العراق فى جهلكم يا أهل الشأم! قال: وكان سعنةُ هذا الميتُ

---

(١) زيادة فى حـ . (٢) لم نهتد الى ضبط هذا الاسم وقد سمى العرب قنانا وأبا قنان بفتح القاف وتخفيف النون كما ورد فى القاموس مادة قنن . (٣) فى حـ : « يوم الدكة » وقد راجعنا فى شرح إحياء الغزالى للسيد محمد مرتضى الزبيدى ج ١٠ ص ٤٦٢ أسماء يوم القيامة فلم نجد فيها هذا الاسم، وأقرب الأسماء اليه يوم الرجة، ترج فيه الأرض بأهلها فتميد الناس على ظهرها، فلعله محرف عنه أو لعله اسم من أسمائها لم يذكره الغزالى بدليل قوله تعالى: (كلا إذا دكت الأرض دكا دكا وجاء ربك والملك صفا صفا) . (٤) لم نقف على ضبط هذا الاسم، والعرب سموا سعنة بفتح السين وسعنة بضمها (انظر القاموس مادة سعن).

من أوحشِ خلقِ الله كلِّهم صورةً، وأذمِّهم قامةً . فلم يبق أحد حضر القبرَ إلا آستفرغ ضحكا .

ومنها من قصيدته التى أوّلها :

* لِمَنِ الدارُ تَعفَّتْ بِخِيَمْ (١) *

صـوت

وثلاثٍ كالحماماتِ بها * بين مَجْثاهُنَّ توشيمُ الحُمَمْ (٢)
أسأل الدارَ وقد أنكرتُها * عن حبيبى فإذا فيها صَمَمْ

– ويروى : توشيمُ العَجَم . والتوشيمُ أرادَ به آثار الوَقود قد صار فيها كالوَشْم . والثلاثُ يعنى الأَثَافِىَّ التى تُنصب عليها القِدرُ – الغناء لإبراهيمَ خفيفُ ثقيلٍ أوّل مطلق فى مجرى البنصر عن عمرو وآبن المكىّ . وفيه لحَكَم لحنٌ من كتاب إبراهيمَ غيرُ مجنَّس . وهذه القصيدة التى أوّلها :

لمن الدارُ تعفَّتْ بخِيَمْ * أصبحت غيرَّها طولُ القِدَمْ
ما تبينُ العينُ من آياتها * غيرَ نُؤْيٍ (٣) مثلَ خطٍّ بالقلمْ

وبعده :

وثلاثٍ كالحمامات بها * بين مَجْثاهنّ توشيمُ الحُمَمْ

وعلى هذا خُفِضَ قولُه : وثلاث كالحمامات .

ومنها قوله :

* كفى غِيَرُ الأيام للمرءِ وازعا *

---

(١) خيم : اسم جبل من عماية على يسار الطريق الى اليمن . (٢) الحُمَم : جمع حممة وهى الفحم والرماد وكل ما احترق بنار . (٣) النؤى : حفرة تجعل حول الخباء لئلا يدخله ماء المطر .

صـــوت

بنات كرامٍ لم يُربَّنَ بضُرَّةٍ [١] * دُمًى شَرِقاتٍ [٢] بالعبير رَوادِعا [٣]

يُسارِقْنَ مِ الأستارِ طَرْفًا مُفَتَّرًا * ويُبرِزْنَ من فَتْقِ الخدورِ الأصابعا

بنات كرامٍ موضعه نصب وهو يتبع ما قبله ويُنصب به وهو قوله :

* وأُصبِي ظِباءً في الدِّمَقْسِ [٤] خواضعا *

٤١/٢ بناتِ كرامٍ هكذا في القصيدة على تواليها، وقد يجوز رفعه على الابتداء . ويروى : بضُرَّة وبضَرَّة بهما بالضم والفتح . والدُّمى : الصُّوَرُ، واحدتها دُمْيَةٌ . الغناء في هذين البيتين لابن قندحٍ [٥] ثقيلٌ أوّل بالبنصر عن عمرو، وذكر الهشامىّ أنه لمحمد بن إسحاق بن عمرو ابن بَزِيعٍ، وذكر حبشٌ أنه لإبراهيمَ .

ومنها :

صـــوت

أرِقتُ لمكفهِرٍّ باتَ فيــه * بَوارِقُ يرتقِينَ رُءوسَ شِيبِ

تروحُ المشرفِيَّـــةُ في ذُراهُ * ويَجْلُو صفحةَ الذَّيلِ القَشِيبِ

والمكفهِرُّ والمكرهِفُّ : السحابُ المتوالي المتراكِبُ [٦] . والشِّيبُ : السحائبُ التي فيها سواد وبياض شبَّهها بالرءوس الشيبِ، وقال قوم : بل شِيبُ : جبل معروفٌ . شبَّه البرق في السحاب بلمعانِ السُّيوف . ورواه ابن الأعرابي :

* ويجلو صفحَ دَخْدارٍ قَشِيبِ *

---

(١) لم يربن : لم يُسَأْنَ . (٢) شرقات : ممتلئات، يقال : شرق الجسد بالطيب : امتلأ . (٣) روادع : جمع رادع، والرادع : ما فيه أثر الردع وهو الطيب . (٤) الدمقس : الديباج وقيل هو الحرير . (٥) ورد هذا الاسم هكذا في جميع الأصول ولم نقف له على ضبط في كتب اللغة أو غيرها . (٦) كذا في أغلب النسخ . وفي حـ : «المتراكم» بالميم .

وقال : الدَّخْدَارُ : الثوب المَصُونُ ، وهو أعجمىّ معرّب أصله تخت دار . والقشيب : الجديد . الغناء لِعَرِيبَ ثقيلُ أوّل بالبنصر .

ومنها من قصيدته التى أوّلها :

* ألا يا طالَ ليلِى والنهارُ *

صــوت

ألا مَنْ مُبلغُ النعمانِ عنِّى * علانيةً فقـد ذهبَ السِّرَارُ
بأنّ المرءَ لم يُخلَقْ حَدِيدًا . * ولا هَضْبًا توقّاه الوِبَارُ[1]
ولكنْ كالشِّهَابِ فثَمّ يَخْبُو * وحادِى الموتِ عنه ما يَحَارُ
فهـل مِن خالدٍ إما هلكنا * وهل بالموتِ يا لَلنّاسِ عَارُ

الهَضْبُ : الجبلُ . والوِبار : جمع وبْرٍ[2] . والشِّهابُ : السراجُ . ويخبو : يَطْفَأُ . الغناء لبابُويه[3] ثقيل أوّل بالبنصر عن حبش والهشامىّ .

ومنها :

صــوت

ألا مَن مُبلِغُ النعمانِ عنّى * فبينَا المرءُ أَغْرَبَ[4] إذ أَرَاحَا[5]
أَطَعْتَ بنى بُقَيلَةَ فى وَثَاقٍ * وكنا فى حُلوقِهِـمُ ذُبَاحَا[6]

(١) كذا فى حـ وهو المناسب لما يذكرونه فى الوبر من أنها دويبة تكون بالغور . وفى باقى النسخ : «ترقاه» بالراء . (٢) الوبر بالتسكين : دويّبة على قدر السنّور غبراء أو بيضاء من دوابّ الصحراء حسنة العينين شديدة الحياء تكون بالغور . (٣) كذا فى حـ وورد هكذا اسما لمغنّ فى الجزء الرابع ص ٣٦ وفى الجـزء السابع ص ١٦٣ من الأغانى طبع بولاق . وفى باقى الأصـول : «بابونة» بالنون . (٤) أغرب : من الإغراب وهو كثرة المال وحسن الحال . (٥) أراح : مات يقال أراح الرجل اذا مات كأنه استراح . قال العجاج :

* أراح بعد الغمّ والتغمغم *

(٦) الذباح : وجع فى الحلق .

منحتهمُ الفُـرَاتَ وجانبيْه(١) * وتَسقينَا الأواجِنَ(٢) والمِلاَحَا

الغناء لحُنَين خفيف ثقيل أوّل بالسبابة فى مجرى الوسطى عن إسحاق .

ومنهـا :

صـــوت

مَنْ لقلبٍ دَنِفٍ أو مُعْتَمَدْ * قد عَصَى كلَّ نَصِيحٍ ومُفَدْ

لستُ إن سَلْمَى نأتنى دارُها * سامعا فيهـا إلى قول أحدْ

المعتمدُ : الذى عمَـده الوجعُ يَعمِده عَمْدًا(٣) . غنّاه ابن محـرز ولحنُـه خفيفُ ثقيلٍ بالسبابة فى مجرى البنصر عن إسحاق . وفيه لمـالك خفيف ثقيل آخر بالوسطى عن عمرو . وذكر يونس أن فيـه لمـالك لحنا ، ولِسِنَانٍ الكاتبِ لحنا ، وهو ثقيـل أوّل بالوسطى عن حَبَش .

ومنهـا :

صـــوت

أَرَوَاحٌ مُـــوَدِّعٌ أم بُكورُ * لك فاعمِدْ لأىّ حالٍ تَصِيرُ

ويقولُ العُداةُ أَوْدَى عدىٌّ * وعدىٌّ بسُخْطِ ربٍّ أَسِيرُ

أيها الشامتُ المعيِّرُ بالدهـــر أأنت المبرَّأُ الموفُـورُ ٤٢/٢

أم لديكَ العهدُ الوثيق من الأيا * م بل أنت جاهلٌ مغـرُورُ

يريد : أَرَواحٌ نودِّعُكَ فيـه أم بكورٌ ؟ أيَّهما تُريد ؟ فاعمِدْ للذى تصيرُ إليه من أمر آخرتِكَ . والموفورُ : الذى لم تُصِبه نوائبُ الدهر . الغناء لحُنَـين من كتاب يونس

---

(١) فى ح : « ومايليه » . (٢) الأواجن : جمع آجن وهو المـاء المتغير الطعم واللون .

(٣) ذكر المؤلف هـذا المعنى للعتمد ، ولم نجد فى كتب اللغـة التى بأيدينا كاللسان والقاموس والصحاح والمصباح اعتمد بهذا المعنى ، وإنما جاء فيها عمده المرض بمعنى أضناه وأوجعه ، وعَمِدتُ بمعنى وَجِعت .

ولم يذكر طريقته ، وذكر حمّاد بن إسحاق عن أبيه أنّ حُنَينا غنّاه خالدا القَسْرىّ أيام حَرّم الغِناءَ ، فرَقّ له وقال : غَنِّ ولا تُعاشِر سفيهًا ولا مُعَرْبِدًا . والخبر [في ذلك](١) يُذكر فى أخبار حنين .

ومما يُغَنَّى فيه أيضا من شعر عدىّ :

صـــوت

أَلَا يا ربَّما عَـزَّ * خليـلى فتهاونْتُ

ولو شئتُ على مَقْدُ * رَةٍ مِنِّى لعاقبتُ

ولكن سَرَّنى أن يعـ * ـلَمُوا(٢) قَدْرِى فأَقْلعتُ

أَلَا لا فاسألوا الفتيـ * ـة ما قالوا وقد قمتُ

الغناء لسِيَاطٍ رمل عن الهِشَامِىّ . وفيه ليحيى المكىّ خفيفُ ثقيلٍ نسبه إلى مالك وليس له . ولِعَريبَ فى البيتين الأولين ثقيل أول . وبعدهما بيتٌ ليس من الشعر وهو :

ولكنَّ حبيبى جـ(٣) * ـلَّ عندى فتغافلتُ

ومما يُغَنَّى فيه من شعره :

صـــوت

تَعرِفُ أمسِ من لَمِيسَ الطَّلَلْ * مِثلَ الكتاب الدارسِ الأحوَلْ

الذى قد دَرَس فلا يُقرأ .

أنعِمْ صَباحًا عَلْقَمَ بنَ عَدِىٍّ * أثوَيْتَ اليـومَ أم تَرْحَـلْ

قـد رحَّـلَ الفِتيانُ عِيرَهُم * واللحمُ بالغِيطانِ(٤) لم يُنْشَلْ(٥)

(١) زيادة فى ح . (٢) كذا فى أغلب النسخ . وفى ح : « تعلموا » .

(٣) كذا فى م ، ا . وفى باقى النسخ : « حل » بالحاء المهملة . (٤) جمع غائط وهو المطمئن الواسع من الأرض ، وقيل : المطمئن المنبت . (٥) ينشل : ينزع من القدر ، يقال : نشلت اللحم من القدر أنشله وأنشله نشلا اذا انتزعته منها .

إذ هى تَسْبِى الناظِرين وتجـ‍ـلو واضحًا كالأُقْحُوانِ رَتِـ‍ـلْ[(١)]

الرَّتِل : المستوِى البِنية[(٢)] .

عذبًا كما ذقتُ الجَنِىَّ من التـ‍ـفاح مَسْـ‍ـقِيًّا بـ‍ـبردِ الطَّـ‍ـلّْ

هكذا يُغَنَّى . والذى قاله عدىّ : يَسـ‍ـقِيه بردُ الطَّلّ . الغناء لحنين رملٌ بالوسطى عن عمرو .

أخبرنى الحسينُ بن يحيى عن حمّاد عن أبيه عن ابن الكلبىّ أن عمرَو ابنَ آمرئِ القيس المكنَّى بأبى سريح[(٣)] وعَلْقمةَ بن عدىّ ــ وقيل علقم بن عدىّ بن كعب ــ وعمرَو بنَ هند خرجوا إلى الصيد فأتوْا قصرَ آبنِ مُقَاتِل[(٤)] فمكثوا فيه يتصيّدون، فزعموا أن علقمةَ بن عدىّ تَبِعَ حمارا فصرعه والشمسُ لم تَطْلُع، ثم لحِق آخرَ فطعنه فانقصف الرمحُ فيه ومرّ به فرسُه يركُض، فجال به العَيرُ فضربه فأصاب صدرَه فقتله، وقيل: إن الرمحَ المنقصفَ دخل فى صدره فقتله، وذلك فى أيام الربيع، وكان عدىّ بن زيد معهم وإليه قصدوا، وكان نازلا فى قصر آبن مقاتل[(٤)]، فقال عدىّ هذه القصيدة يرثيه بها[(٥)] .

---

(١) فى ب ، س : « الرتل » . (٢) كذا فى جميع الأصول . ولعلها « النبتة » وهى شكل النبات وحالته التى ينبت عليها . وفى اللسان : ثغر رَتِلٌ ورَتَلٌ : حسن التنضيد مستوى النبات .

(٣) كذا ورد هذا الاسم فى أغلب النسخ . وفى حـ : « شريح » بالشين .

(٤) كذا فى جميع الأصول . ولم نجد هذا الاسم فى أسماء الأماكن . والذى ورد فى معجم البلدان لياقوت « قصر مقاتل » وقال : هو قصر كان بين عين التمر (بلدة غربىّ الكوفة) والشام وهو منسوب الى مقاتل ابن حسان بن ثعلبة ، وخربه عيسى بن على بن عبد الله ثم جدّد عمارته فهو له .

(٥) كذا فى حـ . وفى أغلب النسخ بعد قوله يرثيه بها : « انقضت أخبار عدىّ بن زيد » .

صوت من المائة المختارة

عَفَا مِنْ سُلَيمى مُسْحُلانُ فحَامِرُهْ * تَمَشَّى بِــه ظُلْمَــانُه وجآذِرُهْ ٤٣/٢

بمستأسِدِ القُرْيَانِ عَافٍ نَبَاتُه(١) * فَنُوَّارُه مِيلٌ(٢) إلى الشمس زاهِرُهْ

رأتْ عارِضًا جَوْنًا فقامَتْ غَرِيرةٌ * بِمِسْحَاتها قبــل الظلامِ تُبادِرُهْ

فمــا بَرِحَتْ حتى أتى الماءُ دونها * وسُــدّت نواحِيــه ورُفِّــعَ دابِرُهْ

عروضه من الطويل. عفا: درس. مُسْحُلانُ: موضع. وحَامِرُهُ: موضعٌ أضافه إلى مُسْحُلانَ(٣). والظُّلمانُ: ذكورُ النعام واحدُها ظليم. والجآذر: أولادُ البقر واحدها جُؤذُر وجُؤذَر بضم الذال وفتحها. وتَمَشَّى: تُكْثِر المشيَ. والقُرْيانُ: مجارى الماء إلى الرِّياض واحدها قَرِيٌّ. والمستأسِدُ: ما ٱلتفّ منها وطال. والنُّوّارُ يقال: إنه يكون أبدا حِيالَ الشمس يستقبلها بوجهه، فيقول: إن نُوّار هذه الروضة يميلُ زاهرُه حِيالَ الشمس. والعارضُ: السحابُ. والجون: الأسود. والغريرةُ: الناعمةُ التى

---

(١) الذى فى ديوان الحطيئة طبع ليبسك ص٦٢: «حُوٌّ نباته» وحوّ: جمع أحوى وهو الأسود.

(٢) مِيلٌ هكذا بكسر الميم كما جاء وصفا للضباب فى قول ساعدة بن جؤيّة:

* ضباب تنتحيه الريحُ مِيلُ *

قال ابن جنى: الميل جمع وأجراه على الضباب وان كان واحدا من حيث كان كثيرا، فذهب بالجمع الى الكثرة كما قال الحطيئة:

* فنواره ميل الى الشمس زاهرُه *

قال: ويجوز أن يكون ميل واحدا كنقض ونضو ومرط. (انظر اللسان مادة ميل).

(٣) قال ابن السكيت: مسحلان وحامر واديان بالشأم (انظر معجم ياقوت فى اسم حامر).

لم تُجرِّب الأمورَ ، يقول : لما رأت هذه المرأةُ السحابةَ السوداءَ قامت بمِسْحاتها تُصلِحُ النؤيَ حوالَيْ بيتها وهو الحاجزُ بينه وبين الأرض المستوية . وقوله : رُفِّعَ دابُره أى مؤخره الذى يلى الماء من النؤى . الشعرُ للحطيئة يهجو الزِّبْرِقانَ بنَ بَدْر . والغناء لابن عائشةَ ولحنُه المختارُ خفيفُ رملٍ بإطلاق الوتر فى مجرى الوسطى عن إسحاقَ ، وذكرَ حبشٌ أن له فيه لحنا آخرَ من الثقيل الثانى .

خبر الحطيئة ونسبه

والسبب الذى من أجله هجا الزبرقان بن بدر

نسبه

الحُطَيْئة لَقَبٌ لُقِّبَ به، وٱسمه جَرْوَلُ بنُ أَوْسِ بن مالك بن جُؤَيَّةَ بن مَخْزوم ابن مالِك بن غالِب بن قُطَيْعَة بْن عَبْس بن بَغِيض بنِ الرَّيْث بن غَطَفان بن سَعْد ابن قَيْس بن عَيْلانَ بن مُضَر بن نِزار. وهو من فحول الشعراء ومتقدّميهم وفصحائهم، متصرِّفٌ فى جميع فنون الشعر من المديح والهجاء والفخر والنَّسِيب، مُجِيدٌ فى ذلك أجمع، وكان ذا شرٍّ وسَفَهٍ، ونسبُه مُتَدَافَعٌ بين قبائل العرب، وكان ينتمى إلى كل واحدة منها إذا غَضِب على الآخرين. وهو مُخَضْرَمٌ أدركَ الجاهلية والإسلامَ فأسلم ثم ٱرتدّ وقال فى ذلك :

إسلامه وٱرتداده وشعره فى ذلك

أطعنَا رسولَ الله إذ كان بيننا * فيا لَعِبادِ الله ما لِأبى بَكْرِ
أيُورِثُها بكرا إذا مات بعده[1] * وتلك لعمرُ الله قاصِمةُ الظهرِ[2]

سبب لقبه الحطيئة

ويُكْنَى الحطيئةُ أبا مُلَيْكَةَ، وقيل: إن الحطيئةَ غلَب عليه ولُقِّبَ به لقِصَره وقُرْبه من الأرض. وقال حمّادٌ الراوية قال أبو نصر الأعرابىّ : سُمِّىَ الحطيئةَ لأنه ضَرِطَ ضَرْطةً بين قوم، فقيل له : ما هذا؟ فقال: إنما هى حُطَيْئَةٌ[3]، فسمِّىَ الحطيئةَ. وقال المدائنىّ قال أبو اليقظان : كان الحطيئةُ يدَّعِى أنه ٱبنُ عمرو بن عَلْقمة أحد بنى الحارث بن سَدُوس، قال : وسمِّىَ الحطيئةَ لقربه من الأرض.

---

(١) فى ا ، م ، ب : « أيورثَها بكر ». (٢) هذان البيتان أوردهما ابن جرير الطبرىّ فى حوادث سنة ١١ هـ . فى جملة أبيات عزاها للخُطَيل بن أوس أخى الحطيئة .

(٣) كذا فى نسخة م. وتاج العروس شرح القاموس مادة حطأ وحُطَيْئَة : تصغير حَطْأَة فَعْلَة من قولهم حَطَأ حَطْئًا اذا ضَرِط . وفى أغلب الأصول : « حطأة ».

انتماؤه الى بنى ذهل ابن ثعلبة

أخبرنى الفضلُ بنُ الحُبابِ الجُمَحِىّ أبو خليفةَ فى كتابه إلىّ بإجازته لى يذكر عن محمد بن سَلَّام : أنّ الحطيئة كان ينتمى إلى بنى ذُهْلِ بن ثعلبةَ فقال :

إنّ اليمامةَ خيرُ ساكنِها * أهلُ القُرَيَّةِ من بنى ذُهْلِ

قال : والقُرَيَّةُ : منازلهم، ولم ينبت الحطيئةُ فى هؤلاء .

٤٤ / ٢

تلونه فى نسبه وانتسابه الى عدة قبائل

وأخبرنى محمد بن الحَسَن بن دُرَيد قال حدّثنى عمّى عن ابن الكلبى قال : سمعتُ خِرَاشَ بنَ إسماعيل وخالدَ بنَ سَعيد يقولان : كان الحطيئة إذا غضب على بنى عَبْس يقول : أنا من بنى ذُهْلٍ، وإذا غضب على بنى ذُهْل قال : أنا من بنى عبس .

أخبرنى الحسين بن يحيى المِرْدَاسِىّ قال قال حَمَّاد بن إسحاق قال أبى قال ابن الكلبى : كان الحطيئة مغموزَ النسب(١)، وكان من أولاد الزنا الذين شَرُفُوا .

قال إسحاق وقال الأصمعىّ : كان الحطيئةُ يضربُ بنسبه إلى بكر بن وائل فقال فى ذلك :

قومى بنُو عوفِ بن عمْـ(٢) * ـرِو إن أراد العلمَ عالمْ
قومٌ إذا ذهبَتْ خضَا(٣) * رِمُ منهم خَلَفَتْ خضارمْ
لا يَفشَلُون ولا تَبِيـ * ـتُ على أنوفِهِمُ المَخَاطِمْ(٤)

قال الأصمعىّ : وقَدِمَ الحطيئةُ الكوفةَ فنزل فى بنى عَوْف بن عامر بن ذُهْلٍ يسألهم وكان يزعم أنه منهم وقال فى ذلك :

---

(١) فى حـ : «كان الحطيئة مغموز النسب . قال أبى : وكان من أولاد الزنا الخ» .

(٢) كذا فى جميع الأصول وفى نسخة الديوان التى بخط الشيخ محمود الشنقيطى والنسخة طبع أوروبا : «عمرو بن عوف» .

(٣) الخضارم : جمع خضرم وهو الجواد الكثير العطيّة وقيل السيّد الحمول .

(٤) كذا بالأصول وهو جمع مَخْطِم، والمخطم : موضع الخطام من الأنف . وفى ديوانه طبع أوروبا ص ١٩٣ : «الخواطم» وهو جمع خاطم، والخاطم : واضع الخطام فى أنف البعير وهو حبل يوضع فى أنف البعير ليقاد به وكلتا الروايتين لا تمشى فى البيت لأن الظاهر أن المراد الخطام نفسه .

سِيرِى أُمَامَ فإنّ المالَ يجمعُه * سَيْبُ الإلٰه وإقْبَالى وإدبَارى

إلى معاشرَ منهم يا أُمَامَ أبى * من آل عَوْف بُدُوٍ[1] غيرِ أَشْرارِ[2]

نمشى على ضوء أحسابٍ أَضَأْنَ لنا[3] * ما ضَوّأَتْ ليلةُ القَمْراءِ للسّارِى

خبره مع أخويه من أوس بن مالك

وقال ابن دُرَيد فى خبره عن عمه عن ابن الكَلْبى عن أبيه، وحَمّادُ بن إسحاق عن أبيه عن ابن الكلبى عن أبيه قال: كان أوسُ بنُ مالكِ بن جُؤَيّة بن مَخْزوم بن مالك بن غالِب بن قُطَيعةَ بن عَبْس تزوّج بنتَ رِيَاح بن عمرو[4] بن عَوْف بن الحارث ابن سَدُوس بن شَيْبانَ بن ذُهْل بن ثَعْلبةَ، وكان له أَمَةٌ يقال لها الضَّرّاءُ فأَعْلَقها بالحطيئة ورحَل عنها. وكان لبنت رِيَاح أخٌ يقال له: الأَفْقَمُ[5]، وكان طويلا أفقم، صغيرَ العينين، مضغوطَ اللَّحْيين، فولدتِ الضَّرّاءُ الحطيئةَ فجاءت به شبيها بالأفقم، فقالت لها مولاتُها: من أين هذا الصبىّ؟ فقالت لها: من أخيك، وهابت أن تقولَ لها من زوجك، فشبّهتْه بأخيها؛ فقالت لها: صدقتِ. ثم مات أوسٌ[6] وترك ابنين من الحُرّة، وتزوّج الضَّرّاءَ رجلٌ من بنى عبس فولدت له رجلين فكانا أخوى الحطيئة من أمه. فأعتقتْ بنتُ رياحٍ الحطيئةَ وربّتْه فكان كأنه أحدُهما. وترك الأفقمُ نخلا باليمامة. فأتى الحطيئةُ أخويه من أوسِ بنِ مالكٍ وقد كانت أمه لما أعتقتْها بنتُ رياح

---

(١) كذا فى الديوان ص ١٩٢ طبع أوروبا، والبدوء: جمع بَدْءٍ وهو السيد، وقيل: الشاب المستجاد الرأى المستشار. وفى جميع الأصول: «بدور» بالراء المهملة. (٢) كذا فى ديوانه. وفى الأصول: «أسرار» بالسين المهملة. (٣) كذا فى ديوانه. وفى ح، ا: «الى ضوء أحساب أضان لنا». وفى باقى الأصول: «الى ضوء إحسان أضاء لنا».

(٤) كذا فى أغلب الأصول. وفى ح: «رياح بن عوف بن عمرو».

(٥) الأفقم من الفَقَم، والفَقَم فى الفم: أن تدخل الأسنان العليا، وقيل: أن يخرج أسفل اللحى ويدخل أعلاه، ويقال لكل معوج: أفقم. (٦) فى ح، م، ا: «ثم مات الأفقم وترك ابنين من حرة الخ».

اعترفت أنها اعتلقتْ من أوس بن مالك، فقال لهم : أفرِدُوا إلىّ من مالكم قطعةً فقالا : لا، ولكن أقِمْ معنا فنحن نُواسيكَ فقال :

أأمرْتُمانى أن أُقِيمَ عليكما * كلّا لعَمْرُ أبيكما الحبّاقِ
عبدانِ خيرُهما يُشَلُّ بضَبْعِه * شَلَّ الأجير قلائصَ الورّاقِ (١)

سأل أمه من أبوه خالطت عليه فقال شعرا

قال : وسأل الحطيئةُ أمَّه : مَنْ أبوه تخلطَتْ عليه فقال :

تقول لِيَ الضرّاءُ لستَ لواحدٍ * ولا اثنين فانظر كيف شِرْكُ أُولئكا
وأنتَ امرؤ تبغِي أبًا قد ضلَلْتَه * هَبِلْتِ (٢) أَلَمَّا تستفيقِ من ضَلالِكا

خبره مع إخوته من بنى الأفقم

قال : وغضِبَ عليها فلحِقَ بإخوته بنى الأفقم فقال :

٤٥/٢ سِيرِى أُمَامَ فإن المالَ يجمعُه * سَيبُ الإله وإقبالِى وإدبارِى

قال : فلم يدفعوه ولم يقبلوه فقال :

إنّ اليمامةَ خيرُ ساكِنها. * أهلُ القُرَيّةِ مِن بنى ذُهلِ

وسألهم ميراثَه من الأفقم فأعطَوْه نخلاتٍ من نخل أبيهم تُدعَى نخلات أُمّ مُليكةَ، وأمّ مليكة : امرأةُ الحطيئة، فقال :

---

(١) كذا فى ح، ا ويشلّ : يطرد. والضبع : وسط العضد بلحمه. والورّاق : صاحب الورق : المال من إبل ودراهم وغيرهما. وفى ب، س :

«عبدان سيرهما يسَلّ بضبعه * سلّ الأجير قلائص الورّاق»

(٢) يقال هبله أمه أى ثكلته والقياس فى المسند للخاطب أن يقال هُبِلتَ بالبناء للفعول لأنه إنما يدعى عليه بأن تهبله أمه ولكن صاحب اللسان فى مادة «هبل» نقل عن ابن الأعرابى أنه يقال فى الدعاء : هَبِلتَ بالبناء للفاعل ولا يقال هبلت بالبناء للفعول.

لِيَهْنِي[1] تُراثِى لامرئٍ غيرَ ذِلّةٍ * صَنابِيرُ أُحْدانٌ لهنّ حَفيفُ[2]

قال : ثم لم تُقْنِعه التَّخيلاتُ، وقد أقام فيهم زمانا فسألهم ميراثَه كاملًا من الأَفْقَم فلم يُعطوه شيئا وضربوه، فغضِبَ عليهم وقال :

تمنّيتُ بكرا أن يكونوا عِمارتى[3] * وقومِى وبَكْرٌ شرُّ تلك القبائلِ

إذا قلتُ بَكْرِىٌّ نَبَوْتُم[4] بحاجتى * فياليتنى مِن غيرِ بكرِ بنِ وائلِ

فعاد إلى بنى عَبْس وانتسب إلى أَوْس بن مالك . وقال الأصمعىّ فى خبره : لما أتى أهلَ القُرَيَّةِ، وهم بنو ذُهْلٍ، يَطلُبُ ميراثَه من الأَفْقَمِ مدحهم فقال :

إنّ اليمامةَ خيرُ ساكنِها * أهلُ القُرَيّةِ من بنى ذُهْلِ

الضامنون لمالِ جارِهِمُ * حتى يتمّ نواهضُ[5] البقلِ

قوم إذا انتسبوا ففرعُهُمُ * فَرعى وأثبتُ أَصْلِهم أَصْلِي

قال : فلم يُعطوه شيئا، فقال يهجوهم :

إنّ اليمامة شَرُّ ساكنِها * أهلُ القُرَيّةِ من بنى ذُهْلِ

(١) كذا فى ح ، م ، ا ليهنى بياء ساكنة، وفى اللسان مادة «وحد» ليهنْ بجزم الهمز وكلاهما صحيح . وفى ب ، س : « ليهن » ، وذكر صاحب اللسان أن ليهنك (أى بغير همز ولا ياء) تقوله العامة وهو غير جائز . ولكن ورد فى صحيح البخارىّ فى حديث توبة كعب بن مالك «ليهنك توبة الله عليك» انظر تاج العروس مادة « هنأ » . (٢) كذا فى ح ، ا ولسان العرب مادّة صنبر ومادّة وحد . غير أن كلمة صنابير رواها صاحب اللسان هكذا « صنابر » من غير ياء بعد الباء ، وحكى أن ابن الأعرابىّ فسرها بالسهام الدقاق ، وأن ابن سيدة قال : لم أجد هذا إلا عن ابن الأعرابىّ ولم يأت لها بواحد . وأحدان : أفراد لا نظير لها . وفى ب ، س :

* صنانير أخدان لهن حفيف * وهو تصحيف .

(٣) العمارة بكسر العين وفتحها : أصغر من القبيلة ، وترتيبها هكذا : الشعب أكثر من القبيلة ثم القبيلة ثم العمارة ثم البطن ثم الفخذ ثم العشيرة ثم الفصيلة ثم الرهط . (٤) نبوتم : تجافيتم وتباعدتم .

(٥) نواهض البقل : ما استوى منه ، يقال : نهض النبت إذا استوى .

تزوج أمه فهجاها

وقال أبو اليَقْظان فى خبره : كان الرجل الذى تزوج أمَّ الحطيئة أيضا ولدَ زنا اسمه الكَلْب بن كُنَيس[1] بن جابر بن قَطَن بن نَهْشَل، وكان كُنَيس[1] زنى بأمَة لزُرارة يقال لها رُشَيَّة، فولدت له الكلبَ ويَرْبوعا، فطلبهم من زُرارةَ فمنعه منهم[2]، فلما مات طلبهم من أبيه لَقِيط فمنعه، وقال لَقيطُ فى ذلك :

أفى نصفِ شهرٍ ما صَبَرتم لحقِّنا * ونحن صبرنا قبــل ذاك سِنينَا

وهى أبيات . فتزوج الكلبُ الضَّرَّاءَ أمَّ الحطيئة، فهجاه الحطيئةُ وهجا أمَّه فقال :

ولقــد رأيتُــكِ فى النساء فسُؤتِنى * وأبَا بنيــكِ فساءنى فى المجلسِ
إنّ الذليــلَ لمن تَزُور ركابُه * رهطُ ابن جَحْشٍ فى الخطوب الحُوَّسِ[3]
قَبَــح الالهُ قبيــلةً لم يمنعُــوا * يــومَ المُجَيمِر[4] جارَهم من فَقْعَسِ[5]
أبلغ بنى جَحْش[6] بأنّ نِجارَهــم[7] * لؤم وأنّ أباهــمُ كالهِجْرِسِ[8]

وقال الحطيئةُ يهجو أمه :

جزاكِ اللهُ شرًّا من عجوزٍ * ولقَّاكِ العُقُوقَ من البنينِ
فقد مُلِّكتِ أمرَ بنيكِ حتى[9] * تركتِهِــمُ أدقَّ من الطَّحينِ

---

(١) كذا فى ب، س، حـ . وفى م، ا : « الكبيش » .
(٢) كذا فى حـ . وفى سائر النسخ : « فمنعهم منه » . (٣) كذا فى أغلب النسخ . والحوّس : الأمور الشداد التى تنزل بالقوم وتغشاهم . وفى حـ وديوانه (النسخة المخطوطة الموجودة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٣ أدب ش هكذا :
* رهط ابن جحش فى مضيق المحبس *
(٤) قال ياقوت : المجيمر : جبل بأعلى مُبْهِل (ماء فى ديار بنى تميم) وقيــل المجيمر : أرض لبنى فزارة .
(٥) فقعس : حى من بنى أسد . (٦) فى ديوانه واللسان مادة هجرس : « أبلغ بنى عبس » .
(٧) النجار : الحسب والأصل . (٨) الهجرس : ولد الثعلب أو القرد، وقد يوصف به اللئيم .
(٩) الذى فى الديوان ولسان العرب مادة « سوس » : * لقد سوّست أمر بنيك حتى *
يقال : سُوِّس الرجلُ أمورَ الناس (على مالم يسمّ فاعله) اذا ملك أمرهم .

فإن تَخْلُ وأمرَكِ لا تَصُولى * بمشْــدَدٍ قُواه ولا متــين

لسانُكِ مِبْرَدٌ لا خيرَ فيــه(١) * ودرُّكِ درُّ جاذبةٍ(٢) دَهِينِ

٤٦/٢ وقال يهجو أمه أيضا :

تَنَحَّىْ فاجلِسى مِنّى بعيــدًا * أراحَ اللهُ منــك العالَمينا

أغِرْبالًا(٣) إذا استُودِعتِ سِرًّا * وكانونًا(٤) على المتحدِّثينا

حياتُكِ ما علمتُ حياةُ سُوءٍ * وموتُكِ قــد يسرُّ الصالِحينا

كان هجاء، دنىء النفس فاسد الدين وذم نفسه

أخبرنى محمد بن الحَسَن بن دُرَيد قال أخبرنى عبد الرحمن آبن أخى الأصمعىّ عن عمه قال :

كان الحطيئة جَشِعًا سؤولًا مُلْحِفًا، دنىءَ النفس، كثيرَ الشرّ، قليلَ الخير، بخيلًا، قبيحَ المنظر، رثَّ الهيئة، مَغمُوزَ النسب، فاسدَ الدِّين، وما تشاء أن تقولَ فى شعر شاعرٍ من عيبٍ إلّا وجدتَه، وقلَّما تجد ذلك فى شعره .

أخبرنى آبن دُرَيد قال أخبرنا أبو حاتم عن أبى عُبَيدة قال : بُخلاءُ العربِ أربعةٌ : الحطيئةُ، وحميدٌ الأَرْقَط، وأبو الأَسْود الدُّؤَلىّ، وخالدُ بن صَفْوانَ .

أخبرنا آبن دريد قال حدثنا أبو حاتم قال قال أبو عبيدة : كان الحطيئةُ بَذِيًّا هجّاءً، فالتمس ذات يوم إنسانا يهجوه فلم يجده، وضاق عليه ذلك فأنشأ يقول :

أبَتْ شَفَتاىَ اليــومَ إلا تكلُّماً * بشرٍّ فمــا أَدْرِى لِمن أنا قائِلُهْ

(١) كذا فى أغلب النسخ . وفى حـ واللسان : «لا عيب فيه» . وفى الديوان : «لسانك مبرد لم يبق شيئا» . (٢) كذا فى الديوان ولسان العرب . والجاذبة : الناقة التى جذبت لبنها من ضرعها فذهب صاعدا . والدهين من الإبل : الناقة البكيئة القليلة اللبن التى يمرى ضرعها فلا يدرّ قطرة . وفى جميع النسخ : «جارية دهين» . (٣) الغربال : النمام . (٤) الكانون : الثقيل الوخم من الناس .

وجعل يُدَهْوِرُ هـذا البيتَ فى أشْـدَاقِه ولا يَرَى إنسانا، إذِ آطّلع فى رَكِيٍّ(١) أو حوض فرأى وجهَه فقال :

أَرَى لِيَ وجها شَـوَّهَ اللهُ خَلْقَه * فقُبِّحَ من وجهٍ وقُبِّحَ حامِـلُهْ

قدم المدينة فجمعت له قريش العطايا خوفا من شره

نسختُ من كتاب الحرمىّ بن أبى العَـلاء : حدّثنا الزُّبَيْرُ بن بَكّار قال حدّثنى عمّى قال :

قدم الحطيئةُ المدينةَ فأَرْصَدَتْ(٢) قريشٌ له العطايا خوفًا من شَرّه، فقام فى المسجد فصاح : مَنْ يَحْمِلُنى على بغلين.

أخبرنى أبو خليفة قال حدّثنا محمدُ بن سَلّام وأخبرنى الحسينُ بن يحيى المِرْداسىّ قال حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال قال أبو عُبَيدة والمدائنىّ ومُصْعَب :

كان الحطيئة سَؤُولًا جَشِعًا، فقدِم المدينةَ وقد أرصَدَتْ له قريشٌ العطايا، والناسُ فى سَنَةٍ مُجْدِبَةٍ وسَخْطَةٍ من خليفة، فمشى أشرافُ أهلِ المدينة بعضُهم إلى بعض، فقالوا : قد قدِمَ علينا هذا الرجلُ وهو شاعر، والشاعرُ يَظُنّ فيُحَقِّقُ، وهو يأتى الرجل من أشرافكم يسأله، فإن أعطاه جَهَدَ نفسه بَهَرَهَا(٣)، وإن حرمَه هجاه، فأُجْمِعَ رأيُهم على أن يَجعلوا له شيئا مُعَدًّا يجمعونه بينهم له، فكان أهلُ البيت من قريش والأنصارِ يجمعون له العشرةَ والعشرينَ والثلاثين دينارا(٤) حتى جمعوا له أربعمائة دينار، وظنوا أنهم قد أغنَوْه، فأَتَوْه فقالوا له : هذه صلةُ آلِ فلانٍ وهذه صلةُ آل فلان وهذه صلةُ آل فلان، فأخذها، فظنوا أنهـم قد كَفُّوه عن المسئلة، فإذا هو يومَ الجمعة قد آستقبل الإمامَ ماثلًا(٥) ينادى : مَنْ يحملنى على بغلين وقاه الله كَبَّةَ(٦) جهنّمَ.

---

(١) الركىّ : البئر. (٢) أرصدت : أعدّت. (٣) أى كلف نفسه فوق طاقتها.
(٤) كذا فى ح. وفى سائر الأصول : «الدينار» بال وهو خطأ عربية. (٥) من مثل يمثل إذا آنتصب قائما. (٦) أورد ابن الأثير فى النهاية فى مادة كب وصاحب اللسان فى مادتى كب وقلب قول معاوية حين آحتضر وكان يقلّب على فراشه : «إنكم لتقلبون حوّلا قلّبا إن وُقى كبّة النار» ثم قالا : الكبة بالفتح : شدّة الشىء ومعظمه، وكبة النار : صدمتها.

كان متين الشعر وليس فى شعره مطعن

ووصف أبو عبيدةَ ومحمدُ بن سلّام شعرَ الحطيئة فجمعتُ متفرّق ما وصفاه به فى هذا الخبر، أخبرنا به أبو خَليفة عن محمد بن سلّام وابن دُرَيد عن أبى حاتم عن أبى عُبَيدةَ قالا :

كان الحطيئة متين الشعر ، شَرُودَ القافية[1] ، وكان دنىءَ النفس ، وما تشاء أن تطعن فى شعر شاعر إلا وجدت فيه مطعنًا ، وما أقلّ ما تجد ذلك فى شعره . قالا :

طلب من كعب بن زهير أن يقول شعرا يضعه فيه بعده فقال ، وهجاه لذلك مزرد بن ضرار

٤٧ / ٢

فبلغ من دناءة نفسه أنه أتى كعبَ بن زُهَير — وكان الحطيئة رَاوِيَةَ زهير وآل زهير — فقال له : قد علمتَ روايتى لكم أهلَ البيت وانقطاعى إليكم ، وقد ذهب الفحولُ غيرى وغيرَكَ ، فلو قلتَ شعرا تَذكر فيه نفسَكَ وتضعُنى موضعا بعدك ! — وقال أبو عبيدة : تبدأ بنفسك فيه ثم تُثنّى بى — فإن الناس لأشعاركم أروَى وإليها أسرع ! فقال كعبٌ :

فمن للقوافى شانَها[2] مَنْ يَحوكُها * إذا ما ثوى كعبٌ وفَوَّزَ جَرْوَلُ

كَفَيتُكَ لا تلقَى من الناس واحدا * تَنَخَّلَ[3] منها مثلَ ما نَتَنَخَّلُ

نقولُ فلا نعيا بشىءٍ نقولُه * ومِن قائليها مَنْ يُسىء ويُجْمِلُ

نُثَقِّفُها[4] حتى تَلِينَ مُتُونُها * فيقصُرُ عنها كلّ ما يُتَمَثَّلُ[5]

---

(١) يقال : قافية شرود : سائرة فى البلاد تشرد كما يشرد البعير . (٢) شانها : جاء بها شائنة أى معيبة . وثوى : مات ، وكذا فوّز . قال ابن برّى : وقد قيل : إنه لا يقال فوّز فلان حتى يتقدم الكلام كلام فيقال : مات فلان وفوّز فلان بعده ، يشبه بالمصلى من الخيل بعد المجلى . (٣) كذا فى م ، أ ، حـ والشعر والشعراء بالخاء المعجمة ، يقال تنخلت الشىء : تخيرته واستقصيت أفضله . وفى ب ، س : «تنحل» بالحاء المهملة وهو تصحيف . (٤) كذا فى حـ وخزانة الأدب للبغدادى ج ١ ص ٤١١ بالنون . وفى باقى النسخ : « يثقفها » بالياء . (٥) يتمثل : يضرب مثلا ، يقال : تمثل هذا البيت وتمثل به أى ضرب به مثلا .

قال : فاعترضه مُزَرِّدُ بن ضِرارٍ، واسمه يزيد وهو أخو الشَّمَّاخ، وكان عِرِّيضًا أى شديد العارضة كثيرَها، فقال :[(١)]

باستك إذ خلفتنى[(٢)] خلف[(٣)] شاعرٍ * من الناس لم أُكْفِئ[(٤)] ولم أتنحّلِ

فإن تَخشِبا أَخشِب[(٥)] و إن تتنخّلا * و إن كنتُ أفتَى منكما أتنخّلِ

فلستَ كحسّانَ الحُسَامِ ابنِ ثابتٍ * ولست كشمّاخٍ ولا كالمُخَبَّلِ

أنشد عمر شعرا هجا به قومه ومدح إبله

نسختُ من كتاب الحَرَمىّ بن أبى العلاء قال حدّثنا الزُّبَيْرُ بن بَكّار قال حدّثنى محمد بن الضحّاك قال :

أنشد الحطيئةُ عمرَ بن الخطاب رضى الله عنه قصيدةً نال فيها من قومه ومدحَ إبله فقال :

مَهارِيسُ[(٦)] يُروِى رِسْلُها ضيفَ أهلها * إذا الريحُ[(٧)] أبدتْ أوجُهَ الخَفِرَاتِ

يُزِيلُ القَتادَ جَذْبُها بأصوله * إذا أصبحتْ مُقْوَرّةً[(٨)] خَرِصَاتِ[(٩)]

---

(١) كذا فى جميع الأصول ولم نجد هذا المعنى الذى أورده أبو الفرج فى كتب اللغة كاللسان والقاموس والذى ذكرته فى معنى العرّيض أنه الذى يتعرّض للناس بالشرّ . (٢) كذا فى جميع الأصول وفى طبقات الشعراء لابن سلام طبع أوربا صحيفة (٢١) سطر (١٨) « وباستك » .

(٣) فى ا ، ء ، م : « أن » . (٤) من الإكفاء المعدود فى عيوب الشعر وهو المخالفة بين حركات الروىّ رفعا ونصبا وجرا ، وله تعاريف أخرى (انظر اللسان مادة كفأ) . والتنحل : أن يدعى الشعر لنفسه وهو لغيره . (٥) كذا فى ح ، ء ، ا . يقال : خشب الشعر يخشبه خشبا أى يمرّه كما يجيئه ولم يتأنق فيه ولا تعمّل له ، وهو يخشب الكلام والعمل اذا لم يحكمه ولم يجوّده . وفى باقى النسخ :

فان تخشنا أخشن و إن تتنحلا * و إن كنت أفتى منكما أتنحل

بالنون فى « تخشنا وأخشن » و بالحاء المهملة فى تتنحلا وأتنحل وهو تصحيف . وفى طبقات الشعراء لابن سلام « فإن تجشبا أجشب » بمعنى خشن .

(٦) المهاريس من الإبل : التى تقضم العيدان اذا قل الكلأ وأجدبت البلاد ، كأنها تهرسها بأفواهها أى تدقها . وقيل : الشداد ، سميت بذلك لشدّة وطئها . والواحد مهراس . ورسلها : لبنها

(٧) كذا فى جميع الأصول . وفى الديوان ولسان العرب مادة هرس : « اذا النار » .

(٨) كذا فى جميع الأصول والديوان . والمقورّة هنا : المهازيل ، و يقال أيضا على السمان ، فهو من أسماء الأضداد . وفى اللسان مادة خرص « مقرورة » من القرّ وهو البرد . (٩) كذا فى الديوان ، والخرصة : الجائعة المقرورة . وفى جميع الأصول : « خورات » من الخور وهو الضعف .

دخل فى حفل عند سعيد بن العاص فأنكره الناس ثم عرف فكرّم

أخبرنى عمّى قال حدّثنا الكُرَانىّ عن التَّوَّزِىّ عن أبى عُبيدة قال : بينا سَعيد ابن العاص يُعَشِّى الناسَ بالمدينة والناسُ يخرجون أولا أولا ، إذ نَظر على بساطه إلى رجل قبيح المنظر، رثِّ الهيئة، جالسٍ[(1)] مع أصحاب سَمَرِه ، فذهبَ الشُّرَطُ يُقيمونه فأبى أن يقومَ ، وحانتْ من سعيدٍ التِفاتةٌ فقال : دَعُوا الرجلَ ، فتركوه ، وخاضوا فى أحاديثِ العرب وأشعارها مَلِيًّا ، فقال لهم الحطيئةُ : والله ما أصبتم جَيِّدَ الشعرِ ولا شاعِرَ العرب ، فقال له سعيد : أتعرِفُ من ذلك شيئا ؟ قال : نعم ، قال : فمن أشعرُ العربِ ؟ قال : الذى يقول :

لا أَعُدُّ الإقتارَ عُدمًا ولكن * فَقْدُ مَنْ قد رُزِئتُه الإعدامُ

وأنشدها حتى أتى عليها ، فقال له : مَنْ يقولها ؟ قال : أبو دُوَادٍ الإيادىُّ ، قال : ثم مَنْ ؟ قال : الذى يقول :

أَفْلِحْ[(2)] بما شئتَ فقد يُدرَكُ بال * جهل[(3)] وقد يُخدَعُ الأريبُ

ثم أنشدها حتى فرغ منها ، قال : ومن يقولها ؟ قال عَبيد بن الأبرص ، قال : ثم من؟ قال : والله لَحَسْبُكَ بى عند رغبةٍ أو رهبةٍ إذا رفعتُ إحدى رجلىّ على الأخرى ثم عَوَيت فى أثر القوافى عُوَاءَ الفَصيل الصّادِى ، قال : ومن أنت؟ قال : الحطيئةُ ، قال : فرحَّبَ به سعيد ، ثم قال : أسأتَ بكتمانِنا نفسَك منذ الليلة ، ووصله وكساه . ومضى لوجهه إلى عُتيبةَ بن النَّهّاس العِجْلِىّ فسأله ، فقال له : « أنا على عملٍ فأعطيك

قدم على عتيبة بن النهاس فلم يكرمه ثم عرف به فأكرمه

(1) كذا فى نسخة ط وهو وصف آخر لرجل ، وفى سائر النسخ : «جالسا» وهو صحيح أيضا على أنه حال من رجل لأن النكرة اذا وصفت صح فيما يذكر بعد أن يكون حالا منها . (2) كذا فى ا واللسان ونسخة المعلقات بشرح التبريزى . وأفلح من الفلاح وهو البقاء، أى عش بما شئت من عقل وحمق ، فقد يرزق الأحمق ويحرم العاقل ، أو من الفلاح وهو الفوز والظفر . وفى م : «أفلج» بالجيم وهو بمعنى أفلح أى فز واظفر . وفى بقية الأصول : «أدرك» . (3) كذا فى جميع الأصول . وفى المعلقات : «فقد يبلغ بالضعف» . وفى اللسان مادّة فلح : «فقد يبلغ بالنوك» .

من عَدَدِه، ولا فى مالى فضل عن قومى؛ قال له : فلا عليك، وانصرف . فقال له بعضُ قومه : لقد عرّضتنا ونفسَك للشر ! قال : وكيف ! قالوا : هذا الحطيئة وهو هاجينا أخبثَ هجاء؛ فقال : رُدّوه ، فردّوه إليه ، فقال له : لِمَ كَتمتنا نفسَك(١) كأنك كنت تطلب العِلَلَ علينا ! اِجلسْ فلك عندنا ما يسرّك؛ فجلس فقال له : مَنْ أشعر الناس ؟ قال : الذى يقول :

٤٨ / ٢

ومَنْ يجعلِ المعروفَ من دون عِرْضه * يَفِرْهُ(٢) ومَنْ لا يتّقِ الشّتمَ يُشْتَمِ

فقال له عتيبةُ : إنّ هذا من مقدّمات أفاعيك؛ ثم قال لوكيله : اذهب معه إلى السُّوق فلا يطلبُ شيئا إلا اشتريتَه له؛ فجعل يَعرِضُ عليه الخزَّ ورقيقَ الثياب فلا يريدها ويُومِئُ الى الكرابيس(٣) والأكسية الغِلاَظ فيشتريها له حتى قضى أربَه ثم مضى؛ فلما جلس عتيبةُ فى نادى قومه أقبل الحطيئةُ ، فلما رآه عتيبة قال : هذا مقامُ العائذ بك يا أبا مُلَيكة من خيرك وشرّك؛ قال : قد كنت قلتُ بيتين فاستمعْهما ثم أنشأ يقول :

سُئِلتَ فلم تبخَل ولم تُعْطِ طائلا * فَسِيَّانِ لا ذمٌّ عليكَ ولا حمدُ
وأنتَ آمرؤ لا الجودُ منكَ سَجيّةٌ * فتُعطِى ولا يُعدِى(٤) على النائل الوُجْدُ(٥)

ثم ركَض فرسَه فذهب .

---

(١) فى م ، ب ، س : « كتمت نفسك » . (٢) يفره : يتمه ولا ينقصه ، ويستعمل وفر لازما فيقال : وفر عرضه وفرا ووفورا أى كرم ولم يبتذل . وقد يتعدّى لمفعولين فيقال وفره عرضه أى لم يشتمه كأنه أبقاه له كثيرا طيبا لم ينقصه بشتم . (٣) الكرابيس : جمع كرباس وهو ثوب من القطن الأبيض، فارسىّ معرّب . (٤) فى م ، أ ، ء وخزانة البغدادى (ج ١ ص ٤١١) والديوان ولسان العرب مادة « عدا » : « وقد يعدى » . ويعدى : يعين . (٥) الوجد مثلث الواو : اليسار والسعة .

ليس فى شعره مطعن

أخبرنى الحسينُ بن يحيى ومحمدُ بن مَزْيد البُوشَنْجِى[(١)] قالا حدّثنا حمّاد بن إسحاق قال حدّثنى محمد بن عمرو الجَرْجَرائى[(٢)] عن أبى صَفْوانَ الأحوزى[(٣)] قال : ما من أحدٍ إلا لو أشاءُ أن أجدَ فى شعره مطعَنًا لوجدتُه إلا الحطيئة .

أنشد إسحاق من شعره وقال إنه أشعر الشعراء بعد زهير

قال حمّاد : وسمعت أبى يقول وقد أَنشَدَ قولَ الحطيئةِ :

وفتيانِ صدقٍ من عَدِىٍّ عليهمُ * صفائحُ بُصْرَى عُلِّقتْ بالعَواتِقِ
إذا ما دُعُوا لم يَسألوا مَنْ دعاهمُ * ولم يُمسِكوا فوقَ القلوبِ الخَوافِقِ
وطاروا إلى الجُرْدِ العِتاقِ فألجموا * وشَدُّوا على أوساطهم بالمَناطقِ
أولئك آباءُ الغَريبِ وغاثةُ الصَّريخِ ومأوَى المُرْمِلين الدَّرادقِ[(٤)]
أَحَلُّوا حِياضَ الموتِ فوقَ جِباهِهم[(٥)] * مكانَ النّواصى من وجوه السَّوابقِ

ويروى :

* «إذا استُلحِموا»[(٦)] ... ... * وإذا ركبوا لم ينظروا عن شِمالهم *

ويروى : أولئك أبناء العَزِيف[(٧)] — ثم قال : أما إنى ما أزعم أن أحدا بعد زُهير أشعرُ من الحطيئة .

---

(١) نسبة الى بوشنج : بليدة نَزِهة خَصيبة فى واد مُشجِر من نواحى هَراة بينهما عشرة فراسخ .

(٢) نسبة الى جَرْجَرايا : بلدة من أعمال النهروان الأسفل بين واسط و بغداد ، والنسبة الهاجرجرائى كما فى تهذيب التهذيب والخلاصة فى أسماء الرجال فى الكلام على محمد بن الصباح الجرجرائى . (٣) كذا فى ب ، س . وفى ا ، م : « الأجوزى » . وفى ء : « الأحوذى » ولم نهتد لتصحيح هذا الاسم .

(٤) الدرادق : الصبيان الصغار ، واحده دردق . (٥) كذا فى ء ، ا ، م . وفى باقى النسخ : « حياض المجد » واضافة الحياض الى الموت معروفة ، و يكنى بها عن المنية كما فى شعر كعب بن زهير :

لا يقع الطعن الا فى نحورهم * وما لهم عن حياض الموت تهليل

وقد قال المحبّى فى كتابه « ما يعول عليه فى المضاف والمضاف اليه » : وقد شاع ذلك حتى صار كالحقيقة فيقال هو فى الحياض كما يقال فى النزع والغرغرة . (٦) استلحموا : نشبوا فى الحرب ودخلوا فى غمارها . وهذه الرواية فى البيت الثانى الذى أوله : اذا ما دعوا ... (٧) العزيف : الصوت له دوى ، ومنه عزيف الرعد لدويه وعزيف الريح لما يسمع من دويها وعزيف القوس تصويتها ، ولعله يريد هنا صوت ما يستنهض به للحرب كالطبل ونحوه أو أصوات الأبطال فى حومة الوغى .

وافقه ابن ميادة فى شعر فعرف أنه شاعر

أخبرنى الحسينُ بن يحيى عن حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال : بلغنى أنه لما قال ابنُ ميّادة :

* تمشّى به ظُلْمانه وجآذِرُه *

قيل له : قد سبقك الحطيئةُ إلى هذا ، فقال : والله ما علمتُ أنّ الحطيئة قال هذا قطّ ، والآن علمتُ والله أنى شاعر حين واطأتُ الحطيئة .

قال الأصمعىّ وقد أنشد شعره إنه أفسده بالهجاء

قال حمّاد : قال أبى : وقال لى الأصمعىّ وقد أنشدنى شيئا من شعر الحطيئة : أفسد مثلَ هذا الشعر الحسن بهجاء الناس وكثرة الطمع .

سئل من أشعر الناس فأخرج لسانه يعنى نفسه

قال حمّاد : قال أبى : وبلغنى عن عبد الرحمن بن أبى بكرة[1] أنه قال : لقيت الحطيئة بذات عِرْق[2] فقلت له : يا أبا مُلَيكة ، مَن أشعر الناس؟ فأخرج لسانه كأنه لسانُ الحية ثم قال : هذا اذا طَمِع .

قابل حسان متنكرا وسمع من شعره

ونسخت من كتاب أحمدَ بن سعيد الدِّمَشْقِىّ قال حدّثنا الزُّبير قال حدّثنى يحيى بن محمد بن طَلْحة وكان قد قارَب ثمانينَ سنة قال :

أخبرنى بعضُ أشياخنا أن أعرابيا وقف على حسّانَ بنِ ثابت وهو يُنشِدُ ، فقال له حسّان : كيف تَسمعُ[3] يا أعرابىّ ؟ قال : ما أسمع بأسا ؛ قال حسّان :
٤٩
٢
أما تسمعون إلى الأعرابىّ ! ما كنيتك أيها الرجل ؟ قال : أبو مُلَيكة ، قال : ما كنتَ قطُّ أهونَ علىّ منك حينَ اكتنيت بامرأة ، فما آسمُك ؟ قال : الحطيئة ، فاطرق حسّان ثم قال له : امضِ بسلام .

---

(١) كذا فى أغلب النسخ وهو الموافق لما فى الشعر والشعراء لابن قتيبة . وفى أ ، م « عبد الرحمن ابن أبى بكر » وكلتا الروايتين محتملة لأن كلا من عبد الرحمن بن أبى بكرة وابن أبى بكر كان فى عهد الحطيئة . (٢) ذات عرق : مهلّ أهل العراق وهو الحد بين نجد وتهامة . (٣) فى ح : « كيف ترى يا أعرابى؟ قال : ما أرى بأسا » .

كان بخيلا يطرد أضيافه

أخبرنى الحُسَين بن يحيي عن حمّاد عن أبيه عن المدائنىّ قال :

مرّ ابنُ الحَمَامة بالحطيئة وهو جالس بفِناء بيته ، فقال : السلامُ عليكم ؛ فقال : قلتَ ما لا يُنكَر ؛ قال : إنى خرجت من [عنـد](١) أهلى بغير زاد ؛ فقال : ما ضَمِنتُ لأهلك قِرَاكَ ؛ قال : أفتأذن لى أن آتىَ ظلّ بيتك فأتفيأَ به ؟ قال : دونكَ الجبلَ يفِيءُ عليك ؛ قال : أنا ابنُ الحَمَامة ؛ قال : انصرف وكن ابنَ أىّ طائرٍ شئت .

وأخبرنا بهـذا الخبر اليَزيدىّ عن الخَزّاز(٢) عن المدائنىّ فحكى ما ذكرْناه من قول الحُطَيئة عن أبى الأسود الدُّؤَلىّ .

وأخبرنى الحُسَين عن حمّاد عن أبيه عن أبى عُبيدة والمدائنىّ قالا :

أتى رجلُ الحطيئةَ وهو فى غنم له فقال له : يا صاحبَ الغنم ، فرفعَ الحطيئةُ العصا وقال : إنها عَجْراء(٣) من سَلَم ؛ فقال الرجل : إنى ضيف ؛ فقال : للضِّيفَانِ أعددتُها ، فانصرف عنه . قال إسحاق : وقال غيرهما : إن الرجل قال له : السلام عليكم ؛ فقال له : عَجْراء مِن سَلَمٍ ؛ فقال : السلام عليكم ؛ فقال : أعددتُها للطُّرّاق ؛ فأعاد السلام فقال له : إن شئتَ قمتُ بها إليك ؛ فانصرف الرجُل عنه .

كان يقول إنما أنا حسب موضوع

أخبرنى علىّ بن سليمان الأخفش قال حدّثنا محمد بن يَزِيد قال : زعمَ الجاحظ أن الحطيئة كان يقول : إنما أنا حسَبٌ موضوعٌ ؛ فسمع عمرُو بن عُبَيد رجلا يحكي ذلك عنـه يقال له عبد الرحمن بن صِدِّيقة ، فقال عمرو : كذب ترّحه(٤) الله إنما ذلك التقوى .

---

(١) زيادة فى حـ . (٢) كذا فى م . وفى أغلب الأصول « الخزاز » والصواب ما أثبتناه وهو « أحمد بن الحارث بن المبارك الخزاز » صاحب أبى الحسن المدائنى وراويته وله ترجمة فى معجم الأدباء لياقوت ج ١ ص ٤٠٧ ، والفهرست لابن النديم ص ١٠٤ ، ولم نهتد لتصحيح هـذا الاسم فى الجزء الأوّل فكنا نكتب ما فى أغلب الأصول « الخزاز » براء وزاى وننبه على أن فى بعضها « الخزاز » بزايين . أنظر ص ١٤ س ٢٠ وص ٢١ س ٣ من الجزء الأوّل من هذه الطابعة .

(٣) العجراء : العصا التى فيها عقد . والسلم : شجر معروف . (٤) ترّحه : أحزنه .

كان يهجو أضيافه وقد ضافه صخر بن أعيي فتهاجيا

أخبرنى الحُسَين بن يحيى عن حَمّاد بن إسحاق عن أبيه قال قال الأصمعىّ: لم ينزل ضيفٌ قطُّ بالحطيئة إلا هجاه، فنزل به رجلٌ من بنى أسد لم يسمّه الأصمعىّ، وذكر أبو عبيدة أنه صخرُ بنُ أعْيَى الأَسَدِىّ أحدُ بنى أعْيَى بن طَرِيف بن عمرو بن قُعَين، فسقاه شَرْبَة من لبنٍ، فلما شربها قال:

لمّا رأيتُ أنّ مَنْ يبتغى القِـرَى * وأنّ ابنَ أعْيَى لا محالةَ فاضحِى
شَدَدْتُ حَيازِيمَ ابنِ أعيَى بشربةٍ * على ظَمَإٍ(١) سَــدّتْ أصولَ الجوانحِ(٢)

وروى الأصمعىّ شَدّتْ بالشين المعجمة.

ولم أكُ مثلَ الكاهِلىّ وعِرْسِـه * بَغَى الوُدَّ من مَطْروفَةِ العينِ طامحِ(٣)
غدا باغيا يَبْـغى رضاها ووُدّها * وغابت له غيبَ امرئٍ غيرِ ناصحِ
دعَتْ ربَّها(٤) ألّا(٥) يزالَ بفاقـةٍ * ولا يغتَـدِى إلا على حدّ بارِحِ(٦)

قال فأجابه صخرُ بنُ أعيَى فقال:

ألا قبّـحَ اللهُ الحطيئــةَ إنه * على كلّ ضيفٍ ضافه هو سالحُ(٧)

(١) كذا فى جميع الأصول. وفى الديوان: «على فاقة». (٢) سدت: ملأت. والجوانح: الضلوع واحدتها جانحة. وأصول الجوانح: خلالها. والمراد أنها ملأت جوفه فسدّت خلل الضلوع. (٣) الكاهلىّ: رجل من بنى كاهل بن أسد، فركته (أبغضته) امرأته فاحتالت له حتى سقته سمّا فقتله. والمطروفة من النساء: التى قد طرفها حب الرجال أى أصاب طرفها فهى تطمح وتشرف لكل من أشرف لها ولا تغض طرفها كأنما أصاب طرفها طرفة (نقطة حمراء تحدث فى العين) أو عود. وهذه رواية أغلب الأصول. وفى حـ: «مطروفة الودّ» وهى رواية الجوهرىّ فى الصحاح. انظر اللسان (مادة طرف). (٤) كذا فى ديوانه. وفى جميع الأصول: «رأى». (٥) كذا فى جميع النسخ ونحن وان كنا لا نخليه من معنى (وهو ولا يغتدى إلا على جهة بارح وناحيته) إلا أنا نرى أن من المحتمل تحريفه عن الجدّ (بالجيم المعجمة) بمعنى الحظ. (٦) البارح: ما مرّ من الطير والوحش من يمينك الى يسارك، والعرب تتطير به لأنه لا يمكنك أن ترميه حتى تنحرف، وضدّه السانح وهو ما مرّ بين يديك من جهة يسارك الى يمينك، والعرب تتيمن به لأنه أمكن للرمى والصيد. (٧) كذا فى حـ. وفى باقى الاصول: «هو سانح» بالنون بدل اللام، وهو من سنح عليه اذا أحرجه وأصابه بشرّ.

دُفِعتُ إليه وهو يخنُقُ كلبَه * ألا كلّ كلبٍ لا أبَا لكَ نابحُ
بَكَيتَ على مَذْقٍ[١] خبيثٍ قَرَيْتَه * ألا كلُّ عَبْسِيّ على الزاد شائِحُ[٢]

قال أبو عبيدة وهجا الحطيئةُ أيضا رجلا من أضيافه فقال :

وسَلّم مرّتين فقلتُ مهلًا * كفتكَ المرّةُ الأولى السّلاما
ونقنقَ[٣] بطنُه ودعا رُؤَاسًا[٤] * لِمَا قد نالَ من شِبَعٍ وناما

أخبرني أبو خَليفة عن محمد بن سَلّام عن يونس أن الحُطَيئة خرج فى سفر له ومعه امرأته أُمامةُ وابنته مُلَيكةُ، فنزل منزِلًا وسرح ذَوْدًا له ثلاثا ، فلما قام للرّواح فقَد إحداها فقال :

أذئبُ القفرِ أم ذئبُ أنيسٍ * أصاب البَكْرَ[٥] أم حَدَثُ الليالى
ونحن ثلاثةٌ وثلاثُ ذَوْدٍ[٦] * لقد جارَ الزمانُ على عِيالى

أخبرنى محمد بن خَلَف وكيع والحُسَين بن يحيى قالا حدّثنا حمّاد عن أبيه قال قال أبو عَمْرو بن العَلَاء : لم تقل العربُ بيتًا قطُّ أصدقَ من بيت الحُطَيئة :

مَنْ يَفعلِ الخيرَ لا يَعدَمْ جَوازِيَه[٧] * لا يَذْهبُ العُرفُ بينَ اللهِ والنّاسِ

---

(١) مذق : بمعنى ممذوق ، يقال : لبن مذق أى مخلوط بالماء . (٢) شائح : حذر .

(٣) كذا فى ح والديوان ، ونقنق : قرقر . وفى ب ، س : «ونفق» وهو تحريف . وجاءت فى باقى الأصول خالية من الإعجام . (٤) رؤاس : من بنى كلاب ، يقول : حين شبع أشر ونادى : يالبنى رؤاس (انظر ص ٢٢٢ من شرح ديوان الحطيئة طبع ليبسك رقم ١١٨٩ أدب بدار الكتب المصرية) .

(٥) البكر من الإبل بمنزلة الفتىّ من الناس ، يقال على الذكر والأنثى . والبكر أيضا : الناقة التى ولدت بطنا واحدا . (٦) الذود : الثلاث من الإبل الى العشر ، وهى مؤنثة لا واحد لها من لفظها . وفى اللسان مادة ذود : وقد قالوا : «ثلاث ذود يعنون ثلاث أينق» . كما يقال ثلاثة نفر وتسعة رهط يراد نفرهم ثلاثة ورهط هم تسعة . (٧) جوازيه : جمع جازية اسم مصدر للجزاء كالعافية .

فقيل له : فقولُ طَرَفَة :

سَتُبدِى لكَ الأيامُ ما كنتَ جاهلًا * ويأتيكَ بالأخبارِ مَنْ لم تُزَوِّدِ

فقال : من يأتيك بها ممن زَوَّدتَ أكثر ، وليس بيتٌ مما قالته الشعراء إلا وفيه مَطْعَنٌ إلا قولَ الحطيئة :

* لا يذهبُ العرفُ بين الله والناسِ *

قال إسحاق قال المدائنيّ قال سَلْمُ بن قُتَيبة : ما أعلم قافيةً تستغنى عن صدرها وتدلّ عليه وإن لم يُنْشَدْ مثلَ قول الحطيئة :

* لا يذهبُ العرفُ بين الله والناس *

كتب له الأصمعى أربعين قصيدة فى ليلة

أخبرنى محمدُ بنُ الحسن بنِ دُرَيد قال حدّثنا الرِّيَاشيّ قال سمعت الأصمعيّ يقول : كتبت للحطيئة فى ليلةٍ أربعينَ قصيدةً .

قوله لا يذهب العرف البيت مكتوب فى التوراة

أخبرنى الحُسَين بن يحيى عن حَمّاد عن أبيه عن أبى عُبيدة قال : بلغنى أن هذا البيت فى التوراة ، ذكره غير واحد عن أُبَيّ بن كَعْب . يعنى قولَ الحطيئة :

* لا يذهب العرف بين الله والناس *

قال إسحاق وذكر عبد الله بن مروان عن أيُّوبَ بن عثمانَ الدِّمَشْقيّ عن عثمانَ ابن أبى عائشة قال : سَمِعَ كَعْبُ الحِبْرِ[1] رجلا يُنْشِدُ بيتَ الحطَيئة :

من يفعلِ الخيرَ لا يَعدَمْ جوازيَه * لا يذهبُ العُرفُ بين اللهِ والناسِ

(١) يقال : كعب الحبر (بكسر الحاء) فن جعله وصفا له نون كعبا ، ومن جعله المداد لم ينون وأضافه الى الحبر . وقد منع صاحب القاموس من أن يقال : كعب الأحبار ، ونوزع فى ذلك . (انظر تاج العروس للسيد مرتضى مادة حبر) .

فقال : والذى نفسى بيده إنّ هـذا البيت لمكتوبٌ فى التوراة . قال إسحاق قال العُمَرِىّ : والذى صح عندنا فى التوراة "لا يذهبُ العرفُ بين اللهِ والعبادِ" .

أوصى عبيد الله بن شداد ابنه محمدا بشعره

أخبرنى[١] الحسين عن حمّاد عن أبيه قال قال أبو عَدْنان : لما حضرتْ عبيدَ الله[٢] ابن شدّاد الوفاةُ دعا ابنه محمدا فأوصاه وقال له : يا بنىّ أَرَى داعِىَ الموتِ لا يُقلِع، وبِحَقٍّ[٣] أنّ مَنْ مضى لا يرجع، ومن بَقِىَ فإليه ينزِعُ . يا بنىّ، لِيكُنْ أَوْلَى الأمورِ بك تقوَى الله فى السرّ والعلانيـة ، والشكرَ لله ، وصِـدقَ الحديث والنيّة ، فإنّ للشكر مزيدًا ، والتقوى خيرُ زادٍ ، كما قال الحطيئةُ :

ولستُ أرى السعادةَ جمعَ مال * ولكنّ التقىّ هو السـعيدُ
وتقـوَى الله خيرُ الزاد ذخرا * وعنـد الله للأتـقى مَزِيدُ
وما لا بدّ أن يأتى قريبٌ * ولكنّ الذى يمضى بعيـدُ

روى حماد لبلال مدحه فى أبى موسى الأشعرىّ

أخبرنى أبو خليفة عن محمد بن سَلّام قال أخبرنى أبو عُبيدةَ عن يونس قال : قَدِم حمّادُ الراويةُ البصرةَ على بِلال بن أبى بُرْدة وهو عليها ، فقال له : ما أطرفتَنى شيئا يا حمّاد ، قال : بلَى ، ثم عاد إليه فأنشده للحطيئة فى أبى موسى الأشعَرِىّ يمدحه : ٥١/٢

جمعتَ من عامرٍ فيه[٤] ومن جُشَمٍ * ومن تَميم ومن حاءٍ[٥] ومن حامِ[٦]

---

(١) ورد هذا الخبر فى الأمالى (ج ٢ ص ٢٠٢ طبع دار الكتب المصرية) بتفصيل عما هنا فراجعه .

(٢) كذا فى جميع الأصول . وفى الأمالى لأبى علىّ القالى : « عبد الله بن شدّاد بن الهاد ... الخ » .

(٣) كذا فى أ ، حـ ، ء . وفى ب ، سـ : « ويحق » . وفى م : « ولحق » .

(٤) كذا فى ديوانه . والضمير يرجع الى الجحفل فى البيت الذى قبله وهو :

وجحفل كبهيم الليـل منتجع * أرض العدوّ ببؤس بعد إنعام

وفى جميع الأصول : « فيها » .

(٥) كذا فى حـ ، ط والديوان . وحاء : حىّ من مذحج . وفى ب ، سـ : « سام » .

(٦) جاء فى شرح الديوان أن حامًا من ناهِس بن عِفْرِس بن خَلَف بن أَفْتَل وهم خَثْعَم .

مُسْتَحقباتٍ رَوَايَاها(١) جَحَافِلَها(٢)(٣) * يَسْمُو بها أَشْعَرِىٌّ طَرْفُه سَامِى

فقال له بلال : وَيْحَكَ ! أيمدحُ الحطيئةُ أبا موسى الأشعرىَّ وأنا أروى شعرَ الحطيئةِ كلَّه فلا أعرفُها ! ولكن أَشِعْها تذهَبْ فى الناس .

وذكر المدائنىّ أن الحطيئة قال هذه القصيدة فى أبى موسى، وأنها صحيحة. قالها فيه وقد جمع جيشا للغزو فأنشده :

* جمعتَ من عامرٍ(٤) فيه ومن أَسَدٍ(٥) *

وذكر البيتين و بينهما هذا البيت وهو :

فما رضيتَهمُ حتى رَفَدْتَهمُ * بوائلٍ رهطِ ذى الجَدَّينِ بِسْطامِ(٦)

فوصله أبو موسى؛ فكتب إليه عمر رضى الله عنه يلومه على ذلك؛ فكتب إليه : إنى آشتريت عِرْضِى منه بها؛ فكتب إليه عمر : إن كان هذا هكذا وإنما فديت عرضك من لسانه ولم تعطه للمدح(٧) والفخر فقد أحسنت. ولما وَلِىَ بلالُ بنُ أبى بُرْدَةَ أنشده إياها حمّادٌ الراويةُ فوصله أيضا .

---

(١) مستحقبات : من استحقب الشىء اذا احتمله من خلف . (٢) الروايا : الإبل التى تحمل أزوادهم وأثقالهم . (٣) جحافلها : جمع جحفلة . وهى من الخيل والحمير والبغال والحافر بمنزلة الشفة للإنسان والمشفر للبعير . والضمير يعود الى الخيل المذكورة فى الأبيات الواردة قبل هذا البيت وهى :

وما رضيت لهم حتى رفدتهم * من وائل رهط بسطام بأصرام

فيه الرماح وفيه كل سابغة * جَدْلاء مبهمة من نسج سلّام

وكل أجرد كالسِّرْحان أترزه * مسحُ الأكف وسقى بعد إطعام

وكل شَوْهاء طوع غير آبية * عند الصباح اذا همّوا بإلجام

والمعنى أن الخيل تجنب الى الروايا فتضع جحافلها على أعجاز الإبل . (انظر شرح الديوان المخطوط المحفوظ بدار الكتب تحت رقم ٣ أدب ش) . (٤) انظر الحاشية رقم ٢ فى الصفحة السالفة . (٥) هذه غير رواية حماد كما ذكر شارح الديوان . (٦) كذا فى الأصول . و بسطام هو بسطام ابن قيس بن مسعود بن قيس بن خالد الشيبانى و يسمى ذا الجدّين . وفى الديوان : «رهط بسطام بأصرام» والأصرام : البيوت المجتمعة، يقال للقطعة منها صِرم (بالكسر) . (٧) فى ط : «للبذخ» .

كذبه عمر في بيت قاله

ونسخت من كتاب لحمّاد بن إسحاق حدّثني به أبي وأخبرني به عمّي عن الكُرانيّ عن الرِّياشيّ قال حدّثني محمدُ بن الطُّفَيل عن أبي بكر بن عيّاش عن الحارث بن عبد الرحمن عن مكحول قال :

سبَق رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم على فرس له فجثا على ركبتيه وقال : "إنه لَبحْرٌ"[1]، قال عمر : كذَب الحطيئةُ حيث يقول :

وإنّ جيادَ الخيل لاتستفِزُّنا ✻ ولاجاعلاتُ الرَّيْطِ[2] فوقَ المَعاصِمِ

لو ترَك هذا أحدٌ لتركه رسول الله صلى الله عليه وسلم .

أراد سفرا فاستعطفته امرأته بشعر فرجع

أخبرني الحُسَين بن يحيي عن حمّاد عن أبيه عن أبي عُبَيدة أن الحُطَيْئة أراد سفرا فأتته امرأتُه وقد قُدِّمتْ راحلتُه ليركبَ، فقالت :

أُذكُرْ تحنُّنَنَا إليك وشوقَنا ✻ وآذكُرْ بناتِك إنهنّ صِغارُ

فقال : حُطُّوا، لا رحَلتُ لسفرٍ أبدا .

يزعم رجل أنه ضاف قوما من الجن منهم صاحب الحطيئة

أخبرني محمد بن العبّاس اليَزيديّ ومحمد بن الحسن بن دُرَيد قالا حدّثنا عبد الرحمن ابنُ أخي الأصمعيّ عن عمه عن أبيه قال :

قال رجل : ضِفتُ[3] قوما في سفر وقد ضلّلتُ[4] الطريقَ، فجاءوني بطعام أجدُ طعمه في فمي وثِقَلَه[5] في بطني، ثم قال شيخ منهم لشابّ : أنشِدْ عمّك؛ فأنشدني :

(١) أي واسع الجرى . وفي صحيح الامام البخاريّ : كان بالمدينة فزع فاستعار النبي صلى الله عليه وسلم فرسا لأبي طلحة يقال له «مندوب» فركبه وقال : «ما رأينا من فزَع و إن وجدناه لبحرا» . انظر (باب الركوب على الدابة الصعبة من كتاب الجهاد) . (٢) الريط : جمع ريطة وهي كل ملاءة غير ذات لِفقين كلها نسج واحد، أو كل ثوب لين رقيق . (٣) أي نزلت عليهم ضيفا . (٤) في جميع النسخ : «أضللت» . وفي اللسان ضللت المسجد والدار اذا لم تعرف موضعهما . قال أبو عمرو بن العلاء اذا لم تعرف المكان قلت ضللته واذا سقط من يدك شيء قلت أضللته، أو بعبارة أخرى تقول للشيء الزائل عن موضعه قد أضللته وللشيء الثابت في موضعه إلا أنك لم تهتد اليه ضللته . (٥) كذا في أغلب الأصول وفي ط «ثفله» والثُّفل : ما سفل ورسب من كل شيء، ومن المحتمل أن يكون «وثقلته» — بفتح الثاء وسكون القاف وفتحها — وهي ما يجده الرجل في جوفه من ثِقَل الطعام .

عفا من سُلَيمى مُسْحُلانُ فحَامِرُهْ * تَمَشَّى بــه ظُلْمانُه وجآذِرُهْ

فقلت له : أليس هذا للحُطَيئة ؟ فقال : بلى، وأنا صاحبُه من الجن .

أنشد ابن شبرمة من شعره وقال هو من جيد الشعر

أخبرنى الحُسَين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه قال :

قال ابن عُيينة : سمعت ابن شُبْرُمَةَ يقول : أنا والله أعلم بجيِّد الشعر، لقد أحسن الحطيئةُ حيث يقول :

أولئك قوم إن بَنَوْا أحسنوا البُنَى * وإن عاهدوا أوفَوْا وإن عقدوا شَدُّوا

وإن كانتِ النَّعْماءُ فيهم جَزَوْا بها * وإن أَنْعَموا لا كَدَّرُوها ولا كَدُّوا

وإن قال مَوْلاهم على جُلِّ حادثٍ * من الدهر رُدُّوا فضلَ أحلامكم رَدُّوا

قال : وقال الأصمعىّ وقد سأله أبو عَدْنان عن هـذا البيت : ما واحد البُنَى ؟

٥٢ / ٢

قال : بِنْية، فقال له : أتُجْمَع فِعْلة على فُعَل ؟ قال : نعمْ مثل رِشْوة ورُشًى وحِبْوة وحُــبًى (١) .

نزل على بنى مقلد بن يربوع فأحسنوا جواره ومدحهم

حدّثنا أحمد بن عُبيد الله بن عَمّار قال حدّثنى محمد بن أحمد بن صَدَقة الأنبارىّ قال حدّثنا ابن الأعرابىّ عن المفضَّل :

أن الحطيئة أقحمتْه السنةُ (٢)، فنزل ببنى مُقَلَّد بن يَرْبُوع، فمشى بعضهم الى بعض وقالوا : إن هذا الرجل لا يَسْلَم أحدٌ من لسانه، فتعالَوْا حتى نسألَه عما يحبّ فنفعلَه (٣) وعما يكره فنجتنبَه، فأتَوْه فقالوا له : يا أبا مُلَيْكة، إنك اخترتَنا على سائر العرب

(١) الذى ورد فى كتب اللغة بنية بالكسر و بنية بالضم ، وورد فى جمعهما بنى بالكسر و بنى بالضم . وأنشد الفارسى بيت الحطيئة على ضم الباء فى قوله « أحسنوا البنى » . قال صاحب اللسان : ويروى « أحسنوا البنى » أى بالكسر . والرشوة أيضا جاءت بتثليث الراء، وجمعت على « رشى » بضم الراء و « رشى » بكسرها ، وكذلك الحبوة بمعنى الثوب الذى يحتبى به رويت بكسر الحاء وضمها وجمعت على حبى بالكسر وحبى بالضم . (٢) أقحمته : أوقعته فى شدة ومشقة . والسنة : الجدب .

(٣) كذا فى ط . وفى سائر النسخ : « فنفعله به » .

ووجب حقُّك علينا، فمُرْنا بما تحبّ أن نفعلَه وبما تحب أن ننتهىَ عنـه؛ فقال : لا تُكثِروا زيارتى فتُملُّونى، ولا تقطعوها فتُوحِشونى، ولا تجعلوا فِناءَ بيتى مجلسًا لكم، ولا تُسْمِعوا بناتى غناءَ شُبّانكم ، فإن الغناء رُقْية الزنا . قال : فأقام عنـدهم . وجمع كلُّ رجل منهم ولده وقال : أُمُّكم الطلاقُ، لئن تَغَنَّى احد منكم والحطيئةُ مقيمٌ بين أظهُرنا لأضربنّه ضربةً بسيفى أخذتْ منه ما أخذتْ . فلم يزل مقيما فيما يرضى حتى انجلتْ عنه السَّنةُ، فارتحل وهو يقول :

جاورتُ آلَ مُقلَّدٍ فحَمِدتُهم * إذ ليس كلُّ أخى جِوارٍ يُحْمَدُ(١)
أيامَ(٢) مَنْ يُرِدِ الصنيعةَ يَصْطنِعْ * فينا ومن يُرِدِ الزَّهادةَ يَزْهَدُ(٣)

خبره مع الزبرقان ابن بدر وسبب هجائه إياه

فأما خبره مع الزِّبْرِقان بن بَدْر والسببُ فى هجائه إياه، فأخبرنى به أبو خَليفة عن محمد بن سَلّام ولم يتجاوزه به، وأخبرنى الحُسَين بن يحيى عن حمّاد بن أبيه عن محمد بن سَلّام عن يونس ، وأخبرنى محمد بن الحَسَن بن دُرَيد عن أبى حاتم عن أبى عُبيدة ، وأخبرنى اليَزيدىّ عن عمّه عبيد الله عن أبى حَبيب(٤) عن ابن الأعرابىّ وقد جمعتُ رواياتِهم وضممتُ بعضَها إلى بعض :

أن النبىّ صلى الله عليه وسلم كان وَلَّى الزِّبْرِقانَ بن بَدْر بن امرئ القيس ابن خَلَف بن بَهْدَلة بن عَوف بن كَعْب بن سَعْد بن زَيْد مَناة بن تَميم عَمَلًا ، وذكر

(١) كذا فى أغلب الأصول . وفى الديوان ، ا ، ء ، ط : « إذ لا يكاد أخو » .

(٢) فى ط : « أزمان » . (٣) القافية تقتضى رفع يزهد ، ووقوعه جوابا للشرط يقتضى جزمه . ولكن رفع المضارع الواقع جوابا لفعل شرط مضارع يجوز ولو فى غير الضرورة وإن كان خلاف الأفصح . وفى ط : « يزهد » بكسر الدال وهو اللغة الفصيحة وإن كان عليها قد دخله الإقواء وهو اختلاف حركة الروىّ رفعا وجرا . (٤) كذا فى جميع النسخ ولعله : « ابن حبيب » وهو محمد بن حبيب المتقدم ذكره كثيرا فى رجال السند والذى ذكر ابن النديم فى الفهرست صفحة ١٠٦ طبع ليبزج أنه يروى عن ابن الأعرابىّ وسيأتى فى الصفحة التالية ذكر ابن حبيب هذا وأنه يروى عن ابن الأعرابىّ .

مثلَ ذلك الأصمعىّ، وقال : الزِّبْرِقان : القمر، والزبرقان : الرجل الخفيفُ اللحْية.
قال : وأقرّه أبو بكر رضى الله عنه بعد النبىّ صلى الله عليه وسلم على عمله، ثم قدم على عمرَ فى سنة مُجْدِبة ليؤدّىَ صدقاتِ قومه، فلقيه الحطيئةُ بقَرْقَرَى(١) ومعه ابناه أوسٌ وسَوادةُ وبناتُه وامرأتُه؛ فقال له الزِّبْرِقان وقد عرَفه ولم يعرفه الحطيئة : أين تريد؟ قال : العراقَ، فقد حطَمتْنا هذه السنةُ؛ قال : وتصنَع ماذا؟ قال وددْتُ أن أصادف بها رجلا يَكْفينى مؤونةَ عيالى وأُصْفِيه(٢) مَدْحى أبدا؛ فقال له الزبرقان : قد أصبتَه، فهل لك فيه يُوسِعُك لبنًا وتمرًا ويجاوِرُك أحسنَ جِوار وأكرَمه؟ فقال له الحُطيئة: هذا وأبيك العيشُ، وما كنتُ أرجو هذا كلَّه؛ قال : فقد أصبتَه؛ قال : عند مَنْ؟ قال : عندى؛ قال : ومن أنت؟ قال : الزِّبْرِقان بن بدر؛ قال وأين محلُّك؟ قال : اركبْ هذه الإبلَ، واستقبلْ مَطْلِعَ الشمس، وسَلْ عن القمر حتى تأتىَ منزلِى. قال يونُس : وكان اسمُ الزِّبْرِقان الحُصَينَ بن بدر، وإنما سُمّى الزِّبْرِقانَ لحسنِه، شُبِّه بالقمر. وقيل : بل لبس عمامةً مُزَبْرَقةً(٣) بالزَّعْفران فسُمّىَ الزِّبْرِقانَ لذلك . وقال أبو عُبَيدة فى خبره : فقال له : سِرْ إلى أم شَذْرَةَ وهى أم الزِّبْرِقان وهى أيضا عمة الفرزدق، وكتب إليها أن أحْسِنى إليه، وأكثرى له من التمر واللبن. وقال آخرون : بل وكَله إلى زوجته . فلحِق الحطيئةُ(٤) بزوجته على رواية ابن سَلّام، وهى بنت صَعْصَعة بن ناجِيَةَ المُجاشِعيَّةُ، واسمُها هُنَيدة، وعلى رواية ابى عُبَيدة : أنها أمُّه، وذلك فى عامٍ صَعْبٍ مُجْدِب، فأكرمتْه المرأةُ وأحسنتْ إليه؛ فبلغ ذلك بَغِيضَ بن عامر بن شَمَّاس بن لأْىِ ابن جعفر وهو أنْفُ الناقة بن قُرَيع بن عَوْف(٥) [بن كعب](٦) بن سَعْد بن زَيْد مَناة بن تَميم،

٥٣
٢

(١) قرقرى : أرض باليمامة فيها قرى وزروع ونخيل كثيرة . (انظر معجم ياقوت فى قرقرى) .
(٢) أصفيه : أخلصه . (٣) مزبرقة : مصبوغة . يقال : زبرق ثوبه إذا صبغه بحمرة أو صفرة .
(٤) فى حـ : «فرحل الحطيئة حتى لحق بزوجته» . (٥) فى ا ، ب ، سـ : «عمرو» بدل «عوف» . وهو تحريف . (٦) زيادة فى ط . ويؤيد صحة هذه الزيادة ما ورد فى شرح القاموس للسيد مرتضى فى مادة «أنف» .

وبلغ إخوته وبني عمه فاغتنموها . وفى خبر اليَزِيدى عن عمه قال ابن حَبيب عن ابن الأعْرابى : وكانوا يغضَبون من أنفِ الناقة ، وإنما سُمِّىَ جعفرٌ أنفَ الناقة لأن أباه قُرَيعا نحر ناقةً فقسَمها بين نسائه ، فبعثتْ جعفرًا هذا أُمُّه ، وهى الشَّمُوس من وَائِل ثم من سَعْد هُذَيم ، فأتى أباه ولم يَبْقَ من الناقة إلا رأسُها وعنقُها ، فقال : شأنَك بهذا ؛ فأدخل يدَه فى أنفها وجرّ ما أعطاه ، فسُمِّىَ أنفَ الناقة . وكان ذلك كاللقب لهم حتى مدَحهم الحطيئةُ ، فقال :

قوم هم الأنفُ والأذنابُ غيرُهُمُ * ومن يسوِّى بأنفِ الناقة الذنبا

فصار بعد ذلك فخرا لهم ومدحا ، وكانوا ينازعون الزِّبْرِقان الشرفَ — يعنى بَغِيضا وإخوتَه وأهله — وكانوا أشرفَ من الزِّبْرِقان ، إلا أنه قد كان استعلاهم بنفسِه . وقال أبو عُبَيدة فى خبره : كان الحُطَيئة دَميمًا سَيِّئَ الخَلْق[(١)]، لا تأخُذه العينُ ، ومعه عيال كذلك ، فلما رأت أُمُّ شَذْرةَ حالَه هان عليها وقصَّرت به[(٢)] ، ونظَر بغيضٌ وبنو أنف الناقة إلى ما تصنع به أُمُّ شَذرة ، فأرسلوا إليه : أن ائتنا ، فأبى عليهم وقال : إن من شأن النساء التقصيرَ والغَفْلة ، ولستُ بالذى أحمِل على صاحبها ذَنبَها . فلما ألحّ عليه بنو أنف الناقة ، وكان رسولُهم إليه شَمَّاسَ بنَ لأْى وعَلْقمةَ بنَ هَوْذَة وبَغِيض ابن شَمّاس والمُخَبَّل الشاعر ، قال لهم : لستُ بحامل على الرجل ذنبَ غيره ، فإن تُركت وجُفيت تحوّلتُ إليكم ؛ فأطمَعُوه ووعَدوه وعدًا عظيما . وقال ابن سَلَّام فى خبره : فلما لم يُجِبْهم دَسُّوا إلى هُنَيدة زوجةِ الزِّبْرقان أنّ الزبرقان إنما يريد أن يتزوج ابنتَه مُلَيكة ؛ وكانت جميلةً كاملةً ، فظهرت من المرأة للحُطَيئة جَفْوة وهى فى ذاك تُداريه .

---

(١) فى ط : « شنىء الخلق » ولعله فعيل بمعنى مفعول من شنئ الرجل (بالبناء للفعول) اذا أبغض . ولم نجد هذه الصيغة فى كتب اللغة التى بأيدينا أو لعله تحريف عن « مشيأ الخلق » والمشيأ : المختلف الخلق المخبله القبيح . (٢) قصرت به : لم تكرمه ولم تبلغ ما يرضيه .

ثم أرادوا النُّجعة[(١)]، قال أبو عُبَيدة: فقالت له أمّ شَذْرة ـ وقال ابن سَلّام: فقالت له هُنَيدة ـ: قد حضرت النُّجْعةُ فاركبْ أنت وأهلُك هذا الظَّهرَ إلى مكان كذا وكذا، ثم ارْدُدْه إلينا حتى نَلْحَقك فإنه لا يَسَعُنا جميعا؛ فأرسل إليها: بل تقدّمى أنتِ فأنت أحقّ بذلك؛ ففعلتْ وتثاقلتْ عن ردّها[(٢)] إليـه وتركتْه يومين أو ثلاثةً، وألحّ بنو أنف الناقة عليه وقالوا له: قد تُرِكت بِضَيعة. وكان أشدَّهم فى ذلك قولًا بَغِيضَ بن شَمّاس وعَلْقمةَ بن هَوْذة، وكان الزِّبْرقان قد قال فى علقمة:

لى ابنُ عمٍّ لا يـزا * ل يَعِيبُنى ويُعِينُ عائبْ[(٣)]
وأُعِينُـه فى النـائبا * ت ولا يُعِين على النوائبْ
تَسْرى عَقارِبُـه إلىّ * ولا تَـدِبُّ له عقاربْ
لاهِ ابنُ عَمِّكَ لا يخا[(٤)] * ف المُخْزِناتِ من العواقبْ

قال: فكان عَلْقمة ممتلئًا غيظا عليه. فلمّا ألحّوا على الحُطَيئة أجابهم وقال[(٥)]: أما الآنَ فنعم، أنا صائرٌ معكم. فتحمّل معهم، فضرَبوا له قبّةً، وربَطوا بكلّ طُنُب من أطنابها جُلّةً هَجَرِيّةً[(٦)]، وأراحُوا عليه إبلَهم[(٧)]، وأكثروا له من التمر واللبن، وأعْطَوْه ٥٤/٢

---

(١) النجعة: طلب الكلأ فى موضعه.

(٢) كذا فى جميع النسخ ولعله: «رده». أو أنه أنث الضمير باعتبار أن مرجعه الدابة وهى تقع على المذكر والمؤنث قال الله تعالى: «وما من دابة فى الأرض إلا على الله رزقها». (٣) كذا فى ط وفى سائر الأصول «ويعيب» وعائب على هذه النسخة بمعنى ذى عيب يقال: عاب الشىء عيبا: صار ذا عيب. (٤) لاه: بمعنى لله، ومثله قول ذى الأصبع العدوانى:

لاه ابن عمك لا أفضلت فى حسب * عنى ولا أنت ديانى فتخزونى

(٥) كذا فى ط وهى أنسب. وفى سائر النسخ: «فقال». (٦) فى اللسان: «الجلة: وعاء يتخذ من الخوص يوضع فيه التمر يكنز فيها». وقال فى مادة «وزن»: «والوزن: الفدرة من التمر لا يكاد الرجل يرفعها بين يديه تكون ثلث الجلة من جلال هجر». وفى ط: «حلة» ولعلها تصحيف «جلة». وفى باقى الأصول: «قلة» والسياق لا يساعد على تصويبه. (٧) إراحة الإبل: ردها فى العشى.

لِقاحًا(١) وكُسْوَةً . قال : فلمّا قدِم الزِّبْرِقان سأل عنه فأُخبِر بقصّته ، فنادى فى بنى بَهْدلة ابن عَوْف ، وهم لأمّ دون قُرَيع ، أمُّهم السَّفْعاء بنت غَنْم بن قُتَيبة من باهلة . فركب الزبرقانُ فرسَه ، وأخذ رمحَه ، وسار حتى وقف على نادى بنى شَمَّاس القُرَيْعيِّين ، فقال : رُدّوا علىّ جارى ؛ فقالوا : ما هو لك بجارٍ وقد اطَّرحتَه وضيّعتَه ؛ فألَمَّ(٢) أن يكونَ بين الحيَّيْن حربٌ ، فحضرهم(٣) أهلُ الحِجَا من قومهم ، فلاموا بَغيضًا وقالوا : ارْدُدْ على الرجل جارَه ؛ فقال : لست مُخْرِجَه وقد آويتُه ، وهو رجل حُرٌّ مالكٌ لأمره ، فخيِّروه فإن اختارنى لم أُخْرِجْه ، وإن اختاره لم أُكْرِهْه . فخيَّروا الحطيئةَ فاختار بَغيضًا ورَهْطَه ؛ فجاء الزبرقانُ ووقف عليه وقال له : أبا مُلَيكة ، أفارقتَ جِوَارِى عن سُخْط وذَمّ ؟ قال : لا ؛ فانصرف وتركه . هذه رواية ابن سَلَّام ، وأما أبو عُبَيدة فإنه ذكر أنه كان بين الزِّبْرِقان ومن معه من القُرَيعيِّين تَلَاحٍ(٤) وتَشَاحٌّ . وزعم غيرهما أن الزبْرقانَ استعدَى عمرَ بنَ الخطّاب على بَغِيض ، فحكم عمرُ بأن يُخْرَجَ الحطيئةُ حتى يُقَام فى موضعٍ خالٍ بين الحيَّيْن وحدَه ويُخَلَّى سبيلُه ، ويكون جارَ أيِّهما اختار ؛ ففُعِل ذلك به ، فاختار القُرَيعيِّين . قال : وجعل الحطيئةُ يمدَحهم من غير أن يَهْجُوَ الزِّبْرِقان ، وهم يحضُّونه على ذلك ويُحرِّضونه فيأبى ويقول : لا ذنبَ للرجل عندى ؛ حتى أرسل الزبرقان إلى رجل من النَّمِر بنِ قاسط يقال له دِثَار بن شَيْبان ، فهجا بَغيضًا فقال :

أَرَى إبِلِى بجَوْفِ الماء حَنَّتْ * وأَعْوَزها به الماءُ الرَّوَاءُ

وقد وردَتْ مِياهَ بنى قُرَيع * فما وصلُوا القرابةَ مذ أساءوا

---

(١) اللقاح : جمع لقوح وهى الناقة الحلوب . (٢) ألم : قرب ؛ يقال : ألم أن يذهب بصره أى قرب أن يذهب . ومنه الحديث : « وان مما ينبت الربيع ما يقتـل حبطا أو يلم » قال أبو عبيد : معناه أو يقرب من القتل . (٣) كذا فى ط . وفى باقى الأصول : « فحضر أهل الحجا ... » . (٤) تلاح : تنازع .

تَحَلّأَ[١] يومَ وِرْدِ الناسِ إبْلِى * وتَصْدُرُ وهى مُحْنَقَةٌ[٢] ظِمَاءُ
ألم أكُ جارَ شَمّاسِ بنِ لَأْيٍ * فأسلمنى وقد نزل البَلاءُ
فقلتُ تحوَّلِى يا أمَّ بَكْرٍ * إلى حيثُ المكارمُ والعَلاءُ
وجدنا بيتَ بَهْدَلَةَ بنِ عَوْفٍ * تعالى سَمْكُه ودَحا[٣] الفِناءُ[٤]
وما أَضْحَى لشَمَّاسِ بنِ لَأْيٍ * قَدِيمٌ فى الفَعَالِ[٥] ولا رَبَاءُ[٦]
سِوَى أن الحطيئةَ قال قولًا * فهٰذا من مقالتِه جزاءُ

فحينئذ قال الحطيئةُ يَهْجُو الزِّبْرِقانَ ويُناضِلُ عن بَغِيضٍ قصيدتَه التى يقول فيها:

والله ما مَعْشَرٌ لامُوا امْرأً جُنُبًا * فى آلِ لَأْيِ بنِ شَمَّاسٍ بأَكْيَاسِ
ما كان ذنبُ بَغِيضٍ لا أبا لكمُ * فى بائسٍ جاء يَحْدُو آخِرَ الناسِ
لقد مَرَيْتُكُمُ[٧] لو أن دِرَّتَكم[٨] * يومًا يَجِىءُ بها مَسْحِى وإبْسَاسِى
وقد مدحتُكمُ عمدًا لأُرْشِدَكم * كيما يكونَ لكم مَتْحِى وإمْرَاسِى
لما بدا لىَ منكم غيبُ[٩] أنفسِكم * ولم يكن لِجِرَاحِى فيكمُ آسِى
أزمعتُ يأسًا مُبِينًا[١٠] من نَوالِكمُ * ولن يُرَى[١١] طارِدًا للحُرِّ كالياسِ

---

(١) كذا فى حـ . وتحلأ : تمنع ، يقال : حلأه عن الماء تحليئا وتحلئة طرده ومنعه . وفى باقى النسخ : «تخلى» وهو تحريف . (٢) محنقة : ضامرة . (٣) وردت دحا بمعنى بسط ووسّع ، ولم تجئ فى كتب اللغة التى بين أيدينا لازمة إلا فى قولهم : دحا البطن أى عظم واسترسل الى أسفل ، فيصح أن يكون قوله «دحا الفناء» هنا بمعنى عظم واتسع . أو لعلها دجا (بالجيم المعجمة) بمعنى سبغ أى طال واتسع . (٤) فناء الدار: ما اتسع من أمامها .

(٥) الفعال بالفتح : اسم للفعل الحسن من الجود والكرم ونحوه . (٦) الرباء بالفتح : الطول والمنة والفضل (٧) مريتكم من مرى الناقة يمريها أى مسح ضرعها . والمراد مداراتهم ومدحهم ليدرّوا عليه بالعطاء . (٨) الدرّة : اللبن . (٩) كذا فى ط وفى باقى الأصول «عيب» بالعين المهملة . (١٠) كذا فى حـ ، م والديوان . وفى ب ، س : «متينا» .

(١١) فى ط : «ولن ترى طاردا» .

جارٌ لقومٍ أطالُوا هُونَ منزِلِه * وغادرُوه مقيمًا بينَ أَرْمَاسِ

٥٥/٢ مَلُّوا قِراه وهرَّته كلابُهمُ * وجرَّحُوه بأنيابٍ وأضراسِ

دَعِ المكارمَ لا ترحلْ لبُغيتِها * واقعُدْ فإنكَ أنت الطاعمُ الكاسِي

مَن يفعلِ الخيرَ لا يَعدَمْ جوازِيَه * لا يذهبُ العُرفُ بين الله والناسِ

ما كان ذنبي أن فَلَّتْ معاوِلَكم * من آلِ لأْيٍ صَفاةٌ أصلُها راسِي

قد ناضلُوكَ فسلُّوا من كنائنِهم * مجدًا تليدًا ونَبْلًا غيرَ أنكاسِ (١)

ـ الجُنُب: الغريب. والإبساس: أن يُسكِّنها عند الحَلْب. والمائح: المستقي الذي يجذِب الدلوَ من فوقُ. والإمراسُ: أن يقع الحبلُ فى جانب البَكَرة فيُخرِجه ـ

استعدى الزبرقان عليه عمر لحبسه

فاستَعْدَى عليه الزبرقانُ عمرَ بن الخطاب، فرفعه عمرُ إليه واستنشده فأنشده، فقال عمر لحسّان: أتُراه هجاه؟ قال: نعمْ وسلَح عليه، فحبسه عمر.

فصل زياد فى حادثة قدمت له بنحو ما فصل عمر فى أمر الزبرقان والحطيئة

أخبرنى أحمد بن عبد العزيز الجوهرىّ وحَبيبُ بن نَصْر المُهَلَّبىّ قالا حدّثنا عمر بن شَبَّة قال حدّثنى أحمد بن مُعاوية عن أبى عبد الرحمن الطائىّ عن عبد الله ابن عَيّاش عن الشَّعْبىّ قال:

شهِدتُ زيادًا وأتاه عامرُ بن مسعود بأبى عُلاثَة التَّيْمىّ، فقال: إنه هجانى؛ قال: وما قال لك؟ قال قال:

وكيف أرجِّى ثَرْوَها ونماءَها * وقد سار فيها خُصْيةُ الكلبِ عامرُ

فقال أبو علاثة: ليس هكذا قلتُ؛ قال: فكيف قلتَ؟ قال قلتُ:

وإنى لأرجو ثروَها ونماءها * وقد سار فيها ناجذ الحقِّ عامرُ

(١) أنكاس: جمع نكس وهو أضعف السهام. وقد أورد الأزهرى هذا البيت فى اللسان مادة نكس ثم قال: ومعنى البيت أن العرب كانوا اذا أسروا أسيرا خيروه بين التخلية وجز الناصية، والأسر. فان اختار جز الناصية جزّوها وخلوا سبيله ثم جعلوا ذلك الشعر فى كنائنهم، فاذا افتخروا أخرجوه وأروهم مفاخرهم (انظر اللسان مادة نكس).

قال زيادٌ : قاتل الله الشاعرَ، ينقلُ لسانَه كيف شاء ، والله لولا أن تكون سُنّةً لقطعتُ لسانَك ! فقام قَيْس بن فَهْد الأنصارِىّ فقال : أصلح الله الأمير، ما أدرى مَنِ الرجلُ، فإن شئتَ حدثتُك عن عمرَ بما سمعتُ منه — قال : وكان زِيادٌ يعجبه الحديثُ عن عمرَ رضى الله عنه[(١)] — قال : هاتِه ، قال شهدتُه وأتاه الزِّبْرِقان بن بدر بالحُطَيئة فقال : إنه هجانى ؛ قال وما قال لك؟ قال قال لى :

دَعِ المكارمَ لا ترحلْ لبُغيتها * واقعدْ فإنك أنت الطاعم الكاسى

فقال عمر : ما أسمعُ هجاءً ولكنّها معاتبةٌ ؛ فقال الزبرقان : أوَ ما تبلُغ مروءتِى إلّا أن آكُلَ وألبَس ! فقال عمر : علىّ بحَسان، فجىء به فسأله ؛ فقال : لم يَهْجُه ولكن سَلَح عليه — قال ويقال : إنه سأل لَبِيدًا عن ذلك فقال : ما يسرُّنى أنه لَحِقَنِى من هذا الشعر ما لَحِقه وأن لى حُمْرَ النَّعَم — فأمر به عمرُ فجُعِل فى نَقِيرٍ[(٢)] فى بئر ثم أُلْقِىَ عليه شىء، فقال :

ماذا تقولُ لأفراخٍ بذى مَرَخٍ[(٣)] * زُغْبِ[(٤)] الحَوَاصِلِ[(٥)] لا ماءٌ ولا شَجَرُ
ألقيتَ كاسِبَهم فى قعرِ مُظْلِمةٍ * فاغفرْ عليكَ سلامُ الله يا عمرُ
أنت الإمامُ الذى من بعدِ صاحبِه * ألقَى إليك مقاليدَ النُّهى البَشَرُ
لم يُؤْثِروكَ بها إذ قدَّموكَ لها * لكن لأنفسِهم كانتْ بكَ الأُثَرُ[(٦)]

(١) فى ط : « وكان زياد يعجبه أن يسمع الحديث عن عمر » .
(٢) النقير : ما نقر من حجر أو خشب ونحوهما . (٣) فى هامش ط : « ويروى بذى أمر » وقد ورد البيت فيما يلى بهذه الرواية . وذكر صاحب القاموس فى مادة « مرخ » أن ذا مرخ بالتحريك واد بالحجاز . وقال ياقوت : هو واد بين فدك والوابشية كثير الشجر، وأورد هذا البيت، ثم قال : والرواية المشهورة « بذى أمر » وذو أمر : موضع بنجد من ديار غطفان . (٤) كذا فى أغلب الأصول . وفى حـ والديوان : « حمر الحواصل » . والمراد من حمرتها خلو جلدها من الريش لقرب عهدها بالولادة . (٥) الحوصلة من الطائر والظليم بمنزلة المعدة فى الانسان . (٦) الأثر : جمع أثرة وهى المكرمة . وفى ط : « كانت بك الخير » وفى الديوان : « كانت بها الخير » .

فأخرجه وقال له : إيّاكَ وهِجاءَ النـاس ؛ قال : إذًا يموت عِيالي جوعًا ، هـذا مكسَبي ومنه معَاشي ؛ قال : فإياك والمُقْذِعَ من القول ؛ قال : وما المقذع ؟ قال : أن تخاير بين النـاس فتقولَ : فلان خَيْرٌ من فلان ، وآل فلان خيرٌ من آل فلان ؛ قال : فأنت والله أهْجَى منى . ثم قال : والله لولا أن تكون سُنّةً لقطعتُ لسانك ، ولكن آذهبْ فأنت له ، خُذْه يا زِبْرِقان ؛ فألقى الزبرقانُ فى عنقه عِمامةً فاقتاده بها ؛ وعارضَتْه غَطَفَانُ فقالوا له : يا أبا شَذْرَة ، إخوتُك وبنو عمِّك ، هَبْه لنا ؛ فوهَبه لهم. فقال زيَادٌ لعامر بن مَسْعود : قد سمعتَ ما رُوِىَ عن عمر ، وإنما هى السُّنَن ، فاذهبْ به فهو لك ؛ فألقَى فى عُنُقه حبلا أو عمامة ، وعارضَتْه بَكْرُ بنُ وائل فقالوا له : أخوالُك وجيرانُك[(١)] ؛ فوهبه لهم .

٥٦
٢

استعطف عمر بشعر فأطلقه

أخبرنى محمد بن الحَسَن بن دُرَيد قال أخبرنا أبو حَاتم عن أبى عُبَيْدة :

أن الحطيئةَ لمـا حبَسه عمرُ قال وهو أوّلُ ما قاله :

أَعُـوذُ بِجَـدِّك إنى آمرُؤٌ * سقَتْنِي الأعادى إليكَ السِّجَالَا
فإنك خيرٌ من الزبرقان * أشَـدُّ نَكَالًا وأَرْجَى نوَالَا
تحَنَّنْ علىَّ هَدَاك المليكُ * فإنّ لكلِّ مقامٍ مقَـالَا
ولا تأْخُذَنِّى بقـول الوُشَاةِ * فإن لكلِّ زمانٍ رِجَالَا
فإن كان ما زعَمُـوا صادقًا * فسِيقَتْ إليكَ نسائى رِجَالَا[(٢)]
حَوَاسِرَ لا يشتكينَ الوَجَا[(٣)] * يُخفِضْنَ آلًا ويرفَعنَ آلًا

فلم يلتفت عمرُ إليه حتى قال أبياتَه التى أوّلها :

* ماذا تقول لأفراخ بذى مَرَخٍ[(٤)] *

(١) فى ط : « إخوتك وجيرانك » . (٢) رجالا : جمع رجلة (بفتح الراء وضم الجيم) أى راجلة . (٣) الوجا : الحفا وقيل شدته . (٤) فى ط : « بذى أمر » .

أخبرنى الحَرَمىّ بن أبى العَلاء ومحمد بن العبّاس اليَزيدىّ وعمرُ بن عبد العزيز ابن أحمد وطاهرُ بن عبد الله الهِشَامىّ (١) قالوا حدّثنا الزُّبَير بن بكّار قال حدّثنى محمد ابن الضحّاك بن عثمان الحِزَامىّ قال حدّثنى عبد الله بن مُصْعَب عن رَبِيعة بن عثمان عن زيد بن أَسْلَم (٢) عن أبيه قال :

أرسل عمر إلى الحطيئة وأنا جالس عنده وقد كلّمه فيه عمرو بن العاص وغيرُه فأخرجه من السجن فأنشده قولَه :

ماذا تقول لأفراخ بذى مَرَخٍ (٣) * زُغْبِ الحواصل لا ماء ولا شجرُ
ألقيتَ (٤) كاسبَهم فى قعر مظلمةٍ * فاغفرْ (٥) عليك سلامُ الله ياعمرُ
أنت الإمام الذى من بعد صاحبه * أَلْقَى إليك مقاليدَ النُّهَى البشرُ
لم يؤثروك بها إذ قدّموك لها * لكن لأنفسهم كانت بك الأُثَرُ
فامننْ على صِبْيةٍ بالرمل مسكنُهم * بين الأباطح تَغْشاهم بها القِرَرُ (٦)
أهلِي فِداؤُكَ كم بينى و بينهمُ * من عَرْضِ دَاوِيَةٍ (٧) تَعْمَى بها الخُبُرُ

— قال فبكى حين قال :

* ماذا تقول لأفراخ بذى مرخ *

فقال عمرو بن العاص : ما أظلَّتِ الخَضْراء ولا أَقلَّت الغَبْراء أعدلَ من رجلٍ يبكى على تركه الحطيئةَ — فقال عمر : علىَّ بالكُرْسىّ . فأُتى به . فجلس عليه ثم قال : أشيروا

(١) فى ط : «الهاشمى» . (٢) كذا فى ط . وفى سائر النسخ : «يزيد» وقد أورد فى الخلاصة فى أسماء الرجال زيد بن أسلم هذا وقال : انه يروى عن أبيه وانه مولى لعمر بن الخطاب . وفى سائر النسخ : «يزيد بن أسلم» ولم نجده فى كتب التراجم . (٣) فى ط : «بذى أمر» . (٤) فى ط : «غادرت» . (٥) فى ط : «فاغفر هداك عليك الناس» . (٦) القرر : جمع قرّة بالكسر وهى البرد . (٧) الداوية والدوّية : الفلاة الواسعة .

علىّ فى الشاعر، فإنه يقول الهُجْر[1] ويَنْسُب بالحُرَم ويمدح الناس ويذمّهم بغير ما فيهم، ما أُرانِى إلّا قاطعا لسانَه، ثم قال: علىّ بالطَّسْت[2]، فأُتِى بها، ثم قال: علىّ بالمِخْصَف[3]، علىّ بالسِّكِّين، لا بل علىّ بالمُوسَى، فهو أَوْحَى[4]؛ فقالوا لا يعود يا أميرَ المؤمنين، فأشاروا إليه أن قُلْ لا أعود[5]؛ فقال: لا أعود يا أمير المؤمنين؛ فقال له: النَّجاء. قال: فلما ولّى قال له عمر: ياحُطَيئة، كأنى بك عند فتًى من قريش، قد بسَط لك نُمْرُقةً[6] وكسَرَ لك أخرى وقال: غنِّنا ياحُطَيئة، فطَفِقْتَ تغنيه بأعراض الناس. قال ابن أَسْلَم: فما آنقضتِ الدنيا حتى رأيتُ الحطيئةَ عند عُبَيد الله بن عُمَر قد بسَط له نُمْرُقةً وكَسَر له أخرى وقال: غنِّنا ياحطيئة، فجعل يغنِّيه، فقلتُ له: ياحُطَيئة، أتذكُر قولَ عمر؟ ففزع وقال: يرحَم الله ذلك المرء، أما إنه لو كان حيًّا ما فعلتُ. قال: وقلت لعُبَيد الله: سمعتُ أباك يقول كذا وكذا فكنتَ أنت ذلك الرجل.

57/2

اشترى منه عمر أعراض المسلمين بعطاء.

ورُوِى عن عبد الله بن المُبارَك أنّ عمر رضى الله عنه لما أطلق الحطيئة أراد أن يؤكد عليه الحُجة فاشترى منه أعراضَ المسلمين جميعا بثلاثة آلافِ درهم؛ فقال الحطيئةُ فى ذلك:

وأخذتَ أطرافَ الكلام فلم تَدَعْ * شَتْما يضُرّ ولا مَديحا ينفعُ
وحَمَيْتَنِى عِرضَ اللئيم فلم يَخَفْ * ذَمّى وأصبح آمنًا لا يَفْزَعُ

شفع له عبد الرحمن ابن عوف عند عمر

أخبرنى الحُسَين بن يحيى عن حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال حدّثنى عبد الرحمن ابن أخى الأصمعىّ عن عمه عن نافع بن أبى نُعَيم:

---

(١) كذا فى ط. وفى سائر النسخ: «الهجو» بالواو. (٢) كذا فى ط. وفى سائر النسخ: «علىّ بطست» بالتنكير. (٣) المخصف: مخرز الإسكافى وهو الإشفى. (٤) فى حـ: «فهى أوحى» والموسى يذكر ويؤنث. وأوحى: أسرع. (٥) كذا فى جميع النسخ بالفاء. والمناسب للمقام هنا العطف بالواو. (٦) النمرقة: الوسادة.

أن عبد الرحمن بن عوف هو الذى استرضى عمر بن الخطاب وكلّمه فى أمر الحطيئة حتى أخرجه من السجن. قال حمّاد وأخبرنى أبى عن أبى عُبَيدة أن عمر رضى الله عنه لما أطلقه قال الشاعر النَّمَرِىّ الذى كان الزبرقان حمله على هجاء بَغِيض :

دَعَانِى الأَثْبَجَانِ[1] ابنا بَغِيضٍ * وأَهْلِى بالعَلَاةِ[2] فمَنَّيَانِى
وقالوا سِرْ بأهلك فأْتِيَنَّا * إلى حَبٍّ وأنعامٍ سِمَانِ
فسرتُ إليهمُ عشرين شهرًا * وأربعةً فذلك حِجَّتَانِ
فلما أن أتيتُ ابنَىْ بغيض * وأسلمنى بدائى[3] الداعيانِ
يَبِيتُ الذئبُ والعَشْواءُ[4] ضَيْفًا[5] * لنا بالليل بئس الضائفانِ
أُمارِسُ منهما[6] ليلًا طويلًا * أُهَجْهِجُ[7] عن بَنِيَّ ويَعْرُوانِ
تقولُ حليلتى لما اشتكينا * سيدرِكُنا بنو القَرْمِ الهِجَانِ[8]
سيُدْرِكُنا بنو القمرِ بنِ بَدْرٍ * سراجِ الليلِ للشمس الحَصَانِ
فقلتُ ادْعِى وأَدْعُوَ إن أَنْدَى[9] * لصوتٍ أن ينادِىَ داعيانِ

(١) كذا فى م ، ا ومختارات أشعار العرب لابن الشجرى . والأثبجان : مثنى أثبج وهو الأحدب ويقال على الناتئ الصدر وعلى العظيم الجوف وعلى الناتئ الثبج وهو ما بين الكتفين والكاهل . وذكر صاحب اللسان فى مادة ثبج أن بيت النمرى هذا فسّر بهذه المعانى كلها . وفى أغلب النسخ «الانجان» وهو تصحيف . (٢) كذا فى جميع الأصول . والعلاة : جبل فى ديار النمر بن قاسط . وفى اللسان مادة ثبج : «بالعراق» . وفى مختارات ابن الشجرى : «بالقلاة» . (٣) فى مختارات ابن الشجرى : «لدائى» . (٤) العشواء : الضبع . (٥) الضيف : يكون للواحد والجمع كعدل وخصم . وفى التنزيل العزيز (هل أتاك حديث ضيف ابراهيم المكرمين) .

(٦) كذا فى مختارات ابن الشجرى وهو الصواب . وفى الأصول : «منهم» . (٧) يقال : هجهج السبع وهجهج به اذا صاح به وزجره ليكف . (٨) الهجان : الرجل الحسيب . (٩) كذا فى جميع الأصول وهى رواية فى البيت . وأدعو منصوب بعد واو المعية المسبوقة بالأمر، وتسمى واو الصرف كما ذكره أبو عبيد البكرى فى التنبيه على أوهام أبى علىّ . وفى كتاب الأمالى لأبى علىّ ومختارات ابن الشجرى :

* فقلت ادعى وأدع فان أندى * وجزم «وأدع» على توهم اللام، كأنه قال ولأدع .

فمن يَكُ سائلًا عنّي فإنّي * أنا التَّمْرِيُّ جارُ الزِّبْرِقانِ
طَرِيدُ عَشِيرةٍ وطَرِيدُ حربٍ * بما اجترمتْ يَدِي وجَنَى لسانِي
كأنّي إذ نزلتُ به طَرِيدًا * نزلتُ على المُمَنَّعِ من أَبانِ (١)
أتيتُ الزِّبْرِقانَ فلم يُضِعْنِي * وضَيَّعَنِي بِتِرْيَمَ (٢) مَنْ دَعانِي

مكث في بني قريع الى أن أخصبوا وأجازوه فرحل عنهم ومدحهم

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن أبي عُبَيدة قال : لم يزل الحطيئةُ في بني قُرَيع يمدحُهم حتى إذا أَحْيَوْا (٣) قال لبَغِيض: فِ لي بما كنتَ تضمنتَ ؛ فأتى بَغِيضٌ عَلْقمةَ بن هَوْذة فقال له : قد جاء الله بالحَيَا، فَفِ لي بما قلتَ — وكان قد ضمِن له مائةَ بعير— وأبرِئْني مما تضمَّنْتُه عهدتي ؛ فقال : نعمْ، سَلْ في بني قُرَيع فمهما فضَل بعد عطائهم أن يُتِمَّ مائةً أتممتُه، ففعل فجمعوا له أربعين أو خمسين بعيرًا، كان الرجل يعطيه على قدر ماله البعيرَ والبعيرين ؛ قال : فأتمّها علقمةُ له مائةً وراعيَيْن فدُفعتْ إليه . فلم يزل يمدحهم وهو مقيم بينهم حتى قال كلمته السينيّة واستعدى الزبرقانُ عليه عمرَ رضي الله عنه . فلما رحل عنهم قال : ٥٨ ٢

لا يُبْعِدُ اللهُ إذ ودّعتُ أرضَهُمُ * أخي بَغِيضًا ولكن غيرُه بَعُدا
لا يبعدالله من يُعْطِي الجزيلَ ومن * يَحْبو الجليلَ وما أَكْدى ولا نَكِدا
ومن تُلاقِيه (٤) بالمعروف مبتهجًا * إذا اجْرَهَدَّ (٥) صَفَا المذمومِ أو صَلَدا
لاقيتَه ثَلِجًا (٦) تَنْدَى أنامِلُه * إن يُعْطِك اليومَ لا يمنعْك ذاك غدا
إنّي لرافِدُه وُدّي ومَنْصَرتي * وحافظٌ غيبَه إن غاب أو شهِدا

(١) أبان : جبل . والممنع : العالى الذى يمتنع من أن يبلغه أحد . (٢) تريم بكسر أوله وفتح الياء : اسم واد بين المضايق ووادى ينبع . (٣) أحيوا : أصابهم الحيا وهو المطر .
(٤) كذا في أ ، م بالتاء، وهو المناسب للسياق . وفي ب ، س ، ح ، ط : «يلاقيه» .
(٥) يقال : اجرهدّت الأرض اذا لم يوجد فيها نبات ولا مرعى . والصفا : جمع صفاة وهى الصخرة الملساء . (٦) ثلجا : فرحا مبتهجا .

أقبل على ابن عباس وسأله : أعليه جناح فى هجاء الناس

أخبرنى الحسن بن على قال حدّثنا محمد بن موسى قال حدّثنا أحمد[1] بن الحارث عن المَدائنىّ عن ٱبن دَأْب عن عبد الله بن عَيَّاش المَنْتوف قال :

بَيْنا ٱبن عباس جالسٌ فى مجلس[2] رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ما كُفّ بصره وحوله ناسٌ من قريش ، إذ أقبل أعرابىٌّ يَخْطِر وعليه مِطْرَفٌ وجُبَّة وعِمامة خَزّ ، حتى سلّم على القوم فردّوا عليه السلام ، فقال : يابنَ عمّ رسول الله ، أفْتِنى ، قال : فيماذا؟ قال أتخاف علىّ جُناحًا إن ظلمنى رجل فظلمتُه وشتمنى فشتمتُه وقصّر بى فقصّرتُ به؟ فقال : العفو خير، ومن ٱنتصر فلا جُناح عليه ، فقال : يابن عمّ رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ أرأيت ٱمرأ أتانى فوعَدنى وغَرّنى ومَنّانى ثم أخلفنى وٱستخفّ بحُرْمتى ، أيسعُنى أن أهجوَه؟ قال : لا يصلُح الهجاء ، لأنه لا بدّ لك من أن تهجُو غيره من عشيرته فتظلمَ من لم يظلِمْك ، وتشتُم من لم يشتُمك ، وتَبْغِى على من لم يَبْغ عليك ، والبغى مَرْتَع وَخِيم ، وفى العفو ما قد علمتَ من الفضل ؛ قال : صدقتَ وبَرِرْتَ ؛ فلم يَنْشَبْ أن أقبل عبد الرحمن بن سَيْحان المُحَارِبىّ حليفُ قريش ، فلما رأى الأعرابىّ أجلّه وأَعْظمه وأَلْطف فى مسئلته ، وقال : قرّب الله دارَك يا أبا مُلَيْكة ، فقال ٱبن عباس : أجَرْوَل؟ قال : جرول ؛ فإذا هو الحطيئة ، فقال ٱبن عباس : لله أنت ! أىّ مِرْدى[3] قِذَافٍ ، وذائد عن عشيرةٍ[4] ، ومُثْنٍ بعارِفة تُؤْتاها أنت يا أبا مُلَيْكة! والله لو كنتَ عَرَكْتَ[5] بجنبك بعضَ ما كرِهتَ من أمر الزِّبْرقان كان خيرا لك ،

(١) كذا فى ح . وفى سائر النسخ : «محمد» وقد تقدّم فى صفحة ١٧١ حاشية ١ من هذا الجزء أنه أحمد بن الحارث الخراز صاحب المدائنى وراويته . (٢) أى فى المكان الذى كان يجلس فيه النبىّ صلى الله عليه وسلم ، لأن ٱبن عباس كف بصره بعد وفاته صلى الله عليه وسلم ، وسياق الحكاية نفسها يدل على ذلك . (٣) المردى فى الأصل : حجر يرمى . ، ويطلق على الرجل الشجاع فيقال : إنه لمردى حروب . (٤) كذا فى ح . وفى سائر النسخ : « عشيرته » . (٥) عرك بجنبه ما كان من صاحبه : احتمله . وأنشدوا على هذا :

اذا أنت لم تعرك بجنبك بعض ما ✻ يريب من الأدنى رماك الأباعد

ولقد ظلمتَ من قومه من لم يظلِمْك، وشتمتَ من لم يشتُمك، قال: إنى والله بهم يا أبا العباس[1] لعالم، قال ما أنت بأعلم بهم من غيرك، قال: بلَى واللهِ! يرحمك الله! ثم أنشأ يقول:

أنا ابنُ بَجْدتِهم[2] علمًا وتجربةً * فسَلْ بسعدٍ تجِدْنى أعلمَ الناسِ
سعدُ بن زيد كثيرٌ إن عددْتَهمُ * ورأسُ سعدِ بن زيد آلُ شمّاسِ
والزبرقانُ ذُناباهم[3] وشرّهمُ * ليس الذُّنابَى أبا العباس كالراسِ

فقال ابن عباس: أقسمتُ عليك ألّا تقولَ[4] إلّا خيرا، قال: أفعل. ثم قال ابن عباس: يا أبا مُليكة، من أشعر الناس؟ قال: أمن الماضين أم من الباقين؟ قال: من الماضين، قال: الذى يقول:

ومن يجعل المعروفَ من دون عرضه * يَفِرْهُ ومن لا يَتّقِ الشتمَ يُشْتَمِ

وما بدونه الذى يقول:

ولستَ بمستبقٍ أخًا لا تلُمُّه * على شَعَثٍ، أىُّ الرجال المهذَّبُ

٥٩/٢ ولكنّ الضراعةَ أفسدتْه كما أفسدتْ جَرْولًا — يعنى نفسَه — والله يا ابنَ عم رسول الله لولا الطمع والجَشَع لكنتُ أشعرَ الماضين[5]، فأما الباقون فلا تَشُكّ أنى أشعرهم وأصْرَدُهم[6] سهمًا إذا رَميتُ.

(١) كنية عبد الله بن عباس رضى الله عنه. (٢) البجدة: دخلة الأمر وباطنه. ومن الأمثال: «أنا ابن بجدتها» يقال ذلك للعالم بالشىء المتقن له. والهاء راجعة الى الأرض.

(٣) ذناباهم: ذنبهم.

(٤) كذا فى ا، م. وفى ب، س، ح، ط: «أن تقول» بدون لا وحذف لا النافية فى مثل هذا الموضع جائز، انظر الحاشية رقم ١ ص ١٦٧ ج ١ من الأغانى طبع دار الكتب المصرية.

(٥) فى ب، س، ط: «لكنت أشعر الناس الماضين». (٦) أصردهم: أنفذهم.

منع الزبرقان عبد الله بن أبى ربيعة ماءه فهجاه وهجاه لذلك بنو أنف الناقة

أخبرنى أحمد بن عُبيد الله بن عمّار قال : رُوِى لنا عن أبى عُبيدة والهيثم بن عَدِىّ وغيرهما :

أنّ عبد الله بن أبى ربيعة لمّا قَدِم من البحرين نزل على الزِّبْرِقان بن بدر بمائه فحلاّه وهو الماء الذى يقال له بُنْيان (١)، فنزل على بنى أَنْف الناقة بمائهم وهو الذى يقال له وَشِيع ، فأكرموه وذبحوا له شاةً وقالوا : لو كانت إبلُنا منّا قريبةً لنحرْنا لك ؛ فراح من عندهم يتغنّى فيهم بقوله :

وما الزبرقانُ يومَ يمنَع ماءه * بمُحتسِب التّقوى ولا متوكّلِ
مقيمٌ على بُنْيانَ يمنع ماءه * وماءُ وَشِيعٍ ماءُ ظمآنَ مُرْمِلِ

قال : فركب الزِّبْرِقان إلى عمر رضى الله عنه فاستعداه على عبد الله وقال : إنه هجانى يا أمير المؤمنين ؛ فسأل عمرُ عن ذلك عبدَ الله ؛ فقال له : يا أمير المؤمنين ، إنى نزلت على مائه فحلاّنى عنه ؛ فقال عمر رضوان الله عليه : يا زِبْرِقانُ ، أتمنع ماءك من ابن السبيل ! قال : يا أمير المؤمنين ألا أمنع ماءً حفر آبائى مجاريَه ومستقره وحفرتُه أنا بيدى ! فقال عمر : والذى نفسى بيده ، لئن بلغنى أنك منعتَ ماءك من أبناء السبيل لا ساكنتنى بنجد أبدا ! فقال بعضُ بنى أنف الناقة يعيِّر الزِّبْرِقان ما فعله :

أتدرى مَنْ منعتَ ورودَ حوضٍ * سَليل خَضارِمٍ منعوا البِطَاحَا
أَزادَ الركبِ (٢) تمنع أم هِشَامًا * وذا الرُّمْحين (٣) أمنعهم سلاحَا

(١) كذا فى معجم ياقوت ، وضبطه بالضم وقال : كذا وجدته فى شعر الأعشى ، ووجدته بخط الترمذىّ الذى نقله من خط ثعلب « بنيان » بالفتح فى قول الحطيئة : مقيم على بنيان يمنع ماءه الخ . وقال : هى قرية باليمامة ينزلها بنو سعد بن زيد بن مناة بن تميم . وفى جميع الأصول : « تبيان » وهو تحريف . (٢) زاد الركب : لقب أبى أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم ، وهو عم عبد الله بن أبى ربيعة . والملقبون بزاد الركب ثلاثة من قريش هذا أحدهم ، والثانى مسافر بن أبى عمرو بن أمية ، والثالث زمعة بن الأسود بن المطلب بن أسيد بن عبد العزى . وإنما قيل لهم أزواد الركب لأنهم كانوا اذا سافروا يطعمون كل أحد يكون معهم و يكفونه الزاد . (٣) ذو الرمحين هو أبو ربيعة بن المغيرة والد عبد الله بن أبى ربيعة .

هُم مَنعوا الأباطحَ دون فِهرٍ * ومَنْ بالخَيف والبُدْنَ اللِّقاحَا

بضربٍ دونَ بَيْضتِهم(١) طِلَخْفٍ(٢) * إذ الملهوفُ لاذ بهم وصاحَا

وما تَدرى بأيِّهمُ تُلاقِى * صدورَ المَشْرَفِيَّة والرِّماحَا

وصيته عند موته بالشعراء والفقراء والأيتام

وللحطيئة وصيةٌ ظريفة يأتى كلُّ فريق من الرواة ببعضها ، وقد جمعتُ ما وقع إلىّ منها فى موضع واحد وصدَّرْتُ بأسانيدها .

أخبرنى بها محمد بن العباس اليَزيدىّ قال حدّثنا أحمد بن يحيى ثَعْلَبٌ قال حدّثنا عُيَينة(٣) بن المِنهال عن الأصمعىّ ، وأخبرنى بها أحمد بن عبد العزيز الجوهرىّ قال حدّثنا عمر بن شَبّة ، وأخبرنى إبراهيم بن أيّوب عن ابن قُتَيبة ، ونسختُها من كتاب محمد بن الليث عن محمد بن عبد الله العبْدىّ عن الهَيْثم بن عَدِىّ عن عبد الله بن عبد الرحمن [ابن أبى عمرة](٤) عن أبيه ، وأخبرنى الحُسَين بن يحيى عن حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن أبى عُبَيدة ، وأخبرنى هاشم بن محمد الخُزاعىّ قال حدّثنا أبو غسّان دَمَاذ عن أبى عُبيدة قالوا :

لما حضرتِ الحطيئةَ الوفاة اجتمع اليه قومُه فقالوا : يا أبا مُلَيكة : أوصِ فقال : ويلٌ للشِّعر من راوية السوء ، قالوا : أوصِ رحمك الله يا حُطَىءُ ، قال : من الذى يقول :

إذا أَنْبَضَ(٥) الرامون عنها ترنَّمت * ترنُّمَ ثَكْلَى أوجعتْها الجنائزُ ؟

---

(١) بيضتهم : حوزتهم وساحتهم . (٢) طلخف : شديد .

(٣) فى ط : « عتيبة بن المنهال » . (٤) زيادة فى ا ، م ، حـ ، ء ، ط .

(٥) أنبض القوس وأنضبها : جذب وترها لتصوّت .

قالوا : الشّمّاخ ، قال : أبلغوا غَطَفانَ أنه أشعرُ العرب ، قالوا : وَيْحَك ! أهذه وصيّة ! أوصِ بما ينفعُك ! قال : أبلغوا أهلَ ضابئٍ(١) أنه شاعرٌ حيث يقول : ٦٠/٢

لِكلِّ جَـديدٍ لَذّةٌ غيرَ أنّنى * رأيتُ جديدَ الموتِ غيرَ لذيذ

قالوا : أَوصِ ويحكَ بما ينفعك ! قال : أَبلغوا أهلَ آمرئ القيس أنه أشعرُ العرب حيث يقول :

فَيَا لَكَ من لَيْلٍ كأنَّ نجومَهُ * بكلّ مُغارِ الفَتْل شُدَّتْ بِيَذْبُلِ(٢)

قالوا : اتّقِ الله ودَعْ عنك هـذا ، قال : أبلغوا الأنصارَ أنّ صاحبهم أشعرُ العرب حيث يقول :

يُغْشَوْنَ حتى ما تَهِرُّ كلابُهم * لايَسْألون عن السَّوادِ المُقْبِلِ

قالوا : هذا لا يُغْنِى عنك شيئا ، فقل غيرَ ما أنتَ فيه ، فقال :

الشِّعْرُ صَعْبٌ وطويلٌ سُلَّمُهْ * إذا آرتَقَى فيه الذى لايَعْلَمُهْ
زَلَّتْ به إلى الحَضِيضِ قَدَمُهْ * يريدُ أن يعربه فَيُعْجِمُهْ(٣)

قالوا : هذا مِثْلُ الذى كنتَ فيه ، فقال :

قد كنتُ أحيانًا شديدَ المعتَمَدْ * وكنتُ ذا غَرْبٍ(٤) على الخَصْمِ أَلَدّ
* فَوَرَدَتْ(٥) نفسى وما كادتْ تَرِدْ(٦) *

---

(١) هو ضابئ بن الحارث البرجمىّ ثم اليربوعىّ الشاعر من بنى تميم . (٢) مغار الفتل : محكمه ، وهو اسم مفعول من أغار الحبل إغارة وغارة : شدّ فتله . ويذبل : جبل لباهلة .
(٣) الفاء هنا للاستئناف ، والمعنى فاذا هو يعجمه ولا يصح نصبه عطفا على قوله يعـرب به لأنه لا يريد إعجامه . (٤) الغرب : الحدّ ومنه غرب السيف : حدّه . (٥) وردت : أشرفت ، يقال : ورد فلان بلد كذا وماء كذا اذا أشرف عليه وان لم يدخله . ولعله يريد من الورود الإشراف على الموت . (٦) كذا فى أغلب النسخ . وفى ١ ، م ، ط : «كانت» بالنون .

قالوا : يا أبا مُليكة، ألك حاجة ؟ قال : لا والله، ولكن أَجزَع على المديح الجيِّد يُمدَح به من ليس له أهلا . قالوا : فمَنْ أشعرُ الناس؟ فأومأ بيده الى فِيه وقال : هذا الجُحير إذا طَمِعَ فى خير (يعنى فمَه) وآستعبَرَ باكيا، فقالوا له : قل لا إله إلا الله، فقال :

قالتْ وفيها حَيْـدَةٌ وذُعْرُ (١) * عوذٌ بِرَبّى مِنكُمُ وحُجْـرُ (٢)

فقالوا له : ما تقول فى عَبِيـدك وإمائك ؟ فقـال : هم عَبِيدٌ قِنٌّ ما عاقبَ الليـلُ النهارَ، قالوا : فأَوْصِ للفقراء بشىء، قال : أُوصِيهم بالإلحاح فى المسئلة فإنها تجارةٌ لا تَبُورُ، وآستُ المسئولِ أَضيقُ (٣) .

قالوا : فما تقولُ فى مالك ؟ قال : للأُنثَى من وَلَدِى مثلُ حَظِّ الذكر (٤) ، قالوا : ليس هكذا قَضَى اللهُ جَلّ وعزّ لهنّ، قال : لكنِّى هكذا قَضَيْتُ .

قالوا : فمـا توصِى لليتامى ؟ قال : كُلُوا أموالَهم ونِيكوا أُمَّهاتِهم (٥) ، قالوا : فهل شىء تَعْهَدُ فيه غيرُ هذا ؟ قال : نعم، تَحمِلونَنى على أَتانٍ وتتركوننى راكبها حتى أَموتَ فإنّ الكريم لا يموتُ على فراشه، والأَتانُ مَرْكَبٌ لم يَمُتْ عليه كريمٌ قط، فحَمَلوه على أتان وجَعَلوا يذهبون به ويجيئون عليها حتى مات وهو يقول :

لا أحـدٌ ألأمُ من حُطَيْئَهْ * هجا بَنِيـهِ وهجا المُرَيَّهْ

* من لُؤمـهِ ماتَ على فُـرَيَّهْ *

والفُرَيّة : الأَتَانُ (٦) .

(١) حيدة : من حاد عن الشىء اذا صدّ عنه أو نفر خوفا منه . (٢) حجر، أى دفع ومنع، والعرب تقول عند الأمر تنكره : حجرا له بالضم، أى دفعا . قاله صاحب اللسان واستشهد عليه بالبيت .

(٣) هـذا كناية عن العجز، يقال للرجل يستضعف : استك أضيق من أن تفعل كذا، ويقال للجماعة : أنتم أضيق أستاها من أن تفعلوا كذا . انظر اللسان وتاج العروس مادة « سته » .

(٤) فى ب، س، ى، ط : « مثلا » . (٥) كذا فى أغلب النسخ . وفى م : « وأنكحوا » . (٦) كذا فى الأصول، ولم نجد فى كتب اللغة التى بأيدينا ما يدل على أن الفرية من أسماء الأتان . والتى بها من هذه المادة « الفرأ » (وقد يسهل ومنه « كل الصيد فى جوف الفرا ») وهو حمار الوحش ولعله أنث بالتاء وسهل مع تصغيره فصار فرية .

الغناء فى شعر الحطيئة

ذكر ما غُنِّيَ فيه من القصائد التى مدح بها الحطيئةُ بَغِيضا وقومَه وهجا الزبرقان وقومه

منها :

صـوت

أَلَا طَرَقَتْنَا بعـدَ ما هَجَـعُوا هِنْـدُ * وقد جُزْنَ(1) غَوْرًا وٱستبانَ لنا نَجْدُ
وإنّ التى نَكَّبْتُها(2) عن مَعاشِرٍ * عَلَيَّ غِضابٍ أَنْ صَدَدْتُ كما صَدُّوا

الغناء لعلُّويه ثقيلٌ أول بالوسطى عن عمرو، وهذه القصيدة التى يقول فيها :

أتتْ آلَ شَمّاسِ بنِ لَأْيٍ وإنما * أتاهم بها الأحلامُ والحَسَبُ العِـدُّ(3) ٦١ / ٢
فإنّ الشقيّ مَن تُعادِى صدورُهم * وذو الجَدِّ مَن لَانُوا إليه ومَن وَدُّوا
يَسُوسون أحلاما بعيدا أناتُها * فإن غَضِبُوا جاءَ الحَفِيظةُ والجِـدُّ
أَقِـلُّوا عليهـم لا أبا لأَبِيكُمُ * مِن اللومِ أو سُدُّوا المكانَ الذى سَدُّوا
أولئك قومٌ إن بَنَوْا أحسنوا البُنَى * وإن عاهدُوا أَوْفَوْا وإن عقدوا(4) شَدُّوا
وإن كانت النُّعْمَى عليهم جَزَوْا بها * وإن أنعمُوا لا كَدَّروها ولا كَدُّوا
وإن قال مَوْلاهُمْ على جُلِّ(5) حادِثٍ * من الدهر رُدُّوا فَضْلَ أحلامِكم رَدُّوا
مَطاعينُ فى الهَيْجا مَكاشِيفُ للدُّجَى * بَنَى لهم آباؤُهم وبَنَى الجَـدُّ

---

(1) كذا فى جميع الأصول. وفى ديوان الحطيئة ومختارات ابن الشجرى : «وقد سرن خمسا وٱتلأب بنا نجد» ومعنى اتلأب : آنبسط . (2) أراد المدحة التى عدل بها عن آل الزبرقان الى بغيض وقومه ، وبين هـذا البيت وما قبله جملة أبيات فراجعها فى ديوانه . (3) العِدّ : القديم ، ومنه قولهم : ماء عِدّ أى قديم لا ينتزح ، ونقل صاحب اللسان عن بعض المتحذلقين أنه فسر العدّ فى قولهم : حسب عدّ بمعنى كثير : أخذا من قولهم : ماء عدّ أى كثير ، ثم قال : وهذا غير قوى وأن يكون العدّ القديم أشبه واستشهد على هـذا المعنى بالبيت . (4) رواية اللسان مادة عقد : «وان عاقدوا شدّوا» (5) كذا فى ا ، م . وفى باقى النسخ : «كل حادث» وظاهر أنه محرّف .

ومنها :

صـــوت

وأدماءَ حُرْجُوجٍ(١) تَعَالَلْتُ(٢) مَوْهِنًا * بِسَوْطِى فارمَدَّتْ نَجاءَ الخَفَيْدَدِ

اذا آنَسَتْ وقْعًا من السَّوط عارضَتْ * به الجَوْرَ حتى يستقيم ضُحَى الغَدِ(٣)

وتشربُ بالقَعْبِ(٤) الصغيرِ وإن تُقَدْ * بِمِشْفَرِهَا يومًا الى الحَوْضِ تَنْقَـدِ

المَوْهِن : وقتٌ من الليل بعد مُضِىِّ صَدْرٍ منه . وارمدّت : نجت ، والارمداد : النَّجاء(٥) . والخَفَيْدَد(٦) : الظَّلِيم .

الغناء لابن مُحْرِز خفيفُ رَمَلٍ بالسبّابة فى مَجْرَى البِنْصَر عن إسحاق . وذكر الهِشَامىّ : أنّ فيه لإبراهيمَ خفيفَ رَمَلٍ آخر، وهو فى جامع ابراهيم غير مُجَنَّس . وفيه خفيف ثقيل مجهول، وذكر حَبَشٌ : أنه لمَعْبَد، ويُشْبِه أن يكون ليحيى المكىّ .

---

(١) الحرجوج : الناقة الطويلة على وجه الأرض ، وقيل الضامرة ، وقيل : الوقادة الحادة القلب .

(٢) تعاللت : استخرجت علالة (بقية) سيرها . (٣) كذا ورد هـذا البيت فى الأصول . ورواية الكامل للمبرد ص ٢٣٨ طبع أوروبا :

وإن آنست حسامن السوط عارضت * بى الجور حتى تستقيم ضحى الغـد

يريد أنها تحاذى به الجور (وهو الميل عن القصد فى السير) أى تمشى معه على غير اهتداء حتى تستقيم فى ضحوة الغد . ورواية ديوان الحطيئة .

فان آنست حسامن السوط عارضت * بى القصد حتى تستقيم ضحى الغـد

يريد أنها جانبت بى القصد ولم تسر فيه حتى تستقيم فى ضحوة الغد . وفى مختارات ابن الشجرى (النسخة المخطوطة المحفوظة بدار الكتب تحت رقم ٥٨٦ أدب) .

وان خاف جورا من طريق رمى بها * سوى القصد حتى تستقيم ضحى الغد

وقال فى شارحه : ان خاف أن تجور به عن الطريق اعتسف بها غير الطريق حتى تلق الطريق ضحوة الغد لما فيها من العلالة والبقية ؛ وورد البيت فى اللسان مادة خزم هكذا :

اذا هو نحاها عن القصد خازمت * به الجور حتى يستقيم ضحى الغد

ولكنه نسبه لابن فسوة وقال فى تفسيره : ذكر ناقته أن راكبها اذا جاربها عن القصد ذهبت به خلاف الجور حتى تغلبه فتأخذ على القصد . (٤) القعب : القدح الضخم الغليظ الجافى . (٥) النجاء : السرعة فى السير . (٦) الذى فى كتب اللغة : الخفيدد : الخفيف من الظلمان .

ذكر بعضهم أشعر الناس

أخبرنى الحَرَمِىّ بن أبى العلاء قال حدّثنا الزُّبَير بن بَكّار قال حدّثنى إبراهيم بن المنذِر عن ابن عبَايَة عن محمد بن مسلِم الجَوْسق عن رجل من كعب قال :

جئتُ سوق الظَّهْر (١) فإذا بكُثَيِّر، وإذا الناسُ مُتقصِّفون (٢) عليه ، فتخلَّصْتُ حتى دَنَوتُ منه فقلت : أبا صخر، قال : ما تشاء ؟ قلتُ : مَنْ أشعرُ الناس؟ قال : الذى يقول :

وآثرتُ إدلاجِى على لَيْلِ حُرَّةٍ * هَضِيمِ الحشا حُسَّانَةِ المتَجَرَّدِ (٣)
تُفَرِّق بالمِـدْرَى أثِيثًا (٤) نباتُه (٥) * على واضحِ الذِّفْرَى (٦) أسِيلِ المُقَلَّدِ

قال : قلتُ : هذا الحطيئة؟ قال : هو ذاك .

كذبه سيدنا عمر فى شعر له

أخبرنى الحسن بن علىّ قال حدّثنا محمد بن موسى قال حدّثنا أحمد بن الحارث الخرّاز عن المدائنىّ عن علىّ بن مُجاهد عن هشام بن عُرْوة :

أنّ عُمَر بن الخطاب رضى الله عنه أُنْشِد قولَ الحطيئة :

مَتَى تأتِهِ تَعْشُو (٧) إلى ضَوْءِ نارِهِ * تَجِدْ خَيْرَ نارٍ عندها خيرُ مُوقِدِ

فقال عمر : كَذَبَ، بل تلك نارُ موسى نبىِّ الله صلى الله عليه وسلم .

---

(١) لم نضبط هذه الكلمة ويحتمل أن تكون مضمومة الظاء وهو الوقت المعروف وفى نسخة ا ، ط : ضبطت الظاء بفتح الظاء، والظهر : الإبل .

(٢) أى مزدحمون . (٣) الحسانة (بضم الحاء وتشديد السين) : الشديدة الحسن والمتجرّد بالفتح مصدر بمعنى التجرّد وقد يكسر يراد به الجسم . (٤) أى شعرا كثيفا كثيرا .

(٥) كذا فى أغلب النسخ ومختارات ابن الشجرى . وفى ب ، س ، ط : « كأنه » وهو تحريف .

(٦) الذفرى : العظم الشاخص خلف الأذن . والأسيل : الطويل . والمقلد : العنق .

(٧) تعشو : تقصد فى الظلام . قال المرزوقى فى شرح الفصيح : يقال عشا يعشو اذا سار فى ظلمة تسمى عشوة . وقال ابن يعيش : عشوته أى قصدته فى الظلام ، ثم اتسع فقيل لكل قاصد عاش . وتعشو حال من ضمير المخاطب فى قوله تأته . انظر الخزانة للبغدادى ج ٣ ص ٦٦٠ و ٦٦١

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه عن الهَيْثم بن عَدِيّ عن حمّاد الراوية :

أنّ رَجُلا دَخل على الحُطيئة، وهو مُضطَجع على فِراشه وإلى جانبه سَوْداءُ قد أخرجتْ رِجْلَها من تحت الكساء، فقال له : ويحك ! أفى رجلك خُفٌّ ؟ قال : لا والله ولكنها رِجْلُ سوداءَ، أتدرى مَنْ هى ؟ قال : لا ؛ قال : هى والله التى أقول فيها :

* وآثرتُ إدلاجِى على ليلِ حُرّةٍ *

— وذكر البيتين — والله لو رأيتها يابنَ أخى لمَا شَربتَ الماء من يدها ؛ قال : فجعلتْ تسُبُّه أقبح سَبٍّ وهو يضحك . ٦٢/٢

ومنها :

صــوت

ماكان ذنبُ بَغيضٍ لا أبَا لَكُمُ * فى بائسٍ جاء يحدو أَيْنُقًا شُزُبَا(١)
طافتْ أُمامةُ بالرُّكبان آونةً * يا حُسْنَها من خَيالٍ زارَ مُنْتَقِبَا
إذ تَسْتَبيكَ بمصقولٍ عَوَارِضُهُ(٢) * حَمْشِ اللِّثاتِ(٣) تَرَى فى مائِهِ شَنَبَا
قد أخلقتْ عهدَها من بعدِ جِدّته * وكذَبَتْ حُبَّ مَلْهوفٍ وما كَذَبا

الغناء لأبن سُرَيج رَمَلٌ بالوسطى عن عمرو بن بانة .

---

(١) شزبا : جمع شازبة وهى الضامرة . وقال الأصمعىّ : سمعت أعرابيا يقـول : ما قال الحطيئة : أينقا شزبا ، إنما قال : «أعنزا شسبا» وشسبا : جمع شاسبة بالسين لغة فى شازبة بالزاى .

(٢) العوارض : الثنايا ؛ سميت عوارض لأنها فى عرض الفم ، وقيل : هى أربع أسنان تلى الأنياب ثم الأضراس تلى العوارض وقيل : العوارض ما يبدو عند الضحك . قال كعب بن زهير :

تجلو عوارض ذى ظلم اذا ابتسمت * كأنه منهـل بالراح معـلول

(٣) حمش اللثات : دقيقها فى حسن .

ومنها :

صــوت

جَزَى اللهُ خيرا - والجزاءُ بكفّه - * بأحسنِ ما يَجْزِى الرجالَ بغيضا
فلو شاءَ إذ جئناه صَدَّ فلم يُلَمْ * وصادفَ مَنْأًى (١) فى البلاد عريضا

الغناء للهُذَلىّ ثقيل أوّل بالبنصر عن الهشامىّ .

---

(١) المنأى : اسم مكان من النأى وهو البعد .

أخبار ابن عائشة ونسبه

اسمه وكنيته ولم يعرف له أب فنسب الى أمه

محمد بن عائشة ويكنى أبا جعفر، ولم يكن يُعرَف له أبٌ فكان ينسب إلى أمه، ويلقِّبه مَن عاداه أو أراد سبَّه «ابنَ عاهة الدار». وكان هو يزْعُم أنّ اسم أبيه جعفر؛ وليس يُعرَف ذلك. وعائشة أمه مولاة لكَثِير بن الصَّلْت الكِنْدِيّ حَلِيفِ قُرَيش. وقيل: إنها مَوْلاة لآل المُطَّلِب بن أبي وَدَاعة السَّهْمِيّ، ذكر ذلك إسحاق عن محمد بن سلّام. وحكى ابنُ الكلبيّ القولَ الأول، وقال إسحاق: هو الصحيح، يعني قول ابن الكلبيّ. وقال إسحاق فيما رواه لنا الحُسَين بن يحيي عن حمّاد عن أبيه: إنّ محمد بن مَعْن الغِفَارِيّ ذكر له عن أبي السائب المخزوميّ أنّ ابن عائشة مَوْلى المُطَّلِب بن أبي وَدَاعة السَّهْمِيّ وإنّه كان لغير رِشْدة (٢)، فأدركتُ المَشْيَخة وهم إذا سمعوا له صوتا حَسَنا قالوا: أحسنَ ابنُ المرأة. قال إسحاق وقال عِمْران بن هند الأَرْقَمِيّ: بل كان مَوْلًى لكَثِير بن الصَّلْت.

سأله الوليد بن يزيد عن نسبه لأمه فأجابه

قال إسحاق: قال عُبَيد الله بن محمد بن عائشة: قال الوليد بن يزيد لابن عائشة: يا محمد، أَلِغَيَّة أنتَ؟ قال: كانت أمّي يا أمير المؤمنين ماشطة، وكنت غلاما، فكانت إذا دخلت إلى موضع قالوا: ارفعوا هذا لابن عائشة؛ فغلبتْ على نَسَبي.

كان يفتن كل من سمعه وأخذ عن معبد ومالك

قال إسحاق: وكان ابنُ عائشة يَفْتن كلّ من سَمِعه، وكان فِتْيان من المدينة قد فَسَدوا في زمانه بمحادثته ومجالسته. وقد أخذ عن مَعْبد ومالك ولم يَمُوتا حتّى سَاوَاهما على تقديمه لهما واعترافه بفضلهما.

---

(٢) لغير رشدة: لغير نكاح صحيح. يقال: فلان ولد لرشدة، أي لنكاح صحيح. وضدّه غية، فيقال: ولد لغية، أي لزنية.

كان جيد الغناء دون الضرب

وقد قيل : إنه كان ضاربا ولم يكن بالجيِّد الضرب ؛ وقيل : بل كان مُرْتجِلا لم يَضْرِب قطّ .

كان يضرب بابتدائه المثل وكان أحسن المغنين بعد معبد

وٱبتداؤه بالغناء كان يُضْرَب به المثل ، فيقال للابتداء الحَسَن كائنا ما كان من قراءة قرآن ، أو إنشاد شِعر ، أو غِناء يُبدأ به فيستحسن : كأنه ٱبتداء ٱبنِ عائشة .

قال إسحاق : وسمعتُ علماءنا قديما وحديثا يقولون : ابنُ عائشة أحسنُ الناس ابتداءً ، وأنا أقول : إنه أحسنُ الناس ٱبتداءً وتوسُّطا وقَطْعا بعد أبى عَبّاد مَعْبَد ، وقد سمعتُ مَنْ يقول : إنّ ابنَ عائشة مثلُه ؛ وأمّا أنا فلا أَجْسُرُ على أن أقول ذلك .

٦٣ / ٢ وكان ابنُ عائشة غيرَ جَيِّد اليدين فكان أكثرُ ما يُغَنِّى مُرْتَجِلا . وكان أطيبَ الناس صوتا .

قال إسحاق وحدّثنى محمد بن سَلّام قال قال لى جرير : لا تَخْدَعَنّ عن أبى جعفر محمد بن عائشة ، فلولا صَلَفٌ كان فيه لَمَا كان بعدَ أبى عَبّاد مثلُه .

أخبرنى أحمد بن جعفر جَحْظة قال حدّثنى محمد بن أحمد بن يحيى المكّىّ عن أبيه عن جدّه قال : ثلاثةٌ من المغنِّين كانوا أحسنَ الناس حُلُوقا : ابنُ عائشة وابنُ تَيْزَن(١) وابنُ أبى الكَنّات .

ضرب ٱبن أبى عتيق رجلا خدش حلقه

حدّثنى عمى قال حدّثنا محمد بن داود بن الجَرّاح قال حدّثنا أحمد بن زُهَير قال حدّثنى مُصْعَب الزُّبَيْرِىّ عن أبيه قال :

رأى ٱبنُ أبى عَتِيق حَلْقَ ابن عائشة مُخَدَّشا فقال : مَنْ فَعَل هذا بك ؟ قال : فلان ، فمضى فَنَزَع ثيابَه وجلس للرجل على بابه ، فلمّا خَرَج أخذ بِتَلْبِيبِه(٢) وجعل

(١) انظر الكلام عليه فى حاشية ٢ صفحة ٢٨٣ من الجزء الأول من الأغانى طبع دار الكتب المصرية .

(٢) التلبيب من الإنسان ما فى موضع اللبب من ثيابه ، واللبب : موضع القلادة من الصدر ، يقال : أخذ فلان بتلابيب فلان اذا جمع عليه ثوبه الذى هو لابسه عند صدره وقبض عليه يجره .

يضربه ضَرْبا شديدا والرجل يقول له : مالكَ تَضرِبُنى! أىَّ شىء صنعتُ ! وهو لا يجيبه حتى بلغ منه ؛ ثم خلّاه وأقبل على مَنْ حَضر فقال : هـذا أراد أن يكسر مزامير داود : شدّ [1] على آبن عائشة نخنقه وخدش حلقه .

لو كان آخر غنائه كأوّله لفاق ابن سريج

قال إسحاق فى خبره : وحدّثنى أبى عن سِياط عن يونسَ الكاتبِ قال : ما عَرَفنا بالمدينة أحسنَ آبتداءً من ابن عائشة إذا غنّى ، ولو كان آخرُ غِنائه مِثْلَ أوّله لقدّمته على ابن سُرَيج . قال إبراهيم : هو كذاك عندى ، وقال إسحاقُ مِثلَ قولهما . قال : وقال يونس : كان ابنُ عائشة يضرِب بالعود ولم يكن مُجيدا ، وكان غناؤه أحسنَ مِن ضَرْبه ، فكان لا يكاد يَمَسّ العودَ إلا أن تجتمع جماعةٌ من الضُّرّاب فيضربون عليه ويضرب هو ويُغنّى ، فناهيك به حُسْناً ! .

كان يصلح لمنادمة الخلفاء والملوك

أخبرنى الحُسَين عن حمّاد عن أبيه عن الهَيثم بن عَدِىّ عن صالح بن حسّان أنه ذكر يوما المغنّين بالمدينة ، فقال : لم يكن بها أحدٌ بعدَ طُوَيس أعلمَ من آبن عائشة ولا أظرفَ مجلسا ولا أكثرَ طِيباً ، وكان يَصْلُح أن يكون نَديمَ خليفة أو سَمِيرَ مَلِك . قال إسحاق : فأذكرنى هذا القولُ قولَ جَميلة له : وأنتَ يا أبا جعفر فمعَ الخلفاء تصلُح أن تكون .

رآه الحسن بن الحسن بالعقيق فأكرهه على أن يغنيه مائة صوت فلم ير أحسن منه غناء فى ذلك اليوم

قال إسحاق وحدّثنى المدائنىّ قال حدّثنى جرير قال : كان ابنُ عائشة تائها سَيِّئَ الخُلُق ، فإن قال له إنسانٌ : تغنَّ ، قال : أَلِمثْلِى يقال هـذا ! وإن قال له إنسان وقد آبتدأ هو بغناء : أحسنتَ ، قال : ألمثلى يقال أحسنت ! ثم يسكت ، فكان قليلا ما يُنْتفَع به . فسالَ العقيقُ مَرّة فدخل عَرْصَةَ سعيدِ بنِ العاصى الماءُ حتى ملأها ، نخرج الناسُ إليها وخرج آبنُ عائشة فيمن خَرَج ، فجلَس على قَرْن البئر ، فبيناً هم

---

(١) كذا فى م ، ا . وفى أغلب النسخ : « وشدّ » بواو العطف .

كذلك إذ طلع (١) الحسن بنُ الحسن بنِ علىّ بن أبى طالب، عليهم السلام، على بَغْلة وخَلْفَه غلامان أسودان كأنهما من الشياطين، فقال لهما: امضِيا رُوَيْدًا حتى تقِفا بأصل القَرْن الذى عليه ابن عائشة، فخرجا حتى فعلا ذلك. ثم ناداه الحسنُ: كيف أصبحتَ يابنَ عائشة؟ قال: بخيرٍ، فداك أبى وأمى، قال: انظر من إلى جَنْبك، فنظر فإذا العبدان، فقال له: أتعرفهما؟ قال: نعمْ، قال: فهما حُرّان لئن لم تغنّنى مائةَ صوت لآمُرَنَّهما بطَرْحك فى البئر، وهما حُرّان لئن لم يفعَلا لأقطعنّ أيديَهما، فاندفع ابنُ عائشة فكان أوّلُ ما ابتدأ به صوتاً له وهو:

ألا لله درُّكَ من ❊ فتًى قومٍ إذا رَهِبُوا

ثم لم يسكت حتى غنّى مائةَ صوت، فيقال إن الناس لم يسمعوا من ابن عائشة أكثرَ مما سمعوا فى ذلك اليوم، وكان آخر ما غنّى:

٦٤/٢

صــوت

قل للمنازل بالظَّهْرانِ (٢) قد حانا ❊ أن تنطق فتُبِينى القــول تِبْيانَا

قال جرير: فما رُئى يومٌ أحسنُ منه، ولقد سمع الناس شيئا لم يسمعوا مثلَه، وما بلغنى أن أحدا تشاغل عن استماع غنائه بشىء، ولا انصرف أحدٌ لقضاء حاجة ولا لغير ذلك حتى فرغ. ولقد تبادر الناسُ من المدينة وما حولَها حيث بلغهم الخبرُ لاستماع غنائه، فيقال: إنه مارئى جَمْعٌ فى ذلك الموضع مثلُ ذلك الجَمْع، ولقد رفَع الناس أصواتَهم يقولون له: أحسنتَ والله، أحسنتَ والله، ثم انصرفوا حولَه يزُفّونه إلى المدينة زَفًّا.

(١) كذا فى أغلب النسخ. وفى ا، م: «أقبل».

(٢) الظهران: واد قرب مكة وعنده قرية يقال لها مرّ تضاف الى هذا الوادى فيقال مرّ الظهران.

نسبة ما فى هذا الخبر من الأغانى

منها :

صـوت

ألا لله درُّكَ مِنْ * فتى قومٍ إذا رَهِبُوا
وقالوا مَنْ فتًى للحر * ب يَرْقُبُنا ويَرْتَقِبُ
فكنتَ فتاهمُ فيها * إذا تُدْعَى لها تَثِبُ
ذكرتُ أخى فعاوَدَنِى * رُدَاعُ(١) السُّقْمِ والوَصَبُ
كما يعتاد ذاتَ البَوِّ * بعدَ سُلُوِّها الطَّرَبُ(٢)
على عَبْدِ بن زُهْرَةَ بتُّ * طولَ الليلِ أنتحبُ(٣)

الشعر لأبى العِيَال الهُذَلِىّ. والغناء لمَعْبد، وله فيه لحنان، أحدهما ثقيلٌ أوّلُ بالخِنْصر فى مجرى الوسطى عن إسحاق يُبْدأ فيه بقوله :

ذكرتُ أخى فعاودنى * رداعُ السقم والوصبُ

والآخر خفيفُ رملٍ بالوسطى عن عَمْرو بن بانة . وفيه لابن عائشةَ خفيفُ رملٍ آخرُ، وقيل : بل هو لحن معبد . وذكر حمّاد بن إسحاق أن خفيفَ الرَّمل لمالك .

البَوُّ : جلد يُحْشَى تِبنًا ويجفف لكيلا تخبُثَ رائحته، ويُدْنَى إلى الناقة التى قد نُحر فصيلُها أو مات لتَشَمّه فتدِرّ عليه .

---

(١) الرداع : النكس . (٢) الطرب هنا : الحزن . (٣) ورد هذا البيت فى ا ، م ، ء ، ط هكذا :

على عبد بن زهرة طو * ل هذا الليل أكتئب

ومنها :

صـــوت

قـل للمنازل بالظَّهْـرانِ قد حانا * أن تنـطق فتُبِينى القـولَ تِبْيـانَا
قالت ومن أنت قل لى قلتُ ذو شَغَفٍ * هِجْتِ له من دَوَاعى الحبِّ[1] أَحْزانَا

الشعر لعمر بن أبى ربيعة . والغناء لابن عائشة خفيفُ ثقيلٍ أوّلَ بالوسطى عن الهِشامىّ وحَبَش .

غنى بالموسم فحبس الناس عن المسير

وقال هارون بن محمد بن عبد الملك الزيّات حدّثنى عبد الرحمن بن سليمان عن علىّ بن الجَهْم الشاعر قال حدّثنى رجل :

أن ٱبن عائشة كان واقفا بالموسم متحيِّرا ، فمرّ به بعضُ أصحابه فقال له : ما يُقيمك ها هنا؟ فقال : إنى أعرف رجلا لو تكلّم لحبَسَ الناسَ ها هنا فلم يذهب أحد ولم يجئ ؛ فقال له الرجل : ومن ذاك ؟ قال أنا ، ثم ٱندفع يغنّى :

جرتْ سُنُحًا فقلتُ لهـا أَجِيزِى * نَوًى مشمولةً فمـتى اللقاءُ

قال : فحُبِس الناس ، واضطربت المَحامِلُ ، ومدّتِ الإبلُ أعناقَها ، وكادت الفتنةُ أن تقع . فأُتِىَ به هشامَ بنَ عبد الملك ، فقال له : يا عدوَّ الله ، أردتَ أن تَفتن النَاسَ ! قال : فأمسك عنه وكان تيّاها ، فقال له هشام : ارفُقْ بتِيهك ، فقال : حَقّ لمن كانت هذه مَقْدِرتَه على القلوب أن يكون تيّاهًا ، فضحك منه وخلّى سبيلَه .

---

(١) كذا فى أغلب النسخ . وفى ا ، م : « الشوق » بدل الحب .

٦٥/٢

نسبة هذا الصوت الذى غناه آبن عائشة

صــوت

جرتْ سُنُحا فقلتُ لها أَجِيزِى * نَوًى مشمولةً فمتى اللقاءُ
بنَفْسِى مَنْ تذكُّرُه سَقَامٌ * أُعانيه ومَطْلَبُه عَناءُ

السانح : ما أقبل من شِمَالك يريد يمينَك، والبارح ضدّه . وقال أبو عبيدة : سمعت يونسَ بن حَبيب يسأل رُؤْبةَ عن السانح والبارح، فقال : السانح : ما ولّاك مَيَامِنَه، والبارح : ما ولّاك مَشَائِمَه . وقوله : أجيزى أى آنفُذِى . قال الأصمعىّ : يقال : أَجَزْتُ الوادىَ إذا قطعتَه وخلّفتَه، وجُزْتُه أى سِرْتُ فيه فتجاوزتُه، وجاوزتُه مثلُه . قال أَوْس بن مَغْراء :

ولا يَرِيمُون فى التعريف موقفَهم * حتى يقالَ أَجِيزُوا آلَ صوفانا(1)

ومشمولةٌ(2) : سريعةُ الانكشاف . أخذه من السحابة المشمولة، وهى التى تصيبها الشَّمَال فتكشِفُها ، ومن شأن الشمال أن تقطع السحابَ، وأستعارها هاهنا فى النَّوَى لسرعة انكشافهم فيها عن بلدهم، وأجرَى ذلك مُجرى الذمّ للسانح لأنه يُتَشاءم به . البيت الأوّل من الشعر لزُهَير بن أبى سُلْمَى ، والثانى مُحْدَث ألحقه المغنُّون به لا أعرف قائلَه . والغناء لآبن عائشة، ولحنُه خفيفُ ثقيلٍ أوّل بالبنصر .

غنى الوليد بحضرة معبد ومالك فطرب الوليد من غنائه

أخبرنى إسماعيل بن يونس قال حدّثنا عمر بن شَبّة قال حدّثنا إسحاق وأخبرنى به محمد بن مَزْيد(3) والحسين بن يحيى قالا حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن الهَيْثَم بن عَدِىّ عن حمّاد الراوية قال :

(1) كذا فى أغلب النسخ واللسان مادة ريم . وفى ب ، س : «صفوان» بغير ألف الاطلاق .
(2) فسره فى اللسان فى مادة سنح وشمل بأنه أخذ بها ذات الشمال . (3) كذا فى ا ، م . وفى باقى النسخ : «محمد بن جرير» والمؤلف يروى عن محمد بن جرير كما يروى عن محمد بن مزيد ، ولكن النسخ اتفقت فيما سيأتى على ذكر هذا الذى يروى عنه المؤلف وعن الحسين بن يحيى عن حماد باسم محمد بن مزيد .

كتب الوليد بن يزيد إلى يوسف بن عمر : أما بعد، فإذا قرأتَ كتابى هذا فَسَرِّحْ إلىَّ حَمّادًا الراوية على ما أحبَّ من دوابّ البريد، وأعطِه عشرةَ آلاف درهم يتهيّأ بها. قال: فأتاه الكتاب وأنا عنده فنبذه إلىّ، فقلتُ : السمعُ والطاعةُ، فقال : يا دُكَين، مُرْ شجرة يعطيه عشرةَ آلافِ درهم، فأخذتُها . فلما كان اليومُ الذى أردتُ الخروج فيه أتيتُ يوسف بن عمر، فقال : ياحَمّاد، أنا بالموضع الذى قد عرفتَه من أمير المؤمنين، ولستُ مستغنيًا عن ثنائك؛ فقلت : أصلح الله الأمير "إن العَوَانَ[(١)] لا تُعَلَّمُ الخِمْرَة" وسيبلُغك قولى وثنائى . فخرجتُ حتى انتهيتُ إلى الوليد وهو بالبَخْراء[(٢)]، فاستأذنتُ عليه فأَذِنَ لى، فإذا هو على سَرِير مُمَهَّد، وعليه ثوبان أصفران : إزارٌ ورِدَاء يقيئانِ الزَّعفران قيئا، وإذا عنده مَعْبَدٌ ومالكُ بن أبى السَّمْح وأبو كاملٍ مَوْلاه، فتركنى حتى سَكَن جَأْشى، ثم قال أنشِدْنى :

* أمِنَ المنونِ ورَيْبِها تتوجّعُ *

فأنشدتُه حتى أتيتُ على آخرها؛ فقال لساقيه : ياسَبْرة اسْقِه، فسقانى ثلاثةَ أكؤس خثّرْنَ[(٣)] ما بين الذُّؤابة والنعل . ثم قال يا مالك، غنِّنِى :

أَلَا هل هاجَكَ الأظعا * نُ إذ جاوزْنَ مُطَّلَحا

ففعل . ثم قال له : غنِّنى :

جَلَا أُمَيَّـةُ عنّى كلَّ مظلمـةٍ * سَهْلُ الحِجابِ وأوفَى بالذى وَعَدا

---

(١) العوان من النساء: التى قد كان لها زوج، وقيل هى النصف فى سنها أو هى الثيب . والخمرة: الهيئة من الاختمار أى لبس الخمار . وهذا مثل يضرب للمجرّب الذى يعرف أمره ولا يحتاج الى أن يعلم كيف يفعل . (٢) هى أرض بالشأم كما فى معجم ما استعجم للبكرى . وقال ياقوت فى معجم البلدان : هى ماءة منتنة على ميلين من القليعة فى طرف الحجاز، وذكر قصة يستفاد منها أن الوليد بن يزيد قتل وهو نازل بالبخراء . (٣) خثّرن : جعلنه خاثرا فاترا منكسرا .

ففعل . ثم قال له : غنِّنى :

أتنسى إذ تُودِّعنا سُلَيْمَى[1] * بفَرْعِ بَشَامةٍ[2] سُقِىَ البَشَامُ

٦٦/٢ ففعل . ثم قال[3] : يا سَبْرة ، أو يا أبا سَبْرة ، اسقِنى بزُبِّ فِرعون ، فأتاه بقدح مُعْوَجٍّ فسقاه به عشرين ، ثم أتاه الحاجب فقال : أصلح الله أميرَ المؤمنين ، الرجلُ الذى طلبتَ بالباب ؛ قال : أدخلْه ، فدخل شابٌّ لم أر شاباً أحسنَ وجها منه ، فى رِجْله بعضُ الفَدَع[4] ؛ فقال : يا سَبْرة اسقِه ، فسقاه كأسا ؛ ثم قال له : غنِّنى :

وهْى إذ ذاكَ عليها مِئْزَرٌ * ولها بيتُ جَوارٍ من لُعَبْ

فغنّاه ؛ فنبذ إليه الثوبَيْن . ثم قال له : غنِّنى :

طاف الخيالُ فمَرْحَبا * ألفًا برؤية زينبا

فغضب معبد وقال : يا أمير المؤمنين ، إنا مقبِلون عليك بأقدارنا وأسناننا ، وإنك تركتنا بمَزْجَر الكلب ، وأقبلت على هذا الصبىّ ! فقال : والله يا أبا عبّاد ، ما جهلتُ قدرَك ولا سنَّك ، ولكنّ هذا الغلام طرحنى فى مثل الطَّنَاجير[5] من حرارة غنائه . قال حمّاد الراوية : فسألتُ عن الغلام فقيل لى هو ابنُ عائشةَ .

---

(١) هكذا فى الأصول والديوان ، وفى اللسان : «أتذكر يوم تصقل عارضيها» وأورد صاحب اللسان لهذا الصدر رواية أخرى نسبها للتهذيب وهى : « أتذكر إذ تودّعنا سليمى » . (٢) بشامة : واحدة البشام ، وهو شجر طيب الريح والطعم يستاك به ، والمعنى أنها أشارت بسواكها تودّعه ولم تتكلم خيفة الرقباء .

(٣) كذا فى حـ ، م . وفى سائر النسخ : « ثم قال له ياسبرة » ولا موقع لكلمة « له » فى الكلام .

(٤) الفدع : عوج وميل فى المفاصل خلقة أو داء ، وأكثر ما يكون فى الرسغ من اليد والقدم .

(٥) الطناجير : جمع طنجير ، والطنجير ذكره صاحب القاموس ولم يبين معناه ، وانما قال : إنه معرّب فارسيته باتيله ، ويؤخذ من كلام شارحه أنه يقال على القدر من النحاس حيث قال : والطنجير كناية عن الجبان واللئيم ، هكذا تستعمله العرب فى زماننا وكأنهم يعنون به الحضرىّ الملازم أكله فى قدور النحاس وصحونه . وفى أقرب الموارد : والطنجرة : قدر من نحاس دخيلة والطنجير وعاء يعمل فيه الخبيص ، معرّب . وفى حـ : «الطاجين» جمع طيجن وهو الطاجن (المقلى) وهو بالفارسية تابه .

نسبة ما فى هذا الخبر من الأغانى

صوت

جلا أميّةُ عنى كل مظلمةٍ * سهلُ الحجابِ وأوفى بالذى وعَدا
إذا حلَلْتُ بأرضٍ لا أراكَ بها * ضاقت علىّ ولم أعرف بها أحَدا

الغناء لابن عبّاد الكاتبِ خفيفُ ثقيلٍ بإطلاق الوتر فى مجرى البِنْصر عن إسحاق . وذكر عمرو بن بانة أنه لعمرَ الوادِى . وذكر حَبَشٌ أن فيه لمالك لحنا من خفيفِ الثقيلِ الأول بالوُسْطَى .

ومنها :

صوت

أتنسى إذ تودّعُنا سُلَيْمَى * بفَرْعِ بَشامةٍ سُقِىَ البَشَامُ
متى كان الخِيامُ بذى طُلُوحٍ(١) * سُقِيتِ الغيثَ أيتها الخِيامُ
أتمْضُون(٢) الخيامَ ولم تُسلِّمْ(٣) * كلامُكُم علىّ إذًا حرامُ

(١) ذو طلوح : موضع بين اليمامة ومكة كما فى القاموس وشرحه . وقال ياقوت فى معجمه : هو اسم موضع للضباب اليوم فى شاكلة حمى ضَرِيّة وهو فى حَزْن بنى يربوع بين الكوفة وفَيْد، ثم أنشد بيت جرير هذا . (٢) كذا فى الأصول، وجاء هذا البيت فى ديوان جرير الذى هو رواية محمد ابن حبيب تابعا لبيت قبله والبيتان هكذا :

أقول لصحبتى لما ارتحلنا * ودمع العين منهمر سجام
أتمضون الرسوم ولا تحيا * كلامكم علىّ اذا حرام

وجاء فى التعليق على هذا البيت من النسخة المخطوطة المحفوظة بدار الكتب تحت رقم ١ أدب ش ، أى تتركون يقال : مضيت فلانا اذا جاوزته ولم تسلم عليه وكذلك مضيت المنزل اهـ . ولم نجد هذا المعنى فى كتب اللغة التى بين أيدينا . وجاء هذا الشطر فى بعض كتب الشواهد من علم النحو هكذا : «تمرون الديار ولم تعوجوا» ونقل المبرد عن عمارة بن بلال بن جرير أنه قال : إنما قال جدّى : «مررتم بالديار ولم تعوجوا» انظر شرح الشواهد للعينىّ الموجود بهامش خزانة الأدب ج ٢ ص ٥٦٠ طبع بولاق سنة ١٢٩٩ هـ

(٣) كذا فى أغلب النسخ وفى ح : «تسلم» .

بنفسى مَنْ تجنّبُـه عزيزٌ * علىّ ومَنْ زيارتُه لِمَامُ
ومن أُمسِى وأُصبِح لا أَراه * ويَطْرُقُنى إذا رقَدَ النِّيَامُ(١)

الشعر لجَرِير. والغناء لابن سُرَيج، وله فى هذه الأبيات ثلاثةُ ألحان: أحدها فى الأوّل والرابع ثقيلٌ أوّلُ بالخِنْصر فى مجرى البِنْصر عن إسحاق. والآخر فى الثانى ثم الأوّل ثانى ثقيل بالبنصر عن عمرو، والآخرُ فى الثالث وما بعدَه رَمَلٌ بالبنصر عن المشامىّ وحَبَش. وللدَّلاَلِ فى الثانى والثالث ثانى ثقيلٍ بالسَّبَّابة فى مجرَى الوُسْطى عن إسحاق والمكّىّ. وللغَرِيض فى الأوّل والثانى والثالث خفيفُ رمَلٍ بالبِنْصر عن عمرو. وفيها لمالك ثقيل أوّل بالبنصر عن الهِشَامىّ. ولابن جامعٍ فى الأوّل والثانى والرابع والخامس هَزَجٌ عن الهِشَامِىّ. وفيها لابن جُنْدَب خفيفُ ثقيلٍ بالبِنْصر.

ومنها الصوت الذى أوّله فى الخبر:

* وهى إذ ذاك عليها مِئْزرٌ *

وأوّله:

صـوت

عَهِـدَتْنى ناشئًا ذا غِرّة * رَجِلَ الجُمَّـةِ(٢) ذا بَطْنٍ أَقَبّ(٣) ٦٧/٢
أَتبَعُ الوِلْدانَ(٤) أُرْخِى مِئْزَرِى * ابنَ عَشْرٍ ذا قُرَيْطٍ من ذهبْ
وهى إذ ذاك عليهـا مئزرٌ * ولهـا بيتُ جَوَارٍ من لُعَبْ

---

(١) فى حـ وديوان جرير: «هجع».

(٢) رجل الجمة، أى أن جمته ما بين السبوطة والجعودة. والجمة: شعر الرأس الساقط على المنكبين. وفى صفته صلى الله عليه وسلم: كان شعره رجلا. أى لم يكن شديد الجعودة ولا شديد السبوطة بل بينهما.

(٣) أقب: ضامر. (٤) الولدان (بكسر الواو): جمع وليد وهو الغلام والجارية اذا استوصفا قبل أن يحتلما.

الشعر لامرئ القيس، ويقال : إنه أوّلُ شعرٍ شَبَّب فيه بالنساء . والغناء لابن عائشة ثانى ثقيلٍ بالبِنْصر عن الهِشامىّ ودَنانِيرَ(١) وحمّاد بن إسحاق . وفيه خفيفُ ثقيلٍ بالبِنْصر ذكر حمّاد فى أخبار جَمِيلة أنه لها، وذكر حَبَش والهشامىّ أنه لابن سُرَيج ، وقيل : إنه لغيرهما .

ومنها :

صوت

ألا هل هاجكَ الأظعا * نُ إذ جاوزْن مُطَّلَحا(٢)

نعمْ ولَوَشْكُ بَيْنِهِمُ * جَرَى لكَ طائرٌ سَنَحا

أَخَذْنَ الماءَ من رَكَكٍ(٣) * وضوءُ الفجر قد وضحا

يقلْنَ مَقِيلُنا قَرْنٌ(٤) * نُباكِرُ ماءَه صُبُحَا

تبعتُهُمُ بطَرْفِ العيـ * ـنِ حتى قيل لى ٱفتضحا

يودِّع بعضُنا بعضًا * وكلٌّ بالهوى جُرِحا

فمن يفرحْ ببينِهِمُ * فغيرى إذ غدَوْا فرِحا

الشعر تَرْويه الرواة جميعًا لعمر بن أبى ربيعة سوى الزُّبَير بن بكّار فإنه رواه عن عمه وأهلِه لجعفر بن الزُّبَير بن العوّام ، وقد ذكر خبره فى هذا(٥) مع أخباره المذكورة فى آخر الكتاب . ورواه الزُّبَير * إذ جاوزْن مَنْ طَلَحا * وقال : ليس

---

(١) كذا فى ء ، ح . ودنانير معروفة برواية الغناء، وقد ذكرت فى مواضع كثيرة من الأغانى، وترى أخبارها فى الأغانى ج ١٦ طبع بولاق . وفى باقى النسخ : «دمانة» ولم نقف فى رواة الأغانى أو المغنيات على من تسمى بهذا الاسم . (٢) تقدّمت هذه الأبيات مع التعليق على بعض كلماتها فى ج ١ ص ٣١١ — ٣١٢ من الأغانى طبع دار الكتب المصرية . (٣) كذا وردت هذه الكلمة فى جميع الأصول هنا ووردت باتفاق الأصول فى الجزء الأوّل من الأغانى، «أجزن» بالجيم والزاى . (٤) فى الجزء الأوّل من الأغانى : «فقلن» بالفاء . (٥) كذا فى ط . وفى باقى الأصول : «وقد ذكر خبره فى هذا الكتاب» ويظهر أنها من زيادة النساخ .

على وجه الأرض موضعٌ يقال له : مُطَّلح . والغناء لمالك وله فيه لحنان : ثقيلٌ أوّل بالبِنصر عن إسحاق، وخفيفُ ثقيلٍ بالوسطى عن عمرو . وفيه لمَعْبد ثقيلٌ أوّل بالخنْصر(١) فى مجرى الوُسْطى عن إسحاق . وفيه لابن سُرَيج فى الخامس — وهو تَبِعتْهم بطرف العين إلى آخر الأبيات — ثقيلٌ أوّل مُطْلَق فى مجرى البِنْصر عن إسحاق . وفيها للغَرِيض ثانى ثقيلٍ بالوُسْطى عن الهِشامىّ، قال : وهو الذى فيه استهلالٌ . وذكر ابن المكّى أن الثقيلَ الثانىَ لمالكٍ، وخفيفَ الثقيلِ للغَرِيض .

ومنها :

صـوت

طـرَق الخيالُ فمرحبًا * ألفًا برؤية زينبا
أنّى اهتـديتَ لفِتْيةٍ * سلَكُوا السَّلِيل(٢) فعُلْيبًا(٣)

طـرب أبى جعفر الناسك لغناء ابن عائشـة

أخبرنى إسماعيل بن يونُس قال حدّثنا عمر بن شَبَّة عن محمد بن سَلَّام قال حدّثنى جَرِيرٌ قال :

أخذ بعضُ وُلاة المدينـة المغنّين والمخنَّثين والسُّفَهاء بلزوم مسجد رسـول الله صلى الله عليه وسلم، وكان فى المسجد رجلٌ ناسكٌ يكنى أبا جَعْفر مولًى لابن عيّاش ابن أبى رَبيعة المَخْزُومىّ يُقرِئ النّاسَ القرآنَ، وكان آبن عائشـة يلازمه ، فخلا لابن عائشة يومًا الموضعُ مع أبى جعفر فقرأ له فطَرَّب ورَجَّع ، فسمع الشيخ صوتا

(١) فى حـ : «بالخنصر» . (٢) السليل : اسم لواد بعينه ، كما نقله ياقوت عن العمرانىّ . وذكر صاحب القاموس للسليل معانى منها أنه واد واسع غامض ينبت السلم . (٣) عليب (بضم أوّله وإسكان ثانيه ، هكذا ذكره سيبويه . وحكى فيه غيره عليب بكسر أوّله) : واد لهذيل بتهامة ، وقيل : قرية بين مكة وتبالة . قال الزمخشرىّ فيما حكاه عنه العمرانىّ : أظن أن قوما كانوا فى هذا الموضع نزولا ، فقال بعضهم لأبيه : عل يا أب ، فسمى به المكان . وقال المرزوقىّ : كأنه فعيل من العاب وهو الأثر ، والوادى لا يخلو من انخفاض وحزن . (انظر معجم ما استعجم للبكرىّ ومعجم ياقوت فى اسم عليب) .

لم يسمع مثله قطُّ، فقال له : يابنَ أخى، أفسدتَ نفسَك وضيَّعتَها، فلو أنك لزِمت ٦٨/٢ المسجدَ وتعلّمت القرآنَ لأمّتَ (١) للناس فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فى شهر رمضان، ولأصبتَ بذلك من الولاة خيرا، فوالله ما دخل أذنى قطُّ صوتٌ أحسنُ من صوتك؛ فقال ابن عائشة : فكيف لو سمعتَ يا أبا جعفر صوتى فى الأمر الذى صُنِع (٢) له ! قال: وما هو؟ قال: انطلقْ معى حتى أُسمِعَكه، فخرج معه إلى مِيضَاةٍ (٣) ببَقِيع (٤) الغَرْقَد عند دار المُغيرة بن شُعْبة، وكان أبو جعفر يتوضأ عندها كلَّ يوم، فاندفع ابنُ عائشة يغنِّى :

ألآنَ أبصرت الهدى * وعلا المَشيبُ مفارِقى

فبلغ ذلك من الشيخ كل مبلغ، وقال : يابنَ أخى، هذا حَسَنٌ وأنا أشتهى أن أسمَعه، ولكن لا أطلبُه ولا أمشى إليه؛ قال ابن عائشة : فعلىَّ أن أُسمِعَكه؛ فكان يَرْصُده، فإذا خرج أبو جعفر يتوضأ خرج ابن عائشة فى أَثَرِه حتى يقفَ خَلْفَ جِدار المِيضَأة بحيث يسمَع غناءَه، فيغنِّيه أصواتا حتى يفرُغ أبو جعفر من وضوئه. فلم يزل يفعل ذلك حتى أُطْلِقوا من لزوم المسجد .

نسبة هذا الصوت

صوت

طَرق الخيالُ المُعْتَرِى * وَهْنًا فؤادَ العاشقِ
طَيْفٌ ألمّ فهاجَنِى * للبَيْنِ أمْ مُساحِقِ
ألآنَ أبصرتُ الهدى * وعلا المَشيبُ مفارقى

---

(١) كذا فى ١، م، ى . وفى حـ : «لأمت الناس» . وفى ب، سـ : «لأممت للناس» وكلاهما تحريف . (٢) فى حـ : «صبغ له» . (٣) الميضأة (بالقصر وقد تمد) : مطهرة كبيرة يتوضأ منها، وميمها زائدة والعامة تقول ميضة (أنظر شفاء الغليل للخفاجى) .
(٤) بقيع الغرقد : مقبرة أهل المدينة المنورة .

وتركتُ أمرَ غوايتي * وسلكتُ قصدَ طرائقي

ولقد رضيتُ بعيشنا * إذ نحن بين حدائقِ

وركائبٌ تهوِي بنا * بين الدُّروبِ فدابِقِ (١)

الشعر للوليد بن يزيد، ويقال: إنه لابن رُهَيمة. والغناء لابن عائشة رَمَلٌ بالبِنْصر عن عَمْرو، وذكره يونس أيضا له فى كتابه. وفيه لأبى زكّار الأعمى خفيفُ رملٍ بالوُسْطى عن عمرو والهشامىّ. وذكر ابن خُرْداذْبَه (٢) أنه لأبى زكّار الأعمى وهو قديم، وأنه وجد ذلك فى كتاب يونس. وفيه لحَكَم الوادى لحن فى كتاب يونس غيرُ مجنّس، ولا أدرى أيُّها هو. وفى هذه الأبيات خفيفُ ثقيلٍ متنازَعٌ فيه نُسب إلى مَعْبد وإلى مالك، ولم أجده لهما عن ثقة، وأظنّه لحنَ حَكَم.

أكرهه الحسن بن الحسن على الخروج معه الى البغيبغة ليغنيه

أخبرنى محمد بن مَزْيد بن أبى الأزهر البُوشَنْجى والحُسين (٣) بن يحيى الأعور المِرْداسى قالا حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن محمد بن سلّام عن أبيه قال:

كان الحسن بن الحسن مُكرِمًا لابن عائشة مُحِبًّا له، وكان ابن عائشة منقطعا إليه، وكان من أَتْيهِ خَلْق الله وأشدِّه (٤) ذَهَابًا بنفسه، فسأله الحسن أن يخرج معه إلى البُغَيبغة (٥)

(١) كذا فى أ، ى. وفى ب، سـ: "فدائق" بالهمزة بدل الباء وهو تحريف. ودابق بكسر الباء — ويروى بفتحها — : قرية على أربعة فراسخ من حلب بها قبة سليمان بن عبد الملك بن مروان، وقد كان سليمان عسكر بها وعزم ألا يرجع حتى يفتح القسطنطينية أو تؤدى الجزية، فمات ودفن بها.

(٢) انظر حاشية ٤ ص ٣٦ ج ١ من هذا الكتاب طبع دار الكتب المصرية فقد ورد هناك ضبط شارح القاموس له بكسر الذال وسكون الياء المثناة التحتية وآخره هاء.

(٣) فى ط: «الحسن».

(٤) وحد الضمير ذهابا الى المعنى. وفى اللسان مادة حنا: روى أبو هريرة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال: «خير نساء ركبن الابل خيار نساء قريش أحناه على ولد فى صغره وأرعاه على زوج فى ذات يده» قال ابن الأثير وانما وحد الضمير ذهابا الى المعنى وتقديره أحنى من وجد أو خلق أو من هنالك، ومنه أحسن الناس خلقا وأحسنه وجها يريد أحسنهم، وهو كثير من أفصح الكلام اهـ.

(٥) البغيبغة: ضيعة بالمدينة كانت لآل جعفر ذى الجناحين رضى الله عنه، قاله الخليل. ونقل الليث والأزهرى أنها عين غزيرة الماء كثيرة النخل لآل رسول الله صلى الله عليه وسلم. كذا فى القاموس وشرحه مادة «بغبغ». وذكر المبرد فى الكامل ص ٥٥٦ طبع أوروبا أن علىّ بن أبى طالب كرم الله وجهه وقف عين أبى نيزر والبغيبغة على فقراء أهل المدينة وابن السبيل، لسنتين من خلافته، وأورد نص ما كتبه الإمام علىّ فى وقف هذين الموضعين.

فامتنع ابنُ عائشةِ من ذلك، فاقسم عليه فأبى، فدعا بغِلْمانٍ له حُبْشان وقال : نُفيتُ من أبى لئن لم تَسِرْ معى طائعًا لتسيرَنّ كارهًا، ونُفيتُ من أبى لئن لم يُنفذوا أمرى فيك لأقطعَنّ أيديَهم. فلما رأى ابن عائشة ما ظهر من الحسن علم أنه لا بد من الذهاب، فقال له : بأبى أنت وأمّى، أنا أمضى معك طائعا لا كارها. فأمر الحسنُ بإصلاح ما يُحتاج اليه وركِب، وأمر لابن عائشة ببغلة فركبها ومضيا، حتى صارا إلى البُغَيْبغة فنزلا الشِّعبَ[1]، وجاءهم ما أعدّوا فأكلوا، ثم أمر الحسنُ بأمرِه وقال يامحمد، فقال له : لبَّيْك ياسيدى، قال : غنِّنى، فاندفع فغنّاه :

٦٩ / ٢

صـــوت

يدعو النبيَّ بعمّــه فيُجيبُــه * يا خيرَ من يدعو النبيُّ جَلالَا
ذهب الرجالُ فلا أُحِسّ رجالا * وأرى الإقامةَ بالعراق ضلالَا
وأرى المرجّيَ للعراق وأهــله * ظَمْآنَ هاجِرةٍ يؤمِّــل آلَا[2]
وطَرِبتُ إذ ذكَرَ المدينةَ ذاكرٌ * يومَ الخميس فهاج لى بَلْبالَا[3]
فظَلِلْتُ أنظــر فى السماء كأننى * أبغى بناحية السماء هــلالَا

— الشعر لابن المولَى من قصيدة طويلة قالها وقد قدِم إلى العراق لبعض أمره فطال مُقامه بهـا واشتاق إلى بلده. وقد ذُكِر خبره فى موضعه من هذا الكتاب[4]. والغِناء لابن عائشة ثقيلٌ أولُ بالبِنْصر عن حمّاد والهِشامىّ وحَبَش. وقال الهِشامىّ خاصةً : فيه لحن لقَرارِيطَ — فقال له الحسن : أحسنتَ والله يابن عائشة[5]! فقال ابن عائشة :

---

(١) لم نقف على أن الشعب اسم مكان بعينه بالبغيبغة، ولعل المراد معناه اللغوى وهو مسيل الماء فى بطن من الأرض له حرفان مشرفان وعرضه بطحة رجل اذا انبطح. (٢) الآل : السراب، وقيل : الآل من الضحى الى زوال الشمس. والسراب بعد الزوال الى صلاة العصر. (٣) البلبال : شدّة الهم. (٤) ترجمة ابن المولى هذا فى الجزء الثالث من الأغانى طبع بولاق ص ٩٣ (٥) فى ط : «أحسنت والله يابن عائشة أحسنت».

والله لا غنيتُك فى يومى هذا شيئا ؛ فقال الحسن : فوالله لا برِحتَ البُغَيْبِغة ثلاثة أيام! فاغتمّ ابن عائشة ليمينه ونَدِم وعلم أنّه لا حيلة له إلا المُقام، فأقاموا . فلمّا كان اليوم الثانى قال له الحسن : هاتِ ما عندكَ فقد برّتْ يمينُك ، وكانوا جلوسا على شىء مرتفع، فنظروا إلى ناقة تَقْدُم جماعةَ إبل، فاندفع ابن عائشة فغنّى :

تمُرّ كجَنْدلة المَنْجنيـ * ـقِ يُرْمى بها السورُ يومَ القتالِ
فماذا تُخَطِرف من قُلّة * ومن حَدَبٍ وإكامٍ توالى
ومن سيرها العَنَق المُسْبطِرّ * والعَجْرفيّة بعد الكَلالِ

فقال له الحسن : وَيْلَك يا محمد ! لقد أحسنت الصنعة ؛ فسكت ابن عائشة ؛ ثم قال له : غنّنى، فغنّاه :

إذا ما انتشيتُ طرحتُ اللجا * مَ فى شَدْقِ مُنْجرِدٍ(١) سَلْهبِ
يبُذّ(٢) الجياد بتقريبه(٣) * ويأوِى إلى حُضُرٍ(٤) مُلْهِبِ
كُمَيْتٍ كأنّ على مَتْنِه * سبائكَ من قِطَع المُذْهَبِ(٥)
كأنّ القَرَنْفُل والزنجبيل * يُعَلّ على رِيقها الأطيبِ

فقال له الحسن : أحسنت يا محمد، فقال له ابن عائشة : لكنّك، بأبى أنت وأمّى، قد ألجمتنى بحجر فما أُطيق الكلام . فأقاموا باقىَ يومهم يتحدّثون ؛ فلما كان اليوم الثالث قال الحسن : هذا آخر أيامك يا محمد؛ فقال ابن عائشة : عليه وعليه إن

---

(١) المنجرد من الجياد : القصير الشعر . والسلهب : الطويل . (٢) يبذ : يغلب ويسبق .
(٣) التقريب : أن يرفع الفرس يديه معا و يضعهما معا . و يقال : قرّب الفرس تقريبا اذا عدا عدْوا دون الإسراع . (٤) الحضر (بالضم وحرك هنا للضرورة) : العدو . وملهب : مثير للهب لشدّته . واللهب : الغبار الساطع كالدخان المرتفع من النار . (٥) المذهب : كل ما طلى بالذهب . ويستعمل المذهب وصفا للفرس ، فيقال : كميت مذهب ، أى تعلو حمرته صفرة .

غنّاك إلّا صوتا واحدا حتّى تنصرف، وعليه وعليه إن حلفت ألّا أبرّ قسمك ولو فى ذَهاب رُوحه! فقال له الحسن: فلك الأمان على محبّتك، فانذفع فغنّاه:

صوت

أنعم الله لى بذا الوجهِ عيناً * وبه مرحبا وأهلا وسهلا
حين قالت لا تذكرنّ حديثى * يابن عمّى أقسمتُ قلتُ أجلْ لا ٧٠/٢
لا أخون الصديقَ فى السرّ حتّى * يُنقلَ البحرُ بالغرابيل نقلا

قال: ثم آنصرف القوم، فما رأى الحسن بنُ الحسنِ آبنَ عائشة بعدها.

نسبة الغناء فى الشعر الذى غنى به ابن عائشة ذلك اليوم

نسبة ما لم تمض نسبته فى الخبر من هذه الأصوات

منها:

صوت

تمرّ كجَندلة المَنْجَنِيـ * ـقِ يُرْمى بها السورُ يوم القتالِ
فما ذا تُخَطِّرف من قُلّة * ومن حَدَبٍ وإكامٍ تُوالى
ومن سيرها العَنَقُ المُسبطِرُّ * والعَجْرفيّةُ بعد الكَلالِ
ألا يا لَقومٍ لِطَيْف الخيا * لِ أرّق من نازح ذى دلالِ
يُثَنِّى التحيّة بعد السلا * م ثم يُفَدّى بعمٍّ وخالِ
خيالُ لسَلْمى فقد عاد لِى * بنُكْسٍ من الحبّ بعد آندمالِ

أما الذى قاله الشاعر فى هذا الشعر فإنّه قال: يمر بالياء لأنه وصف به حمارا وحشيّا، ولكنّ المُغنّين جميعا يغنّونه بالتاء على لفظ المؤنث، وقد وصف فى هذه القصيدةِ الناقةَ ولم يذكر من صفتها إلّا قولَه:

* ومن سيرها العَنَقُ المُسْبطرّ *

ولكنّ المغنّين أخذوا من صفة العَير شيئا ومن صفة الناقة شيئا فخلطوهما وغنّوا فيهما . وقوله :

* فماذا تَخَطْرَفَ من قُلّة *

يعنى أنه يمرّ بالمَوْضع المُرْتفع فيَطفِره(١) . وروَى الأصمعىّ :

فماذا تَخَطْرَفَ من حالقٍ * ومن قُلّة وحِجابٍ وجال

فالحالق : ما أشرف . والحجاب : ما حجب عنك ما بين يديك من الأرض . والجال : حَرف(٢) الشىء ، يقال له : جالٌ وجُولٌ . والعَنَق المُسْبطِر : المُسترسِل السهل . والعَجْرفِيّة : التعسف والإسراع . يقول : إذا كَلّتْ وتعبِتْ تعجْرفتْ فى السير من بقيّة نفسها وشِدّتها . وروى الأصمعىّ فيها :

خَيالٌ لجَعْـدةَ قد هاج لِى * نُكاسًا من الحبّ بعد اندمالِ

يقال : نُكْس ونُكَاس بمعنى واحد وهو عَودُ المرض بعـد الصحة . والاندمال : الإفاقة من العِلّة ، واندمال الجُرْح : بُرْؤه . فأمّا الأبيات التى يصف فيها الناقة فقـولُه :

فسَلّ الهمـومَ بعَـيرانةٍ(٣) * مُواشِكةِ(٤) الرَّجْع بعـد انتقالِ

---

(١) كذا فى ح . ويطفره : يثبه ، يقال : طفر الحائط أى وثبه الى ما وراءه . وفى سائر الأصول « فيظفره » بالظاء المعجمة وهو تحريف . (٢) كذا فى ح وهو الموافق لما فى كتب اللغة وشرح أشعار الهذليين لأبى سعيد السكرىّ طبع أوروبا (ص ١٩٥) من أن جال الشىء : جانبه وحرفه ، وهو المراد هنا ، وفى سائر الأصول : « جوف » ولعله محرف عن جرف وهو ما أكلته السيول أو جانب النهر الذى يسقط كل ساعة جزء منه . (٣) العيرانة : الناقة الناجية فى نشاط . (٤) مواشكة الرجع : سريعته ، والرجع : ردّ يديها فى السير . وقوله : بعد انتقال ، رواية فى البيت وقد اجتمعت عليها جميع النسخ . وفى أشعار الهذليين « بعد النقال » وقال شارحها : النقال والمناقلة : ضرب من السير . (انظر شرح أشعار الهذليين ص ١٨٣ طبع أوروبا) .

ذَمُولٍ (١) تَزِفُّ زفيفَ الظَّليـ * ـمِ شَمَّرَ (٢) بالنَّعْفِ وَسْطَ الرِّئالِ (٣)
وتَرْمَدُّ (٤) هَمْلَجَةً (٥) زَعْزَعاً (٦) * كما انخرط الحبلُ فوق المَحالِ (٧)
ومن سيرها العَنَقُ المُسْبَطِرّ * والعَجْرَفيةُ بعد الكَلالِ
كأنّى ورحلى إذا رُعْتُها (٨) * على جَمَزَى (٩) جازئٍ بالرِّمالِ

وأمّا صفة الحمار فى هذه القصيدة فقوله فيه وفى الأُتُن :

فظَلّ يُسَوِّفُ (١٠) أبوالَها * ويُوفِى (١١) زَيازِىَ حُدْبَ التِّلالِ (١٢)
فطاف بتعشيره (١٣) وانتحى * جَوائلَها (١٤) وهو كالمُسْتَجالِ

---

(١) الذمول : وصف للناقة ، من الذميل وهو ضرب من سير الإبل ، قيل : هو السير اللين ، وقيل : هو فوق العنق . قال أبو عبيد : اذا ارتفع السير عن العنق قليلا فهو التزيد ، فاذا ارتفع عن ذلك فهو الذميل ثم الرسيم ، والزفيف : الإسراع ومقاربة الخطو . (٢) شمر : جدّ مسرعا ، والنعف : ما انحدر من حزونة الجبل وارتفع عن منحدر الوادى . (٣) كذا فى أغلب النسخ وشرح أشعار الهذليين لأبى سعيد السكرىّ طبع أوروبا . والرئال : جمع رأل وهو ولد النعام . وفى ب ، س : «الربال» بالباء الموحدة وهو تحريف . (٤) ترمدّ : تسرع فى العدو ، يقال : ارمدّ اذا مضى على وجهه وأسرع . (٥) الهملجة كالهملاج : حسن سير الدابة فى سرعة . (٦) زعزعا : شديدا ، يقال سير زعزع أى شديد . (٧) المحال والمحالة : البكرة العظيمة التى يستقى عليها ، وإنما سميت محالة لأنها تدور فتنتقل من حالة الى حالة . (٨) كذا فى ب وس وأشعار الهذليين . ورعتها : ذعرتها . وفى م وحـ : زعتها بالزاى المعجمة وهى رواية حكيت فى شرح أشعار الهذليين عن الجمحى . وزعتها : حثثتها ، يقال : زاع ناقته بالزمام يزوعها زوعا اذا هيجها وحركها بزمامها لتزداد فى سيرها : (٩) جمزى : وثاب سريع ، وهو وصف لحمار وحش شبه به ناقته . وجازئ : مكتف بالرطب عن الماء . (١٠) يسوّف : يشم ، ولم نجد فيما بين أيدينا من كتب اللغة كاللسان وتاج العروس «سوّف» مضعفا بمعنى شم ، وإنما الموجود «ساف واستاف وساوف» . (١١) يوفى : يشرف ويعلو ، وعير ميفاء على الآكام اذا كان من عادته أن يوفى عليها ويعلوها : (١٢) زيازى : جمع زيزاة وهى الأرض الغليظة . وحدب التلال : صعابها ، جمع حدباء وهى الصعبة . (١٣) رواية أشعار الهذليين : «فصاح بتعشيره» وأشار شارحها الى الرواية التى هنا . والتعشير : النهيق يقال : عشر الحمار اذا تابع النهيق عشر نهقات ، فهو معشر ، ثم قيل للنهيق : تعشير . وانتحى : اعتمد وقصد . (١٤) فسره أبو سعيد السكرى فى شرحه على شعر أشعار الهذليين المطبوع بأوروبا بقوله : وانتحى أى اعتمد جوائلها أى ما جال منها حين حمل كالمستجال المستخف استجاله شىء بجال ، ثم قال : والمستجال كأنما أصاب فرعا فاستجال .

٧١ / ٢

تَهادَى حوافِرُها جَنْدَلًا[١] * زواهقَ[٢] ضربَ قُلاتٍ بِقالِ[٣]

رَمَى بالجَرامِيزِ[٤] عُرْضَ الوَجِيـ * ـنِ[٥] وارمدّ فى الجرى بعد انفتالِ[٦]

بشأوٍ[٧] له كضَرِيم الحريـ * ـقِ أو شقة البرق[٨] فى عُرْض خالِ[٩]

يُمرّ كجندلة المَنْجَنِيـ * ـقِ يُرْمَى بها السورُ يومَ القتالِ

فماذا تَخَطْرفُ من حالقٍ * ومن حَدَبٍ وحجابٍ وَجالِ

الشعر لأمية بن أبى عائذ الهذلىّ. والغناء لابن عائشة. ولحن ابن عائشة مشكوك فيه: أىّ الألحان المصنوعة فى هذا الشعر هو، فيقال: إنه خفيفُ الرمَل، ويقال: إنه هو الثقيل الأول، ويقال: إنه الرمَل[١٠]. فأما خفيف الرمل فهو بالخنصر فى مجرى الوُسْطَى، وذكره إسحاق فى موضع فتوقّف عنه ولم ينسُبه، ونسبه فى موضع آخر الى ابن أبى يَزَن المكىّ. ونسبه عمرو بن بانةَ إلى مَعْبَد وقال: فيه خفيفُ رمَل آخر لمالك. وذكره يونس فى أغانى ابن أبى يَزَن المكىّ ونسبه ولم يُجنّسه. وذكر ابن خُرداذْبه والهِشامىُّ[١١] أنّ فيه لهشام بن المُرِيَّة لحنًا من الثقيل الأول، ورأيت ذلك أيضا فى بعض الكتب بخطّ علىّ بن يحيى المنجم كما ذكرا. وذكر إسحاق أنّ الرمَل مطلق فى مجرى الوُسْطَى وأنه لابن عائشة. وذكر أحمد بن المكىّ أنّه لأبيه، وذكر غيره

(١) معنى تهادى الحوافر الجندل: أن تقذفه هذه الى هذه أى ترمى به اليد الى الرجل والرجل الى اليد. (٢) زواهق: سابقات متقدّمات. (٣) تشبيه بحال لعبة من ألعاب العرب؛ والقلات: جمع قلة وهى الخشبة الصغيرة التى تنصب وقدرها ذراع، وهذه الخشبة تضرب بعود كبير يقال له: القال والمقلى. (٤) جراميز الوحش: قوائمه وجسده. (٥) الوجين: الغليظ من الأرض. (٦) كذا فى ح، م؛ وفى سائر النسخ وأشعار الهذليين لأبى سعيد السكرى طبع أوروبا «انتقال» وقد نبه أبو سعيد السكرى فى شرحه هذه الأشعار على الرواية التى اخترناها هنا وبين هذا البيت والذى قبله جملة أبيات تراجع فى الديوان. (٧) الشأو: الشوط. (٨) شقة البرق: لمح منه. (٩) الخال: السحاب المتهيئ للمطر. (١٠) كذا فى ط. وفى سائر النسخ: «ويقال إنه هو الثقيل الأوّل». (١١) أنظر ما كتبناه عليه قريبا ص ٢١٧ حاشية رقم ٢

أنه غَلَطٌ وأنّ لحن أبيـه هو الثقيـل الأوّل والرمَل لابن عائشة . وقال حَبَش : فيه لابن سُرَيج هَزَج خفيفٌ بالوُسْطَى .

ومنها، — وقد مضى تفسيره فى الخبر واقتُصِر[1] على البيت الأوّل منه — :

صـوت

إذا ما ٱنتشيتُ طَرحتُ اللّجا * مَ فى شِـدْقِ مُنْجَرِدٍ سَلْهَبِ

الشعر للنّابغة الجَعْدىّ . والغِناء لابن عائشة : خفيف ثقيل بالوسطى عن الهشامىّ وحمّـاد .

ومنها الصوت الذى أوّله :

* أنعَمَ الله لى بذا الوجهِ عيناً *

وقد جُمِع مع سائر ما يُغَنّى فيه من القصيدة، وهو :

أثلَ[2] جُودِى على المتيَّم أثلَا * لا تَزيدى فؤادَه أثلَ خَبْـلَا
أثْـلَ إنّى والراقصاتِ[3] بِجَمْـعٍ[4] * يتبارَيْنَ فى الأزِمّة فُتْلَا[5]
سابحاتٍ يَقْطعْن من عرفاتٍ * بين أيدى المَطِىِّ حَزْنًا وسهلا
والأكفِّ المُطهّراتِ على الرُّكْـ * نِ لِشُعْثٍ[6] سعَوْا إلى البيت رَجْلا[7]
لأخون الصديق فى السرّ حتّى * يُنْقَلَ البحر بالغـرابيل نَقْـلا
أو تمورَ الجبالُ مَـوْرَ سحابٍ * مُرْتَقٍ قد وَعَى من المـاء ثِقْلا

(١) كذا فى ط . وفى باقى النسخ : « فاقتصر » . (٢) كذا فى نسخة ء وفيما سيأتى فى ترجمة الحارث بن خالد المخزومى ص ١١٣ ج ٣ من الأغانى طبع بولاق . وفى سائر النسخ هنا : « أيل » بالياء المثناة . (٣) أى المسرعات فى سيرها يقال : رقص البعير يرقص رقصا اذا أسرع فى سيره . (٤) يعنى بجمع المزدلفة ، وسميت المزدلفة بذلك لاجتماع الناس فيها . (٥) الفتل جمع فتلاء، وهى الناقة التى فى ذراعيها فتل وهو اندماج فى مرفق الناقة . (٦) شعث : جمع أشعث وهو متلبّد الشعر مغبرّه . (٧) رجلا : اسم جمع لراجل وهو خلاف الراكب .

أنعم الله لى بذا الوجهِ عيناً * وبه مرحبا وأهــلًا وسهــلَا
حين قالت لا تُفشِيَنّ حديثى * يأبن عمّى أقسمتُ قلتُ أجَلْ لا
فأتقِ الله وأقبلى العـــذر منّى * وتجافَىْ عن بعض ما كان زَلّا
إن أكن سؤتكم به فلكِ العُتْـ(١) * ـبى لَدَينا وحــقّ ذاك وقلّا
لم أُرحِّب بأن سَخِطتِ ولكن * مرحبا أن رضيتِ عنّا وأهـلا
٧٢/٢ إنّ شخصا رأيتُــه ليلة البد * رعليــه آبتنى الجمالُ وحَلّا
جعــل الله كلّ أنثى فِـداءً * لكِ بل خدّها لرجليكِ نعــلا
وجهُكِ الوجهُ لو سألتِ به المز * نَ من الحسن والجمال استهلّا

الشعر للحارث بن خالد المخزومىّ. والغناء لمَعْبد فى الأربعة الأبيات الأُوَل: خفيفُ ثقيلٍ أوّل بالوسطى عن عمرو بن بانةَ. ولابن هوبَر(٢) فى الأوّل والثانى ثقيلٌ أوّلُ عن إسحاق. ولابن سريج فى الأوّل والثانى والخامس ثقيل أوّل، وآخَرُ بالبِنْصر أوّله آستهلال. وللغريض فى الخامس ومابعده إلى التاسع خفيفُ ثقيلٍ بالوُسْطى. ولدَحْمان فى التاسع والثالثَ عشرَ والرابعَ عشرَ خفيفُ ثقيلٍ أوّل بالبِنْصر. ولمالك فى التاسع إلى آخر الثانى عشرَ لحن من كتاب يونُس ولم يقع إلىّ من يُجَنسه. ولابن سريج فيها بعينها رَمَل بالوُسْطى عن الهشامىّ. وفيها أيضا للغَريض خفيفُ رمَلٍ بالبنصر. ولأبن عائشة فى السابع والثامن لحن ذكره حمّاد عن أبيه ولم يُجَنسه.

غنى الوليد بن يزيد فطرب وقبل كل أعضائه وخلع عليه ثيابه

أخبرنى أحمد بن عبد العزيز الجَوْهرىّ وإسماعيل بن يونُس الشِّيعىّ وحَبيب ابن نصر المُهلّبىّ قالوا حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثنى محمد بن سلّام، وأخبرنى محمد بن

(١) فى ط : ما أكن سؤتكم به فلك العتـ * ـبى وحق ذاك وجــلا

(٢) كذا فى أغلب النسخ. وفى ا ، م : «هوير» بالياء المثناة، وقد وردت فى الجزء الثالث من الأغانى طبع بولاق ص ١١٤ هـذه القصيدة وعقبها الغناء فيها على النحو الذى هنا غير أنه ذكر هناك بدل ابن هوبر هذا ابن بيزن (هكذا) ولعله محرف عن ابن تيزن الذى ورد ذكره كثيرا فى كتاب الأغانى. انظر الأغانى طبع دار الكتب ج ١ ص ٢٨٣ ، ٤٠٨

مَزْيد بن أبى الأَزْهر والحسين بن يحيى قالا حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن محمد ابن [illegible]لّام عن أبيه عن شيخ [illegible]، ولم يقل عمر بن شبّة فى خبره : محمد بن سلّام عن أبيه، ورواه عن محمد عن شيخ من تَنُوخ، قال :

كنتُ صاحبَ سِترِ الوليد بن يزيد، فرأيت آبن عائشة عنده وقد غنّاه :

صـــوت

إنّى رأيتُ صَبِيحةَ النَّفْـرِ * حُورًا نَفَيْنَ عزيمةَ الصـبرِ
مثلَ الكواكب فى مطالعها * بعد العشاء أطفْنَ بالبــدرِ
وخرجتُ أبغى الأجْرَ مُحتسبا * فرجعتُ مَوْفورا من الوِزْرِ

— قال إسحاق فى خبره : والشعر لرجل من قريش، والغناء لمالك . هكذا فى خبر إسحاق . وما وجدتُه ذكَره لمالك فى جامع أغانيه . ووجدته فى غِناء آبن سريج خفيفَ رَمَل بالوُسْطَى عن الهِشامىّ — قال : فطرِب الوليد حتّى كفر وألحد، وقال : يا غلام، اسقِنا بالسماء الرابعة ، وكان الغِناء يعمَل فيه عملا ضلّ عنه مَنْ بعدَه، ثم قال : أحسنتَ والله يا أميرى ! أعِد بحق عبد شمس، فأعاد، ثم قال : أحسنت والله يا أميرى ! أعد بحق أُميّة، فأعاد، ثم قال : أعد بحق فلان، أعد بحق فلان، حتّى بلغ من الملوك نفسَه، فقال : أعد بحياتى، فأعاده . قال : فقام إليه فأكبّ عليه فلم يبق عُضْو من أعضائه إلّا قبّله وأهوى إلى هَنِه، فجعل ابنُ عائشة يضمّ فَخِذيه عليه، فقال : والله العظيم لا تَرِيم حتى أُقبّله، فأبداه له فقبّل رأسه، ثم نزع ثيابه فألقاها عليه، وبقِىَ مجرّدا إلى أن أَتَوْه بمثلها، ووهب له ألف دينار، وحمله على بغلة وقال : آركبها — بأبى أنت — وآنصرف، فقد تركتَنى على مثل المِقْلَى من حرارة غِنائك، فركبها على بِساطه وانصرف .

أمر لمحتاج بمال فأبى إلا سماعه فحكى ذلك للوليد فجعله فى ندمائه

وأخبرنى إسماعيل بن يونس قال حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثنى محمد بن ٧٣
الحسن النّخعىّ قال حدّثنى محمد بن الحارث بن كُلَيب بن زيد الرَّبَعِى قال : ٢

خرج ابن عائشةَ المدنىّ من عند الوليد بن يزيد وقد غنّاه :

أبعدَكَ مَعْقِـلًا أرجو وحِصْنًا * قدَ اعْيتِنى المَعاقلُ والحُصـونُ

ـــ وهى أربعة أبيات ، هكذا فى الخبر، ولم يَذْكُرْ غيرَ هذا البيت منها ـــ قال فأطربه فامر له بثلاثين ألف دِرْهم و بمثل كارةِ القَصّار[(١)] كُسوةً . فبينا ابنُ عائشة يسير إذ نظر إليه رجل من أهل وادى القرَى كان يشتهى الغِناء ويشرب النبيذ، فدنا من غلامه وقال : مَن هذا الراكبُ؟ قال : ابن عائشة المغنى، فدنا منه وقال : جُعِلتُ فداءك، أنت ٱبن عائشةَ أمِّ المؤمنين؟ قال : لا، أنا مَوْلًى لقريش وعائشةُ أمّى وحسبُك هذا فلا عليك أن تكثر، قال : وما هذا الذى أراه بين يديك من المال والكُسوة؟ قال : غنّيت أميرَ المؤمنين صوتا فاطربته فكفَر وترك الصلاةَ وأمر لى بهذا المال وهـذه الكُسوة، قال : جُعِلت فداءك ، فهل تمُنّ علىّ بأن تُسمعنِى ما أسمعتَه إيّاه؟ فقال له : ويلك ! أمثلى يُكلَّم بمثل هذا فى الطريق ! قال فما أصنع ؟ قال : ٱلحَقْنِى بالباب . وحرّك ابنُ عائشة بغـلةً شَقْراء كانت تحته لينقطع عنه ، فعدا معه حتى وافيَا البابَ كفَرَسَىْ رِهانٍ، ودخل ٱبن عائشة فمكث طويلا طمعا فى أن يَضْجَر فينصرفَ، فلم يفعل؛ فلمّا أعياه قال لغلامه : أدخله ، فلما دخل قال له : ويلك ! من أين صَبّك الله علىّ ! قال : أنا رجل من أهـل وادى القُرَى أشتهى هـذا الغناء، فقال له : هل لك فيما هو أنفعُ لك منه؟ قال : وما ذاك؟ قال : مائتا دينار وعشرةُ أثواب تنصرف بها إلى أهلك، فقال له : جُعِلتُ فداءَك ، والله إنّ لى لبُنَيّةً ما فى أذنها ـــ علِمَ الله ـــ

(١) كارة القصار : الثياب التى يجمعها ويحملها ، وسُمِّيت كارةً لأن القصّار يكوّر الثياب فى ثوب واحد ويحملها فيكون بعضها فوق بعض .

حَلْقة من الوَرِق فضلا عن الذهب، وإنّ لى لزوجةً ماعليها — يشهد الله — قميصٌ، ولو أعطيتَنى جميع ما أمر لك به أمير المؤمنين على هذه الخَلّة(١) والفقر اللذَيْن عرّفتُكهما وأضعفتَ لى ذلك، لكان الصوتُ أعجبَ إلىّ — وكان آبن عائشة تائها لا يغنّى إلّا الخليفة أو لذى قدر جليل من إخوانه — فتعجب ابن عائشة منه ورحِمه، ودعا بالدَّواة(٢) وكان يغنّى مُرتجلا، فغنّاه الصوتَ، فطرِب له طربا شديدا، وجعل يُحرك رأسه حتى ظنّ أن عُنُقه سينقصف، ثم خرج من عنده ولم يَرْزَأْه شيئا، وبلغ الخبرُ الوليدَ بن يزيد فسأل ابنَ عائشة عنه، فجعل يَغيب عن الحديث. ثم جدّ الوليد به فصدَقه عنه، وأمر بطلب الرجل فطُلِب حتى أُحضر، ووصلَه صِلة سنيّة، وجعله فى ندمائه ووكّله بالسَّقْى، فلم يزل معه حتى مات.

سمع الشعبىّ غناءه فمدحه

أخبرنى الحسن بن علىّ الخَفّاف قال حدّثنا أحمد بن زُهَير بن حَرْب قال حدّثنا محمد بن سَلّام قال حدّثنى عمر بن أبى خَليفة قال:

كان الشَّعْبىّ مع أبى فى أعلَى الدار، فسمعنا تحتَنا غِناء حسنا، فقال له أبى: هل ترى شيئا؟ قال: لا، فنظرنا فإذا غلام حسن الوجه حديث السنّ يَتغنّى:

قالتْ عُبَيْـد تَجرُّمًا(٣) * فى القول فعلَ المازح

فما سمعتُ غِناء كان أحسن منه، فإذا هو آبن عائشة، فجعل الشَّعْبىّ يتعجب من غِنائه ويقول: يُؤتِى الحِكْمَة مَن يشاء.

(١) الخلة: الحاجة والخصاصة.

(٢) كذا فى جميع النسخ، ولعلها محرفة عن الأداة: آلة من آلات الغناء، أو لعله دعا بدواة لينقر عليها فى توقيعه.

(٣) أى تجنيا يقال: تجرّم عليه أى ادّعى عليه ذنبا لم يفعله.

٧٤/٢

نسبة هذا الصوت

صوت

قالتْ عُبَيْدُ تجرُّمًا * فى القول فعلَ المازحِ
أنجِزْ بعَمْرِك وعدَنا * فأظنّ حبَّك فاضحِي
فأجبتُها لو تعلميـ * ـنَ بما تُجِنّ جوانحى
فيما أرى لَرَحِمْتِنِي * من حَمْل حُبٍّ فادحِ
ما فى البرية لى هوًى * فاسمعْ مَقالةَ ناصحِ
أشكو إليه جَفاءكم * إلّا سلام مُصافِحِي

زعم حَبَش أنّ الغِناء لابن عائشة خفيفُ ثقيل بالبِنْصَر .

حج ولقيه جماعة من قريش فاحتفلوا عليه حتى غنى لهم

أخبرنى الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه قال حدّثنى بعض أهل المدينة قال : حدّثنى مَن رأى ابنَ عائشة حاجّا وقد دعاه فِتْيةٌ من بنى هاشم فأجابهم ، قال : وكنت فيهم ، فلمّا دخلنا جعلوا صدرَ المَجْلس لابن عائشة فجلس فتحدّثوا حتّى حضر الطعام ، فلما طعِموا دعا بشراب فشرِبوا ، وكان ابن عائشة اذا سئل أن يغنّىَ أبى ذلك وغضب ، فإذا تحدّث القوم بحديث ومضى فيه شعرٌ قد غُنِّى فيه ابتدأ هو فغنّاه ، فكان مَن فَطِن له يفعلُ ذلك به ، فقال رجل منهم : حدّثنى اليوم رجل من الأعراب ممّن كان يصاحب جَميلًا بحديث عجيب ، فقال القوم : وما هو ؟ فقال : حدّثنى أن جَميلًا بينما هو يُحدّثه كما كان يحدّثه إذ أنكره و رأى منه غير ما كان يَرَى ، فثار نافرا ، مُقشعِرّ الشعر ، مُتغيِّرَ اللّون ، إلى ناقة له مجتمعةٍ (١) قريبة من الأرض ، مُوثَّقة الخَلْق (٢) ، فشدّ عليها رَحْلَه ثم أتاها بمِحْلَب فيه لبنٌ فشربته ، ثم ثنّى فشربتْ حتّى

(١) أى شديدة قويّة . (٢) كذا فى ط ، وناقة موثقة الخلق أى محكمة قوية وفى باقى الأصول «مؤنقة» أى معجبة لمن رآها لحسن منظرها . تقول : آنقنى الشىء إيناقا أى أعجبنى .

رَوِيتُ، ثم قال : ٱشْدُد أداة رَحْلك وٱشرب وٱسقِ جملَك، فإنى ذاهب بك إلى بعض مَذَاهبي، ففعلتُ، فجَال[1] فى ظَهْر ناقته وركبتُ ناقتى، فسِرْنا بياضَ يومِنا وسَوادَ ليلتنا، ثم أصبحنا فسِرْنا يومَنا لا والله ما نزَلنا إلا للصلاة؛ فلما كان اليوم الثالث دَفَعْنا إلى نسوة فمالَ إليهنّ فوجدنا الرجالَ خُلُوفا[2]، وإذا قِدْرُ لِبأ[3] وقد جُهِدتُ جوعًا وعَطَشا، فلما رأيتُ القِدْر اقتحمتُ[4] عن بعيرى وتركتهم جانبا، ثم أدخلت رأسى فى القِدر ما يَثْنِينى حَرُّها حتى رَوِيتُ، فذهبتُ أُخرِجُ رأسى من القدر فضاقتْ علىّ وإذا هى على رأسى قَلَنْسُوَةٌ، فضحِكنَ منّى وغسَلْنَ ما أصابنى. وأُتِى جميلٌ بقِرًى فوالله ما ٱلتفتَ إليه؛ فبينا هو يحدّثهنّ إذا رَوَاعِى الإبل، وقد كان السلطانُ أحلَّ لهم دَمَهُ إن وجدوه فى بلادهم، وجاء الناس فقُلْنَ[5]: وَيْحَك! أَنْجُ وتقدَّمْ، فوالله ما أكبرهم ذلك الإكبار، فإذا بهم يَرْمُونه ويَطْرُدونه، فإذا غَشُوهُ قاتلهم ورَمَى فيهم، وقام بى جَمَلى، فقال لى: يَسِّرْ لنفسك مَرْكَبًا خَلْفى، فأردفنى خَلْفَه، لا والله ما ٱنكسر ولا ٱنحلّ عن فرصته[6] حتى رجع إلى أهله، وقد سار ستَّ ليالٍ وستة أيام وما ٱلتفتَ إلى طعام وقال فى ذلك :

إنّ المنــازلَ هَيَّجتْ أطرابِى * وٱستَعْجَمتْ آياتُها بجوابِى

وهى قصيدة طويلة. وقال أيضا :

وأحسنُ أيامى وأبهجُ عِيشَتِى * إذا هِيجَ بِى يَوْمًا وهُنَّ قُعُودُ ٧٥ / ٢

قال فقال ٱبن عائشة : أفلا أُغَنِّى لكم ذلك؟ فقلنا : بلى والله، فاندفع فغنّاه، فما سَمِعَ السامعون شيئا أحسنَ من ذلك[7]، وبقى أصحابنا يتعجبون من الحديث

(١) كذا فى ا، م، س بالجيم المعجمة، ولعل معناه أنه جاء وذهب على ظهر ناقته ليطمئن عليها ويستقر. وفى سائر النسخ : «لحال» بالحاء المهملة ولم يظهر له معنى. (٢) خلوفا : غائبين عن الحىّ. (٣) اللبأ : أوّل اللبن فى النتاج. (٤) أى بادرت بالنزول عنه. (٥) كذا فى ح. وفى سائر النسخ : «فقالوا». (٦) كذا فى جميع النسخ ولعلها : «قرفصته». (٧) كذا فى ط. وفى سائر النسخ : «أحسن من ذلك الغناء» والجملة بعده ترجح الرواية الأولى لأن عجب القوم من الحديث والغناء.

وحُسْنه والغناء وطِيبه ؛ فقال له أصحابنا : يا أبا جعفر ، إنّا مستأذنوك ، فإن أذِنتَ لنا سألناك ، وإن كَرِهتَ تركناك ؛ فقال : سَلُوا ، فقالوا : نحبُّ أن تُغَنِّيَنا فى مجلسنا هذا ما نَشِطتَ هذا الصوتَ فقط ؛ فقال لهم : نعم ونُعمةَ عَينٍ وكرامةً ، فما زلنا فى غاية السرور حتى انقضى المجلس .

نسبة هذا الغناء

صوت

إنّ المنازل هَيّجتْ أطرابِى * وآستعجمتْ آياتُها بجوابى
قَفْرٌ تَلُوحُ بذى اللُّجَين[1] كأنها * أنضاءُ[2] وَشْمٍ[3] أو سُطُورُ كتاب
لمّا وقفتُ بها القَلُوصَ تبادرتْ * منّى الدموعُ لفُرقةِ الأحباب
وذكرتُ عصرًا يابُثَيْنَةُ شاقَنِى * إذ فاتَنِى وذكرتُ شَرْخَ[4] شبابى

الشعر لجميل . والغناء للهُذَلى ثانى ثقيل بإطلاق الوَتَر فى مَجْرَى البِنْصر عن إسحاق .

أخبرنى عَمّى قال حدّثنى عبدُ الله بن أبى سَعْد قال حدّثنى أحمد بن يحيى المكّى عن أبيه قال حدّثنى عمرو[5] بن أبى الكَنَّات الحَكَمِى قال حدّثنى يونس الكاتب قال :

---

(١) لم نقف فى معجم ياقوت ولا معجم ما استعجم للبكرى ولا فى لسان العرب ولا تاج العروس على أن اللجين أو ذا اللجين اسم موضع . (٢) الأنضاء : جمع نضو وأصله البعيرِ المهزول أو المهزول من جميع الدواب ويطلق على ما بقى من الرسم لقلته وأخذه فى الذهاب ، كما أطلق على ما بقى من النبات فى قول الشاعر :

* ترعى أناض من حريز الحمض *

فأناض هنا جمع أنضاء الذى هو جمع نضو . (٣) كذا فى نسخة نص عليها بهامش نسخة أ . وفى جميع النسخ : «رسم» وقد رجحنا الرواية الأولى لما هو مألوف عند العرب من هذه التشبيهات ، ومنها قول طرفة :

لخولة أطلال ببرقة ثهمد * تلوح كباقى الوشم فى ظاهر اليد

(٣) شرخ الشباب : أوّله ونضارته وقوّته . (٤) كذا فى ح ونهاية الأرب للنويرى ج ٤ ص ٣٢٦ وفيما جاء فى ترجمته من كتاب الأغانى ج ١٨ ص ١٢٦ طبع بولاق . وفى سائر الأصول هنا : « عمر » بدون واو .

كنّا يوما مُتنزِّهين بالعَقيق أنا وجماعةٌ من قُرَيش، فبينا نحن على حالنا إذ أقبل ابن عائشة يمشي ومعه غلام من بنى لَيْث وهو مُتوكئ على يده، فلما رأى جماعتنا وسَمِعنى أغنّى جاءنا فسلّم وجلس إلينا وتحدّث معنا، وكانت الجماعة تَعرِف سوءَ خُلُقِه وغَضَبه إذا سئل أن يُغنّى، فأقبلَ بعضُهم على بعض يتحدّثون بأحاديث كُثيِّر وجميل وغيرهما من الشعراء، يَسْتجِرُّون بذلك أن يَطْرَبَ فيُغنّىَ، فلم يجدوا عنده ما أرادوا، فقلتُ لهم أنا: لقد حدّثنى اليومَ بعضُ الأعراب حديثًا يأكل الأحاديث، فإن شئتم حدّثتكم إياه؛ قالوا: هاتِ؛ قلتُ: حدّثنى هذا الرجلُ أنه مَرَّ بناحية الرَّبَذَة[(١)] فإذا صِبْيانٌ يتغاطَسُون[(٢)] فى غَديرٍ، وإذا شابٌّ جميلٌ منهوكُ الجسم عليه أثرُ العِلّة، والنحولُ فى جسمه بيِّنٌ، وهو جالسٌ ينظر إليهم، فسلّمتُ عليه فردّ علىّ السلام وقال: من أينَ وَضَحَ[(٣)] الراكب؟ قلتُ: مِنَ الحِمَى؛ قال: ومتى عَهْدُكَ به؟ قلتُ: رائحا؛ قال: وأينَ كان مَبيتُك؟ قلتُ: ببنى فلان؛ فقال: أوّهْ! وألقَى بنفسه على ظهره وتنفّس الصُّعَداءَ تنفّسا قلتُ إنه قد خَرَق حِجابَ قلبه، ثم أنشأ يقول:

صـــوت

سَقَى بلدًا أمستْ سُلَيمَى تَحُلُّه * مِنَ المُزْنِ ما يُرْوَى به ويُسِيمُ[(٤)]
وإن لم أكُنْ من قاطِنيـه فإنه * يَحُـلّ به شخصٌ علـىّ كَريمُ
ألا حَبّذا مَنْ ليس يَعْدِلُ قُرْبَهُ * لَدَىَّ وإنْ شَطّ المزارُ نَعيمُ
ومَنْ لامَنِي فيه حَميمٌ وصاحبٌ * فَـرُدَّ بغيظ صاحِبٌ وحَميمُ

(١) الربذة: قرية على ثلاثة أميال من المدينة وبها قبر أبى ذرّ الغفارىّ رضى الله عنه.
(٢) فى حـ: «يتغامسون» ولم نجد هذه الصيغة فى كتب اللغة والموجود منه المغامسة وهى المفاعلة من غمسه فى الماء اذا غطه، وقد فسر صاحب اللسان قوله وهما يتغاطسان فى الماء فقال أى يتقامسان فيه.
(٣) أى من أين بدا وطلع. (٤) يقال: سامت الإبل اذا رعت وأسامها صاحبها، أى أرعاها، ولعله يريد بقوله: «ويسم» أن يكون صالحا للإسامة بما يكون فيه من خصب وكلأ.

٧٦/٢ ثم سَكَن كالمَغْشىّ عليه، فصِحتُ بالصِّبْية[1]، فأتوا بماء فصَبَبْتُه على وجهه، فأفاق وأنشأ يقول:

إذا الصَّبُّ الغريبُ رأى خُشُوعِى * وأنفاسى تَزَيَّنَ بالخُشُوعِ
ولى عَيْنٌ أَضَرَّ بها التفاتِى * إلى الأجزاع[2] مُطلقةُ الدموعِ
إلى الخَلَوات يأنسُ فيكِ قلبى * كما أَنِسَ الغريبُ إلى الجميعِ

فقلتُ له: ألا أنزِلُ فأساعدَك، أو أكُرُّ عَودِى على بَدْئى إلى الحَىّ فى حاجة إن كانت لك حاجةٌ أو رسالة؟ فقال: جُزِيتَ خيرا وصَحِبتْكَ السلامةُ! امضِ لِطِيّتِك[3]، فلو أنى علمتُ أنك تُغْنى عنّى شيئا لكنتَ موضِعًا للرغبة وحقيقًا بإسعاف المسئلة، ولكنّك أدركتنى فى صُبَابةٍ من حَيَاتى يسيرةٍ؛ فانصرفتُ وأنا لا أراهُ يُمسى لَيلتَهُ إلّا ميّتا؛ فقال القوم: ما أعجبَ هذا الحديث! واندفع ابنُ عائشة فتغنّى فى الشعرين جميعا وطَرِبَ وشَرِبَ بقيّةَ يومه، ولم يزل يُغنّينا إلى أن انصرفنا.

فأما نسبةُ هذين الصوتين فإنّ فى الأول منهما لحْنًا من خَفيف الرَّمَل الثقيل المطلَق فى مَجرى الوُسْطى، نَسَبه يحيي المكّىّ إلى مَعْبَد، وذكر الهِشَامىّ أنه مَنْحول. وفى هذا الخبر: أنّ ابنَ عائشةَ غنّاه، وهو يُغنّى فى البيت الأول والثانى من الأبيات. وفيه للضِّيزَنىّ[4] الملقب بنُبَيكة لحنٌ جيّد من الثقيل الأول[5]. وكان نُبَيكة هذا من حُذّاق المغنّين وكبارهم، وقد خَدَم المُعتَمد ثم شَخَص إلى مصر فخدم خُمَارَوَيْه بنَ أحمد، ثم قَدِمَ بغدادَ فى أيام المقتَدر، ورأيناه وشاهدناه، وكانت فى يده صُبابة قويّة من إفضال ابن طُولُون واستغنَى بها حتى مات، وله صنعةٌ جَيّدةٌ قد ذكرتُ ما وقع

---

(١) فى ط: «بالأصيبية» بالتصغير. (٢) فى ب، س، ى، ط: «الأجراع» بالراء بعد الجيم. (٣) أى لوجهتك، يقال: مضى لطيته، أى لوجهه الذى يريده ولنيته التى انتواها (٤) كذا فى أغلب الأصول. وفى ط: «النصيرى». (٥) كذا فى حـ. وفى سائر النسخ: «ثقيل الأوّل».

إلىّ منها فى المجرّد(١). وذكرتُ ممّا وقع إلىّ له فى هذا الكتاب لحنًا جيّدًا فى شعر سَعْد ذَلْفاء(٢)، وهو :

* ولمّا وَقَفْنا دُونَ سَرْحَةِ مَالِكٍ *

فى موضعه من أخباره(٣).

وأمّا الشعرُ الثانى الذى ذكرتُ فى هذا الخبر الماضى: أنّ ابنَ عائشة غنّاه فما رأيتُ له نِسْبةً فى كتاب ولا سمعتُ فيه صنعةً من أحد، ولعله ممّا انطوى عنّى أو لم يَشْتَهِر فسقط عن الناس.

غنى من قصر ذى خشب ورأى نسوة يمشين فاتجه نحوهن فسقط فات

أخبرنى الحسين بن يحيى عن حمّاد بن إسحاق عن أبيه، وأخبرنى به الحسن بن علىّ عن هارون بن محمد بن عبد الملك الزيّات عن حمّاد عن أبيه عن يعقوب ابن طَلْحة اللَّيْثىّ عن بعض مشايخه من أهل المدينة قال :

أقبلَ ابنُ عائشة من الشام حتى نَزَل قَصْرَ ذى خُشُبٍ(٤) ومعه مالٌ وطِيبٌ وكُسًا(٥) فشَرِبَ فيه، ثم تَطَرَّقوا(٦) إلى ظَهْر القَصْر فصَعِدُوا، ثم نَظَر فإذا بِنِسْوةٍ يَتَمَشَّيْنَ فى ناحية الوادى، فقال لأصحابه : هل لكم فيهنّ ؟ قالوا : وكيف لنا بهنّ ؟ فنهض فلَبِسَ مُلاءةً مَدْلُوكةً(٧)، ثم قام على شُرْفةٍ(٨) من شُرُفات القَصْر فتغنّى :

---

(١) اسم كتاب لأبى الفرج الأصبهانى (انظر الكلام على مؤلفاته فى التصدير الذى كتبناه فى الجزء الأوّل من الأغانى طبعة دار الكتب). (٢) كذا فى حـ . وفى سائر النسخ : «فى شعر ذلفاء» بدون كلمة سعد. (٣) لم نعثر فى كتاب الأغانى على بحث خاص لنبيكة الضيزنى أو لسعد ذلفاء. (٤) ذو خشب : واد على مسيرة ليلة من المدينة فى طريق الشام. (٥) كسا بالضم : جمع كسوة. (٦) تطرقوا : ابتغوا اليه طريقا. (٧) الملاءة : الملحفة، ومداوكة : مصقولة رقيقة. (٨) كذا فى حـ والشرفة : ما يبنى على الحائط منفصلا بعضه عن بعض على هيئة معروفة. وفى سائر النسخ «شرافة» بالألف. وهو تحريف.

وقـد قالتْ لأتراب * لها زُهْرٍ تـلاقَيْنا
تَعالَيْنَ فقـد طابَ * لنا العَيْشُ تعالَيْنا

فأقبلنَ إليه فطَرِبَ واستدارَ حتى سَقَطَ من السطح ؛ وهذا الخبرُ يُذكَر على شرحه في خبر وفاته .

كان يغنى بشعر الحطيئة ويقول أنا عاشق له

أخبرني الحسين بن يحيي قال قال حمّاد : قرأتُ على أبي عن محمد بن سلّام عن جرير أبي الحُصَين قال :

كان ابنُ عائشة إذا غَنَّى في(1) صَوْت له من شعر الحطيئة وهو :

* عَفَا من سُلَيْمَى مُسْحُلانُ فحامِرُهْ *

٧٧/٢ نظر إلى أعطافه في كلّ رَنّة ، فسئل يوماً ــ وقد دَبّ فيه الشرابُ ــ عن ذلك ، فقال : أنا عاشقٌ لهذا الصوت ، وعاشقٌ لحديثه ، وعاشقٌ لغريبه ، وعاشقٌ لقول الحطيئة ، إنّ الغناءَ رُقْيةُ من رُقَى النَّيْك ، ويُعجبني فهمُ الحطيئة بالغناء وليس هو من أهله ولا بصاحب غِناء ، وكيف لا أُعجَبُ به ومَحَلُّه منّي هذا المحلّ ! وكان لا يسأله أحدٌ إيّاه إلّا غنّاه ، فمن فَطِنَ له أكثرَ سؤاله إيّاه . وكان جرير يقول : إنه أحسنُ صوتٍ له وأرقّه وأجوده .

وفاة ابن عائشـة

توفى فى خلافة الوليد بن يزيد

وتُوُفِّيَ ابنُ عائشة فيما قيل في أيّام هِشام بن عبد الملك ، وقيل في أيّام الوليد . وما أظنّ الصحيح إلّا أنه تُوُفِّيَ في أيّام الوليد ، لأنه أقدمه إليه . وذكر من زعم أنه تُوُفِّيَ في خلافة هشام : أنه إنّما وَفَد على الوليد وهو وليّ عهد .

قيل إن الغمر بن يزيد أمره بالغناء فأبى فأمر برميه من السطح فمات

أخبرني الحسين بن يحيي عن حمّاد عن أبيه قال :

ذكر عِمرانُ بن هند : أنّ الغَمْر بن يزيد خرج إلى الشام ، فلما نَزَل قصرَ ذي خُشُب شرب على سَطْحه ، فغنّى ابنُ عائشة صوتا طَرِبَ له الغَمْر ، فقال : ارْدُدْه ، فأبى ، وكان

(1) كذا في ط . وفي باقي الأصول : « من » .

لا يُرَدِّدُ[1] صوتا لسوء خُلُقه، فأمر به، فطُرِحَ من أعلى السَّطح فمات. ويقال: بل قامَ من الليل وهو سَكْران لِيَبُول فسَقط من السطح فمات.

حكايات أخرى فى سبب وفاته

قال إسحاق فحدّثنى المدائنىّ قال حدّثنى بعض أهل المدينة قال: أقبل ٱبن عائشة من عند الوليد بن يزيد وقد أجازَه وأحسنَ إليه فجاء بما لم يأت به أحدٌ من عنده، فلمّا قَرُب من المدينة نزل بذى خُشُب على أربعة فراسخ من المدينة، وكان واليَها إبراهيمُ بن هشام بن إسماعيل المخزومىّ، ولّاه هشامٌ وهو خاله، وكان فى قصر هناك، فقيل له: أصلحَ الله الأمير، هذا ٱبنُ عائشة قد أقبل من عند الوليد بن يزيد، فلو سألته أن يقيم عندنا اليومَ فيُطْرِبَنا ويَنْصرِفَ من غدٍ! فدعا به فسأله المُقَامَ عنده فأجابهُ إلى ذلك، فلمّا أخذوا فى شُرْبهم أخرجَ المخزومىّ جواريَه، فنظر إلى ابن عائشةَ وهو يَغْمِز جاريةً منهنّ، فقال لخادمه: إذا خرج ابنُ عائشة يريد حاجته فارْمِ به، وكانوا يشربون فوقَ سَطْحٍ ليس له إفريزٌ ولا شُرُفات، وهو يُشْرِف على بُستان، فلمّا قام ليبول رَمَى به الخادمُ من فوق السطح فمات، فقبرُهُ معروف هناك.

أخبرنى الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه وأخبرنى به الحسن بن علىّ عن هارون بن محمد بن عبد الملك بن حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن يعقوب بن طَلْحة الليثىّ عن بعض مشايخه من اهل المدينة قال:

أقبل ابن عائشة من الشأم حتى نزل بقصر ذى خشب ومعه مال وطيبٌ وكُسًا، فشرب فيه، ثم تطَرّقُوا[2] إلى ظهر القَصْر فصعدوا، ثم نظر فإذا بِنسْوة يَتَمَشَّيْنَ فى ناحية

(١) كذا فى أغلب النسخ وهو المناسب لقوله: «اردده». وفى ب، س، ح «يردّد» وهو من التّرديد الذى هو كثرة الردّ. (٢) فى أ، ء: «تطرفوا» بالفاء، ولعله محرف عن تطرقوا أى ابتغوا اليه طريقا. وقد مر فى صحيفة ٢٣٤ شرح ٦ وفى سائر النسخ: «نظروا» ولعله محرف كذلك عنه.

الوادى، فقال لأصحابه : هل لكم فيهن؟ قالوا : وكيف لنا بهنّ ؟ فنهض فلبس مُلاءة مدلوكةً، ثم قام على شُرْفة من شُرَف القصر فتغنّى فى شعر ٱبن أُذَينة :

وقد قالت لأَتْرابٍ * لها زُهْرٍ تلاقَيْنَا
تعالَيْنَ فقد طاب * لنا العيشُ تعالَيْنا

فأقبلن إليه، وطرِب فاستدار فسقط فمات . قال : وقال قوم : بل قَدِم المدينة فمات بها .

بكى عليه أشعب فأضحك الناس

قال : ولما مات قال أَشْعَبُ : قد قلتُ لكم، ولكنّه لا يُغْنِي حَذَرٌ من قَدَر، : زوّجوا ٱبنَ عائشة رُبَيحة الشَّمَّاسِيّة تخرُج لكم بينهما مزاميرُ داود فلم تفعلوا ، وجعل يَبْكِي والناس يضحكون منه . ٧٨/٢

نسبة هذا الصوت الذى غناه ٱبن عائشة

صــوت(١)

سُــلَيْمَى أزمعتْ بَيْنَا * فأين تقولُها(٢) أيْنَا
وقــد قالتْ لأترابٍ * لها زُهْرٍ تلاقَيْنَا
تعـالَيْنَ فقــد طاب * لنا العيشُ تعالَيْنَا
وغاب الــبَرِمُ(٣) الليــ * ـلة والعينُ فلا عَيْنَا
فأقبلْنَ إليها مســ * ـرِعاتٍ يتَهادَيْنَا
إلى مثــلِ مَهَاةِ الرمـ * ـلِ تكسُو المجلسَ الزَّيْنَا
إلى خَــوْدٍ منعَّمــةٍ * حَفَفْنَ بها وفَدَّيْنَا
تمنَّــيْنَ مُنَاهن * فكُنَّا ما تمنَّيْنَا

(١) وردت هذه الكلمة فى ا ، م . (٢) كذا فى ط . وتقول هنا بمعنى تظن . وفى باقى الأصول : «فأين يقولها» بالياء . (٣) البرم : الثقيل .

الشعر لعُروة بن أُذَيْنة . والغناء لابن عائشةَ لحنانِ أحدهما رَمَلٌ مطلَقٌ فى مَجْرَى الوسطى عن إسحاق، والآخرُ ثانى ثقيلٍ بالوسطى عن حَبَش .

كان مالك بن أنس يكره الغناء.

أخبرنى الحسين بن يحيى ومحمد بن مَزْيد قالا حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال :

سمعتُ إبراهيمَ بن سَعْد يحلف للرشيد وقد سأله عمّن بالمدينة يكره الغناءَ، فقال : من قنّعه[1] الله بخِزْيه مالكُ بن أنس، ثم حلف له إنه سمع مالكا يُغنّى :

سُلَيمى أزمعتْ بينَا * فأين تقولها أينا

فى عُرْسِ رجلٍ من أهل المدينة يكنى أبا حَنْظَلَة .

مر ابن عائشة بابن أذينة وطلب اليه أن يقول له شعرا يغنيه

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز وإسماعيل بن يونس قالا حدّثنا عمر بن شَبّة قال حدّثنى أبو غَسّان محمد بن يحيى عن بعض أصحابه قال :

مرّ ابن عائشة بابن أُذَينةَ فقال له : قل أبياتًا هَزَجًا أغن فيها، فقال له : اجلسْ فجلس، فقال :

* سليمى أزمعت بينا *

الأبيات . قال أبو غَسّان : فحُدِّثتُ أن ابن عائشة رواها، ثم ضحك لما سمع قوله :

تمنَّيْنَ مُنَاهنّ * فكنّا ما تمنّينا

ثم قال له : يا أبا عامر، تمنّيْنك لما أقبل بَخَرُك، وأدبر ذَفَرُك[2]، وذبُل ذَكَرُك! فجعل يشتُمه ؛ هذا لفظ إسمعيل بن يونس .

---

(١) قنعه : غطاه، ومنه الحديث «أتاه رجل مقنع بالحديد» أى مغطى بالسلاح .

(٢) الذفر : خبث الريح . قال ابن الأعرابى : الذفر : النتن ولا يقال فى شىء من الطيب ذفر إلا المسك . وخص اللحيانى به رائحة الإبطين المنتنين . وقيل : ان الذفر يقع على الطيب والكريه، و يفرق بينهما بما يضاف اليه و يوصف به . والمراد هنا الرائحة الطيبة .

أخبرني الجوهري وإسماعيل بن يونس قالا حدثنا عمر بن شبة قال حدثني أبو غسان قال حدثني حماد الحشي[(١)] قال :

ذُكر ابنُ أُذينة عند عمر بن عبدالعزيز، فقال : نعم الرجل أبو عامر، على [أنه][(٢)] الذي يقول :

وقـد قالت لأتراب * لها زُهر تلاقينا

غنى للوليد بن يزيد بمكة فطرب وأجازه

أخبرني محمد بن مزيد والحسين بن يحيى قالا حدثنا[(٣)] حماد عن أبيه عن المدائني عن إسحاق بن أيوب القرشي قال :

كان هشام بن عبد الملك مُكرما للوليد بن يزيد، وكان عبد الصمد بن عبد الأعلى مؤدِّبا للوليد ، وكان، فيما يقال، زنديقا، فحمل الوليدَ على الشراب والاستخفاف بدينه، فاتخذ نُدماءَ وشرب وتهتك، فأراد هشام قطعَهم عنه، فولاه المَوْسِمَ فى سنة عشر ومائة ، فرأى الناسُ منه تهاونا واستخفافا بدينه ، وأمر مولاه عيسى فصلى بالناس، و بعث إلى المغنين فغنَّوه وفيهم ابن عائشة فغناه :

* سُليمى أجمعتْ[(٤)] بَيْنا *

فنعر[(٥)] الوليدُ نعرةَ أَذِن[(٦)] لها أهلُ مكة . وأمر لابن عائشة بألف دينار، وخلع عليه عدة خِلَع، وحمله[(٧)] . فخرج ابن عائشة من عنده بأمرٍ أنكره الناسُ، وأمر للمغنين بدون

٧٩/٢ ذلك، فتكلم أهلُ الحجاز وقالوا : أهذا ولىّ عهدِ المسلمين! و بلغ ذلك هشاماً فطمع فى خلعه، وأراده على ذلك فأبى ، وتنكر هشام للوليد، وتمادى[(٨)] الوليد فى الشرب

(١) فى حـ : «الحسنى» . (٢) هذه الكلمة ساقطة من سائر النسخ إلا نسخة حـ . وذكرها ضرورىّ فى الكلام. (٣) كذا فى حـ ، أ . وهو الصواب . وفى سائر النسخ «قال» بغير ألف التثنية .

(٤) الرواية فى كل ماتقدم «أزمعت» . (٥) نعر : صاح وصوت بخيشومه . (٦) أذن أى استمع . (٧) حمله : أعطى له مايركبه . (٨) كذا فى حـ . وفى سائر النسخ : «فتمادى» بالفاء .

واللذات فأفرط، وتعبث[(١)] هشام بالوليد وخاصّته ومَوَاليه، فنزل بالأَزْرَق بين أرض بَلْقَين[(٢)] وفَزَارة على ماء يقال له الأَغْدَق[(٣)]، حتى مات هشام . [انقضت أخباره][(٤)]

غناؤه فى صوت من المائة الصوت المختارة

ومما فى المائة الصوت المختارة من أغانى ابن عائشة

صــــوت

من رواية علىّ بن يحيى :

حَنَّتْ الى بَرْقٍ فقلتُ لها قِرِى * بعضَ الحَنينِ فإن شَجْوَكِ شائِقِى
بأبى الوليدُ وأمِّ نفسى كلّما * بدت النجومُ وذَرَّ قَرْنُ الشارِقِ
أَثْوِى فأكرَمَ فى الثَّوَاء وقُضِّيتْ * حاجاتُنا من عند أَرْوعَ باسقِ
لا تَبْعَـدَنّ إداوةٌ مطروحةٌ * كانت حَديثًا[(٥)] للشَّراب العاتقِ

---

(١) كذا فى ب ، ء ، حـ ولم نجد فى كتب اللغة التى بين أيدينا « تعبث » . وعبارة الطبرى فى حوادث سنة ١٢٥ : « وكان هشام يعيب الوليد وينتقصه وكثر عبثه به و بأصحابه وتقصيره به » وفى سـ ، م ، أ : « بعث » والمعروف أن الوليد ومن معه خرجوا من تلقاء أنفسهم ونزلوا بالأزرق ، فالظاهر أنها محرّفة عن « عبث » . (٢) كذا ضبط فى ط . ولم نوفق الى مصدر آخر نعتمد عليه فى ضبطه . (٣) كذا فى أغلب النسخ . وفى م : « الأعدق » . وفى حـ : « الأعذب » ، وفى ط : « الأغدف » ولم نعثر على أحد هذه الأسماء اسما لموضع خاص غير أن الأعذق أورده البكرىّ فى معجم ما استعجم فى صفحة ٦٢٢ فى شعر يدل على أنه جبل فى نواحى المدينة وهو :

أُحب الضُلَضُلَيْن فبطنَ خاخٍ * الى بطن البَلاط الى البَقيع
الى قـبر النبىّ بجانبيـه * الى العنقاء قبر بنى مطيع
الى وادى صَلَاصِيلَ فالمصلَّى * الى أكناف أعذق ذى منيع
منازل غبطة وديار أمن * تكفّ عن المفاقر والقنوع

(٤) زيادة فى أ ، م .

(٥) كذا فى أغلب النسخ . يريد أنها كانت الى عهد قريب معدّة للشراب . وفى أ ، م « حدينا » أى مصاحبة . وفى حـ : « قديما » .

ويروى : بالشراب العاتق . عروضه من الكامل . حنّت ، يعنى ناقته . وهذا البيت يتبع بيتاً قبلَه وهو :

فإلى الوليد اليومَ[١] حنّتْ ناقتى * تَهْوِى بمُغْبَرِّ المُتُون سَمَالِقِ[٢]

وبعده «حنت إلى برق ...» . وقوله : «قِرِى» من الوَقَار، كأنها لما حنّت أسرعت ونازعت إلى الوطن أو المقصد، فقال يخاطبها : قِرِى . وذَرَّ قرنُ الشارق : طلع قرن الشمس ؛ يريد : بأبى الوليدُ وأمى فى كل ليل ونهار أبدا . وأثْوَى : أنزَل . والثَّوَاء : الإقامة ؛ قال الأعشى :

لقد كان فى حول ثَوَاء ثويته * تُقَضَّى لُبَاناتٌ ويَسأم سائمُ

والباسق : الطويل ؛ قال الله عزّ وجل : (وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ) أى طِوالاً[٣] . ويروى :

* لا تَبْعَدَنْ إداوةٌ مطروحةٌ[٤] *

الشعر لعبد الرحمن بن أَرْطَاةَ المُحَارِبىّ . والغناء لابن عائشة . ولحنه المختار ثقيل أوّل بإطلاق الوتر فى مجرى البِنْصَر عن إسحاق . وفيه للهُذَلِىّ لحنٌ آخر من الثقيل الأوّل عن الهِشَامىّ وابن المكىّ . فأوّلُ لحنِ الهذلىّ استهلالٌ فى :

* حنت إلى برق فقلت لها قِرِى *

وأوّل لحن ابن عائشة :

بأبى الوليدُ وأمّ نفسى كلّما * بدت النجومُ وذَرّ قرنُ الشارقِ

---

(١) كذا فى اللسان فى مادة «سملق» . وفى جميع الأصول : «اليه» . (٢) السمالق : جمع سَمْلق وهى الأرض المستوية الجرداء التى لا شجر بها . وانما وصف مغبر المتون وهو مفرد بالسمالق وهو جمع لانه أراد مغبرات المتون فوضع الواحد موضع الجمع ووصفه بالجمع ، ويجوز أن يكون أراد سملقا فجعله سمالق كأن كل جزء منه سملق . (انظر اللسان مادة سملق) . (٣) فى جميع الأصول : «طوال» بغير ألف بعد اللام . (٤) لم يتبين وجه الاختلاف بين هذه الرواية والتى قبلها لأن رسم الكتابة فيهما واحد . ولعل اختلاف الروايتين بكسر الدال فى قوله «تبعدن» ونصب قوله «اداوة مطروحة» كما جاء مضبوطا فى الرواية الأولى فى نسخة ط وبفتح الدال فى قوله «تبعدن» ورفع «اداوة مطروحة» كما ضبط فى هذه الرواية فى نسخة ط أيضا ، ومن المحتمل أن يكون اختلاف الروايتين فى قوله «لا تبعدن» ببنائه للفاعل فى احداهما وبنائه للمفعول فى الأخرى .

أخبار ابن أرطاة ونسبه

نسبه

هو عبدُ الرحمن بنُ أَرْطاة، وقيل : عبد الرحمن بنُ سَيْحَانَ بنِ أرطاة بنِ سَيْحَان ابنِ عمرو بنِ نُجَيد بنِ سَعْد[1] بنِ لَاحِب بن رَبِيعة بن شُكْم[2] بن عبد الله بن عَوْف بن زيد ابن بكر بن عُمَير بن على بن جَسْر بن مُحَارِب بن خَصَفَة بن قَيْس بن عَيْلان بن مُضَر ابن نِزَار. وأمّ جَسْر بن مُحَارِب كَاس بنت لُكَيز بن أَفْصَى بن عبد القيس، وأم علىّ ابن جسر مَاوِيّة بنت علىّ بن بكر بن وائل، هذه رواية أبى عمرو الشيبانىّ أخبرنى بها عمّى والصُّولىّ عن الحَزَنْبَل عن عمرو بن أبى عمرو عن أبيه، قال: وشُكْم بن عبد الله أوّل مُحَارِبىّ سادَ قومَه وأَبَذَّهم[3] رأسا بنفسه، وكانوا جيرانا فى هَوَازِنَ، وآلُ سَيْحان حلفاءُ حَرْبِ بنِ أميّة بنِ عبدِ شمس بن عبد مناف، وبمنزلةِ بعضهم عندَهم خاصّةً ٨٠/٢ وعندَ سائر بنى أميّة عامّة.

أخبرنى أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عُمَر بن شَبّة قال حدّثنا محمد بن يحيى عن عبد العزيز بن عِمْران قال :

بنو سَيْحان من بنى جَسْر بن مُحَارب، وبنو عبد مناف تُقَوِّى حِلْفَهم، وهم عندى أعِزّاؤهم وليسوا بأحلافهم.

أخبرنى أحمد بن عبيد الله بن عمّار وأحمد بن عبد العزيز الجوهرىّ قالا حدّثنا عمر بن شَبّة قال حدّثنا محمد بن يحيى أبو غَسّان قال :

---

(١) فى حـ : «سعيد». (٢) كذا ضبطت هذه الكلمة فى ط. ولم نجد فى مصدر آخر ما يؤيده أو ينفيه. (٣) كذا فى حـ، أ. وفى ب، س : «وأفذهم» وفى ى، ط : «وأفردهم».

لما قتل هشامُ بن الوليد أبا أُزَيْهِر، بعثتْ قُرَيش أَرْطاةَ بن سَيْحان حَليفَ حَرْب بن أميّة الى الشَّراة[1] يُحَذِّر مَنْ بها من تُجّار قُرَيش، وخرج حاجزُ الأَزْدِيّ لِيُخبِرَ قَوْمَه، فسبقه أرطاةُ، وقال فى ذلك وقد حذَّرهم فنَجَوْا :

مثلُ الحليف يُشدُّ عُرْوته * يَثْنِي العِناجَ[2] لها مع الكَرَبِ[3]
زَلَمٌ[4] إذا يَسَرُوا[5] به يُسُرٌ * ومناضلٌ يَحْمِى عن الحَسَبِ
هل تَشكُرَنْ فِهرٌ وتاجِرُها * دَأْبَ السُّرَى بالليلِ والخَبَبِ
حتى جَلَوْتُ لهم يَقِينَهُمُ * ببيان لا أَلْسٍ[6] ولا كَذِبِ

شاعر مقل اسلامى ليس من الفحول وكان حليفا لبنى أمية ومدحهم

وكان عبد الرحمن شاعرًا مُقِلًّا إسلاميًّا ليس من الفحول المشهورين ولكنّه كان يقول فى الشراب والغَزَل والفَخْر ومدح أحلافه من بنى أميّة، وهو أحدُ المعاقِرين للشراب والمحدودين فيه، وكان مع بنى أميّة كواحدٍ منهم إلا أنّ اختصاصه

(١) الشراة : صقع بالشام بين دمشق والمدينة المنورة .

(٢) قال فى اللسان : العناج : خيط أو سير يشدّ فى أسفل الدلو ثم يشد فى عروتها أو فى عرقوتها، (وعرقوتا الدلو : خشبتان تعرضان عليها كالصليب) . وقيل العناج : عروة فى أسفل الغرب من باطن تشدّ بوثاق الى أعلى الكرب فاذا انقطع الحبل أمسك العناج الدلو أن يقع فى البئر، وكل ذلك اذا كانت الدلو خفيفة واذا كان فى دلو ثقيلة حبل أو بطان يشدّ تحتها ثم يشدّ الى العراقى فيكون عونا للوذم فاذا انقطعت الأوذام أمسكها العناج . قال الحطيئة يمدح قوما عقدوا لجارهم عهدا فوفوا به ولم يخفروه :

قوم اذا عقدوا عقدا لجارهم * شدّوا العناج وشدّوا فوقه الكربا

(٣) الكرب : الحبل الذى يشدّ على الدلو بعد المنين وهو الحبل الأوّل فاذا انقطع المنين بقى الكرب. وقال ابن سيدة : الكرب الحبل يشدّ على عراقى الدلو ثم يثنى ثم يثلث . (٤) الزلم (بالتحريك، وبضم ففتح) : أصله القدح الذى لا ريش فيه، و يقال على القدح يستقسم به فى الجاهلية، ويشبه به الرجل القصير الخفيف الظريف والغلام الشديد الخفيف، ومنه : * بات يقاسيها غلام كالزلم *

(٥) يسروا : لعبوا الميسر. (٦) كذا فى أغلب الأصول، والألس : الخيانة والكذب. وفى نسخة أ : «لا ابس» .

بآل أبى سُفيان وآل عثمان خاصّة كان أكثر، وخُصوصُه بالوليد بن عثمان ومُؤانَستُه إيّاه أزيدُ من خصوصه بسائرهم، لأنهما كانا يَتنادَمان على الشّراب .

وهذه الأبيات التى فيها الغناء يقولها فى الوليد بن عثمان، وقيل : بل فى الوليد ابن عُتْبَة . وخبرُه فى ذلك يُذكَر بعد هذا .

أصابه خمار فداواه منه الوليد بن عثمان

أخبرنا محمد بن العباس اليَزِيدىّ قال قال عُتْبَة(١) بن المِنْهال المُهَلَّبىّ حدّثنى غيرُ واحد من أهل الحجاز قالوا :

كان ابن سَيْحان حَليفا لقريش ينزل بالمدينة ، وكان نديما للوليد ابن عثمان ، فأصابه ذات يومٍ خُمارٌ(٢)، فذَهب لسانُه وسَكَنَتْ أطرافُه وصرخ أهلُه عليه، فأقبل الوليد إليه فَزِعًا، فلما رآه قال : أخى مَخْمور وربِّ الكعبة، ثم أَمَر غلاما له فأتاه بشَراب من منزله فى إداوة فأمَر به فأُسخن ثم سقاه إيّاه وقيّأه، وصنع له حِساءً(٣) وجعل على رأسه دُهْنا وجعل رجليه فى ماء سُخْن ، فما لَبِثَ أن انطَلَق(٤) وذهبَ ما كان به . ومات الوليدُ بعدَ ذلك . فبينا ابنُ سَيْحان يومًا جالسٌ وبعضُ متاعه يُنقَل من بيت إلى بيت، إذ مَرت الخادم بإداوة الوليد التى كان داواهُ بما فيها من الشراب وقد يَبِسَتْ وتَقَبّضت، فانتحب وقال :

لا تَبْعَدَنَّ إداوةٌ مطروحةٌ * كانتْ حديثا للشرابِ العاتِقِ(٥)

وذكر باقىَ الأبيات .

أخبرنى أحمد بن عبد العزيز الجوهرىّ قال حدثنا عمر بن شَبّة قال حدثنا أحمد ابن معاوية عن الواقدىّ قال حدثنا عبد الله بن أبى عَبيدة عن أبيه قال :

(١) كذا وقع هذا الاسم هنا فى جميع الأصول، وقد تقدم قريبا باسم عنبة أو عيينة بن المنهال .

(٢) الخمار : ما يصيب الرجل من ألم الخمر وصداعها وأذاها . (٣) الحساء : طبيخ يتخذ من دقيق وماء ودهن وقد يحلى و يكون رقيقا يحسى . (٤) أى مشى بطنه . ولم نجد فى كتب اللغة إلا استطلق بطنه وأطلقه الدواء . (٥) أنظر صفحة ٢٤٠ حاشية رقم ٥

كان الوليدُ بن عثمان بن عفّان يشرب مع الوليد بن عُتْبة بن أبى سُفيان وابن سَيْحان وكان يُخَمِّر(١) فأصابه من ذلك شىءٌ شديدٌ حتى خِيفَ عليه وشقّ النساءُ عليه الجُيُوبَ، فدُعِىَ له ابنُ سَيْحان، فلما رآه قال: اخْرُجْنَ عنّى وعن أخى، فخَرَجْنَ، فقال له: الصَّبوحَ أبا عبد الله، فجلس مُفِيقًا، فذلك حيثُ يقولُ ابنُ سَيْحان:

٨١/٢

بأبى الوليــدُ وأمِّ نفسى كلّما * بَدَتِ النجومُ وذَرّ قَرْنُ الشارقِ
أَثْوِى فأُكرَمَ فى الثَّوَاءِ وقُضِّيَتْ * حاجاتُنا من عنـد أَرْوَعَ باسِقِ
كم عنده من نائلٍ وسماحةٍ * وفضائلٍ معـدودةٍ وخلائقِ
وسَماحةٍ للمُعْتَفِين(٢) إذا اعْتَفَـوْا * فى ماله حَقًّـا وقَـوْلٍ صادقِ
لا تَبْعَـدَنَّ إداوةٌ مطـروحةٌ * كانتْ حَدِيثًا(٣) للشرابِ العاتِقِ

أخبرنى الحسين بن يحيى عن حماد بن إسحاق عن أبيه قال:

كان الوليدُ بنُ عثمان يُكنَى أبا الجَهْم، وكان لابن سَيْحان صديقا ونديمـا، وكان صاحبَ شراب، فمرِض فعادَه الوليـد وقال: ما تشتهى؟ قال: شرابا، فبعث فجاءه بشراب فى إداوة. ثم ذكر باقى الخبر نحو الذى قبله.

أخبرنى محمدُ بنُ خَلَف وَكِيعٌ قال حدّثنى حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن أيُّوب ابن عَبَاية قال:

كان الوليـدُ بنُ عثمان ذا غَلّة فى الحجاز يخرُجُ إليها فى زمان التَّمْر بنَفَرٍ من قومه، يَجْنُون له ويُعَـاونونه، فكان إذا حضَر خروجُهم دفَعَ إليهم نَفَقاتٍ لأهليهم إلى رَجْعتهم، فخرج بهم مَرّةً كما كان يَخْرُج وفيهم ابنُ سَيْحان، فأتى ابنَ سَيْحان كتابٌ من أهله يسألونه القُدُوم لحاجةٍ لا بدَّ منها، فاستأذنه فأذِنَ له، فقال له ابنُ سَيْحان:

(١) يخمر: يصاب بالخمار. (٢) جمع معتف وهو الضيف وكل طالب فضل أو رزق.
(٣) أنظر صفحة ٢٤٠ حاشية رقم ٥

زَوِّدونى من شرابكم هذا، فزَوَّدُوه إداوةً ملأها له من شرابهم، فكان يَشْرَبها فى طريقه حتّى قَدِمَ على أهله، فألقاها فى جانب بيته فارغةً. فمكث زمانا لا يذكرها، ثم كَنَسوا البيتَ فرآها مُلْقاةً فى الكُناسة فقال :

لا تَبْعَـدَنَّ إِداوةٌ مطـروحةٌ * كانت حَدِيثا للشراب العاتِقِ (١)
إن تُصْبِحِى لاشىءَ فيكِ فرُبَّما * أُتْرِعْتِ من كأسٍ تَـلَذُّ لِذائقِ
بأبى الوليـدُ وأُمِّ نفسى كُلَّما * بَدَتِ النجومُ وذَرَّ قَرْنُ الشارقِ
كم عنـدَه من نائلٍ وسَمَاحةٍ * وشمائلٍ مَيْمُـونةٍ وخـلائقِ
وكرامةٍ للمُعْتَفِين إذا آعتَفَوْا * فى ماله حَقًّا وقَـوْلٍ صادقِ
أَثْوِى فأُكْرِمُ فى الثَّواءِ وقُضِّيَتْ * حاجاتُنَا من عنـدِ أَرْوَعَ باسِقِ
لمَّـا أتيناهُ أَتَيْنـا ماجد الـ * أخلاق سَبَّاقًا لِقَـرْمٍ سابِقِ (٢)
قال الوليدُ يَدِى لكم رَهْنٌ بمـا * حَاوَلْتُم من صامتٍ أو ناطِقِ
فإلى الوليـدِ اليوم حَنَّتْ ناقتى * تَهْـوِى بمُغْبَرِّ المُتُونِ سَمَـالِقِ (٣)
حَنَّتْ إلى بَرْقٍ فقلتُ لها قِرِى * بَعْضَ الحَنِينِ فإنَّ شَجْوَكِ شائقى

حدّه مروان بالخمر ومنع منه معاوية

أخبرنى عَمِّى قال حدّثنى محمد بن عبد الله التَّيمى الأصبهانى المعروف بالحَزَنْبَل قال حدّثنى عمرو بن أبى عمرو الشَّيْبانى عن أبيه وأخبرنى الحسين بن يحيى المِرْدَاسِىّ (٤) قال قال حماد بن إسحاق : قرأتُ على أبى، قالا جميعا :

كان عبدالرحمن بن سَيْحان قد غاظ مَرْوانَ بنَ الحَكَم أيّام كان معاوية يُعاقِبُ بينه وبين سَعيد بن العاص فى ولاية الحَرَمَيْن، وأنكر عليه أشياءَ بلَغَته فغاظَتْه : مِن مدحه سعيدا وآنقطاعِه إليه وسرورِه بولايته، فرَصَدَهُ حتى وجده خارجًا من دار الوليد بن عثمان

٨٢
٢

(١) انظر الحاشية رقم ٦ ص ٢٣٤ (٢) القرم : السيد . (٣) انظر الحاشية رقم ١ ص ٢٤١ (٤) فى ط : « المرادىّ » .

وهو سَكْران فضربه الحدّ ثمانين سَوْطا . وقدِم البريدُ من المدينة على معاوية فسأله عن أخبار الناس فجعَل يخبره بها، حتى آنتهى به الحديثُ إلى آبن سيحان فأخبره أن مروان ضربه الحدّ ثمانين؛ فغضب معاوية وقال : واللهِ لو كان حليف أبى العاص لمَا ضربه ولكنّه ضرَبه لأنه حليفُ حَرْب، أليس هو الذى يقول :

وإنى آمرؤٌ حِلْفٌ(١) إلى أفضل الورَى * عَدِيدًا إذا آرْفَضَّتْ(٢) عَصا(٣) المُتَحَلَّفِ(٤)

كذب واللهِ مروان، لا يَضْربه فى نبيذ أهلِ المدينة وشكِّهم وحُمْقهم؛ ثم قال لكاتبه : اُكتُب إلى مروان : فَليُبْطِل الحدّ عن آبن سيحان، وليَخْطُب بذلك على المِنْبر، وليَقُل إنه كان ضرَبه على شُبْهة ثم بَانَ له أنه لم يَشْرَب مُسْكِرا، وليُعْطه ألفىْ درهم . فلما ورَد الكتابُ على مروان عَظُم ذلك عليه، ودعا بابنه عبد الملك فقرأه عليه وشاوره فيه؛ فقال له عبد الملك : راجِعْه ولا تُكذِّب نَفْسَك، ولا تُبْطِل حُكْمَك؛ فقال مروان : أنا أعلم بمعاوية إذا عزَم على شىء أو أراده، لا واللهِ لا أراجِعُه . فلما كان يومُ الجمعة وفرَغ من الخطبة قال : وآبنُ سيحان فإنا كشَفنا أمْرَه فإذا هو لم يَشرب مُسْكِرا، وإذا نحن قد عَجَّلنا عليه، وقد أَبْطَلتُ عنه الحدّ. ثم نزَل فأرسل إليه بألفى درهم .

أخبرنى أحمد بن عبد العزيز الجوهرى قال حدّثنا عمر بن شَبّة قال حدّثنى أحمد بن معاوية عن الواقدى قال حدّثنى عبد الرحمن بن أبى الزِّناد عن أبيه قال :

كان عبد الرحمن بن سيحان المُحاربى شاعرا، وكان حلوَ الأحاديث، عندهُ أحاديثُ حسنةٌ غريبةٌ من أخبار العرب وأيامها وأشعارها، وكان على ذلك يُصيب من الشراب، فكان كلُّ مَن قدِم من وُلاة بنى أُميّة وأحداثهم ممن يُصيب الشراب يدعوه وينادمه، فلمّا وَلِىَ الوليدُ بن عُتْبة بن أبى سُفيان وعُزِل مَرْوان وجَد مروانُ

(١) فى ط : «حلفى» . (٢) ارفضت : انشقت وتفرقت . والعصا يراد بها الجماعة، يقال : شقّ فلان عصا المسلمين إذا فرّق جماعتهم . (٣) فى ط : «حصى» . (٤) المتحلف : مصدر ميمى بمعنى المحالفة .

فى نفسه وكان قد سَبَعه[(١)]، فحقد ذلك عليه مَرْوان وٱضطغنه. وكان الوليد يُصيب من الشراب ويبعث إلى ابن سَيْحان فيشرب معه، وابن سيحان لا يظنّ أنّ مَرْوان يفعل به الذى فعـله، وقد كان مدحه ابن سيحان ووَصَله مَرْوان، ولكنّ مَرْوان أراد فضيحة الوليد، فرصَده ليلةً فى المسجد، وكان ابن سيحان يخرج فى السَّحَر من عند الوليد ثَمِلا فيمرّ فى المقصورة من المسـجد حتّى يخرجَ فى زُقاق عاصم، وكان محمد بن عمرو يبيت فى المسـجد يصلّى، وكذلك عبـد الله بن حَنْظَلة وغيرهمـا من القُرّاء يَبِيتُون فى المسجد يتهجّدون، فلمّا خرَج ابن سيحان ثَمِلا من دار الوليد أخذه مَرْوان وأعوانُه، ثمّ دعا له محمدَ بنَ عمرو وعبدَ الله بن حَنْظَلة فأشهدهما على سكره وقد سأله أن يقرأ أمّ القرآن فلم يقرأها، فدفعـه إلى صاحب شُرْطَته[(٢)] فحبسه؛ فلمّا أصبح الوليد بلغـه الخبر وشاع فى المدينـة وعلِم أنّ مَرْوان إنّمـا أراد أن يفضَحه، وأنّه لو لقِىَ ابنَ سيحان ثَمِلا خارجا من عند غيره لم يَعْرِض له، فقال الوليد: لا يُبرِّئنى من هذا عنـد أهل المدينة إلّا ضربُ ابن سيحان، فأمر صاحبَ شُرْطَتـه[(٢)] فضربه الحدّ ثم أرسله، فجلس ابن سيحان فى بيته لا يخرُج حياءً من الناس، فجاءه عبد الرحمن ابن الحارث بن هشام فى ولده وكان له جليسا فقال له : ما يُجْلِسك فى بيتك؟ قال: الاستحياء من الناس؛ قال : اخرجْ أيها الرجل، وكان عبد الرحمن قد حَمَل له معه كُسْوة، فقال له : ٱلبَسْها ورُحْ معنا الى المسجد فهذا أَحْرَى أن يكذَّب به مُكذِّب،

٨٣/٢

ثم ترَحَّلُ إلى أمير المؤمنين فتخبِرُه بمـا صنع بك الوليد فإنّه يَصِلُك ويُبطِل هذا الحدّ عنك؛ فراح مع عبـدُ الرحمن فى جماعة ولده متوسّطا لهم حتى دخل المسجدَ فصـلّى ركعتين، ثم تساند مع عبد الرحمن إلى الأُسْطُوانة؛ فقائل يقول: لم يُضْرب، وقائل

مكث فى بيتـه استحياء فحمله عبـد الرحمن ابن الحارث على الخروج الى المسجد

(١) كذا فى حـ . وسبعه: طعن عليه وعابه وشتمه ووقع فيه بالقول القبيح. وفى ب ، س ، ى ، ط : «شعثه» ولم نجد لشعث مخففا أو مضعفا معنى يناسب المقام. وفى م : «سفنه» ولا معنى لها . (٢) فى ط : «شرطه» .

رحل الى معاوية وشفع فيه يزيد فعفا عنه وكتب بذلك الى الوليد

يقول : أنا رأيته يُضْرَب، وقائل يقول : عُزِّرَ أسواطًا . فمكث أياما ثم رحل إلى مُعاوية فدخل إلى يزيد فشرِب معه، وكلّم يزيدُ أباه معاوية فى أمره فدعا به فأخبره بقصّته وما صنعه به مَرْوان، فقال : قبّح الله الوليد ما أضعفَ عقلَه ! أما آستحيا من ضربك فيما شرِب ! وأمّا مَرْوان فإنّى كنتُ لا أحسَبه يبلغ هذا منك مع رأيك فيه ومودّتِك له، ولكنّه أراد أن يضَع الوليدَ عندى ولم يُصِب، وقد صيّر نفسه فى حدٍّ كنّا نُنزِّهه عنه، صار شُرَطيا! ثم قال لكاتبه : اكتب : «بسم الله الرحمن الرحيم، من عبد الله مُعاويةَ أميرِ المؤمنين إلى الوليد بن عُتْبة . أمّا بعد، فالعجَب لضربك ابنَ سَيْحان فيما تَشربُ منه، ما زدتَ على أن عرفتَ أهل المدينة ما كنتَ تَشْربه مما حُرّم عليك، فإذا جاءك كتابى هذا فأبطل الحدّ عن ابن سيحان، وطُف به فى حِلَق المسجد وأخبرْهم أنّ صاحب شُرَطك تعدّى عليه وظلَمه، وأنّ أمير المؤمنين قد أبطَل ذلك عنه، أليس آبنُ سيحان الذى يقول :

وإنّى آمرُؤٌ أُنْمَى[1] إلى أفضل الورَى * عديدًا إذا آرفَضّتْ عصا المُتحالِفِ
إلى نَضَدٍ[2] من عبد شمس كأنّهم * هِضابُ أَجًا[3] أركانُها لم تَقَصَّفِ
ميامينُ يَرْضَوْن الكِفاية إنْ كُفُوا * ويَكْفُون ما وُلّوا بغير تكلّفِ
غَطارِفةٌ[4] ساسوا البلاد فأحْسَنوا * سياستها حتّى أقرّت لمُرْدِفِ[5]

---

(١) مر فى صحيفة ٢٤٧ سطر ٥ «حلف» بدل «أنمى» . (٢) النضد : الأعمام والأخوال المتقدّمون فى الشرف . (٣) أجا أصله أجأ بالهمز فأبدل الهمزة فقلبها حرف علة للضرورة كما فى قوله : مثل خناذيذ أجا وصخره . وأجأ أحد جبلى طيّئ، والآخر يقال له سلمى . (٤) كذا فى جميع الأصول وهو جمع غطريف، والغطريف : السيد الشريف السخىّ الكثير الخير . وفى اللسان مادة ردف، وياقوت فى الكلام على أجأ : «قلامسة» جمع قلمس وهو السيد العظيم، ويقال للداهية من الرجال . (٥) اسم فاعل من أردف بمعنى تبع .

فمن يك منهم مُوسِرا يُفْشِ فضلَه * ومن يكُ منهم مُعسِرا يتعفّف
وإن تُبْسَطِ النُّعْمَى لهم يَبْسُطوا بها * أكُفًّا سِباطًا[1] نفعُها غيرُ مُقرِف[2]
وإن تُزْوَ عنهم لا يَضِجّوا وتُلْفِهِمْ * قليلِي التشكِّي عندها والتكلُّفِ
إذا انصرفوا للحق يوما تصرّفوا * إذا الجاهل الحيران لم يتصرّف
سَمَوْا فعلَوْا فوق البرية كلِّها * ببُنْيانِ عالٍ من مُنيف ومُشْرِف

قال: وكتب له بأن يُعْطَى أربعمائة شاة وثلاثين لِقْحة مما يُوطِنُ السَّيالة[3] وأعطاه هو خمسمائة دينار، وأعطاه يزيدُ مائتى دينار. ثم قدم بكتاب مُعاوية إلى الوليد، فطاف به فى المسجد، وأبطل ذلك الحدّ عنه، وأعطاه ما كتب به له مُعاوية. وكتب مُعاوية إلى مَرْوان يلومه فيما فعله بابن سَيْحان، وما أراده بذلك. ودعا الوليدُ عبدَالرحمن بن سَيْحان إلى أن يعود للشرب معه؛ فقال: والله لا ذقتُ معك شرابا أبدا.

ضربه مروان الحد فأبطله معاوية

أخبرنى أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثنا أبو مسلم الغِفَارِىّ قال حدّثنى موسى بن عبد العزيز قال:

أُخذ ابنُ سَيْحان الجَسْرِىّ — هكذا قال وهو غلط — فى شراب فى إمارة مَرْوان، وكان حليفا لأبى سُفيان بن حَرْب، فضربه مَرْوان ثمانين سَوْطا على رءوس الناس، فكتب إلى مُعاوية يشكوه، فكتب إليه مُعاوية: أمّا بعد ٨٤/٢ فإنك أخذت حليف حَرْب فضربته ثمانين على رءوس الناس، والله لتُبْطِلَنّها عنه،

(١) سباطا جمع سبط وهو السمح، يقال: فلان سبط الكفين أى سمحهما قال حسان:
رب خال لى لو أبصرته * سبط الكفين فى اليوم الخصر
(٢) غير مقرف أى غير مشوب بما يشينه. (٣) السيالة: أرض يطؤها طريق الحاج، قيل هى أول مرحلة لأهل المدينة اذا أرادوا مكة. قال ابن الكلبى: مر تبع بها بعد رجوعه من قتال أهل المدينة وواديها يسيل فسماها «السيالة». انظر معجم البلدان لياقوت فى اسم السيالة.

أو لأُقِيدَنّه منك ، فقال مَرْوان لآبنه عبد الملك : ما تَرَى ؟ قال : أرى والله ألّا تفعل ، قال : وَيْحَك ! أنا أعلم بعَزَمات مُعاوية منك ، فصعِد المِنبرَ فحمِد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أيها الناس ، إنا كنا ضربنا ابنَ سَيْحان بشهادة رجل من الحَرَس ووجدناه غير عدلٍ ولا رِضًا ، فآشهدوا أنى قد أبطلتُ ذلك الحَدّ عنه .

أخبرنى أحمد قال حدّثنا عمر قال حدّثنى محمد بن يحيى قال حدّثنى عبد العزيز آبن عِمْران قال :

ضَرب مَرْوانُ عبدَالرحمن بنَ سَيْحان فى الخمر ثمانين سَوْطا ، فكتب إليه مُعاوية : أمّا بعد ، فإنّك ضربتَ عبد الرحمن فى نبيذ أهل الشأم الذى يَستعمِلونه وليس بحرام ، وإنّما ضربتَه حيث كان حِلفُه إلى أبى سُفيان بن حَرْب ، وآيْمُ الله لو كان حليفا للحَكَم ما ضربتَه ، فأبطِلْ عنه الحدّ قبل أن أضرِب مَن أُخِذَ معه : أخاك عبدَ الرحمن ابنَ الحَكَم ، فأبطل مَرْوانُ عنه الحدّ ، فقال ابنُ سَيْحان فى ذلك يذكر حِلْفه :

إنى آمرؤ عَقْدى إلى أفضل الوَرَى(1) * عَديدا إذا آرفَضّتْ عصا المُتحالِف

وقال الطُّوسِىّ : كان عبد الرحمن بنُ الحَكَم أخو مَرْوان يشرب مع ابن سَيْحان ، فلمّا ضربه مَرْوانُ الحَدّ كتب اليه مُعاوية : والله لتُبْطِلَنّه عنه أو لأبعثنّ إلى أخيك مَن يَضرِب ظهرَه بالسَّوْط فى السُّوق ، أليس ابن سَيْحان الذى يقول :

سَمَوْتُ بحِلفى للطِّوال مِن الرُّبَى * ولم تَلْقَنى قِنًّا لدَى مَبْرَك الجُرْب
إذا ما حَليف الذُّل أَقْمَأ(2) شخصَه * ودَبّ كما دبّ الحَسِير(3) على نَقْب(4)

(1) أنظر الحاشية رقم ١ صفحة ٢٤٩ (2) أقمأ : صغر وذلل . (3) الحسير : المعيى .
(4) النقب : رقة الأخفاف وهو من باب فرح يقال : نقب خف البعير نقبا اذا حفى حتى يتخرق فرسنه ، وتسكين القاف هنا لضرورة الوزن .

وهَصتُ(١) الحصى لا أُخْنِسُ(٢) الأنفَ قابِعًا(٣) * إذا أنا راخَى لى خِناقى بنـو حَرْبِ

كان مع سعيد بن عثمان حين قتله وهرب عنه ثم رثاه

أخبرنى الحَرَمىّ بن أبى العَلاء وأحمد بن سُليمان الطُّوسِىّ قالا حدّثنا الزُّبَيْر بن بَكّار قال حدّثنى عمّى مُصْعَب وغيره قالوا :

قدِم سعيد بن عثمانَ المدينـةَ فقتله غِلمـانٌ جاء بهم من الصُّغْد(٤)، وكان معه عبد الرحمن بن أَرْطاةَ بن سَيْحان حَليفُ بنى حرب بن أمية، فهرَب عنه لمـا قتلوه، فقال خالد بن عُقْبة بن أبى مُعَيط يرثِى سعيدَ بن عثمان — وعثمانُ أخوه لأمه — :

يا عينُ جُودِى بدمع منكِ تَهْتانَا * وٱبكِى سعيدَ بنَ عثمانَ بنِ عفّانَا
إنّ ٱبنَ زِينَـةَ لم تصدُق مودّتُه(٥) * وفرّ عنه ٱبنُ أرطـاةَ بنِ سَيْحانَا(٦)

فقال ٱبن سَيْحانَ يعتذر من ذلك :

يقول رجالٌ قد دعاك فلم تُجِبْ * وذلك من تِلْقـاءِ مثِلك رائعُ(٧)
فإن كان نادَى دعـوةً فسمعتُها * فشَلَّتْ يدى وٱستَكَّ(٨) منّى المسامعُ
وإلا فكانتْ بالذى قال باطلاً * ودارتْ عليه الدائراتُ القوارعُ
يلوموننى أن كنتُ فى الدار حاسرًا * وقد فرّ عنـه خالدٌ وهو دارِعُ(٩)

---

(١) وهصت : دققت وكسرت . (٢) لا أخنس : من الخنس وهو انخفاض القصبة وعرض الأرنبة . (٣) أى مستخفيا، من القبوع وهو أن يدخل الإنسان رأسـه فى قميصه . ويسمى القنفذ القبع لأنه يقبع رأسه بين شوكه أى يخبؤه، ويقال : فلان يقبع قبوع القنفذ اذا توارى .
(٤) انظر ص ٣٥ حاشية ٤ من الجزء الأول من الأغانى طبع دار الكتب المصرية . (٥) فى حـ : «لم يصدق مودّته» . (٦) تقدّم هذان البيتان مع خبرهما بالجزء الأول من الأغانى طبع دار الكتب ص ٣٥ فانظره . (٧) فى حـ : «نفسك» . (٨) أى صمت وضاقت، ومنه قول النابغة :

أتانى أبيت اللعن أنك لمتنى * وتلك التى تستك منها المسامع

(٩) الدارع : لابس الدرع .

فقال بعض الشعراء يجيبه :

فإنك لم تسمَعْ ولكنْ رأيتَــه * بعينيك إذ مَجْراك فى الدار واسعُ
وأسلمتَه للصُّــغْد تَدْمى كُلُومُه * وفارقتَه والصوتُ فى الدار شائعُ
٨٥/٢ وما كان فيها خالدٌ بمعـذَّرٍ(١) * سواء عليــه صَمٌّ أو هو سامعُ
فلا زلتُمـا فى غُلِّ سَــوْءٍ بعِـبْرةٍ * ودارتْ عليكم بالشَّماتِ القَوارعُ

أخبرنى عمّى قال حدّثنا الكُرَانىّ قال حدّثنا العُمَرى عن العُتْبىّ قال :

لمـا قُتل سعيدُ بن عثمان بن عفّان قالت أمّه : أشتهى أن يرثيَه شاعرٌ كما فى نفسى حتى أُعطيَه ما يَحْتكِم ، فقال آبن سَيْحان :

إن كنتِ باكيةً فتًى * فابْكِى هَبِلْتِ(٢) على سـعيدِ
فارقتَ أهلَكَ بغتــةً * وجَلبتَ حَتْفَكَ من بعيدِ
أذْرِى دموعَكِ والدِّما * ءَ على الشَّهيدِ آبن الشهيــدِ

فقالت : هكذا كنت أشتهى أن يقال فيــه ، ووصلتِ آبنَ سيحان . وكانت تندُبه بهذا الشعر .

وقال أبو عمرو فى روايتــه التى ذكرتُها عن عمّى عن الخَزَنْبَل عن عمرو بن أبى عمرو عن أبيه قال :

جلَس آبنُ سَيْحان وخالدُ بن عُقْبة بعــد مقتل سعيد بن عثمان يتحدّثان ، فجرى ذكرُه فبكيا جميعا عليه ، فقال آبن سَيْحان يرثيه :

---

(١) المعذر : الذى لم يثبت له عذر . (٢) هبلت : ثكلت ، يقال هبلته أمه هبلا أى ثكلته . وذكر صاحب اللسان أن هبلت يقال فى الدعاء بالبناء للفاعل ، ولا يقــال هبلت بالبناء للفعول وان كان هو القياس لأنه إنمـا يدعى عليه بأن تهبله أمه أى تثكله . وهــذا أحد أفعال ثلاثة جاءت من باب فعل (بكسر العين) المتعدّى وجاء مصدرها على فعل بالتحريك ، ثانيها عمل الشىء عملا ، وثالثها زكنت الخبر زكنا .

ألا إنّ خيرَ الناس إن كُنت سائلًا * سعيدُ بنُ عثمانَ القتيلُ بلا ذَحْلِ[1]
تداعت عليه عُصْبةٌ فارسيةٌ * فأضحى سعيدٌ لا يُمِرُّ ولا يُحْلِي

وقال خالد بن عُقْبة :

ألا إنّ خيرَ الناس نفسًا ووالدًا * سعيدُ بن عثمانٍ قتيلُ الأعاجمِ
بكت عينُ من لم يَبْكِه وَسْطَ يثْرِبٍ * مَدَى الدهرِ[2] منه بالدموع السَّواجمِ
فإن تكن الأيامُ أَرْدت صروفُها * سعيدًا، فمَنْ[3] هذا عليها بسالمِ

قال الحَزَنْبَلُ : أنشدنى عمرو بن أبى عمرو عن أبيه لابن سَيْحان قال عمّى وأنشدنى السُّكَّرِىّ عن ابن حَبيبَ والطُّوسى له :

صوت

رحِم اللهُ صاحِبَيَّ ابنَيِ الحا * رثِ إذ ينهيانِنى أن أبُوحَا
بالتى تيّمتْ فؤادى وأن أذْ * رِى دموعى على ردائى سُفُوحَا[4]
فى مَغانِى منازلٍ من حبيبٍ * باشرتْ بعده قِطارًا[5] ورِيحَا
ولقد قلتُ للفؤاد ولكنْ * كان قِدْمًا إلى هواه جَمُوحَا
قلتُ أقصِرْ عن بعضِ حُبّك أروَى * إن بعض الحِبَابِ[6] كان فُضُوحَا
فعصانى، فليس يسمعُ قولًا * من حَمامٍ على الأراكِ جُنُوحَا
أُمَّ يحيَي تقبّلَ اللهُ يحيَي * بقَبُولٍ كما تقبّلَ نُوحَا
أُمَّ يحيَي لولا طِلابُكِ قد سِحْـ * ـتُ مع الوحشِ أو لبِسْتُ المُسُوحَا[7]
ولقد قلت لا أُحدِّثَ سِرًّا * سرَّ أخرى ما دمتُ أمشى صحيحَا

---

(١) الذحل : الثأر. (٢) فى ط «يد الدهر» ويد الدهر كمدى الدهر : كلمة يراد بها الدوام.
(٣) فى ط : «فمن هذا من الموت سالم» وعلى هذه الرواية يكون فى البيت إقواء. (٤) سفح الدمع سفوحا : صبه. (٥) قطارا : جمع قطر وهو المطر. (٦) الحباب : المحابة والموادّة والحب، قال أبو ذؤيب : فقلت لقلبي يالك الخير إنما * يدليك للخير الجديد حبابها ،
وفى ا ، ء ، ط : «الأحباب». (٧) المسوح : جمع مسح وهو الكساء من الشعر.

الغناء لمَعْبد خفيفُ ثقيلٍ أوّلَ بالسَّبَّابة فى مجرى الوسطى عن إسحاق ويونس . وفيه للغَرِيض ثقيلُ أوّلُ عن الهشامىّ . وفيه لزُرَيق رَمَل .

قال أبو عمرو : وابنُ سَيْحان الذى يقول :

ألا هل هاجَك الأظعا * نُ إذ جاوزْنَ مُطَّلحا

جفاه بنو مطيع فذمهم ومدح بنى عبد الرحمن بن الحارث

والناس يَرْوُونه لعمرَ بن أبى ربيعة لغلبته على أهل الحجاز جميعا. وقال أبو عمرو فى خبره : كان ابنُ سَيْحانَ يحدِّث قال: كنت آلَفُ(١) من قريش أهلَ بيتين سِوَى من ٨٦ / ٢ كنت منقطعا إليه من بنى أمية : بنى عبد الرحمن بن الحارث بن هِشَام، وبنى مُطِيع، فلما ضربنى مروانُ الحدَّ جئتُ فجلست إلى بنى مُطِيع كما كنت أجلس، فلما رأوْنى عرفتُ الكراهةَ فى وجوههم، والله ما أقبلوا علىّ بحديثهم ولا وَسَّعوا لى، فانصرفتُ ورُحت إلى بنى عبد الرحمن، فلما رأوْنى أقبلوا بوجوههم علىّ وحَيَّوْا ورحَّبوا وسهَّلوا ووسَّعوا، ورفعونى إلى حيثُ لم أكنْ أجلس، وأقبلوا علىّ بوجوههم يحدّثوننى، وقالوا : لعلك خشَعْتَ للذى لَحِقَك، أما والله لقد علم الناسُ أنك مظلوم، وظَلَّموا(٢) مروانَ فى فعله، ورأوْا أنه قد أساء وأخطأ فى شأنك، وقالوا : ما ضَرَّكَ ذلك ولا نقصك ولا زادك إلا خيرا، ولم يزالوا حتى بسَطُونى، فقلت أمدحهم وأذمُّ بنى مطيع :

لقد حَرَّمتُ وُدَّ بنى مُطِيع * حَرَامَ الدُّهْنِ للرجل الحَرَامِ(٣)

وإن جنفِ(٤) الزمانُ مددتُ حبلًا * مَتِينًا من حبال بنى هِشَامِ

رَطِيبٌ عودُهم أبدا وَرِيقٌ * إذا ما اغبرَّ عِيدانُ اللئامِ

---

(١) فى حـ : «أختص» . (٢) ظلموه : نسبوه الى الظلم . (٣) الحرام : المحرم بحج أو عمرة . (٤) جنف : جار ومال .

لامته امرأته على مبيته خارج المنزل فقال شعرا

وقال أبو عمرو فى خبره : كان عبد الرحمن بن سَيْحان يُنادِم الوليدَ بن عثمان على الشَّراب فيبيت عنده خوفًا من أن يظهر وهو سَكْرانُ فيُحَدّ، فقالت له امرأته : قد صرتَ لا تبيت فى منزلك وأظنّك قد تزوّجتَ، وإلّا فما مَبِيتُك عن أهلك ! فقال لها :

لا تَعْذِمينى نديمًا ماجدًا أَنِفًا * لا قائلًا قاذِفًا خَلْقًا بِبُهْتانِ [1]
أغرّ رَاووقه [2] مَلْآنُ [3] صافيةً * تَنْفِى القَذَى عن جَبِينٍ غيرِ خَزْيانِ
مَسْبِيئةً [4] من قُرَى بَيْرُوتَ صافيةً * عَذْراءَ أو سُبِئتْ من أرض بَيْسانِ [5]
إنّا لنَشربُها حتى تميلَ بنا * كما تمايَلَ وَسْنانٌ بِوَسْنانِ [6]

رأى ابن عمه يشرب نبيذ الزبيب فحثه على شرب الخمر

أخبرنى محمد بن مَزْيَد بن أبى الأَزْهَر قال حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن عاصم بن الحَدَثانِ قال :

كان ابن سَيْحانَ صاحبَ شراب، فدخل على ابن عمّ له يقال له الحارث بن سَرِيع فوجده يشرب نبيذ زبيب، فجعل يعظه ويأمره بشرب الخمر، وقال له : يابن سَرِيع، إن كنت تشربه على أن نبيذ الزبيب حلالٌ فإنك أحمق، وإن كنت تشربه على أنه حرام تستغفر الله منه وتنوى التوبة فاشربْ أَجْوَده فإن الوِزْرَ واحد، ثم قال :

(١) فى ح : * لا حالفا شائبا حلفا ببهتان *

(٢) الراووق : ناجود الشراب الذى يروّق به فيصفى . والشراب يتروّق منه من غير عصر .

(٣) فى ح : «أغرّ راووقه صهباء صافية» . (٤) سبيئة أى مسبوءة من قولهم : سبأ الخمر أى اشتراها ليشربها كما فى الصحاح أو اشتراها ليحملها الى بلد آخر كما فى غيره . (٥) بيسان : مدينة بالأردنّ وهى بين حوران وفلسطين ، قال ياقوت فى معجم البلدان : واليها فيما أحسب ينسب الخمر، وأورد أبياتا لليلى الأخيلية فى توبةَ، منها :

هو الذوبُ أو أرْى الضحى لى شبتُه * بدرياقة من خمر بيسان قرقف

(٦) الوسنان : النائم الذى ليس بمستغرق فى النوم .

دَعِ ابنَ سَرِيعٍ شُرْبَ ما مات مرةً * وخُذْها سُلافًا حيةً مُزّةَ الطَّعْمِ
تَدَعْك على مُلْكِ ابن ساسان قادرًا * إذا حرمت قُرّاؤنا حَلَبَ الكَرْمِ
فشتّان بين الحيِّ والميْتِ فاعترمْ * على مُزَّةٍ صفراء راووقها يَهْمِي (١)
فإنّ سَرِيعًا كان أوصى بحبها * بَنِيه وعمِّي جاوز اللهُ عن عمِّي
ويا رُبَّ يومٍ قد شهدتُ بني أبي * عليها الى أن غاب تاليةُ النَّجْمِ (٢)
حَسَوْها صلاةَ العصرِ والشمسُ حيّةٌ * تُدار عليهم بالصغير وبالضَّخْمِ
فماتوا وعاشوا والمُدامة بينهم * مُشَعْشَعةً (٣) كالنجم تُوصَف بالوَهْمِ ٨٧/٢

أخبرني محمد بن مَزْيد قال حدّثنا حَمّاد عن أبيه عن عاصم بن الحَدَثان قال : كان ابن سَيْحان حَلِيفَ حَرْب بن أُمية يُنادِم الوليد (٤) بن عُقْبَة بن أبي مُعَيْط ، ويشرب معه الخمر، وهو القائل :

اِصْبَحْ (٥) نَدِيمَك من صَهْباء صافيةٍ * حتى يروح كريمًا ناعمَ البالِ
واشربْ هُدِيتَ أبا وَهْبٍ مُجاهَرَةً * واختلْ فإنك من قوم أُولي خالِ (٦)
أنت الجوادُ أبا وَهْبٍ إذا جَمَدتْ * أيدي الرجال بما تحْوِيه من مالِ
لولا رجاؤك قد شَمَّرتُ مُرتحِلًا * عَنْسًا (٧) تُعاقِبُ تَخْوِيدًا (٨) بإرْقالِ (٩)

(١) في ح : * وبادر الى صهباء راووقها يهمي *
(٢) قال في اللسان : وتوالي كل شيء آخره وتاليات النجوم أخراها .
(٣) مشعشعة : ممزوجة ، يقال : شعشع الشراب : مزجه بالماء .
(٤) كذا في ح . وفي سائر النسخ : « ينادم بني عقبة بن أبي معيط ويشرب معهم الخمر وهو القائل للوليد » وقد آثرنا ما ورد في ح لأنه وإن كان للوليد بن عقبة أخوان وهما عمارة بن عقبة وخالد بن عقبة فهما لم يعرفا بشرب الخمر كما اشتهر هو .
(٥) أي اسقه صبوحا ، قال طرفة :

* متى تأتني أصبحك كأسا روية *

(٦) الخال: الخيلاء والكبر .
(٧) العنس في الأصل : الصخرة ، ويقال على الناقة القوية تشبيها لها بالصخرة لصلابتها .
(٨) التخويد : ضرب من السير ، يقال : خوّد البعير : أسرع وزج بقوائمه ، وقيل : هو أن يهتز كأنه يضطرب .
(٩) الإرقال : ضرب من السير فوق الخبب .

لما تَوَاصَـوْا بقتلِي قمتُ معترِمًا * حتى حَمَيْتُ من الأعداء أَوْصَالى

عمّ الوليـدُ بمعروفٍ عشـيرتَه * والأبعـدون حَظُوا منـه بإفضالِ

شعره فى الوليد وقد حماه من أخواله ودفع عنه الدية

قال : وكان ابن سَيْحان قد ضرب رجلا من أخواله بالسيف فقطع يده ولم تقم عليه بَيِّنة، فتآمر به القومُ ومنع منه ابن خال له منهم (١)؛ وخاف الوَلِيـد بن عُقْبة أن يرجع إلى المدينة هاربا منهم وخوفًا من جنايته عليهم فيفارقه وينقطع عنه، فدعاهم وأرضاهم وأعطاهم ديةَ صاحبِهم. فلم يزل عند الوليد حتى عُزِل وهو نَدِيمُه وصفيُّه. وهو القائل فى الوليد — وفيه غناء — :

صـوت

بات الوَلِيـدُ يُعَاطِينى مُشَعْشَعَةً * حتى هَوَيْتُ صَرِيعًا بين أصحابِى

فى الغناء : بات الكريم يعاطينى .

لا أستطيع نهوضًا إن هَمَمْتُ به * وما أُنْهِنُهُـه (٢) (٣) من حَسْوٍ وتَشْرابِ

حتى إذا الصبحُ لاحتْ لى جوانبُه * ولَّيْتُ أَسْحَبُ نحوَ الفـومِ أثوابِى

كأنى من حُمَيَّا كأسه جَمَـلٌ * صَحَّتْ قوائمُه من بعـد أَوْصابِ

ويروى :

* كأنى من حُمَيَّا كأسه ظَلِـعٌ *

الغناء ليَحْيَي المَكّيّ — ورُوى : ضَلِـعٌ (٤) — خَفِيفُ ثَقِيلٍ بالبِنْصرِ عن الهشامى وبَذْل . قالت بَذْل (٥) : وفيه لحنٌ آخرُ ليحيي، ولم تذكُرْ طريقتَه .

---

(١) كذا فى أ . وفى سائر النسخ : «ومنع منه ابن خال، منهم له» . (٢) نهنهه عن الشىء : زجره وكفه . (٣) كذا فى جميع النسخ، والمعروف «أن نهنه» يتعدّى بعن . (٤) كذا فى جميع النسخ وحق هذه الجملة التقديم، والضالع وصف من الضلع وهو كالظلع بالظاء : الميل فى المشى .

(٥) وردت هذه العبارة هكذا فى حـ ، ووردت محرفة فى سائر النسخ .

قصة تبرئه لسعيد ابن العاص من الشرب وما قاله فى ذلك

أخبرنى محمد بن مَزْيَد قال حدّثنا الزُّبَير بن بَكَّار قال حدّثنى أبو فُهَيرة (١) قال : دخل عبد الرحمن بن أَرْطَاةَ على سَعِيد بن العاص وهو أمير المدينة ، فقال له : ألستَ القائل :

إنّا لنشربُها حتى تميلَ بنا * كما تَمَايل وَسْنانٌ بوَسْنانِ

فقال له عبد الرحمن : مَعَاذَ الله أن أشربَها وأنعتَها ، ولكنِّى الذى أقول :

سَمَوْتُ بِحِلْفِى للطِّوالِ من الذُّرَى * ولم تَلْقَنِي كالنَّسْرِ فى ملتقًى جَدْبِ
إذا ما حَلِيفُ القــوم أَقْعَى مكانَه * ودَبَّ كما يمشى الحَسِيرُ (٢) من النَّقْبِ
وَهَصْتُ (٣) الحَصى لا أرهبُ الضيمَ قائمًا (٤) * إذا أنا راخَى لى خِنَــاقِى بنو حَرْبِ

وقام يجرّ مِطْرَفَه (٥) بين الصفّين حتى خرج . فأقبل عمرو بن سعيد على أبيــه فقال : لو أمرتَ بهذا الكلب فضُرب مائتَىْ سَوْطٍ كان خيرًا له ، فقال : يابنىّ ، أضربُه وهو حليفُ حَرْبِ بن أُميّة ومعاويةُ خليفةٌ بالشأم ! إذًا لا يرضى ! فلما حجّ معاويةُ لقيه بمنًى ، فقال : إيهٍ ياسعيد ! أمرَك أحمقُك بأن تضرب حليفِى مائتَىْ سوط !

٨٨/٢

أما والله لو جلدتَه سوطًا لجلدتُك سوطيْن ! فقال له سعيد : ولِمَ ذاك ؟ أوَلم تجلِدْ أنت حليفك عمر بن جَبَلة ! فقال له معاوية : هو لَحْمِى آكلُه ولا أُوكِلُه . قال : وكان ابن سَيْحان قد قال :

(١) فى ا ، م : « أبو فهرة » . ولم نعثر عليه فى كتب التراجم ، غير أنه عرفت التسمية بفهيرة (انظر شرح القاموس مادة فهر) . (٢) كذا روى فيما تقدم ص ٢٥١ من هذا الجزء ، وقد ورد هنا فى ط : « كما يمشى الكسير على النقب » . وفى سائر النسخ « كما يمشى الكسير من النقب » . (٣) وهصه : دقه وكسره . (٤) فى ا ، م : « قاعدا » . (٥) المطارف : واحد المطارف وهى أردية من خز مربعة لها أعلام . وقال الفراء : المطرف من الثياب : ماجعل فى طرفيه علمان ، والأصل مُطرف بالضم فكسروا الميم تخفيفا كما قالوا : مغزل وأصله مغزل من أغزل ، أى أدير .

لا يَعْدَمَنِّى نديمى ماجدًا أنِفًا[1] * لا قائلا خالطًا زورًا ببُهتانِ
أُمْسِى أُعَاطِيه كأسًا لَذَّ مَشْرَبُها * كالمسك حُفَّتْ بنِسْرِينٍ ورَيحانِ
سبيئةً من قُرَى بَيْرُوت صافيةً * أو التى سُبِئَتْ من أرض بَيْسانِ
إنا لَنَشربُها حتى تَميلَ بنا * كما تَمايَلَ وَسْنانٌ بوَسْنانِ

انقضت أخباره .

أحد الأصوات المائة المختارة

صــوت

من المائة المختارة من رواية علىّ بن يحيى

يا خليلىّ هَجِّرا كَىْ تَرُوحا * هَجِّرا للرَّواح قَلْبًا قريحا
إنْ تُرِيغا[2] لِتَعْلَما سِرَّ سُعْدَى * تَجِدانى بِسِرِّ سُعْدَى شَحيحا
إنّ سُعْدَى لَمُنْيةُ المُتَمَنِّى * جَمَعتْ عِفّةً ووَجْهًا صَبيحا
كلَّمتنى وذاك ما نِلْتُ منها * إنّ سُعْدَى ترى الكلامَ رَبِيحا[3]

الشعر لابن مَيّادة . والغناء لِحُنَيْن ، ولحنه المختارُ من الثقيل الأوّل بإطلاق الوتر فى مَجْرى البنصر عن إسحاق . وذكر عمرو بن بانة أن فيه لدَحْمان لحنا من الثقيل الأوّل بالبنصر ، وأظنه هذا ، وأنّ عَمْرا غَلِط فى نسبته إلى دَحْمان .

---

(١) كذا فى ط . وقد ورد فيما تقدّم فى صفحة ٢٥٦ من هذا الجزء : « لا تعدمينى نديما » . وفى سائر النسخ هنا : « لا تعدمينى نديمى » . (٢) تريغا : تبغيا وتريدا . (٣) ربحا : ذا ربح .

أخبار ابن ميّادة ونسبه

نسبه

اسمه الرَّمّاح بن أبْرد بن ثَوْبان(١) بن سُراقة بن حَرْملة، هكذا قال الزبير بن بكّار فى نسبه. وقال ابن الكلبىّ: ثَوْبان(١) بن سُراقة بن سَلْمى بن ظالم ويقال سُراقة بن قَيْس بن سَلْمى بن ظالم بن جَذِيمة بن يَرْبُوع بن غَيْظ بن مُرّة بن عَوْف بن سَعْد بن ذُبْيان بن بَغِيض بن ريث بن غطَفان بن سعد بن قيس بن عَيْلان بن مُضَر.

كان يزعم أن أمه فارسية و يفتخر بذلك

وأُمه ميّادة أم ولدٍ بربرية، ورُوِى أنها كانت صَقْلَبِيّة(٢). ويكنى أبا شُرَحْبِيل، وقيل بل يُكْنى أبا شَرَاحِيل. وكان ابن ميّادة يزعمُ أن أمّه فارسيّة، وذكَر ذلك فى شعره فقال:

أنا ابنُ أبى سَلْمى وَجَدّى ظالمٌ * وأُمّى حَصَانٌ أخلصتْها(٣) الأعاجمُ
أليس غلامٌ بين كسرى وظالِم * بأكرمِ من نِيطتْ عليه التمائمُ

كذبه موسى بن سيار فى أن أمه فارسية

أخبرنى بذلك الحرمىّ بن أبى العلاء قال حدثنا الزبير بن بكّار قال حدثنى أبو مَسْلَمة مرهوب(٤) بن رِشيد(٥) وأخبرنى الحرمىّ [قال حدثنا الزبير](٦) قال حدثنى موسى بن زُهَير الفَزارىّ قال أخبرنى موسى بن سَيّار بن نَجِيح المُزَنىّ(٧) قال: أنشدنى ابن ميّادة أبياته التى يقول فيها:

---

(١) فى ط: «ثريان». (٢) صقلب: بلد فى الأندلس من أعمال شنترين، فلعل أم ابن ميادة تنسب اليه. وهذا يوافق ما سيأتى من أنها أشبانية نسبة الى أشبان وهى الأندلس. ومن المحتمل القريب أن تكون منسوبة الى الصقالبة وهم الجيل المعروف، فان أمّة الافرنج المتصلة بالأندلس كانوا يحاربون الصقالبة المتصلين بأرضهم فيسبونهم و يبيعون رقيقهم بأرض الأندلس (انظر معجم ياقوت فى اسم «صقلب» ونفح الطيب طبع أوروبا ج ١ ص ٩٢). (٣) فى حـ: «حصنتها».

(٤) كذا فى ب، سـ، ء، ط. وفى أ، م: «موهوب» بالواو، وقد سمى العرب «مرهوبا» بالراء، ولم يذكر القاموس ولا شارحه فى المستدرك أنهم سموا موهوبا بالواو.

(٥) كذا فى جميع الأصول وسيرد فيما يلى: «رشيد» (انظر الصحف ٢٧٢ و ٢٧٩ و ٢٨٣ من هذا الجزء). (٦) زيادة فى ط. (٧) فى أ، حـ، م: «المرى»

أَلَيْسَ غلامٌ بين كِسرى وظالمٍ * بأكرم من نِيطَتْ عليه التمائمُ

فقلت له : لقد أشحطْتَ بدار العجوز وأبعدتَ بها النُّجْعَة ، فهلّا غَرَّبتَ (يريد أنها صَقْلَبِيَّةٌ ومحلها بناحية المغرب) فقال : إى بأبى أنتَ ، إنه مَن جاعَ انتجع ، فدَعْها تَسِرْ فى الناس فإنه "مَن يَسْمَعْ يَخَلْ"(١). قال الزبير قال ابن مَسْلَمة(٢) : ولمّا قال ابن مَيّادة هذه الأبيات قال الحَكَم الخُضْرِىّ يَرُدّ عليه : ٨٩/٢

رد عليه الحكم الخضرى فخره بأمه وهجاه

وما لكَ فيهم من أبٍ ذى دَسِيعةٍ(٣) * ولا وَلَدَتْكَ المُحْصَناتُ الكرائمُ

وما أنتَ إلّا عبدُهم إن تُرِبْهُمُ * مِنَ الدهرِ يوما تَسْتَرِبْكَ المقاسمُ

رَمَى نَهْبَلٌ فى فَرْج أمِّك رَمْيةً * بِحَوْقاءَ تَسْقِيها العُرُوقُ الثَّواجمُ(٤)

قال أبو مَسْلَمة : ونَهْبَل عبدٌ لبنى مُرّة كانت مَيّادة تزوّجته بعد سَيِّدها ، وكانت صَقْلَبِيّة . وابنُ مَيّادة شاعرٌ فصيحٌ مُقَدَّمٌ مُخَضْرَم من شعراء الدولتين . وجعله ابن سلّام فى الطبقة السابعة(٥) ، وقَرَنَ به عُمَر بن لَجَإٍ(٦) والعُجَيْفَ العُقَيْلىَّ(٧) والعُجَيْرَ السَّلُولىَّ(٨) .

شاعر مخضرم وضعه ابن سلام فى الطبقة السابعة

---

(١) هذا مثل ، قال فى اللسان مادة خال نقلا عن أبى عبيدة : ومعناه من يسمع أخبار الناس ومعايبهم يقع فى نفسه عليهم المكروه ، وقد فسره بذلك أيضا الميدانى فى مجمع الأمثال . (٢) كذا فى جميع الأصول ولكن الذى تقدّم فى سند هذا الخبر وهو من روى عنه الزبير ذكر باسم أبى مسلمة ، وسيذكر بعد قليل أيضا باسم أبى مسلمة فى جميع الأصول . (٣) الدسيعة : كرم الفعل ، وقيل : مائدة الرجل اذا كانت كريمة . (٤) الثواجم : جمع ثاجم ، والثاجم : دائم الصب ، من قولهم : ثجمت السماء ، اذا دام مطرها . (٥) اطلعنا على طبقات الشعراء لابن سلام فلم نجد فيها ذكرا لابن ميادة . (٦) عمر بن لجأ التيمىّ من تيم الرباب عدّه ابن سلام فى الطبقة الرابعة وذكر له شيئا من شعره . وورد ذكره فى الأغانى (ج ٧ ص ٤٤ و٤٨ و ٦٨ و ٧٢ و٧٣ و٧٤ وج ٦ : ص ١١٥ وج ١٩ ص ٢٢ طبع بولاق) . (٧) العجيف العقيلى لم يرد ذكره فى ابن سلام ، وورد فى الأغانى (ج ١٦ ص ١٢٤ و ١٢٥ طبع بولاق) . (٨) العجير بن عبد الله السلولىّ عدّه ابن سلام فى الطبقة الخامسة وله ترجمة فى الأغانى (ج ١١ ص ١٥٢ — ١٥٩ طبع بولاق) .

ولهذا لا يستبعد أن يكون أبو الفرج قد أخطأ الرواية فى هذا النقل أو أنه روى ذلك مشافهة عن ابن سلام ، وابن سلام لم يذكره فى كتابه كما أخبره بأن يكون غير رأيه بعد حين تدوينه كتابه ، أو أن أبا الفرج اطلع على نسخة أخرى من الطبقات دخلها النقص فيما بعد حتى وصلت إلينا كما هى الآن .

كان يتعرض للهاجاة و يقول لأمه اصبرى على الهجو

أخبرنى علىّ بن سليمان الأخفش قال حدثنا الحسن بن الحسين السُّكَّرِىّ قال حدثنا محمد بن حبيبَ عن ابن الأعرابىّ قال : كان ابنُ مَيّادة عِرِيضا للشرّ، طالبا مُهاجاةَ الشعراء ومُسَابَّةَ الناس . وكان يضرب بيده على جَنْب أمه ويقول :

* اِعْرَنْزِمى مَيّادَ للقوافى[1] *

أى إنى سأهجو الناسَ فيَهْجُونك .

وأخبرنا يحيى بن علىّ عن أبى هَفّان بهذه الحكاية مِثلَه ، وزاد فيها :

اِعْرَنْزِمِى مَيّادَ للقوافِى * واسْتَسْمِعِيهنّ[2] ولا تَخَافِى

* سَتَجِدِينَ ابنَكِ ذا قِذافِ[3] *

استنشد امرأة أمام أمه عما قيل فى هجوها فأنشدته

أخبرنى الحَرَمىّ بن أبى العلاء قال حدثنا الزُّبير بن بَكّار قال حدثنا داود بن عُلْقَة الأَسَدِىّ قال : جاورتِ آمرأةٌ من الخُضْر : (رَهْطِ الحَكَمِ الخُضْرِىّ) أبياتَ ابن مَيّادة ، فجاءت ذاتَ يوم تَطْلُب رَحًى وثِفَالا[4] لتَطْحَن ، فأعاروها إيّاهما ، فقال لها ابن مَيّادة : يا أختَ الخُضْر، أَتَرْوِينَ شيئا مما قاله الحَكَمُ الخُضْرِىّ لنا ، يريد بذلك أن تسمع أُمُّه ، فجعلتْ تأبَى ، فلم يزل حتى أنشدتْه :

أمَيّادَ قد أفسدتِ سيفَ آبن ظالم * بِبَظْرِك حتى عاد أَثْلَمَ باليَا

قال : وميّادة جالسةُ تسمع . فضحِك الرَّمّاح ، وثارتْ ميّادة إليها بالعَمود تَضْرِبها به وتقول : أَىْ زانيـة ! هَيَا زانية ! أَإِيّاىَ تَعْنِين ! وقام آبن ميّادة يخلّصها ، فَبَعْدَ لأْيٍ[5] مّا أَنْقَذَها ، وقد آنتزعَتْ منها الرّحى والثِّفال .

---

(١) اعرنزمى : اشتدّى ، يقال : اعرنزم الشىء اذا اشتدّ وصلب . (٢) استسمع : سمع .

(٣) ذا قذاف : ذا نضال ومراماة . (٤) الثفال : جلد يبسط تحت الرحى ليسقط عليه الدقيق . (٥) لأى : جهد وشدّة .

كان معه شماطيط وورد عليه هجاء أمه فأسمعه إياه

أخبرنى الحَرَمىّ بن أبى العَلاء قال حدّثنا الزبير بن بكّار قال حدّثنى أبو حَرْمَلة مَنْظُور بن أبى عَدِىّ الفَزارىّ قال حدّثنى شَماطِيط — وهو الذى يقول :

أنا شَماطِيطُ الذى حُدِّثتَ بِهْ * متى أُنَبَّهْ للغَداء أَنْتَبِهْ (١)

* حتى يُقالُ (٢) شَرِهُ ولستُ بِهْ (٣) *

— قال : كنتُ جالسا مع ابن ميّادة فوردتْ عليه أبياتٌ للحَكَم الخُضْرىّ يقول فيها :

أأنت ابن أشبانيّةٍ أَدْلَجَتْ به * إلى اللؤم مِقْلاتٍ (٤) لئيمٍ جَنِينُها

— أشبانية : صَقْلَبِيّة — قال : وأمه ميّادة تسمع فضرب جَنْبها وقال :

* أَعَرَنْزِمِى مَيّادَ للقوافِى *

فقالت : هذه جنايتك يابن مَن خُبُثَ وشَرّ ، وأهوتْ الى عَصًا تريد ضَرْبه بها ، ففرّ منها وهو يقول :

* يا صِدْقَها ولم تكن صَدُوقَا *

فصِحْتُ به : أيُّهما المعنىّ ؟ فقال : أَضْرَعُهما خَدَّين وألأَمُهما جَدَّين ، فضربتُ جنبها الآخر وقلتُ : فهى إذًا ميّادة ، وخرجتُ أعدو فى أثر الرّمّاح ، وتَبِعَتْنا تَرْمِينا بالحجارة وتفترِى علينا حتى فُتْنَاها .

أصل أمه ميادة وقصة تزوجها أبرد

أخبرنى يحيى بن علىّ بن يحيى قال حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال حدّثنى أبو داود الفَزارىّ : أنّ ميّادة كانت أَمَةً لرجلٍ من كَلْب زوجةً لعَبْدٍ له يقال له نَهْبَل ، ٩٠/٢

(١) يقال : أنبه فانتبه ، ونبه فتنبه . وكان حق الشاعر أن يقول : أتنبه لأنه قال : « أنبه » ومطاوع فعل انما هو تفعل . لكن لما كان أنبه فى معنى أنبه جازله أن يأتى بمطاوعه وهو أنتبه .

(٢) روى برفع « يقال » لأنه أريد منه الحال ، واذا أريد من الفعل بعد حتى الحال رفع . انظر لسان العرب مادة شمط . (٣) ورد هذا الشعر فى لسان العرب فى مادة «شمط» وجاء فيه هذا الشطر عجزا لصدر لم يذكره المؤلف هنا . وأصل البيت :

ثم أُنَزّ حوله وأحتبه * حتى يقال سيد ولست به

والهاء فى قوله « وأحتبه » زائدة للوقف . (٤) امرأة مقلات : ليس لها إلا ولد واحد .

فاشتراها بنو ثَوْبان(١) بن سُرَاقة فأقبلوا بها من الشأم، فلما قَدِموا وصَبَّحوا(٢) بها المُلَيحة (وهى ماءة لبنى سَلْمى ورَحْلِ بنِ ظالم بن جَذِيمة)(٣) نَظَرَ رَجُلٌ من بنى سَلْمَى إليها وهى ناعسة تَمَايَلُ على بعيرها، فقال: ما هذه؟ قالوا: اشتراها بنو ثَوْبان(١)، فقال: وأبيكم إنّها لميادةٌ تميدُ وتميل على بعيرها، فغلَبَ عليها "ميادةُ". وكان أبردُ ضلّةً(٤) من الضلَلِ ورِثّةً(٥) من الرِّثَث جِلْفا لا تَخْلُص إحدَى يديه من الأُخرى، يَرْعَى(٦) على إخوته وأهله، وكانت إخوته كلهم ظُرَفاء غيره. فأرسلوا ميادةَ تَرْعَى الإبلَ معه فوقع عليها، فلم يَشْعُروا بها إلّا حُبْلَى قد أَقْعَسها(٧) بطنُها، فقالوا لها: لِمَنْ ما فى بطنك؟ قالت: لأَبْرَد، وسألوه فجعل يسكُت ولا يُجيبهم، حتّى رمتْ بالزّمّاح فرأَوْا غلاما فَدْغَما(٨) نَجيبا، فأقرّ به أَبْرَدُ. وقالت بنو سَلْمَى: وَيْلَكم يا بنى ثَوْبان(١)! آبتطنوه(٩) فلعله يُنْجِب؛ فقالوا: والله ما له غيرُ ميادَةَ، فبنَوْا لها بيتا وأقعدوها فيه، فجاءت بعد الزماح بثَوْبَان(١) وخليل وبَشير بنى أَبْرَدَ، وكانت أوّلَ نسائه وآخرَهنّ، وكانت آمرأةَ صِدْقٍ، ما رُميت بشىء ولا سُبّت إلا بنَهْبَل. قال عبد الرحمن بن جُهَيْم الأسدىّ فى هجائه ابنَ ميادَةَ:

هجاه عبد الرحمن ابن جهيم الأسدى

لَعَمْرِى لئن شابتْ حَليلةُ نَهْبِلٍ(١٠) * لبئس شبابُ المرءِ كان شبابُها

ولم تدرِ حمراءُ العِجان انْهَبَلَّ(١١) * أبوه أمِ المُرِّىّ تبّ تبابُها

(١) فى ط: «ثريان». (٢) صبحوا بها المليحة: أتوها صباحا. (٣) فى ط: «ابنى».
(٤) كذا فى ط. والضلة: الذى لا خير فيه. وفى سائر النسخ: «ضلة من الضلال». (٥) الرثة: خشارة الناس (سفلتهم) وضعفاؤهم، شبهوا بالردىء من المتاع. (٦) أى يرعى لهم ماشيتهم.
(٧) كذا فى أغلب النسخ. وفى ء، ط: «أقسع» وفى ا، م «أقشع» وكلاهما تحريف ولم نجد فى كتب اللغة التى بين أيدينا أقعس متعديا، ولعله يريد أن بطنها لنتوئه بالحمل جعلها كالقعساء، وهى من يخرج صدرها و يدخل ظهرها، ومنه قولهم للقوس ينتأ بطنها و يدخل ظهرها: قعساء. (٨) الفدغم: الجسيم الطويل فى عظم. (٩) ابتطنوه: أى انجبوه واتخذوا منه ولدا، تقول: ابتطنت الناقة عشرة أبطن أى نتجتها عشر مرات. (١٠) كان هنا زائدة وهى تزاد فى هذا الموضع كقوله:

ولبست سربال الشباب أزورها * ولنعم كان شبيبة المحتال

(١١) العجان: الدبر، وقيل هو ما بين القبل والدبر. وهو سب كان يجرى على ألسنة العرب يقال للأعجمى: يابن حمراء العجان.

هجا بنى مازن فرد عليه رجل منهم

قال أبو داود: وكان ابن مَيّادة هجا بنى مازن وفزارة بن ذُبيان، وذلك أنهم ظلموا بنى الصارِد — والصارد من مُرّة — فأخذوا مالهم وغلبوهم عليه حتى الساعة، فقال ابن مَيّادة:

فلأوردَنّ على جماعة مازنٍ * خيلاً مُقلّصةَ الخُصَى ورجالا
ظلّوا بذى أُرُكٍ(١) كأنّ رءوسهم * شجَرٌ تخطّاه الربيع خلالا

فقال رجل من بنى مازن يردّ عليه:

يابن الخبيثة يابن طَلّةِ(٢) نَهبَلٍ * هلّا جمعتَ كما زعمتَ رجالا
أبَبَظْرِ(٣) مَيْدةَ أم بخُصْيَي نَهبَلٍ * أم بالفُساةِ تُنازِل الأبطالا
ولئن وردتَ على جماعة مازنٍ * تبغى القتال لتَلْقَيَنّ قِتالا

قال: وبنو مُرّة يُسمَّوْن الفُساةَ لكثرة امتيارهم التمر، وكانت منازلهم بين فَدَك وخَيْبَر فلُقّبوا بذلك لأكلهم التمر. وقال يحيى بن علىّ فى خبره — ولم يذكره عن أحد —: وقال ابن مَيّادةَ يفتخر بأمّه:

شعره فى الفخر بنسبه

أنا ابن مَيّادةَ تهوِى نُجُبِى * صَلْتُ(٤) الجبينِ حَسَنٌ مُرَكَّبِى(٥)
ترفعـنى أمى ويمنيـنِى(٦) أبى * فوق السحاب ودُوَيْنَ الكوكبِ

قال يحيى بن علىّ فى خبره عن حمّاد عن أبيه عن أبى داود القَزارِىّ: إنّ ابن مَيّادة قال يفخر بنسب أبيه فى العرب ونسب أمّه فى العجم:

---

(١) ذو أرك (بضمتين): موضع بين تيماء والمدينة، كما فى معجم ما استعجم للبكرى طبع أوروبا ص ٢٠٩
(٢) طلة الرجل: امرأته. (٣) فى ء، ا، م: «أبطن». (٤) صلت الجبين: واضحه. وفى صفة النبىّ صلى الله عليه وسلم أنه كان صلت الجبين. (٥) مركبى: يريد جسمى، ومن هذه المادة قوله تعالى: (فى أى صورة ما شاء ركبك). (٦) يمنينى: يرفعنى.

أليس غلامٌ بين كِسرَى وظالمٍ * بأكرمِ مَن نِيطت عليه التمائمُ[١]

لوَ انّ جميع الناس كانوا بتَلْعةٍ[٢] * وجئتُ بجَدّى ظالمٍ وابنِ ظالمِ

٩١/٢ لظلّت رقابُ الناس خاضعةً لنا * سُجودا على أقدامنا بالجماجمِ

سمع الفرزدق شيئا من شعره فانتحله

فأخبرني هاشم بن محمد الخُزاعيّ قال حدّثنا أبو غسَّان دَماذ[٣] عن أبي عبيدة قال: كان ابن مَيّادة واقفا في المَوْسم يُنشِد:

* لو انّ جميع الناس كانوا بتَلْعَةٍ *

وذكر تمام البيت والذى بعده. قال: والفرزدق واقف عليه في جماعة وهو متلثّم، فلما سمع هذين البيتين أقبل عليه ثم قال: أنت يابن أَبْرَدَ صاحب هذه الصفة! كذَبتَ والله وكذَب مَن سمع ذلك منك فلم يُكذّبك؛ فأقبل عليه فقال: فَمَهْ يا أبا فِراس؛ فقال: أنا والله أوْلَى بهما منك، ثم أقبل على راويته فقال: اضممهما إليك:

لوَ انّ جميع الناس كانوا بتَلْعَةٍ * وجئت بجَدّى دارِمٍ وابن دارمِ

لظلّت رِقابُ الناس خاضعةً لنا * سُجودا على أقدامنا بالجماجمِ

قال: فأطرق ابن مَيّادة فما أجابه بحرف، ومضى الفرزدق فانتحلهما.

كان له أخوان شاعران وقد أتاهم الشعر من قبل جدّهم زهير

أخبرنا يحيى قال حدّثنا حمّاد عن أبيه عن أبي داود قال:

أمّ بني ثَوْبان[٤] — وهم أَبرَد أبو ابن ميّادة والعَوْثبانُ[٥] وقريض وناعضة[٦]، وكان العوثبان وقريض شاعرين — أمّهم جميعا سَلْمَى بنت كَعْب بن زُهَير بن أبي سُلْمى[٧].

---

(١) في هذا الشعر إقواء، وهو اختلاف حركة الرويّ في الاعراب. (٢) التلعة: ما ارتفع من الأرض وأشرف أو ما انهبط منها وانحدر، فهو من الأضداد. وقيل: التلعة مثل الرحبة.

(٣) راجع الحاشية رقم ١ صحيفة ١٥٣ جزء أوّل من هذه الطبعة. (٤) في ط: «ثريان».

(٥) في لسان العرب: العوثبان اسم رجل. ونقل المرتضى هذا في تاج العروس وقال: «قلت وهو تصحيف صوابه عوبثان بتقديم الموحدة» وذكر في مادة عبث اسمين ليس هذا أحدهما.

(٦) في ط: «قريض وناعصة». ولم نعثر على هذين الاسمين. (٧) ذكر صاحب لسان العرب: أنه ليس في العرب سلمى بوزن فعلى (بضم الفاء) غير أبي سلمى هذا.

مهاجاته لعقبة ابن كعب بن زهير

ويقال : إن الشعر أتى ابنَ ميادة عن أعمامه من قِبَل جدّهم زُهَير . قال إسحاق فى خبره هذا : وحدّثنى حُمَيد بن الحارث أن عُقْبة بن كَعْب بن زُهَير نزل المُلَيحة[(١)] على بنى سَلْمى بن ظَالِم فأكلوا له بعيرا، وبلغ ابنَ ميّادة أن عقبة قال فى ذلك شعرا، فقال ابنُ ميّادة يردّ عليه :

ولقد حلفتُ بربِّ مكةَ صادقًا * لولا قرابةُ نِسْـوةٍ بالحاجِرِ[(٢)]
لكسوتُ عُقْبةَ كُسْوةً مشهورةً * تَرِدُ المَنَاهِـلَ من كلامٍ عائرِ[(٣)]

وهى قصيدة؛ فقال له عُقْبة :

ألَوْمًا[(٤)] أننى أصبحتُ خالًا * وذِكْرُ الخال ينقُص أو يزيد
لقد قلّدتُ من سَلْمى رجالًا * عليهم مَسْحَةٌ وهُمُ العبيدُ

فقال ابن ميّادة :

إن تكُ خالنا فقُبِحْتَ[(٥)] خالًا * فأنت الخال تنقُص لا تزيدُ
فيومًا فى مُزَينـة أنت حُرٌّ * ويومًا أنت مَحْتِدُك العبيدُ
أحقُّ الناسِ أن يَلْقَى هَوَانًا * ويؤكلَ مالُه العبدُ الطَّرِيدُ

أوصاف ابن ميادة

قال إسحاق فحدّثنى عَجْرَمة[(٦)] قال : كان ابن ميّادة أحمرَ سَبْطًا[(٧)] عظيم الخَلْق[(٨)] طويلَ اللّحية، وكان لَبَّاسًا عَطِرًا، ما دنوتُ من رجلٍ كان أطيبَ عَرْفًا منه .

(١) مليحة : موضع فى بلاد بنى تميم، وكان به يوم بين بنى يربوع وبسطام بن قيس الشيبانى . ومليحة أيضا : اسم جبل فى غربى سلمى أحد جبلى طيئ وبه آبار كثيرة . (٢) الحاجر : اسم مكان بطريق مكة وهو من منازل الحاج . (٣) عائر : سائر، يقال : قصيدة عائرة أى سائرة . (٤) كذا فى أغلب الأصول، وفى ط : «لوما» . (٥) كذا فى ط وفى سائر النسخ : «قبحت» بتشديد الباء . وقد رجحنا الرواية الأولى لأنه دعاء يجب اقترانه بالفاء . (٦) فى حـ وعلى هامش «أ» : «عكرمة» . (٧) سبطا : طويلا حسن القدّ والاستواء ؛ قال الشاعر :

فجاءت به سبط العظام كأنما * عمامته بين الرجال لواء

(٨) كذا فى حـ . وفى سائر النسخ : «عظيم الخلق طويلا طويل اللحية» ووصفه بالسبوطة مغن عن وصفه بالطول .

مقارنة بينه وبين النابغة

قال إسحاق : وحدّثنى أبو داود قال : سمعت شيخًا عالمًا من غَطَفان يقول : كان الرَّمّاح أشعرَ غَطَفان فى الجاهليـة والإسلام ، وكان خيرًا لقومه من النابغة ، لم يمدح غير قريش وقَيْس، وكان النابغة إنما يَهْذِى باليمن مضلّلا حتى مات .

هو كثير السقط فى شعره

قال إسحاق : وحدّثنى أبو داود أن بنى ذُبْيانَ تزعم أن الرَّمّاح بن مَيّادة كان آخر الشعراء . قال إسحاق : وحدّثنى أبو صالح الفَزارىّ أن القاسم بن جُنْدُب الفَزارِىّ ، وكان عالمًا ، قال لابن مَيّادة : والله لو أصلحتَ شعرك لذُكِرتَ به ، فإنى لأراه كثيرَ السَّقَط[1] ؛ فقال له ابن ميادة : يابنَ جُنْدَب ، إنما الشعر كنَبْلٍ فى جَفِيرِك[2]

٩٢ / ٢

ترمى به الغرضَ ، فطالعٌ وواقعٌ وعاصدٌ[3] وقاصد .

كان فى أيام هشام وبقى الى خلافة المنصور

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهرىّ قال حدّثنا عمر بن شَبَّة قال : كان ابن مَيّادة حديثَ العهد لم يُدرِك زمانَ قُتَيبة بن مُسْلِم ، ولا دخل فيمن عَنَاه حين قال : « أشعرُ قيسٍ الملَقبون من بنى عامر والمنسوبون إلى أمهاتهم من غَطَفان » ، ولكنه شاعر مُجِيدٌ كان فى أيام هِشَام بن عبد الملك وبقى إلى زمن المنصور .

مدح بنى أمية وبنى هاشم

أخبرنا يحيى بن علىّ قال : كان ابن مَيّادة فصيحًا يُحْتَجُّ بشعره ، وقد مدح بنى أمية وبنى هاشم : مدح من بنى أمية الوليدَ بن يَزِيد وعبدَ الواحد بنَ سليمان ، ومدح من بنى هاشم المنصورَ وجعفرَ بن سليمان .

علم أنه شاعر حين وافق الحطيئة فى بيت قاله

وأخبرنى هاشم بن محمد الخُزَاعىّ قال حدّثنا الرِّيَاشىّ عن الأصمعىّ قال أخبرنى طَمّاحُ ابن أخى الرَّمّاح بن مَيّادة قال :

قال لى عمى الرَّمّاح : ما علمتُ أنى شاعرٌ حتى واطأتُ[4] الحطيئة ، فإنه قال :

عفا مُسْحُلانُ من سُلَيمى فحَامِرُهْ * تَمَشَّى به ظِلْمانُه وجآذِرُهْ

---

(١) فى ط : « والله لقد حددت بشعرك وذكرت به وإنى لأراه كثيرا لسقط » . والمجدود : المحظوظ المبخوت . (٢) الجفير : ما توضع فيه السهام . (٣) كذا فى أغلب النسخ ، والعاصد : الملتوى الذى لا يصيب الهدف . وفى ط : « وقاصد وقاصر » . (٤) أى وافقته .

فوالله ما سمعته ولا رويته فواطأته بطبعى فقلتُ :

فذو العُشّ(١) والممدورُ(٢) أصبح قاوِيًا(٣) ✻ تَمَشّى بــه ظِلْمانُهُ وجآذِرُهْ

فلما أنشدتُها قيل لى : قد قال الحطيئة :

✻ تَمَشّى به ظلمانه وجآذره ✻

فعلمتُ أنى شاعرٌ حينئذ .

كان ينسب بأم جحدر وشعره فيها

أخبرنى الحرمىّ بن أبى العلاء قال حدّثنا الزبير بن بكّار قال حدّثنى موسى بن زُهَير بن مُضَرّس قال : كان الرَّمّاح بن أَبْرَد المعروف بابن مَيّادة يَنْسُبُ بأمّ جَحْدَر بنت حَسّان المُرِّيّة إحدى نساء بنى جَذِيمة، فحلف أبوها لَيُخرجنّها الى رجل من غير عشيرته ولا يزوّجها بنجد، فقدِمَ عليه رجلٌ من الشام فزوّجه إياها، فلقِىَ عليها ابنُ ميّادة شدّة، فرأيته وما لَقِىَ عليها، فأتاها نساؤها يَنْظُرْنَ إليها عند خروج الشامىّ بها. قال : فوالله ما ذَكَرْنَ منها جمالا بارعا ولا حُسْنا مشهورا، ولكنّها كانت أكسبَ الناس لِعَجَب . فلما خرج بها زَوْجُها إلى بلاده اندفع ابن ميّادة يقول :

أَلَا ليتَ شِعْرِى هل إلى أمّ جَحْدَرٍ ✻ سبيلٌ فأما الصبرُ عنها فلا صَبْرَا(٤)

إذا نزلتْ بُصْرَى تراخَى مَزارُها ✻ وأغلقَ بوّابانِ مِن دُونها قَصْرَا

---

(١) ذو العش، ذكر ياقوت فى معجم البلدان : أنه من أودية العقيق بنواحى المدينة . وذكر البكرى فى معجم ما استعجم ص ٦٨٤ : أنه موضع ببلاد بنى مُرة دون حرة النار بليلة، وأنشد عليه قول ابن ميادة :

فلم ترعينى مربعا بعــد مربع ✻ بذى العش لو كان النعيم يدوم

(٢) الممدور : موضع فى ديار غطفان . (٣) قاويا : مقفرا خاليا . (٤) هذا البيت اورده سيبويه شاهدا على أن الحجازيين ينصبون المفعول لأجله المعرّف كما ينصبون المنكر . والشاهد فى قوله « الصبر » فانه منصوب على المفعول له . وبنو تميم لا ينصبون المعرّف ويرفعون الصبر فى البيت على أنه مبتدأ . (انظر كتاب سيبويه ج ١ ص ١٩٣ طبع بولاق) .

فهـل تأتينّى الريحُ تَدْرُجُ مَوْهِنًا * بِرِيّاكِ تَعْرَوْرِى بهـا جَرَعًا عُفْـرَا (١)

قال الزبير : وزادنى عمّى مُصْعَب فيها :

فلو كان نَذْرٌ مُدْنِيًـا أمَّ جَحْدَرٍ * إلىّ لقـد أَوْجَبتُ فى عُنُقِى نَذْرَا
ألا لا تَلُطِّى (٢) السِّـتْرَ يا أمَّ جَحْـدَرٍ * كَفَى بذُرَا الأعلام مِنْ دُوننا سِـتْرَا
لَعمرِى لئن أمْسيتِ يا أمَّ جَحْدَرٍ * نأيتِ لقـد أبليتُ فى طابٍ عُذْرَا
فَبَهْرًا لقومى إذ يبيعون مُهْجتى * بغانيـةٍ (٣) بَهْرًا لهم بعـدَها بَهْـرَا

قال الزبير: بَهْرًا هاهنا : يدعو عليهم أن ينزل بهم من الأمور ما يَبْهَرُهم ، كما تقول : جَدْعًا وعَقْرا . وفى أول هـذه القصيدة — على ما رواه يحيى بن علىّ عن حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن حُمَيد بن الحارث — يقول :

٩٣/٢

ألا لا تَعُـدْ لِى لَوْعَةٌ مثلُ لَوْعَتِى * عليكِ بأَدْمَى والهوى يَرْجِعُ الذِّكْرَا
عَشِيَّـةَ أَلْوِى بالرِّداء على الحَشَا * كأنّ رِدائِى مُشْعَلٌ دونه جَمْـرَا

تزوج أم جحدر وما قاله ابن ميادة فى ذلك

قال حُمَيـد بن الحارث : وأمّ جَحْدَر امرأة من بنى رَحْل بن ظالم بن جَذِيمة بن يَرْبوع بن غَيْظ بن مُرّة .

---

(١) كذا فى ى ، ا . وتعرورى : تركب ، يقال : اعرورى الفرس أو البعير أى ركبه عريا واستعاره تأبط شرا للمهلكة فقال :

يظل بموماة ويمسى بغيرها * جحيشا ويعرورى ظهور المهالك

ويقال : اعرورى منى أمرا قبيحا أى ركبه . ولم يجئ فى الكلام افعوعل متعديا الا اعروريت واحلوليت المكان اذا استحليته . وفى باقى النسخ «تعرونى» وهو تحريف وجرع (بالتحريك) : جمع جرعة (بالتحريك أيضا) ، وهى الأرض ذات الحزونة تشاكل الرمل ، وقيل : الرملة السهلة المستوية . (٢) كذا فى ى ، ولا تلطى : لا ترخى ، يقال : لط الستر اذا أرخاه وسدله . وفى باقى النسخ «لا تاظى» بالظاء المعجمة ، وهو تحريف . (٣) فى م ، ا : «بجارية» .

أخبرنى يحيى بن علىّ قال حدّثنا حماد بن إسحاق عن أبيه وأخبرنى الحرمىّ بن أبى العلاء عن الزبير عن موهوب[(1)] بن رشيد عن جبر[(2)] بن رباط النَّعامىّ: أن أمّ جَحْدر كانت آمرأة من بنى مُرّة ثم من بنى رَحْل، وأنّ أباها بلغه مصيرُ ابنِ ميّادة إليها، فحلف ليزوّجنّها رجلا من غير ذلك البلد، فزوجها رجلا من أهل الشأم فاهتداها[(3)] وخرج بها إلى الشأم، فتبعها ابنُ ميّادة، حتى أدركه أهلُ بيته فردّوه مُصْمِتاً[(4)] لا يتكلم من الوَجْد بها، فقال قصيدة أوّلها:

خَليلَىَّ من أَبْناءِ[(5)] عُذْرَةَ بَلِّغَا * رسائلَ منّا لا تَزِيدكما وِقْرَا[(6)]
أَلِمّا على تَيْماءَ نَسْأَلْ يَهُودَها * فإنّ لدى تيماءَ من رَكْبِها خُبْرَا[(7)]
وبالغَمْر قد جازتْ وجازَ مَطِيُّها * عليه فسَلْ عن ذاك نَيّانَ[(8)] فالغَمْرَا
ويا ليتَ شِعْرِى هل يَحُلَّنّ أهلُها * وأهلُكَ رَوْضاتٍ ببطنِ اللِّوَى خُضْرَا

قصة عشقه لها

أخبرنى الحرمىّ بن أبى العلاء قال حدّثنى أبو سَعيد (يعنى عبد الله بن شَبيب) قال حدّثنى أبو العالية الحسن بن مالك وأخبرنى به الأخفش عن ثعلب عن عبد الله ابن شبيب عن أبى العالية الحسن بن مالك الرِّياحىّ العُذْرىّ قال حدّثنى عمر بن وَهْب العَبْسىّ قال حدّثنى زياد بن عثمان الغطفانىّ من بنى عبد الله بن غَطَفان قال: كنّا بباب بعض وُلاة المدينة فغَرِضْنا[(9)] من طُول الثَّواء، فإذا أعرابىّ يقول:

---

(1) كذا ورد هذا الاسم هنا فى جميع النسخ وقد تقدّم قريبا باسم «مرهوب بن سيد». انظر الحاشية رقم ٥ ص ٢٦١ من هذا الجزء. (2) كذا فى أغلب النسخ. وفى ء، ط: «جزء». (3) كذا فى ط. واهتدى الرجل امرأته اذا جمعها وضمها اليه، من هداء العروس وهو زفها الى زوجها. وفى سائر النسخ: «فأهداها». (4) مصمتا: صامتا. (5) كذا فى ا، م وفى سائر النسخ «أفناء» وهو تحريف. (6) الوقر (بالكسر): الثقل يحمل على الظهر. (7) الخبر (بالضم والكسر): العلم بالشىء. (8) نيان والغمر: موضعان ببادية الشأم قرب تيماء. وقد روى ياقوت فى معجمه بيت ابن ميادة هكذا:

وبالغمر قد جازت وجاز حمولها * فسق الغوادى بطن نيان فالغمرا.

(9) غرضنا: ضجرنا، يقال: غرض منه غرضا فهو غرض اذا ضجر منه وقلق.

يا معشَرَ العرب ، أمَا منكم رجلٌ يأتيني أعلّله إذ غَرِضْنا من هذا المكان فأُخبره عن أم جَحْدَر وعنّي ؟ فجئتُ إليه فقلتُ : مَن أنت ؟ فقال : أنا الرَّمّاحُ بنُ أَبْرَد ، قلت : فأخبرني ببَدْء أمركما ، قال : كانت أم جَحْدَر من عَشيرتي فأعجبتني ، وكانت بيني وبينها خُلّة ، ثم إني عَتَبْتُ عليها في شيء بلغني عنها ، فأتيتها فقلتُ : يا أم جَحْدَر إنّ الوَصْل عليكِ مَرْدود ؛ فقالت : ما قَضَى الله فهو خَيْر . فلبِثْتُ على تلك الحال سنة ، وذهبتْ بهم نُجْعَةٌ فتباعدوا ، واشتقتُ إليها شوقا شديدا ، فقلتُ لامرأة أخٍ لي : والله لئن دَنَتْ دارُنا من أم جَحْدَر لآتينّها ولأطلبنّ إليها أن تردّ الوَصْل بيني وبينها ، ولئن رَدَّته لا نَقَضْتُه أبدا ، ولم يكن يومان حتى رَجَعُوا ، فلمّا أصبحتُ غَدَوْتُ عليهم فإذا أنا ببيتين نازلين إلى سَنَدِ(١) أبرقَ طويلٍ ، وإذا امرأتان جالستان في كِساءٍ واحدٍ بين البيتين ، فجئتُ فسلّمتُ ، فردّتْ إحداهما ولم تردّ الأخرى ، فقالت : ماجاء بك يا رمّاح إلينا ؟ ما كنّا حَسِبنا إلّا أنه قد انقطع ما بيننا وبينك ؛ فقلتُ : إني جعلتُ عليّ نَذْرًا لئن دَنَتْ بأم جَحْدَر دارٌ لآتينّها ولأطلبنّ منها أن تَرُدَّ الوصلَ بيني وبينها ، ولئن هي فعلَتْ لا نَقَضْتُه أبدًا ، وإذا التي تكلّمني امرأةُ أخيها وإذا الساكتة أم جَحْدَر ، فقالت امرأة أخيها : فادخُلْ مُقَدَّم البيت فدخلتُ ، وجاءتْ فدَخَلَتْ من مُؤخَّره فدَنَتْ قليلا ، ثم إذا هي قد بَرَزَتْ ، فساعةَ بَرَزَتْ جاء غرابٌ فنعب على رأس الأَبْرَق فنظرتْ إليه وشَهَقَتْ وتغيّر وجهها ؛ فقلتُ : ما شأنكِ ؟ قالتْ : لا شيء ؛ قلتُ : بالله إلّا أَخْبَرْتِني ؛ قالت : أرى هذا الغرابَ يخبرني أنّا لا نجتمع بعد هذا اليوم إلّا ببلد غير هذا البلد ؛ فتَقَبَّضَتْ نفسي ، ثم قلتُ : جاريةٌ والله ما هي ٩٤/٢

(١) السند : ما ارتفع من الأرض من قبل الجبل أو الوادي ؛ وقيل : السند : ما قابلك من الجبل وعلا عن السفح . والأبرق من الجبال : ما كان له لونان من سواد وبياض . وقال ابن الأعرابي : الأبرق : الجبل مخلوطا برمل .

فى بيت عِيافة (١) ولا قِيافة (٢)، فأقمتُ عندها، ثم تروّحتُ (٣) إلى أهلى فمكثت عندهم يومين، ثم أصبحتُ غاديا إليها، فقالت لى آمرأة أخيها: وَيْحَك يا رمّاح! أينَ تذهب؟ فقلتُ: إليكم، فقالت: وما تريدُ؟ قد والله (٤) زُوِّجَتْ أمُّ جَحْدر البارحة، فقلت: بِمَنْ وَيْحَك؟ قالت: برجل من أهل الشام من أهل بيتها، جاءهم من الشام فخطبها فزُوِّجَها وقد حُمِلَتْ إليه، فمضيتُ إليهم فإذا هو قد ضرب سُرَادِقات، فجلستُ إليه فأنشدتُه وحدّثته وعدتُ إليه أياما، ثم إنه احتملها فذهب بها فقلتُ:

أجارتَنَا إنَّ الخطوبَ تَنُوبُ * علينا وبعضَ الآمنين تُصيبُ
أجارتَنا لَسْتُ الغَداةَ بِبارِحٍ * ولكنْ مُقيمٌ ما أقامَ عَسيبُ (٥)
فإن تسألِينِى هل صبَرْتَ فإننى * صَبورٌ على رَيْبِ الزمانِ صَليبُ

قال علىّ بن الحسين: هذه الأبيات الثلاثة أغارَ عليها ابنُ مَيّادة فأخذها بأعيانها، أما البيتان الأوّلان فهما لآمرئ القيس قالهما لمّا آحْتُضِر بأنْقِرَةَ فى بيتٍ واحد وهو:

أجارتنا إن الخطوبَ تَنُوبُ * وإنّى مُقيمٌ ما أقام عَسيبُ

والبيت الثالث لشاعر من شعراء الجاهلية، وتمثل به أمير المؤمنين علىّ بن أبى طالب عليه السلام فى رسالة كتب بها إلى أخيه عَقِيل بن أبى طالب، فنقله ابن مَيّادة نقلا. ونرجع إلى باقى شعر آبن ميّادة:

جَرَى بانْبِتَاتِ الحَبْلِ من أمّ جَحْدَرٍ * ظباءٌ وطيرٌ بالفِراق نَعُوبُ
نظرتُ فلم أَعْتَفْ وعافتْ فبيّنَتْ * لها الطيرُ قبلى واللبيبُ لبيبُ

---

(١) العيافة: زجر الطير والتفاؤل بأسمائها وأصواتها وممرّها. والمعروف بالعيافة من العرب بنو أسد وبنو لهب وهم حىّ من الأزد (انظر اللسان مادة عاف وشرح الشواهد الكبرى للعينى بهامش خزانة الأدب البغدادىّ ص ١٥٩ ج ١). (٢) القيافة: تتبع الآثار ومعرفتها. والقائف هو الذى يتتبع الآثار ويعرفها ويعرف شبه الرجل بأبيه وأخيه. والمعروف بالقيافة من العرب بنو مدلج قبيلة من كنانة. (٣) تروّحت: سرت. (٤) يفصل بين قد والفعل بالقسم كقوله:

أخالد قد والله أوطأت عشوة * وما قائل المعروف فينا يعنف

(٥) عسيب: اسم جبل بعالية نجد، يقال: لا أفعل كذا ما أقام عسيب، أى لا أفعله أبدا.

فقالت حرامٌ أن نُرَى بعد هذه * جميعَيْنِ إلا أن يُلِمَّ غريبُ
أجارتَنا صبرًا فيارُبَّ هالكٍ * تَقَطَّعُ من وَجْدٍ عليه قلوبُ

رحل الى الشام لرؤيتها فردته

قال: ثم انحدرْتُ فى طلبها، وطَمِعتُ فى كلمتها: "إلّا أن نجتمع فى بلد غير هذا البلد". قال: فجئت فدُرْتُ الشأمَ زمانًا فتلقانى زوجُها فقال: مالك لا تغسِل ثيابَك هذه! أرسلْ بها إلى الدار تُغْسَل، فأرسلتُ بها؛ ثم إنّى وقفت أنتظر خروج الجارية بالثياب، فقالت أمُّ جحدر لجاريتها: إذا جاء فأعْلِمِينى؛ فلما جئتُ إذا أمُّ جَحْدَرٍ وراءَ الباب فقالت: وَيْحَكَ يارَمَّاح! قد كنتُ أحسَب أن لك عقلا! أَمَا ترى أمرًا قد حِيل دونه وطابت أنفسُنا عنه؟ اِنصرفْ إلى عشيرتك فإنّى أستحيي لك من هذا المُقام؛ فانصرفتُ وأنا أقول:

صـوت

عسى إن حَجَجْنا أن نرى أمَّ جَحْدَرٍ * ويجمَعَنا من نَخْلَتَيْنِ(1) طَرِيقُ
وتَصْطَكَّ أعضادُ المَطِىِّ وبيننا * حديثٌ مُسَرَّدٌ دونَ كلِّ رَفِيـقِ(2)

فى هذين البيتين لحنٌ من الثقيل الثانى ذكر الهشامىّ أنه لِلحَجَبِىّ(3).

شعره فيها

95
2
وقال حينَ خرج إلى الشأم — هذه رواية ابن شَبيب(4) —:

ألا حيِّيا رَسْمًا بذى العُشِّ(5) مُقْفِرا * وربعًا بذى المَمْدُورِ(5) مستعجِمًا قَفْرَا

---

(1) النخلتان: واديان عن يمين بستان ابن عامر وشماله، ويقال لهما النخلة اليمانيـة والنخلة الشاميـة. (2) فى هـذين البيتين إقواء وهو اختلاف حركة الروى. وقد نسب ياقوت فى اسم «نخلتين» من معجمه هذين البيتين الى القُفَاف بن بُرْمَة من بنى عوف بن عمرو بن كلاب الكلابىّ.

(3) كذا فى ء. وهو الموافق لما تقدم فى ج ١ ص ١٩، ١٨٥ من الأغانى طبع دار الكتب ولما سيأتى فى ج ١٤ ص ١٧٥ أغانى طبع بولاق. وفى سائر النسخ: «للحجنى» بالنون.

(4) كذا فى ط. وفى سائر النسخ: «ابن حبيب» ولم يتقدم لابن حبيب ذكر فى هـذا السند وانما الذى تقدم ذكره فى سند هذا الخبر فى صفحة ٢٧٢ هو عبد الله بن شبيب. (5) انظر الكلام عليهما فى الحاشيتين ١ و ٢ بصفحة ٢٧٠ من هذا الجزء.

فأعجبُ دارٍ دارُها غيرَ أننى * إذا ما أتيتُ الدار تَرجِعُنى صِفْرا[١]
عشيةَ أَثْنِي بالرِّداء على الحَشَى * كأنّ الحشى من دُونه أُسْعِرتْ جَمْرا[٢]
يَمِيلُ بنا شَحْطُ النَّـوَى ثم نلتقِى * عِدادَ الثُّرَيَّا[٣] صادفتْ لـيلةً بدْرا
وبالغَمْرِ قـد جازتْ وجاز مطيُّها * فأسْقَى الغَوادِى بَطْنَ نَيَّانَ فالغَمْرا
خَليـلَىَّ من غَيظ[٤] بن مُرَّةَ بلِّغا * رسائلَ مِنِّى لا تَزِيدُكُما وِقْـرا
ألا ليت شعرى هل إلى أمِّ جَحْدرٍ * سَبِيلٌ[٥]، فأما الصبرُ عنها فلا صَبْرا
فإن يَكُ نَذْرٌ راجعًا أمَّ جَحْـدَرٍ * علىّ لقـد أَوْذمتُ[٦] فى عُنُقى نَذْرا
وإنى لأستنشى[٧] الحديثَ من آجْلِها * لأسمعَ منها[٨] وهى نازِحةٌ ذِكْرا
وإنى لأستحيى من الله أن أُرَى * إذا غدرَ الخُلَّانُ أَنوِى لها غَدْرا

---

(١) الصفر (مثلث الصاد) : الشىء الخالى، يقال : بيت صفر من المتاع أى خال، ورجل صفر اليدين أى ليس فيهما شىء. وهو مأخوذ من الصفير وهو الصوت الخالى عن الحروف. (٢) تقدم هذا البيت فى ص ٢٧١ برواية أخرى غير هذه الرواية. (٣) العرب تقول : ما يأتينا فلان إلا عداد القمر الثريا وإلا قران القمر الثريا أى ما يأتينا فى السنة إلا مرة واحدة، أنشد أبو الهيثم لأسيد بن الحلاحل :

اذا ما قارن القمر الثريا * لثالثة فقد ذهب الشتاء

قال أبو الهيثم : وإنما يقارن القمر الثريا لليلة ثالثة من الهلال وذلك أول الربيع وآخر الشتاء. وقيل هى ليلة فى كل شهر تلتقى فيها الثريا والقمر. وفى الصحاح : وذلك أن القمر ينزل الثريا فى كل شهر مرة. قال ابن برّى : صوابه أن يقول : لأن القمر يقارن الثريا فى كل سنة مرة وذلك فى خمسة أيام من آذار. قال ابن منظور : رأيت بخط القاضى شمس الدين أحمد بن خلكان : هذا الذى استدركه الشيخ على الجوهرىّ لا يرد عليه لأنه قال : إن القمر ينزل الثريا فى كل شهر مرة، وهذا كلام صحيح لأن القمر يقطع الفلك فى كل شهر مرة ويكون كل ليـلة فى منزلة والثريا من جملة المنازل فيكون القمر فيها فى الشهر مرة. (٤) تقدمت رواية هذا البيت قريبا : «خليلىّ من أبناء عذرة». (٥) كذا فى ح، ا، م. وفى باقى النسخ «وسيل» والرسيل : الرسالة كما روى عن ثعلب. (٦) أوذمت : أوجبت، يقال : أوذم على نفسه حجا أو سفرا أى أوجبه. (٧) أستنشى الحديث : أتعرفه وأبحث عنه، ومنه المستنشية للكاهنة، لأنها كانت تستنشى الأخبار أى تبحث عنها. (٨) كذا فى جميع الأصول ولعله : «عنها».

أخبرني محمد بن مَزْيد قال حدّثنا حمّاد عن أبيه قال أنشدني أبو داود لابن مَيّادة وهو يضحك منذ أنشدني إلى أن سكت :

ألم تر أنّ الصارديّةَ[1] جاورتْ * ليالىَ بالممدور غيرَ كثيرِ
ثلاثًا فلمّا أن أصابتْ فؤاده * بسهمين من كُحْلٍ دعتْ بهجيرِ
بأصهبَ[2] يرمى للزّمام برأسه * كأنّ على ذِفْراه[3] نَضْخَ[4] عبيرِ
جلتْ إذ جلت عن أهل نجدٍ حميدةً * جَلاءَ غنىً لا جلاءَ فقيرِ
وقالت وما زادتْ على أن تبسمتْ * عَذيرَك[5] من ذى شَيْبةٍ وعَذيرِى
عَدِمتُ الهوى ما يبرح الدهرَ مُقْصِدًا[6] * لقلبى بسَهْمٍ فى اليدين طَريرِ[7]
وقد كان قلبى مات للوَجْد مَوْتةً * فقد همَّ قلبى بعدَها بنُشورِ

قال : فقلت : ما أضحكك ؟ فقال : كذب ابنُ مَيّادة ، والله ما جلَتْ إلّا على حمار وهو يذكر بعيرا ويَصِفه وأنها جَلَتْ جلاءَ غنىً لا جلاءَ فقيرٍ ، فأنطقه الشيطان بهذا كلّه كما سمعت .

---

(١) الصاردية : نسبة الى بنى صارد وهم حىّ من بنى مرة بن عوف بن غطفان ، ومنهم الشاعر حنش بن قراد الصاردىّ . (٢) الصهبة فى لون الإبل : أن يعلو الشعر حمرة وأصوله سود فاذا دهن خيل اليك أنه أسود . وقيل : هى أن يحمرّ الشعر كله . (٣) الذفرى : الموضع الذى يعرق من البعير خلف الأذن . (٤) يقال : نضخت الثوب نضخا (من بابى ضرب ونفع) اذا بللته ، كالنضح بالحاء . وقد اختلف فى أيهما أكثر ، والأكثر أن النضخ بالمعجمة أقل من النضح بالمهملة . وفرق الأصمعىّ بينهما فقال فى النضخ : إنه لا يتصرف فلا يرد منه فعل ولا فاعل فلا يقال الا أصابنى نضخ من كذا . (٥) يقال : عذيرك من فلان بالنصب أى هات من يعذرك منه اذا جازيته بصنعه . (٦) مقصدا : مصيبا قاتلا ، تقول : أقصدت الرجل اذا رميته أو طعنته بسهم فلم تخطئ مقاتله . وفى ط : «موفقا» يقال : أوفق السهم و بالسهم إيفاقا : وضع الفوق فى الوتر ليرمى كأنه مقلوب أفوق ، ولا يقال أفوق على الأصل إلا نادرا . وفى ا ، م : «موشقا» يقال أوشق الشىء فى الشىء اذا نشب فيه .
(٧) السهم الطرير : المحدّد .

أخبرنى الحَرَمىّ قال حدّثنا الزُّبَير بن بَكّار قال حدّثنى موسى بن زُهَير قال : مكثتْ أمّ جَحْدر عند زوجها زمانا ثم مات زوجُها [عنها](١) ومات ولدُها منه، [فقدمتْ نجدا على إخوتها وقد مات أبوها](٢) .

قص على سيار خبره معها آخر عهده بها حتى تزوجت

أخبرنى سَيّار بن نجيح المُزَنىّ(٣) قال : لقيتُ ابن مَيّادة وهو يبكى فقلت له : وَيْحَك ! مالك ؟ قال : أخرجتْنِى أمّ جحدر وآلتْ يمينًا ألّا تكلّمنى ، فانطلِقْ فاشفعْ لى عندها ؛ فخرجتُ حتى غَشِيتُ رِوَاقَ بيتها فوجدتُها وهى تَدْمُك(٤) جَرِيرًا لها بين الصَّلَاية(٥) والمُدُق تريد أن تَخْطِم به بعيرًا تحُجّ عليه ؛ فقالت : إن كنت جئت شَفِيعًا لابن مَيّادة فبيتى حرامٌ عليك أن تُلْقِىَ فيه قدمَك . قال : فخرجتُ ، ولا والله ما كلمتْه ولا رآها ولا رأته . قال موسى قال سَيّار : فقلت له : اذكُرْ لى يومًا رأيتَه منها ؛ فقال لى : أمَا والله لأخبرنّك يا سَيّار بذلك : بعثتُ إليها عجوزًا منهم فقلتُ : هل تَرَيْنَ من رجالٍ ؟ فقالت : لا والله ، ما رأيتُ من رجل ؛ فألقيتُ رَحْلى على ناقتى ثم أرسلتُها حتى أَنَخْتُها بين أطنابِ بيتهم ؛ ثم جعلتُ أقيّد الناقة ، فما كان إلا ذاك حتى دخلتُ وقد ألقتْ لى فراشًا مرقوما(٦) مطموما(٧) ، وطرحتْ لى وسادتين على عَجُز الفِراش وأخريين على مقدّمه ؛ قال : ثم تحدّثنا ساعة وكأنما تُلْعِقُنِى بحديثها الرُّبَّ(٨) من حلاوته ، ثم إذا هى تَصُبّ فى عُسٍّ(٩) مخضوبٍ بالحِنّاء والزعفران من ألبان اللِّقاح ، فأخذتُ منها ذلك

٩٦
٢

(١) الزيادة عن ح . (٢) هذه الزيادة فى ح ، س ، م ، أ . (٣) لم نعثر فيه على ضبط خاص . وقد سمى بنجيح كزبير وكأمير . (٤) تدمك : ترقق وتلين . والجرير : حبل من أدم ملين يخطم به البعير . (٥) الصلاية : كل حجر عريض يدق عليه عطر أو حنظل . (٦) هذه الكلمة سقطت من ط . (٧) كذا فى جميع الأصول ولعله محرف عن « منضودا » أو نحو ذلك . (٨) الرب بالضم : دبس الرطب اذا طبخ . وفى ح : « وكأنما تلعقنى الزبد » . (٩) العس : القدح الضخم يروى الثلاثة والأربعة والعدة . وفى الحديث أنه « كان يغتسل فى عس حزر ثمانية أرطال أو تسعة » .

العُسّ وكأنه قناةٌ فراوحتُه بين يدىّ، ما ألقمتُه فمى ولا دَرَيْتُ أنه معى حتى قالت لى عجوز : ألا تصلّى يابنَ ميادة لا صلَّى الله عليك فقد أظلّك صَدْر النهار[١]! ولا أحسَب إلا أنّنى فى أول البُكْرة، قال: فكان ذلك اليومُ آخرَ يومٍ كلّمتُها فيه حتى زوّجها أبوها، وهو أظرفُ[٢] ما كان بينى وبينها.

أخبرنى الحَرَمىّ بن أبى العَلاء قال حدّثنا الزُّبَير بن بكّار قال حدّثنى حَكَم[٣] بن طَلْحة الفَزَارِىّ ثم المَنْظُورِىّ قال :

قال ابن مَيّادة : إنّى لأعلم أقصرَ يومٍ مرّ بى من الدهر، قيل له : وأىُّ يوم هو يا أبا الشُّرَحْبِيل؟ قال: يومٌ جئتُ فيه أمَّ جَحْدرٍ باكرًا فجلستُ بفِنَاء بيتها فدعتْ لى بعُسٍّ[٤] من لبن فأُتيتُ به وهى تحدّثنى، فوضعتُه على يدى وكرهتُ أن أقطع حديثَها إن شربتُ، فما زال القدح على راحتى وأنا أنظر إليها حتى فاتتْنى صلاةُ الظهر[٥] وما شربت.

قال الزبير: وحدّثنى أبو مسلمة[٦] موهوب بن رَشِيد بمثل هذا، وزاد فى خبره : وقال ابن ميّادة فيها أيضا :

ألم تر أن الصارِدِيّةَ جاورتْ * ليالىَ بالمَمْدُور غيرَ كثيرِ
ثلاثًا فلما أن أصابتْ فؤادَه * بسهمينْ من كحلٍ[٧] دعتْ بهَجيرِ

---

(١) كذا فى س ، م ، أ . وفى سائر النسخ : «الرجال» وهو تحريف . (٢) فى ء ، ط : «أطرف» بالطاء المهملة . (٣) فى حـ : «حكيم» ، ولم نعثر على ترجيح إحدى الروايتين . (٤) العس : القدح الضخم . (٥) فى ء ، ط : «حتى فاتتنى الأولى وما شربت» . والأولى هى صلاة الظهر . وفى الحديث أنه صلى الله عليه وسلم كان يصلى الهجير التى تدعونها الأولى حين تدحض الشمس ، وفسرها القسطلانىّ فى ج ١ ص ٦٢٠ بصلاة الظهر، وقال : لأنها أول صلاة فى إمامة جبريل عليه السلام . (٦) كذا فى ط وهو الموافق لما تقدم باتفاق الأصول . وفى سائر النسخ : «أبو سلمة» . (٧) كذا روى فيما تقدّم قريبا وفى أغلب الأصول «لغب» بالغين المعجمة ولم يظهر له معنى مناسب . وفى ء : «من لعب» بالعين المهملة .

بأحمر ذَيّالِ(١) العَسِيبِ مفرَّجِ(٢) * كأنَّ على ذِفْراه نَضْخَ عَبِيرِ
حلفتُ بربِّ الراقصاتِ إلى مِنًى * زَفِيفَ القطا يقطعْنَ بطنَ دَبِيرِ(٣)
لقد كاد حبُّ الصارِديّةِ بعدما * علا في سَوادِ الرأسِ نَبْذُ قَتِيرِ(٤)
يكون سَفاهًا أو يكونُ ضَمانةً(٥) * على ما مضى من نعمةٍ وعُصُورِ
عدِمتُ الهوى لا يَبْرَحُ الدهرَ مُقْصِدًا * لقلبي بسهمٍ في الفؤاد طَرِيرِ
وقد كان قلبي مات للحب موتةً * فقد هَمَّ قلبي بعدها بنُشُورِ
جَلَتْ إذ جلت عن أهلِ نَجْدٍ حميدةً * جلاءَ غَنِيٍّ لا جلاءَ فقيرِ

ومما يغنَّى فيه من أشعار ابن مَيّادة في النَّسيب بأمّ جَحْدَرٍ [قوله](٦) :

صوت

ألا يا لَقَوْمي للهوى والتذكُّرِ * وعينٍ قَذَى إنسانِها أمُّ جَحْدَرِ(٧)
فلم ترَ عيني مثلَ قلبيَ لم يَطِرْ * ولا كضلوعٍ فوقه لم تُكَسَّرِ

الغناء لإسحاق ثقيلٌ أوّلُ بالوسطى .

جاءه سيار في حمالة فرأى جاريته وسمع شعره فيها

أخبرنا الحَرَميّ بن أبي العَلاء قال حدّثنا الزُّبَير بن بَكّار قال حدّثنا حَكيم(٨) بن طَلْحة الفَزاريّ عن رجل من كَلْب قال :

---

(١) تقدم هذا البيت قريبا في ص ٢٧٧ برواية أخرى . (٢) الذيال : طويل الذيل . والعسيب : عظم الذنب ، وقيل منبت الشعر منه . والمفرج : ما بان مرفقه عن إبطه ، قال الشاعر :

متوسدين زمام كل نجيبة * ومفرّج عرق المقذ منوّق

(٣) الهبير : رمل زرود في طريق مكة . (٤) القتير : المشيب . وأصل القتير رءوس مسامير حلق الدروع تلوح فيها ، شبه بها الشيب اذا نقب في سواد الشعر . ونبذ القتير : الشيء القليل منه ، يقال : في اللحية نبذ من شيب ، أي قليل . (٥) الضمانة : البلاء . (٦) الزيادة عن ح .

(٧) لعل المراد أن أم جحدر سبب جريان دموعه كما أنّ القذى يقع في العين فتسيل دموعها .

(٨) كذا في أغلب الأصول « حكيم » بالياء . وفي ا ، م : « حكم » ولم نعثر على ترجيح إحدى الروايتين . وقد تقدّم قريبا باسم حكم في أغلب النسخ .

جنيتُ جنايةً فغرِمتُ فيها، فنهضتُ إلى أخوالى بنى مُرّة فاستعنتُهم فأعانُونى، فأتيتُ سَيَّار بن نجيح أحدَ بنى سَلْمى بنِ ظالِم فأعانى، ثم قال: انهض بنا إلى الرَّمّاح ابن أَبْرَد — يعنى ابنَ مَيّادة — حتى يُعينَك، فدَفَعْنا[1] إلى بيتين له، فسألنا عنه فقيل: ذهَب أمسِ؛ فقال سَيَّار: ذهب الى أَمَةٍ[2] لبنى سُهَيل، فخرجنا فى طلبه

٩٧/٢ فوقفْنا[3] عليه فى قَرارةٍ[4] بيضاء بين حَرَّتين، وفى القَرارة غَنَمٌ من الضأنِ سُودٌ وبِيضٌ، وإذا حمارٌ مقيَّد مع الغنم وإذا به معها، فجلسْنا فإذا شابّة حلوة صفراء فى دُرّاعة مُورَّسة[5]، فسلّمْنا وجلسْنا، فقال: أَنْشِديهم مما قلتُ فيكِ شيئا، فأنشدتْنا:

يُمَنُّونَنِى منكِ اللقاءَ وإننى * لأَعلَمُ لا ألقاكِ من دونِ قابِلِ
إلى ذاكَ ما حارتْ أمورُكِ وانجلتْ * غَيَابةُ[6] حُبِّكِ انجلاءَ المخايِلِ[7]
إذا حلَّ أهلى بالجِنَاب[8] وأهلُها * بحيث التقَى الغُلّانُ[9] من ذى أرائِلِ[10]
أقولُ خُلَّةٌ بانتْ وأدْبر وصلُها * تقطَّعُ منها باقياتُ الحبائِلِ
وحالتْ شهورُ الصيفِ بينى وبينها * ورفعُ الأعادِى كلَّ حقٍّ وباطِلِ

---

(١) دفع الى كذا: انتهى اليه. (٢) كذا فى أ، م، ى. وفى ط «أمة بنى سهيل» بالاضافة. وفى باقى النسخ: «أمه» بالهاء، وهو تحريف. وسياق الحكاية بعد يدل على ذلك.

(٣) فى أ، م، ى، ط «فوقفنا» بالفاء. (٤) القرارة: المطمئن من الأرض. وقال أبو حنيفة: القرارة: كل مطمئن اندفع اليه الماء فاستقرّ فيه. (٥) مورّسة: مصبوغة بالورس وهو نبت أصفر يكون باليمن. (٦) الغيابة: كل ما أظلك من سحاب أو غبرة أو نحوهما. وفى الأصول: «غيابة». (٧) المخايل: جمع مخيلة وهى السحابة التى اذا رأيتها حسبتها ماطرة.

(٨) الجناب بكسر الجيم: أرض لغطفان كما نقل أبو حاتم عن الأصمعىّ، وقيل أرض بين فزارة وكلب. وقيل أرض لفزارة وعذرة. ويدل على أن لعذرة فيه شركة قول جميل لبثينة: ما رأيت عبد الله ابن عمرو بن عثمان يخترعلى البلاط إلا غرت عليك وأنت بالجناب. وكان عبد الله هذا فائق الجمال.

(٩) الغلان بالضم: منابت الطلح، وهى أودية غامضة فى الأرض ذات شجر واحدها غال وغليل.

(١٠) كذا فى ب. وفى س، حـ: «أرايل» بالياء من غير همز. وفى أ، م، ط: «أذابل» بالباء الموحدة، ولم نجد فى معجم ياقوت ولا معجم ما استعجم للبكرى ولا فى كتب اللغة التى بين أيدينا موضعا يسمى بشىء مما جاء فى هذه الأصول.

أقـول لعـذّالىَ لمـا تقابـلا * علىَّ بلوْمٍ مثلِ طعنِ المَعابِلِ(١)
لا تُكثِرا(٢) عنهـا السـؤالَ فإنهـا * مُصَلصِلةٌ(٣) من بعض تلك الصَّلاصِلِ(٤)
من الصُّفرِ لا ورْهاءُ(٥) سَمْجٌ(٦) دَلالُها * وليستْ من السُّودِ القِصارِ الحَوائِلِ(٧)
ولكنّها ريحانةٌ طاب نَشْرُها * وردتُ عليها بالضُّحى والأَصائِلِ

ثم قال لها : قُومِى فاطرَحِى [عنكِ](٨) دُرّاعتكِ ، فقالت : لا حتى يقولَ لى سَيّار بن نجيح ذلك ، فأبى سَيّار ؛ فقال له ابن ميادة : لئن لم تفعل لا قضيتُ حاجتكما ، فقال لها فقامت فطرحتْها ، فما رأيتُ أحلى منها . فقال له [سَيّار](٩) : فمالك يا أبا الشَّرْحَبِيل لا تشتريها ؟ فقال : إذًا يفسُد حبُّها .

ابن ميادة وصخر ابن الجعد الخضرى

أخبرنى الحَرَمىّ قال حدّثنا الزُّبَير قال حدّثتنى مُغيرةُ بنتُ أبى عَدِىّ بن عبد الجبّار ابن مَنْظور بن زَبّان(١٠) بن سَيّار الفَزارِيّة قالت أخبرنى أبى قال :

جمعنى وٱبنَ مَيّادة وصَخرَ بن الجَعْد الخُضْرِىّ مجلسٌ ، فأنشدنا ابن مَيّادة قولَه :

يُمنّونَنِي منـكِ اللقاءَ وإننى * لأعلَمُ لا ألقاكِ من دونِ قابِلِ

(١) كذا فى ط المعابل جمع معبلة ، والمعبلة : نصل طويل عريض ، وفى باقى الأصول « المعاول » .
(٢) كذا فى ء ، ط . وفى ا ، م : « فلا تكثرن » وفى سائر النسخ « ألا تكثرا » .
(٣) مصلصلة : مصوّتة . (٤) قال الليث : الصلصل : طائر تسميه العجم الفاختة ، و يقال : بل هو الذى يشبهها . وقال الأزهرى : الصلصلة والعكرمة والسعدانة : الحمامة . (٥) ورهاء : خرقاء بالعمل ، من الوره وهو الحمق . (٦) السمج : الذى لا ملاحة فيه . (٧) الحوائل : جمع حائلة وهى المتغيرة اللون ، يقال : رجل حائل اللون اذا كان أسود متغيرا وحال لونه أى اسودّ .
(٨) الزيادة عن ا ، م . (٩) الزيادة عن ا ، حـ . (١٠) كذا فى شرح القاموس للسيد مرتضى مادة « نظر » وكتاب المعارف لابن قتيبة ص ٥٥ وفى ب ، ا ، حـ : « زيان » وسيرد كذلك فى مواضع متعدّدة من كتاب الأغانى . وفى سـ : « ريان » . والظاهر أنهما تحريف .

فأقبل عليه صخر فقال له : المحبّ المُكبّ يرجو الفائتَ ويَغِمُ الطيرَ[(١)]، وأراك حسنَ العَزَاء يا أبا الشُّرَحْبيل، فأعرض عنه ابنُ ميّادة . قال أبو عَدِيّ فقلت :

صادَفَ دِرْءُ[(٢)] السَّيْلِ سيلاً يَدْرَعُهْ * بهَضْبةٍ تَرُدُّه وتَدْفَعُهْ

— ويروى : دِرْءُ[(٣)] السيل سيلٌ — فقال لى[(٤)] : يا أبا عديّ، والله لا أتلطّخ بالخُضْرِ مرّتين وقد قال أخو عُذْرة :

هو العبدُ أقصى همّه أن تسُبَّه * وكان سِبابُ الحرّ أقصى مدى العَبْدِ

قال الزبير : قوله يغِمُ الطير[(١)] يقول : إذا رأى طيراً لم يزجُرْها مخافةَ أن يقع ما يكره . قال : فلم يُحِرْ إليه صَخْر بن الجَعْد جوابا . يعنى بقوله : «لا أتلطخ بالخُضْر مرّتين» مُهاجاتَه الحَكَمَ الخُضْرِيّ، وكانا تَهاجَيا زماناً ثم كفَّ ابنُ ميّادة وسأله الصلحَ فصالحَه الحكَمُ .

ابن ميادة والحكم الخضرى وبدء تهاجيهما

أخبرنى الحرمىّ[(٥)] بن أبى العَلَاء قال حدّثنا الزُّبَير بن بَكّار قال حدثنى أبو مَسْلمةَ موهوبُ[(٦)] بن رَشِيد عن عبد الرحمن بن الأحول التغلبىّ ثم الخَوْلانىّ قال :

كان أوّل ما بدأ الهجاءُ بين ابن ميّادة وحكَم بن مَعْمر الخُضْرىّ أن ابنَ ميّادة مرّ بالحَكَم بن مَعْمر وهو يُنْشِد فى مصلَّى النبىّ صلى الله عليه وسلم فى جماعة من الناس قولَه :

---

(١) فى جميع النسخ : «يعم» بالعين المهملة، وهو تحريف (انظر الحاشية رقم ١ ص ١٣٨ من الجزء الأول من الأغانى طبع دار الكتب المصرية) . (٢) كذا فى ى . يقال : درأ السيل درءا اذا اندفع . وفى بقية الأصول : «دبر» . والدبر : آخر الشىء . وقد جاء هذا البيت فى تاج العروس مادة «درأ» هكذا :

صادف درء السيل سيل يدفعه * يهضبة طورا وطورا يمنعه

(٣) كذا فى ى . وفى ب : «ويروى درّ السيل فقال الخ» . وفى ا ، م : «ويروى درّ السيل سيل فقال الخ» . (٤) كذا فى ط . وفى باقى الأصول : «له» . (٥) كذا فى ا ، م ، ى ، وهو المعروف بالرواية عن الزبير بن بكار . وفى ب ، س ، حـ : «الحكم بن أبى العلاء» وهو تحريف من النساخ . (٦) كذا فى أغلب النسخ . وفى حـ : «مرهوب» بالراء . وقد تقدم هذا الاسم مرارا .

٨/٢ لمن الديارُ كأنها لم تُعْمَرِ * بين الكِنَاسِ[1] وبين بُرْقِ[2] مُحَجَّرِ[3]

حتى انتهى الى قوله :

يا صاحبىَّ ألم تَشِيما بارِقًا * نُضِحَ الصُّرَادُ[4] به فهَضْبُ المَنْحَرِ[5]

قد بتُّ أَرْقُبُه وبات مصعِّدًا * نَهْضَ المقيَّدِ فى الدَّهاسِ[6] المُوقَرِ[7]

---

(١) الكناس : موضع من بلاد غنىّ . قال جرير :

لمن الديار كأنها لم تحلل * بين الكناس وبين طلح الأعزل

كذا فى معجم ياقوت فى اسم «الكناس» . وقال البكرىّ فى معجم ما استعجم : هو موضع ينسب اليه رمل الكناس فى بلاد عبد الله بن كلاب ، قاله ابن الأعرابىّ وأنشد للأعور بن براء من بنى عبد الله ابن كلاب : رمتنى وسِترُ الله بينى وبينها * عشيةَ أحجار الكناس رميمُ

(٢) البُرَق بضم ففتح (وسكنت الراء هنا للضرورة) : جمع برقة وهى أرض غليظة مختلطة بحجارة ورمل . قال ابن شميل : الغالب على حجارتها البياض وفيها حجارة سود وحمر وترابها أبيض وأعفر وهو يبرق بلون حجارتها . ويحتمل أن يراد بالبرق واحده وهى البرقة فان برقة قد يذكرها الشاعر بلفظ بُرَق . ولهذا الاستعمال شواهد كثيرة (انظرها فى تاج العروس مادة برق) . (٣) محجر (بكسر الجيم المشددة وروى بفتحها) : اسم لمواضع كثيرة ذكرها ياقوت فى اسم المحجر . (٤) كذا فى معجم ما استعجم للبكرىّ فى اسم الصراد وقد ضبطه بضم أوّله وتخفيف ثانيه وقال إنه موضع تلقاء يأجج ثم أنشد هذا البيت ، وقال بعد أن أنشده : هكذا نقلته من خط يعقوب : بضم الصاد ، ورواه القالى عن ابن عرفة بكسرها وأنشد للجعدى :

أسدية ترعى الصراد اذا * صافت وتحضر جانبى شعر

فذكر أنها من منازل بنى أسد . وفى ب ، س ، حـ ، أ « المزار » : وفى ء ، م ، ط : « المزاد » . (٥) هضب المنحر : هضاب حمر فى أرض بنى ثعلبة ذكرها البكرىّ فى معجم ما استعجم ص ٣٩٨ وأنشد عليها هذا البيت . (٦) الدهاس : المكان السهل اللين ليس برمل ولا تراب ولا طين لاينبت شجرا وتغيب فيه القوائم ويثقل فيه المشى . والموقر : المثقل ، وهو صفة للقيد .

(٧) ورد هذا البيت فى معجم البكرى ص ٣٩٨ :

ركب السحاب وظل ينهض مصعدا * نهض المعبد فى الدهاس الموقر

والمعبد : البعير المذلل .

فقال [له] (١) ابن مَيَّادة : ارفعْ الىّ رأسَك أيها المنشِد، فرفع حَكَم إليه رأسَه؛ فقال له : من أنت؟ قال : أنا حكم بن معمر الخُضْرِىّ؛ قال : فوالله ما أنت فى بيتِ حسبٍ، ولا فى أُرُومةِ شِعْرٍ؛ فقال له حَكَم : وما ذا عِبت من شـعرى؟ قال : عِبْتُ أنك أَدْهستَ وأَوْقرتَ؛ قال له حكم : ومن أنت؟ قال أنا ابن مَيّادة؛ قال : ويحك! فلم رَغِبتَ عن أبيك وآنتسبتَ إلى أمك؟ قبّح الله والدينِ خيرُهما ميّادة، أَمَا والله لو وجدتَ فى أبيك خيرا ما آنتسبتَ إلى أمك راعيةِ الضأن. وأما إدهاسى و إيقارِى فإنى لم آتِ خَيْبَرَ إلّا مُمْتارًا لا مُتَحامِلا (٢)، وما عدوتَ أن حكيتَ حالَك وحالَ قومِك، فلو [كنتَ] (٣) سكتَّ عن هذا لكان خيرًا لك وأبقى عليك. فلم يفترقا إلا عن هِجاء.

أخبرنى الحَرَمِىّ قال حدّثنا الزُّبير قال حدّثنا عبد الله بن إبراهيم الجُمَحِىّ قال حدّثنى عُمَير (٤) بن ضَمْرة الخُضْرِىّ قال :

أولُ ما هاج الهجاءَ بين ابنِ مَيّادة وبين حَكَم بن مَعْمَر بن قَنْبَر بن جَحّاش بن سَلَمة بن ثَعْلبة بن مالك بن طَرِيف بن مُحَارِب ـ قال : والخُضْر ولد مالك بن طَرِيف، سُمُّوا بذلك لأن مالكا كان شديد الأُدْمة، وكذلك خرج ولدُه فسُمُّوا الخُضْر ـ أن حَكَمًا نزل بسُمَيرِ (٥) بن سَلَمة بن عَوْسَجة بن أَنَس بن يَزِيدَ بن مُعَاوية بن سَاعِدة بن عَمْرو وهو خُصَيلة بن مُرّة. فأقبل ابنُ مَيّادة إلى حَكَم ليَعْرِضَ عليه شعرَه وليسمعَ (٦) من شعره، وكان حَكَم أسنَّهما، فأنشدا جميعا جماعةَ القوم، ثم قال ابن مَيّادة : والله لقد أعجبني بيتان قلتَهما يا حَكَم؛ قال : أو ما أعجبك من شعرى إلا بيتان! فقال :

(١) الزيادة عن حـ . (٢) يقال : تحامل أى تكلف الحمل بالأجرة، ومنه الحديث : «كان اذا أمرنا بالصدقة انطلق أحدنا الى السوق فتحامل» . أى تكلف الحمل بالأجرة ليكسب ما يتصدق به .
(٣) الزيادة عن حـ . (٤) فى حـ : «عميرة» . (٥) فى أ ، م : «شمير» بالشين المعجمة . (٦) كذا فى ط . وفى باقى الأصول : «ليعرض عليه شعره أو يسمع الخ» .

والله لقد أعجبانى، يردّد ذلك مرارا لا يزيده عليه؛ فقال له حكم: فأىُّ بيتين هما؟ قال: حين تُسَاهِمُ بين ثوبيها وتقول:

فوالله ما أدرِى أَزِيدتْ مَلاحَةً * وحُسنًا على النِّسوان أم ليس لى عقلُ
تَساهَم ثوباها ففِى الدِّرعِ غادةٌ * وفى المِرْط لفَّاوانِ رِدْفُهما عَبْلُ

(١) (٢) (٣) (٤)

فقال له حَكَم: أَوَ ما أعجبك غير هذين البيتين؟ فقال له ابن مَيّادَة: قد أعجبانى، فقال: أوَ ما فى شعرى ما أعجبك غيرُهما؟ فقال: لقد أعجبانى؛ فقال له حَكَم: فإنى سوف أعيب عليك قولك:

ولا بِرح المَنْدور ريّان مُخْصِبًا * وجِيدَ أَعالِى شِعْبه وأسافلُهْ (٥)

فاستسقيتَ لأعلاه وأسفلِه وتركتَ وسطَه وهو خير موضع فيه؛ فقال: وأىّ شىء تريد! تركتُه لا يزال ريّان مُخْصِبا؛ وتهاترا فغضب حَكَم فارتحل ناقته وهدَر (٦) ثم قال:

* فإنه يومُ قَرِيضٍ ورَجَزْ *

فقال رجل من بنى مُرّة لابن ميّادة: اهدِرْ كما هدَر يا رمّاح، فقال: إنما يَغِطّ (٧) البَكْر. ثم قال الرَّمّاح:

فإنه يومُ قَرِيضٍ ورَجزْ * مَن كان منكم ناكِزًا فقد نكَزْ
* وبيَّن الطِّرْفُ النَّجيب فبَرَزْ *

(١) تساهم ثوباها: تقارعا وتقاسما. (٢) الدرع: الثوب الصغير تلبسه الجارية فى بيتها. (٣) كذا فى أغلب النسخ، والغادة: الفتاة الناعمة اللينة. وفى ط، ء، حـ: «رادة» والرادة: الشابة الحسنة السريعة الشباب مع حسن غذاء. (٤) المرط: كساء يؤتزر به، ولفاوان: تثنية لفاء وهى الفخذ الضخمة. (٥) جيد: سقى مطرا جودا أى غزيرا. (٦) هدر الفحل: صوت فى غير شقشقة. وفى الصحاح: ردّد صوته فى حنجرته. (٧) يغط: يهدر فى شقشقته. والبكر: الفتىّ من الإبل.

قالَ الزُّبَيْر : يريد بقوله ناكزا : غائضا قد نزف . قال الزُّبَيْر : وسمِعت رجلا من

٩٩/٢ أهل البادية يَنْزِع على إبِلٍ له كثيرة مِن قَلِيب و يرتجز :

قد نَكَزَتْ أن لم تكن خَسِيفَا[(١)] * أو يَكُنِ البحرُ لها حَلِيفَا

قالَ الزُّبَيْر قال الجُمَحِىّ قال عُمَيْر بن ضَمْرة[(٢)] : فهذا أوّل ماهاج التهاجِىَ بينهما .

فضلت أم جحدر ابن ميادة على الحكم وعملس فهجواها

قالَ الزُّبَيْر قال الجُمَحِىّ: وحدّثنى عبد الرحمن بن ضَبْعان المُحارِبىّ قال : كان ابن ميّادة وحَكَم الخُضْرِىّ وعَمَلَّس بن عَقِيل بن عُلَّفَة[(٣)] مُتَجاوِرِين مُتَحالِّين، وكانوا جميعا يَتحدّثون إلى أم جَحْدَر بنت حسّان المُرِّيّة، وكانت أمها مَوْلاة، ففَضَّلت ابنَ ميّادة على الحَكَم وعَمَلَّس فغضِبا . وكان ابن ميّادة قال فى أم جَحْدَر :

أَلَا ليت شِعرِى هل إلى أم جَحْدَر * سبيلٌ فأمّا الصَّبْرُ عنها فلا صَبرا

ويا ليت شِعْرى هل يَحُلَّنّ أهلُها * وأهلُكَ رَوْضاتٍ ببطن اللِّوَى خُضْرا

وقال فيها [أيضاً][(٤)] :

إذا رَكَدتْ شمسُ النهار ووضَّعتْ[(٥)] * طَنافِسَها ولَيْنها الأَعْيُنَ الخُزْرا

الأبيات ، فقال عَمَلَّس بن عَقِيل وحَكَم الخُضْرِىّ يهجُوانها — وهى تُنسب إلى حَكَم — :

لَا عُوفِيتْ[(٦)] فى قبرها أم جَحْدَرٍ * ولا لَقِيَتْ إلّا الكَلالِيبَ[(٧)] والجَمْرَا

كما حادثتْ عبدًا لئيما وخِلتُه * مِن الزاد إلّا حَشْوَ رَيطاته صِفْرا

(١) الخسيف : البئر التى تحفر فى الحجارة فلا ينقطع ماؤها كثرة (٢) فى حـ : «عميرة ابن ضمرة» . وفى ا ، م ، ى ، ط : «غيث بن ضمرة» (٣) كذا ورد فى القاموس مادة علف بضم العين وفتح اللام المشدّدة فى علفة هذا والد عقيل ، وعلفة والد المستورد الخارجى ، ولكن ابن الأثير فى تاريخه طبع ليدن ج ٣ ص ٣٥٣ قال فى ضبط علفة والد المستورد : إنه بضم العين المهملة وتشديد اللام المكسورة وفتح الفاء . (٤) الزيادة فى حـ (٥) وضعت طنافسها : نضدتها ونظمتها . (٦) كذا فى ط وهذه الرواية وإن كان فيها خرم أظهر وأنسب بقوله «ولا لقيت» بعده وفى باقى الأصول «ألا عوقبت» . (٧) الكلاليب : جمع كلوب وكلاب ، وهو هنا الحديدة المعطوفة كالخطاف .

فياليتَ شِعرِى هل رأت أمُّ جَحْدَرٍ * أكُشْتَك[١] أو ذاقت مَغابِنك[٢] القُشْرا[٣]
وهل أبصرتْ أرْساغَ[٤] أبْرَدَ أو رأت * قفا أمّ رمّاح إذا ما استقت[٥] دَفْرا[٦]
وبالغَمْر قد صَرّت[٧] لِقاحًا وحادثتْ[٨] * عبيدا فسَلْ عن ذاك نيّان[٩] فالغَمْرا

وقال عَمَلّس بن عَقِيل بن عُلَّفَة ويقال: بل قالها عُلَّفَة بن عَقِيل:

فـلا تضعا عنهـا الطنافسَ إنمـا * يُقَصِّر بالمِرْماة[١٠] مَن لم يكن صَـقْرًا

وزاد يحيى بن علىّ مع هـذا البيت عن حمّاد عن أبيه عن جرير بن[١١] رَبَاط وأبى داود قال: يُعرِّض بقوله: «مَن لم يكن صَقْرا» بابن مَيّادة أى إنه هَجِين ليس من أبوَيْن متشابهَيْن كما الصقر. وبعدَه بيت آخَرُ من رواية يحيى[١٢] ولم يَرْوه الزُّبَيْر معه:

مُنَعَّمةٌ لم تَلْقَ بؤسًا وشِـقْوةً * بنجدٍ ولم يَكْشِف هَجِينٌ لها سِتْرَا

قالوا جميعا: فقال ابن مَيّادة يهجو عُلَّفَة:

أعُلَّفَ إنّ الصقر ليس بمُـدْلِجٍ * ولـكنه بالليـل مُتّخِذٌ وَكْرَا
ومُفْتَرِشٌ بين الجنـاحين سَـلْحَهُ * إذا الليل ألقَى فوق خُرطومه كِسْرا[١٣]

---

(١) لم نهتد الى تحقيق هذه الكلمة، وقد بحثنا عن هذا الشعر فى الأمالى والكامل والمفضليات وشرح الحماسة فلم نجده، ولعلها «كشيثك» وهو الشعر الكثيف. (٢) المغابن: الآباط والأرفاغ وهى بواطن الأفخاذ، واحدها مغبن. (٣) القشر: جمع أقشر وهو الشديد الحمرة أو الأبرص. (٤) الأرساغ: جمع رسغ وهو مفصل ما بين الكف والذراع وقيل مجتمع الساقين والقدمين وقيل هو مفصل ما بين الساعد والكف والساق والقدم. (٥) كذا فى جميع الأصول ولعلها محرفة عن: «اتقت». (٦) دفرا: دفعا، يقال: دفرته فى قفاه دفرا أى دفعته. (٧) تقول: صررت الناقة أى شددت عليها الصرار وهو خيط يشدّ فوق الخلف لئلا يرضعها ولدها. (٨) فى ط: «وجاذبت» وهو تحريف. (٩) كذا فى ء. وفى ب، س، حـ: «زيان» وفى م: «تبيان» وانظر الحاشية رقم ٨ ص ٢٧٢ من هذا الجزء. (١٠) المرماة: سهم يتعلم به الرامى. وفى حـ: «بالموماة» وهى المفازة الواسعة. (١١) فى ء، ط: «جبر بن رباط» وقد تقدّم هذا الاسم قريبا كذلك. (١٢) كذا فى أغلب النسخ. وفى س، ب، ط: «على بن يحيى» وقد تقدّم فى أول السند «يحيى بن على» وفيما يأتى أيضا «يحيى بن على». (١٣) الكسر فى الأصل: الشقة السفلى من الخباء، و يراد هنا أن الليل غطاه وستره.

فإنْ يكُ صقرا بعد ليلة أمّه * وليلة جَحّافٍ فأُفٍّ(١) له صقرا

تَشُدّ بكفّيها على جِذْل أَيْرِه * إذا هي خافت من مَطِيّتها نَفْرا

يريد أنّ أمّ عُلَّفَة من بني أَنْمار، وكان أبوه عَقِيلُ بن عُلَّفَة ضربها، فأرسلت إلى رجل من بني أَنْمار يقال له جَحّاف، فأتاها ليلا فاحتملها على جمل فذهب بها.

وقال يحيى بن عليّ خاصّة في خبره عن حمّاد عن أبيه عن أبي داود: إنّ جَحّاف بن إِياد كان رجلا من بني قِتَال بن يَرْبوع بن غَيْظ بن مُرّة، وكان يتحدّث إلى آمرأة عَقِيل بن عُلَّفَة - وهي أمّ ابنه عُلَّفَة بن عَقِيل - ويُتّهم بها، وهي آمرأة من بني أَنْمار بن

١٠٠/٢ بَغِيض(٢) بن رَيْث بن غَطَفان يقال لها سُلَافَة، وكانت من أحسن الناس وجها، وكان عَقِيل من أَغْيَر الناس، فربطها بين أربعة أَوْتاد ودهَنها بإهالة(٣)، وجعلها في قرية نَمْل(٤)، فمرّ بها جَحّاف بن إياد [ليلا](٥) فسمع أنينها، فأتاها فاحتملها حتى طرحها بفَدَك، فاستعدت واليَها على عَقِيل. وقام عَقِيل من جوف الليل فأوقد عُشْوة(٦) ونظرها فلم يجدها ووجد أثر جَحّاف فعرفه وتبعه حتّى صَبّح القرية، وخَنَس جَحّاف عنها، فأتى الواليَ فقال: إنّ هذه رأتني قد كَبِرتْ [سِنّي](٧) وذهب بصري فاجترأتْ عليّ، وكان عَقِيل رجلا مَهِيبا فلم يعاقبه الوالي بما صنعه لمَوْضعه من صِهْر بني مَرْوان. قال: فعيّر ابنُ مَيّادة عُلَّفَة بن عقيل بأمر جَحّاف هذا في قوله:

فإنْ يكُ صقرا بعد ليلة أمّه * وليلة جَحّاف فأُفٍّ له صقرا

---

(١) كذا في ط وقد نص في القاموس وشرحه على التسمية به. وفي سائر النسخ: جحاف بتقديم الحاء على الجيم ولم نعثر على أنه سمي به. (٢) في ب، س، ح: «بني أنمار من بعيض» وهو تحريف، لأن بغيضا ولد ذبيان وعبسا وأنمارا، كما في المعارف لابن قتيبة طبع أوروبا ص ٣٩ (٣) الإهالة: الشحم المذاب. (٤) قرية النمل: ما يجمعه النمل من التراب. (٥) الزيادة عن ا، ء، م، ج. (٦) العشوة (بالضم والكسر): النار يستضاء بها، قال أبو زيد: ابغونا عشوة أي نارا نستضيء بها. (٧) الزيادة في ح. والذي في سائر الأصول: «كبرت».

قال: ولجّ(١) الهجاءُ بينهما. وقال فيه ابن ميّادة وفى حَكَم الخُضْرِىّ وقد عاون عُقَّفة:

لقــد ركب الخُضْرِىُّ مِنّى وتربُه * على مَرْكَبٍ من نابيات المَراكِبِ

وقال لعُقَّفة:

يا بن عقيــل لا تكن كَذُوبَا * أأن شربتَ الحَزْر(٢) والحَليبا
من شَوْل(٣) زيد وشممْتَ الطِّيبا * جَهْــلًا تجنّيتَ لِىَ الذنوبا

قال: ثم لم يَلْبَثْه ابنُ ميّادة أن غلبه، وهاج التهاجى بينه وبين حَكَم الخُضْرِىّ، وانقطع عنه عُقَّفة مفضوحا. قال: وماتت أمّ جَحْدَر التى كان يَنْسُب(٤) بها ابن ميّادة على تَفِيئَة(٥) ما كان بينه وبين عُقَّفة من المُهاجاة، ونُعِيتْ له فلم يُصدّق حتّى أتاه رجل من بنى رَحْل يقال له عمّار فنعاها له، فقال:

ما كنتُ أحسَب أنّ القوم قد صدقوا * حتّى نعاها لىَ الرَّحْــلِىُّ عمّارُ

وقال يرثيها:

خَلَتْ شُعَبُ المَمْدُور لستَ بواجدٍ * به غيرَ بالٍ من عِضاهٍ(٦) وحَرْمَلِ
تمنّيتَ أنْ تَلْــقَى به أمّ جَحْــدَرٍ * وماذا تمنّى من صَدًى تحت جَنْدَلِ
فلَلْمــوتُ خيرٌ من حياةٍ ذَميمــةٍ * ولَلْبخلُ خيرٌ من عَناء مُطــوّلِ

أخبرنى الحَرَمىّ قال حدّثنا الزُّبَير قال حدّثنى عبد الله بن إبراهيم عن ساعدة ابن مرمئ(٧)، وذكره إسحاق أيضا عن أصحابه:

---

(١) لجّ: تمادى واستمرّ. (٢) كذا فى ء، حـ. والحزر من اللبن: ما كان فوق الحامض. وفى ب، سـ: «الجزر» بالجيم وهو تصحيف. (٣) الشول: النوق التى خف لبنها وارتفع ضرعها وأتى عليها سبعة أشهر أو ثمانية من يوم نتاجها، فلم يبق فى ضروعها الا شول من اللبن أى بقية منه مقـدار ثلث ما كانت تحلب حدثان نتاجها، واحدتها شائلة وهو جمع على غير قياس. (٤) كذا فى ط. وفى سائر النسخ: «يتشبب». (٥) على تفيئة: على حين، يقال: أتيته على تفيئة ذلك أى على حينه وزمانه. (٦) العضاه والحرمل: نوعان من الشجر. (٧) كذا فى أغلب النسخ. وفى م، ا هكذا: «مراين» ولم نهتد اليه، ولم تذكر هذه الكلمة فى ط.

أن ابن مَيَّادة وحَكَمًا الخُضْرِىَّ تواعَدا المدينةَ ليتواقَفَا[١] بها، فتواقفا بها وجاء نَفَرٌ من قريش - أمهاتُهم من مُرَّة - الى ابن مَيَّادة فمنعوه من مُوَاقفة حَكَم، وقالوا: أتتعرض له ولست بكُفْئِه فيشتم أمهاتِنا وأخوالَنا وخالاتنا وهو رجلٌ خبيثُ اللسان! - قال: وكان حَكَم يَسْجَع سَجْعا كثيرا - فقال: والله لئن واقفتُه لأسجعَنّ به قبلَ المُقَارضة سَجْعا أفضَحُه به فلم يَلْقَه. وذكر الزُّبير له سَجْعا طويلا غَثًّا لا فائدةَ فيه، لأنه ليس برَجَز منظوم ولا كلامٍ فصيح ولا مسجّع سَجْعا مؤتلفا كائتلاف القوافى، إلا أن من أسْلَمه قولَه: والله لئن ساجعتَنى سِجَاعا، لتجدنِّى شُجَاعا، للجار مَنَّاعا، ولأجدنّك هَيَّاعا[٢]، للحَسَب مِضْياعا؛ ولئن باطشْتُك بِطَاشا، لأُدْهِشَنَّك إدهاشا، ولأدُقَّنّ منك مُشَاشا[٣]، حتى يجىء بولُك رَشَاشا. وهذا من غَثّ السَّجْع ورَذْلِه، وإنما ذكرتُه ليُسْتدلّ به على ما هو دونه مما ألغيتُ ذكره. قال: ورجزبه فقال:

١٠١/٢

يامعدِنَ اللؤم وأنت جَبَلُه * وآخرَ اللؤم وأنت أوّلُهْ
جاريتَ سَبَّاقا بعيدًا مَهَلُه * كان اذا جارَى أباك يُفْشِلُهْ[٤]
فكيف ترجوه وكيف تأمُلُهْ * وأنت شرُّ رجلٍ وأنذَلُهْ
ألأمُه فى مأزِقٍ وأجهلُهْ * أدخله بيتَ المخازى مُدْخِلُهْ
فاللؤم سِرْبالٌ له يُسَرْبَلُهْ * ثوبًا اذا أنهجه[٥] يُبدِّلُهْ

---

(١) التواقف كالمواقفة: أن يقف معك وتقف معه فى حرب أو خصومة. (٢) هو صيغة مبالغة من هاع يهيع هيعا وهيوعا اذا جبن وفزع: وقد ورد فى كتب اللغة من هذه المادة هائع وهاع.
(٣) المشاش: رءوس العظام مثل الركبتين والمرفقين والمنكبين. (٤) يفشله: يجعله فشلا أى ضعيفا ناكلا عن المجاراة، ولم نجد فى كتب اللغة التى بين أيدينا كاللسان والقاموس أفشل متعديا ولكن دخول همزة النقل على الفعل اللازم قياسىّ كما حققه ابن هشام فى مغنى اللبيب. (انظر حاشية الصبان على شرح الأشمونى فى باب تعدى الفعل ولزومه) أو لعله «يفسله» بمعنى يرذله أى يجعله مرذولا.
(٥) أنهجه: أبلاه وأخلقه.

فأجابه حَكَم[(١)] :

يابنَ التى جيرانها كانت تَصُرّ[(٢)] * وتَتْبَعُ الشَّوْلَ وكانت تَمتَصِرْ[(٣)]

* كيف اذا مارسْتَ حُرًّا تنتصِرْ *

ولهما أراجيزُ كثيرةٌ طويلةٌ جدًّا أسقطتُها لكثرتها وقلة فائدتها .

خرج الحكم الى الرقم للقاء ابن ميادة ولما لم يلقه تهاجيا

أخبرنى الحَرَمى قال حدّثنا الزُّبير عن عبد الله بن ابراهيم قال :

أخبرنى بعضُ من لقيت من الخُضْر : أن حكما الخضرىّ خرج يريد لِقاءَ ابنِ مَيّادة بالرَّقَم[(٤)] من غير موْعد فلم يَلْقَه ، إمّا لأنه تغيّب عنه و إما لأنه لم يصادفه ، فقال حكم :

فَرّ ابنُ مَيّادةَ الرَّقطاءِ من حَكَمٍ * بالصُّغْرِ[(٥)] مثلَ فِرارِ الأَعْقَدِ الدَّهِم[(٦)]

أصبحتَ فى أُقُرٍ[(٧)] تَعلُو أطاوِلَه * تَفِرُّ منّى وقد أصبحتُ بالرَّقَمِ

وقال إسحاق فى روايته عن أصحابه : قال ابن مَيّادة يهجو حَكَمًا وينسُبُ بأم جَحْدَرٍ :

يمنّونَنِي منكَ اللقاءَ وإننى * لأَعلمُ لا أَلقاكَ من دون قابِلِ

(١) فى ا ، ء ، م ، ط : « وقال أيضا » والظاهر صحة الرواية المثبتة فى الأصل .

(٢) فى ط : « يابن التى حياتها كانت تصر » وصر الناقة ربط أخلافها لئلا يرضعها ولدها .

(٣) كذا فى ا ، ء ، م . والامتصار : حلب الناقة أو الشاة بأطراف الأصابع الثلاث أو بالإبهام والسبابة . وفى سائر النسخ : « تمتضر » بالضاد وهو تصحيف .

(٤) الرقم : جبال دون مكة بديار غطفان واسم ماء عندها أيضا ، كذا قال ياقوت فى معجمه فى اسم «رقم» . وقال البكرىّ فى معجم ما استعجم ص ٤٢ : الرقم : موضع بالحجاز قريب من وادى القرى كانت فيه وقعة لغطفان على عامر .

(٥) كذا فى ا ، ء ، م والصغر كالصغار : الذل والهوان . وفى سائر النسخ : «الصعر» بالعين المهملة وهو تصحيف .

(٦) الأعقد يقال على التيس الذى فى قرنه أو ذنبه التواء . و يقال على الكلب والذئب لانعقاد ذنبهما وكل ملتوى الذنب فهو أعقد ، ولم نجد فى مادة «دهم» وصفا على وزن فعل أو فعل ولعله محرف عن (الزهم) وهو ذو الرائحة المنتنة .

(٧) أقر (بضمتين) : واد ابنى مرة .

وقد مضى أكثر هذه الأبيات متقدما، فذكرتُ هاهنا منها مالم يمض وهو قولُه:

فياليت رَثَّ الوصلِ من أم جَحْدرٍ * لنا بجديدٍ من أُولاكَ البَدائلِ
ولم يَبْقَ مما كان بيني و بينها * من الوُدِّ إلا مُخْفَيَاتُ الرسائلِ
و إني اذا استَنْبهتُ من حُلْوِ رَقْدةٍ * رُميتُ بحُبِّيها كرَمْيِ المُناضِلِ

صــوت

فما أنْسَ مِ الأشياءِ لا أنسَ قولَها * وأدمُعُها يُذْرِينَ حَشْوَ المَكاحِلِ
تمتَّعْ بذا اليوم القصيرِ فإنه * رَهِينٌ بأيام الدهــور الأطاولِ

الغناء فى هذين البيتين لعلىّ بن يحيي المنجِّم، ولحنه من الثقيل الثانى.

وكنتُ آمرأً أرمِي الزوائلَ[(١)] مرّةً * فأصبحتُ قد ودّعتُ رميَ الزوائلِ
وعطّلتُ قوسَ اللهو من سَرَعانها[(٢)] * وعادتْ سِهامِي بين رَثٍّ وناصِلِ[(٣)]

السَّرَعان: وَتَرٌ يعمل من عَقَبِ[(٤)] المتن، وهو أطول العَقَبِ.

اذا حَلَّ بَيْتِي بينَ بَدْرٍ ومازنٍ * ومُرَّةَ نِلْتُ الشمسَ واشتد كاهِلِي

يعنى بَدْرَ بن عمرو بن جُؤَيّة بن لَوْذان بن ثَعْلبة بن عَدِىّ بن فَزَارة بن ذُبْيان، ومُرّة ابن عَوف بن سَعْد بن ذُبيان، ومُرّة بن فَزارة، ومازنَ بن فَزارة. وهى طويلة. ١٠٢/٢

(١) الزوائل هنا: النساء، على التشبيه بالوحش. و يقال: فلان يرمى الزوائل اذا كان طبا بإصباء النساء اليه. (٢) كذا فى حـ واللسان مادة «سرع» والمخصص (ج ٦ ص ٤٦) مع اختلاف فى بعض كلمات الشطر الثانى وهو الذى يتفق مع تفسير المؤلف. وفى سائر النسخ: «من شرعاتها» بالشين المعجمة. وقد أورد صاحب اللسان هذه الرواية أيضا فى مادّة «زول» وقال فى تفسيرها: والشرعات: الأوتار، واحدها شرعة الخ. (٣) الناصل: السهم الذى خرج منه النصل. (٤) العقب (بالتحريك): العصب الذى تعمل منه الأوتار، الواحدة عقبة. والعقب من كل شىء: عصب المتنين والساقين والوظيفين.

قال أبو الفرج الأصبهانى : أخذ إسحاق الموصلى معنى بيت ابن ميّادة فى قوله : «نلتُ الشمسَ واشتدّ كاهلى» فقال :

عطَسْتُ بأنفٍ شامخ وتناولتْ * يدَاىَ الثريّا قاعــدًا غيرَ قائِمِ

ولعَمْرِى لئن كان استعار معناه لقد اضطّلع به وزاد فأحسن وأجاد .

وفى هذه القصيدة يقول :

فضَـلْنا قريشًا غيرَ رَهْطِ محمــدٍ * وغيرَ بنى مروان أهلِ الفضائلِ

ضربه إبراهيم بن هشام لدعواه أنه فضل قريشا

قال يحيى بن علىّ وأخبرنى علىّ بن سليمان بن أيّوب عن مُصْعَب، وأخبرنى به الحسن بن على عن أحمد بن زُهَير عن مُصْعَب قال :

قال إبراهيم بن هِشَام بن إسماعيل لابن ميّــادة : أنت فضَلْتَ قريشا ! وجرّده فضربه أسواطا .

أخبرنى الحَرَمىّ بن أبى العَلَاء قال حدّثنا الزُّبير بن بَكّار قال :

لمــا قال ابن ميّادة :

فضَـلنا قُرَيشًا غيرَ رَهْطِ محمـد * وغيرَ بنى مرْوانَ أهلِ الفضائلِ

قال له الوليـد بن يزيد : قدّمتَ آلَ محمـدٍ(١) قبلنا ؛ فقال : ما كنتُ يا أمير المؤمنين أظنّه يمكنُ غيرُ ذلك . قال : فلمــا أفْضت الخلافةُ الى بنى هاشم وفد ابن ميّادة الى المنصور ومدحه ؛ فقال له أبو جعفر لمــا دخل إليه : كيف قال لك الوليد؟ فأخبره بما قال، فجعل المنصور يتعجّب .

ابن ميادة والحكم الخضرى يعريجاء

أخبرنى الحَرَمىّ قال حدّثنا الزبير قال حدّثنى عبدالله بن إبراهيم الجُمَحىّ قال : حدّثنى العباس بن سُمْرَة بن عَبّاد بن شَمّاخ بن سُمْرة عن رَيْحانَ بن سُوَيد الحُضْرِىّ ، وكان راويةَ حَكَم بن مَعْمر الخُضْرِىّ ، قال :

(١) فى أغلب النسخ بعد هذه الجملة : «صلى الله على محمد وعلى آله» وفى نسخة ط زيادة : «ولعنة الله على الوليد» وظاهر أن ذلك كله من زيادات النساخ .

تواعد حَكَمٌ وابنُ ميادة عُرَيجاء — وهى ماءة[(١)] — يتواقفان عليها، نخرج كلّ واحد منهما فى نَفَرٍ من قومه؛ وأقبل صَخْر بن الجَعْد الخُضْرىّ يؤمّ حَكَمًا، وهو يومئذ عدوّ لحَكَم لِمَا كان فرط بينهما من الهجاء فى أُرْكُوبٍ[(٢)] من بنى مازِن بن مالك بن طَرِيف ابن خَلَف بن مُحَارِب، فلما لقيه قال له: يا حكم، أهؤلاء الذين عَرَضْتَ للموت[(٣)]! وهم وجوه قومك! فوالله ما دماؤهم على بنى مُرّة إلا كدماء جِدَاية[(٤)]؛ فعرَف حَكَم أن قول صخر هو الحقّ فردّ قومَه، وقال لصخر: قد وعدنى ابنُ ميّادة أن يُواقفنى غدًا بعُرَيجاء لأن أناشِدَه؛ فقال له صخر: أنا كثير الإبل — وكان حَكَم مُقِلًّا — فاذا وردتْ[(٥)] إبلى فارتجزْ، فإن القوم لا يشجُعُون[(٦)] عليك وأنت وحدَك، فإن لقيتَ الرجل نحر وأطعم فانحَرْ وأطعِمْ وإن أتيتَ على مالى كلّه. قال رَيْحان راويتُه: فورد يومئذ عُرَيجاءَ وأنا معه فظلّ على عُرَيجاءَ ولم يَلْقَ رَمّاحًا ولم يواف لموعده، وظلّ يُنْشِد يومئذٍ حتى أمسى، ثم صرف وجوهَ إبل صخرٍ وردّها. وبلغ الخبرُ ابنَ مَيّادة ومُوافاةُ حَكَم لموعده، فأصبح على الماء وهو يرتجزُ ويقول:

أنا ابنُ مَيّادةَ عقّارُ الجُزُرْ * كلَّ صَفِيٍّ[(٧)] ذاتِ نابٍ مُنْفَطِرْ

---

(١) فى معجم ما استعجم للبكرىّ ص ٦٥٣: «عريجاء: ماءة معروفة بحمى ضرية وقد أقطعها ابن ميادة المرّىّ من بنى ذبيان».

(٢) الأركوب: كالركب والركبان.

(٣) كذا فى حـ، أ، م. وفى سائر النسخ: «أهؤلاء الذين عرضت للموت من أجلهم وهم وجوه قومك الخ» وليس لكلمة «من أجلهم» موقع.

(٤) الجداية: الظبية. وفى ب، س: «حدأة».

(٥) فى ط: «أوردت».

(٦) كذا فى أغلب الأصول، وفى ط «لا يسجعون».

(٧) يقال: ناقة صفىّ أى غزيرة اللبن، والجمع صفايا.

توافيهما بحمى ضرية وصلحها

وظَلّ على الماء، فنحر وأطْعم[(1)] . فلما بلغ حَكما ماصنَع ٱبْنُ مَيّادة من نَحْره و إطعامه شق عليه مَشَقّةً شديدةً . ثم إنهما بعدُ توافيَا بِحِمَى ضَرِيّة . قال رَيْحان بن سُوَيْد[(2)] : وكان ذلك العامُ عامَ جَدْبٍ وسَنَةٍ إلّا بقية كَلإٍ بضَرِيّة . قال : فسبقْنا ٱبْنَ ميادة يومئذ فنزلنا على مولاةٍ لعُكّاشة بن مُصْعَب بن الزُّبَير ذاتِ مالٍ ومنزلة من السلطان . قال : وكان ١٠٣/٢ حَكَم كريمًا على الوُلاةِ هناك يُتَّقَى لسانُه . قال رَيحان : فبينا نحن عند المولاة وقد حطَطْنا برِاذعَ دوابّنا إذا راكبان قد أقبلا ، و إذا نحن برَمّاح وأخيه ثَوْبانَ[(3)] — ولم يكن لثوبانَ[(3)] ضَرِيبٌ فى الشجاعة والجمال — فأقبلا يتسايران ، فلما رآهما حَكَمٌ عرفهما ، فقال : يا رَيْحانُ ، هذان ابنا أَبْرَدَ ، فما رأيك ؟ أتكفِيني ثوبانَ[(3)] أم لا ؟ قال : فأقبلا نحوَنا ورَمّاح يتضاحَكُ حتى قبَض على يد حكم[(4)] وقال : مَرْحبا برجل سكتُّ عنه ولم يسكتْ عنّى ، وأصبحتُ الغداةَ أطلب سَلْمه يَسُوقنى الذِّئْبُ[(5)] والسنةُ ، وأرجو أن أَرْعَى الحِمَى بجاهه وبركته ؛ ثم جلس إلى جَنْب حَكَم وجاء ثَوْبانُ[(3)] فقعد إلى جَنْبي ، فقال له حَكَم : أما وربِّ المرسَلين يا رَمّاح لولا أبياتٌ جعلْتَ تعتصم بهنّ وترجعُ إليهنّ — يعنى أبياتَ ابنِ ظالم — لَٱستوسقت[(6)] كما استوسق مَنْ كان قَبْلَك . قال رَيحانُ : وأخذا فى حديثٍ أسمع بعضَه ويخفى علىّ بعضُه ، فظَلِلْنا عند المرأة وذُبِح لنا وهما فى ذلك يتحادثان ، مقبِلٌ كلّ واحد منهما على صاحبه لا ينظرانِ شَذّنا ، حتى كان العِشاء فشدَدْنا

---

(1) فى جميع الأصول : « فانحر » وهو تحريف ، فان انحر انما يستعمل لازما ، يقال : انحر الرجل أى نحر نفسه وانحر القوم على كذا أى تشاحوا عليه . (2) فى جميع الأصول هنا : « سويد ابن ريحان » وقد تقدم فى أول السند كما أثبتناه هنا « ريحان بن سويد » و يؤيد هذا أنه اذا ذكره مجردا من الصفة قال : « ريحان » . (3) فى ط : « ثريان » . (4) فى ب ، س : « على حكم » . (5) فى أساس البلاغة مادة ذأب : وأكلتهم الضبع وأكلهم الذئب أى السنة ، وأصابتهم سنة ضبع وسنة ذئب على الوصف ، وأنشد النضر :

وقد ساق قبلى من معد وطيئ ۞ الى الشأم جوحات السنين وذيبها

(6) لاستوسقت : لأطعت وآنقدت .

للرَّواح نؤمُّ أهلَنا ، فقال رمَّاح لحكم : يا أبا مَنيع — وكانت كنية حَكَم — : قد قضيت حاجتَك وحاجةَ مَنْ طلبتَ له من هذا العامل ، وإن لنا إليه حاجةً فى أن يرْعِيَنا ؛ فقال له حكم : قد والله قضيتُ حاجتى منه وإنى لأكره الرجوعَ إليه ، ومامن حاجتك بُدٌّ ؛ ثم رجع معه إلى العامل ، فقال له بعد الحديث معه : إن هـذا الرجلَ مَنْ قد عرفتَ ما بينى وبينه ، وقد سأل الصلحَ وأناب إليه ، فأحببتُ أن يكون ذلك على يدك وبمَحْضَرِك . قال : فدعا به عاملُ ضَرِيّة وقال : هل لك حاجةٌ غيرُ ذلك ؟ قال : لا والله ، ونسى حاجةَ رمّاح ، فأذكرتُه إياها ، فرجع فطلبها واعتذر بالنسيان . فقال العامل لابن ميَّادة : ما حاجتك ؟ فقال : تُرْعِينى عُرَيجاء لايَعْرِضُ لى فيها أحدٌ ، فأرْعاه إيّاها . فأقبل رمّاح على حَكَم فقال : جزاك الله خيرا يا أبا مَنيع ، فوالله لقـد كان ورائى مِنْ قومى مَنْ يتمنّى أن يرعى عُرَيجاء بنصف ماله . قال فلمّا عزما على الانصراف ودّع كلّ واحد منهما صاحبَه وانصرفا راضيَيْن . وانصرف ابنُ ميّادة إلى قومه فوجد بعضَهم قد ركب إلى ابن هِشام فاستغضبه على حكم فى قوله :

استعدى قوم ابن ميادة السلطان على الحكم فأمر بطرده فرحل الى الشام ومات هناك

وما ولدت مُرِّيَّةٌ ذاتَ ليـلةٍ * من الدهرِ إلا زاد لؤمًا جَنينُها

فأَطْرَده[(١)] وأقسم : لئن ظفِر به ليُسَرِّحَنّه وليَحْمِلَنّ عليه أحدَهم . فقال رمّاح — وساءه ما صنعوا — : عَمَدتم الى رجل قد صلَح ما بينى وبينه وأُرْعِيتُ بوجهه فاستعديتم عليه وجئتم بإطْراده ! وبلغ الحكَمَ الخبرُ فطار إلى الشام فلم يبرَحْها حتى مات .

قال العباس بن سَمُرة : مات بالشام غرقًا ، وكان لايُحْسِن العَوْمَ فمات فى بعض أنهارها . قال : وهو وجْهُه[(٢)] الذى مدح فيـه أسْود بن بِلَال المُحَارِبىّ ثم السُّوائِىّ فى قصيدته التى يقول فيها :

---

(١) أى أمر باخراجه وطرده . (٢) أى رحلته وسفره .

واستيقنتْ أن لا بَرَاحَ(١) من السُّرَى * حتى تُنَاخَ بأسْوَدَ بنِ بِلَالِ
قَـرْمٌ إذا نزَل الوُفـودُ ببابه * سَمِتَ العيونُ إلى أَشَمَّ طُوَالِ

مناقضات حكم وابن ميادة

وَلِحَكم الخُضْرِىّ وابن مَيّادة مُنَاقضاتٌ كثيرة وأراجيزُ طِوالٌ طَوِيتُ ذِكرًا أكثرها
وألغيتُه، وذكرتُ منهـا لُمَعًا من جيّد ما قالاه لئلّا يخلوَ هذا الكتاب من ذكر بعض ١٠٤/٢
ما دار بينهما ولا يَستوعبَ سائرَه فيطولَ . فمما قاله حَكَمٌ فى ابنِ مَيّادة قولُه :

خَلِيـلَىَّ عُوجَا حَيِّيَا الدارَ بالجَفْـرِ(٢) * وقُولَا لها سَقْيًا لعَصْرِكِ من عَصْرِ
وماذا تُحَيِّي من رُسُـومٍ تلاعبتْ * بها حَرْجَفٌ(٣) تَذْرِى بأذيالِها الكُدْرِ

ومن جيّد قوله فيها يفتخر :

إذا يَبِسَت عِيـدانُ قومٍ وجدتَنا * وعِيـدَانُنَا تُغْشَى على الوَرَق الخُضْرِ
إذا الناسُ جاءوا بالقُرُوم(٤) أتيتُهـم * بقَرْمٍ يُساوِى(٥) رأسُـه غُرَّةَ البدرِ
لنا الغَوْرُ والأنجادُ والخَيْـلُ والقَنَا * عليكم وأيامُ المَكَارِمِ والفخـرِ

ومن جيّد هجائه قولُه :

فيا مُرُّ قد أخزاكَ فى كلِّ موطنٍ * من اللؤم خَلّاتٌ يَزِدْنَ على العَشْرِ
فمنهنّ أنّ العبدَ حامِى ذِمَارِكم * وبئس المحامى العبدُ عن حَوْزَةِ الثَّغْرِ
ومنهنّ أن لم تَمسَحُوا وجهَ سابقٍ(٦) * جَوادٍ(٧) ولم تأتوا حَصَانًا على طُهْرِ
ومنهنّ أن الميْتَ يُدْفَن منكمُ * فيَفْسُو على دُفَّانه وهو فى القبرِ

---

(١) فى ا ، م ، ء ، ط : «أن لا رواح» . (٢) الجفر : موضع بناحية ضرية من نواحى المدينة . (٣) الحرجف : الريح الباردة الشديدة الهبوب . (٤) كذا فى ا ، حـ ، م : وفى باقى النسخ : «ناموا» . (٥) فى حـ : «يسامى» بالميم . (٦) كذا فى أغلب النسخ . وفى ا ، م : «خا» . (٧) فى ا ، م : «كريم» .

ومنهن أن الجارَ يسكُن وَسْطَكم * بريئًا فيُلْقَى بالخيانةِ والغدْر
ومنهن أن عُذْتُم بأرْقَطَ كَوْدَنٍ (١) * وبئس المحامى أنت ياضَرِطَةَ (٢) الجَفْرِ
ومنهن أن الشيخ يوجَدُ منكمُ * يَدِبُّ إلى الجاراتِ مُحْدَوْدِبَ الظهر
تَبيتُ ضِبَابُ (٣) الضِّغْنِ تَخْشَى احتراشَها (٤) * وإن هى أمستْ دونَها ساحلُ البحر

فأجابه ٱبن مَيّادة بقصيدةٍ طويلة، منها قولُه مجيبًا له عن هذه الخصال التى سبَّهم بها :

لقد سَبقتْ بالمُخْزِيات مُحارِبٌ * وفازتْ بخَلّاتٍ على قومِها عشْرِ
فمنهن أن لم تَعْقِروا ذاتَ ذِرْوةٍ * لحقٍّ إذا ما ٱحتيج يومًا إلى العَقْر
ومنهن أن لم تمسَحُوا عربيّةً * من الخَيْل يوما تحت جُلٍّ على مُهْرِ
ومنهن أن لم تضرِبوا بسيوفكم * جماجمَ إلا فَيْشَلَ (٥) القَرِح الحُمْرِ
ومنهن أن كانت شيوخُ محارِب * كما قد علمتم لا تَرِيشُ ولا تَبْرِى (٦)
ومنهن أخزى سوءةٍ (٧) لو ذكرتُها * لكنتم عبيدًا تخدمون بنى وَبْر (٨)
ومنهن أن الضأن كانت نساءكم * إذا ٱخضرّ أطرافُ الثُّمَام من القَطْر

---

(١) الكودن : البرذون الهجين ، يريد انسانا كالبرذون . (٢) كذا فى ... وفى باقى النسخ : «ضرط» بدون تاء . والجفر : ولد المعزى اذا بلغ اربعة أشهر وفصل عن أمه وأخذ فى الرعى والمعزى يضرب بها فى ذلك المثل فيقال : «أضرط من عنز» . (٣) الضباب : الأحقاد ، يقال : فى قلبه ضب ، أى غل داخل كالضب الممعن فى جحره . (٤) احتراش الضب : أن ... جحره فيقعقع بعصاه عليه ويُتلج طرفها فى جحره فاذا سمع الصوت حسبه دابة تريد أن تدخل عليه فجاء يزحف على رجليه وعجزه مقاتلا ويضرب بذنبه فناهزه الرجل (بادره) فأخذ بذنبه فعض عليه (شدد القبض) فلم يقدر أن يفلت منه . (٥) الفيشلة : طرف الذكر . (٦) أى لا تضر ولا تنفع . (٧) فى جميع الأصول : «ومنهن أخرى سوءة» بالراء . (٨) كذا فى ... وبنو وبر : بطن . وفى باقى النسخ : «وفر» بالفاء ولم نجد قبيلة تسمى بهذا الاسم .

ومنهنّ أن كانت عجوزُ مُحارِبٍ * تُرِيغ[(١)] الصِّبا تحت الصَّفِيح من القبرِ
ومنهنّ أنْ لو كان فى البحر بعضُكُم * لَخبَّثَ ضَاحِى[(٢)] جِلْدِهِ حَوْمَةَ[(٣)] البحرِ

ومما قاله ابن ميّادة فى حكم قولُه من قصيدة أوّلها :

أَلَا حَيِّيَا الأطلالَ طالتْ سِنِينُها * بحيثُ التقتْ رُبْدُ[(٤)] الجِنَاب[(٥)] وعِينُها[(٦)]

ويقـــول فيها :

فلمّا أتانى ما تقـــولُ مُحارِبٌ * تغنَّتْ شياطينى وجُنَّ جُنُونُهـا
ألم ترَ أنَّ اللهَ غشَّى مُحارِباً * إذا اجتمعَ الأقوامُ لونًا[(٧)] يَشِينُها ١٠٥/٢
ترى بوجوه الخُضْر خُضْرِ مُحارِبٍ * طوابعَ لؤمٍ ليس يَنْفَتُّ[(٨)] طِينُهـا
لقـد سَاهَمَتْنَاكُمْ[(٩)] سُلَيمٌ وعامرٌ * فَضِمْنَاهُمُ إنّا كذاكَ نَدِينُهـا
فصارتْ لنا أهلُ الضَّئين[(١٠)] مُحارِبٌ * وصارتْ لهم جَسْرٌ[(١١)] وذاكَ ثَمِينُها
إذا أخذتْ خُضْرِيَّةٌ قائمَ الرحَى * تحَـرَّكَ قُنباها[(١٢)] فطارَ طَحِينُهـا
وما حَمَلَتْ خُضْرِيَّةٌ ذاتَ ليلةٍ * من الدهرِ إلّا ازدادَ لؤمًا جَنِينُها

---

(١) كذا فى أغلب النسخ . وتريغ : تطلب ، يقال : ماذا تريغ ، أى ماتريد وما تطلب . وفى أ ، م « تريع » بالعين المهملة ، وهو تصحيف . (٢) ضاحى جلده : ظاهره . (٣) حومة البحر : أكثر موضع فى البحر ماء وأغزره . (٤) ربد : جمع أربد أو ربداء ، وصف من الربد ، وهو فى النعام سواد مختلط ، وقيل هو أن يكون لونها كله أسود . وعن اللحيانى : ظليم أربد ونعامة ربداء ، أى لونها كلون الرماد . وفى ب ، حـ : «زبد» بالزاى ، وهو تصحيف . (٥) الجناب : موضع بعواض، خيبر وسلاح ووادى القرى ، وقيـل : هو من منازل بنى مازن . وقال نصر : الجناب من ديار بنى فزارة بين المدينة وفيد . (٦) عين : جمع عيناء وهى واسعة العين . (٧) كذا فى ط وفى باقى الأصول «لؤما» . (٨) الانفتات : الانكسار . (٩) كذا فى جميع الأصول ، ولم نجد فى كتب اللغة التى بأيدينا أن ساهم يتعدّى لمفعولين ، وهو بمعنى قارع ، من القرعة . (١٠) كذا فى ى ، والضئين : الضأن وهو خلاف الماعز من الغنم واحده ضائن وفى باقى النسخ «الضنين» وهو تصحيف . (١١) جسر : اسم حى . (١٢) تثنية قنب وهو البظر ، والبظر : مابين الاسكتين وهما جانبا الحياء .

فقال حَكَمٌ يجيبه عن هذه بقصيدته[1] :

لأنتَ ٱبنُ أَشبانيّةٍ أدلجتْ به * إلى اللّـؤم مِقْلاتٍ لئيم جَنِينُها
فجاءتْ بروّاثٍ كأنّ جبينَـه * إذا ما صَغَا فى خِرقتيها جبينُها
فما حَملتْ مُرّيّةٌ قطُّ ليـلةً * من الدهر إلّا ازدادَ لؤمًا جَنينُها
وما حَمَلتْ إلا لألأمِ مَنْ مَشَى[2] * ولا ذُكرتْ إلّا بأمرٍ يَشِينُها
تزوّجُ عثوانُ[3] الضَّئينَ وتبتَـغى * بها الدَّرَّ[4] لا دَرَّتْ بخيرٍ لَبُونُها[5]
أظنّتْ بنو عثوان أن لستُ شاتما * بشَتْمِى و بعضُ القوم حَمْقَى ظُنُونُها
مَـدَانيسُ أبرامٌ[6] كأنّ لِحَاهُمُ * لِحَى مُسْتَهِبّاتٍ[7] طِوَالٍ قُرُونُها

قال الزبير : فحدّثنى مَوْهوب بن رشيد قال : فسمع هـذه القصيدة أحدُ بنى قَتّال بن مُرّة فقال : ماله أخزاه الله يهجو صِبْيَتَنا ! قال : وهم أجفَى قوم غَضَبًا لصبيتهم وقد هجاهم بما هجاهم به .

قال : وبلغ إبراهيمَ بن هشام قولُه فى نساء بنى مُرّة اذ يقول :

* وما حَمَلتْ إلا لألأمِ مَنْ مَشَى *

فغَضِبَ ثم نَذَرَ دَمَه[8]، فَهَرب من الحجاز إلى الشأم فمات بها .

---

(١) كذا فى ط . وفى سائر النسخ : « بقصيدته التى أولها الخ » ولا موقع لها هنا .

(٢) فى م : « بألأم » . (٣) يظهر من سياق الشعر أنها قبيلة ولم نعثر عليها .

(٤) كذا فى ا . وفى سائر النسخ : « به » . (٥) اللبون : الكثيرة اللبن .

(٦) جمع برم وهو الثقيل الجافى . (٧) هذا وصف للتيوس مأخوذ من الهباب وهو هياجها للسفاد، يقال : هب التيس هبا وهبابا ، أى هاج . وفى حـ « مستنبات » يقال : نب التيس ينب نبا ونبيبا ونبابا اذا صاح عند السفاد ، ولم نجد فى كتب اللغة التى بأيدينا استنب أو ما يشتق منها كمستنبات .

(٨) فى ا ، م : « هدر » .

أخبرنى الحرمىّ بن أبى العلاء قال حدّثنا الزبير قال حدّثنى عبد الرحمن بن ضبعان المُحْضِرىّ قال :

لقى ابن ميادة صخر بن الجَعْد الخُضْرىّ فقال له : يا صخر، أَعَنَتَ علىّ ابن عمك الحَكَم بن معْمرٍ؟ فقال له صخر : لا والله يا أبا الشُّرَحْبيل ما أعنتُهُ عليك ، ولكن خُيِّل إليك ما كان يُخَيَّل إلىّ ، ولقد هاجَيْتُه فكنتُ أظنّ أنّ شَجَر الوادِى يُعينه علىّ .

ومن جيّد قول ابن ميادة فى حَكَم قصيدتُهُ التى أولها :

صوت

لقد سبقتْك اليومَ عيناك سَبْقَةً * وأبكاكَ من عهد الشباب ملاعبُهْ
فوالله ما أدرِى أيَغْلِبُنى الهَوَى * إذا جَدّ جِدُّ البَيْن أم أنا غالبُهْ
فإن أستطعْ أغلبْ وإن يغلب الهوى * فمثلُ الذى لاقيتُ يَغْلَبُ صاحبُهْ

– فى هذه الأبيات غناء يُنسب – يقول فيها فى هجاء حَكَم :

لقد طال حبْسُ الوَفْد وَفْدِ مُحَارِبٍ * عن المجد لم يَأْذَنْ لهم بَعْدُ حاجبُهْ
وقال لهم كُرُّوا فلستُ بآذنٍ * لكم أبدا أو يُحْصِىَ التُّرْبَ حاسبُهْ

وهى قصيدة طويلة .

أخبرنى الحرمىّ قال حدّثنا الزّبير قال حدّثنى جلال (1) بن عبد العزيز المُرّىّ ثم الصارِدىّ عن أبيه :

قال جلال : وقد رأيتُ ابن ميّادة فى بيت أبى ، قال : قال لى ابنُ ميّادة : ٠٦ ٢
وصلتُ أنا والشعراءُ إلى الوليد بن يزيد وهو خليفة . وكان مَوْلًى من مَوَالى خَرَشَة

(1) كذا فى أغلب النسخ وجاء هذا الاسم فى ط مضبوطا هكذا « جلال » بفتح فتشديد . وفى حـ « حلال » بالحاء المهملة . وفى أ ، م : « خلال » بالخاء المعجمة ، ولم نعثر على ما يرجح إحدى هذه الروايات .

يقال له شُقْران يَعيب ابنَ ميّادة ويَحْسُده على مكانه من الوليد، فلما اجتمعت الشعراءُ قال الوليد بن يزيد لشُقْران : يا شُقْران، ما عِلْمُك فى آبن ميّادة؟ قال علمى فيه يا أميرَ المؤمنين أنّه :

لئيمٌ يُبَارِى فيــه أَبْرَدُ نَهْبَلاً * لئيمٌ أتاه اللُّؤمُ من كلّ جانبِ

فقال الوليـد : يابن ميّادة، ما عِلْمُك فى شُقْران ؟ قال : عِلْمِى يا أميرَ المؤمنين أنه عبدٌ لعجوز من خَرَشَة كاتَبَتْه على أربعين دِرهما ووعدها ـ أوقال : وعدَتْهُ ـ أن تُجيزه بعشرين درهما فقَبَضَتْه[1] إيّاها، فأغنِه عنّى يا أمير المؤمنين، فليس له أَصْلٌ[2] فأحتفِره، ولا فَرْعٌ فأهتَصِره ؛ فقال له الوليد : اجْتَنِبْه يا شُقران فقد أبلغَ إليك فى الشّتيمة، فقصر شُقْرانُ صاغرا، ثم أنشدتُه، فأقيمت الشعراء جميعا غيرى، وأمر لى بمائة لِقْحةٍ وفَحْلها وراعيها وجارية بِكْرٍ وفَرَسٍ عتيق[3]، فاختلتُ ذلك اليومَ وقلتُ :

أعطيْتَنِى مائةً صُـفْرا مَدَامِعُها[4] * كالنخل زَيَّنَ أعلَى نَبْتِه الشَّرَبُ[5]

ويُرْوَى :

* كأنها النخلُ رَوَّى نَبْتَها الشَّرَبُ[6] *

---

(١) فى ح : «فنقصته» . (٢) كذا فى ح . وفى باقى النسخ : «فليس بأصل أحتفره ولا فرع أهتصره» . (٣) فى ط : «عربى» . (٤) مدامعها : مآقيها وهى أطراف العين . ولعل مسايل الدمع من الناقة تصفرّ اذا رعت ما يخضر من الشجر . وقد نقل صاحب اللسان فى مادة «صفر» عن أبى حنيفة «أن الماشية تصفرّ اذا رعت مايخضرّ من الشجر تروى مغابنها ومشافرها وأوبارها صفرا» . (٥) جمع شربة وهى ما يحفر حول النخلة والشجرة كالحويض ويملأ ماء فتترّوى منه . (٦) تكلم صاحب اللسان فى مادة «شرب» عن الشرب، ثم قال : وأنشد ابن الأعرابى :

* مثل النخيل يروّى فرعها الشرب *

يَسُـوقُها يافع جَعْـدٌ مفارِقُه * مثلُ الغُراب غَذاه الصَّرُّ والحَلَبُ

وذا سَبِيبٍ صُهَيْبِيًّا(١) له عُـرُفٌ * وهَامَةٌ ذاتُ فَـرْقٍ نَابُهـا(٢) صَخِبُ

لم يذكر الزُّبير فى خبره غيرَ هـذه الأبيات الثلاثة ، وهى من قصيدة للرّماح طويلة يمدح فيها الوليدَ بن يزيد، وقد أجاد فيها وأحسن؛ وذكرتُ من مُختارها هاهنا طرَفا ، وأولها :

هـل تعرفُ الدارَ بالعَلْياء غيَّرَها * سَافِى الرِّياحِ ومُسْتَنٌّ(٣) له طُنُبُ

دارٌ لبيضاءَ مُسْـوَدٍّ مسائحُهـا * كأنّهـا ظَبْيَـةٌ تَرْعَى وتَنْتَصِبُ

المسائح : ما بين الأُذُن إلى الحاجب من الشَّعَر . وتنتصب : تَقِفُ إذا ارتاعتْ منتصبةً تتوجَّس(٤) .

تحنُـو لأَكْحَلَ أَلْقَتْـهُ بمَضْيَعَةٍ * فقَلْبُها شَـفَقًا من حَـوْلِه يَجِبُ(٥)

يقـول فيها :

يا أطيبَ النـاسِ رِيقًا بعدَ هَجْعَتِها * وأملحَ النـاسِ عَيْنًـا حين تَنْتَقِبُ

ليستْ تجودُ بنَيْـلٍ حينَ أسألُهـا * ولستُ عندَ خَلاء اللَّهو أَغتصبُ

فى مِرْفَقَيْهـا إذا ما عُـونِقَتْ جَمَمٌ(٦) * على الضَّجِيعِ وفى أنيابهـا شَنَبُ

وليـلةٍ ذاتِ أهوالٍ كواكِبُها * مثلُ القناديلِ فيها الزَّيتُ والعُطُبُ(٧)

---

(١) السيب هنا : شعر الذنب والناصية . (٢) فى أ « مابها صخب » .

(٣) يقال : استن المطر، أى انصب، ومنه قول عمر بن أبى ربيعة :

قـد جرّت الريح بها ذيلها * واسـتن فى أطلالها الوابل

(٤) كذا فى ط ونتوجس : تسمع وهى خائفة . وفى باقى الأصول : « نتوحش » .

(٥) يجب : يخفق و يضطرب . (٦) الجمم : كثرة اللحم . (٧) العطب بضمة وبضمتين : القطن واحده عطبة ، و يريد هنا ذبالة المصباح التى تتخذ من القطن .

قد جُبتُها جَوبَ ذى المِقراض(١) مَمْطرةً(٢) * إذا استوى مُغفَلاتُ(٣) البِيدِ والحَدَبُ(٤)
بِعَنتَريسٍ(٥) كأنّ الدَّبْرَ(٦) يَلسَعُها * إذا ترنّم حادٍ خلفَها طَرِبُ
إلى الوليد أبى العبّاس(٧) ما عَجِلتْ * ودونَه المُعْطُ(٨) من لُبنانَ(٩) والكُثُبُ

وبعد هذا البيت قوله :

* أعطيتَنى مائةً صُفْرًا مَدامعُها * الخ .

لمّا أتيتُك من نَجْدٍ وساكِنِه * نفحتَ لى نفحةً طارتْ بها العَرَبُ
إنى امرُؤٌ أعتفِى(١٠) الحاجاتِ أطلُبُها * كما اعتفَى سَنِقٌ يُلقَى له العُشُبُ

السَّنِق : الذى قد شَبِع حتى بَشِم ، يقول : أطلب الحاجة بغير حِرْص ولا كَلَب ، كما يَعْتفِى هذا البعير البَشِم من غير شَرَه ولا شدّة طَلَب . ١٠٧/٢

ولا أُلِحّ على الخُلّان أسألُهم * كما يُلِحّ بعظم الغارب القَتَبُ
ولا أُخادِع نَدْمانى(١١) لأخدعَه * عن ماله حين يَسترخِى به اللَّبَبُ(١٢)

(١) المقراض : المقص . (٢) الممطرة : ثوب من صوف يلبس فى المطر يتوقى به منه . (٣) كذا فى جميع الأصول واللسان مادة «قرض» ، وكتب مصحح اللسان على هذه الكلمة مانصه : «قوله مغفلات كذا فيما بأيدينا من النسخ ولعله معقلات جمع معقلة بفتح فسكون فضم وهى التى تمسك الماء» ولكننا لم نجد فى كتب اللغة التى بأيدينا سوى أن معقلة خبراء الدهناء تمسك الماء، وأنها سميت معقلة لأنها تمسك الماء كما يعقل الدواء البطن . (٤) الحدب : الغليظ المرتفع من الأرض . (٥) العنتريس : الناقة الغليظة الصلبة الوثيقة الشديدة الكثيرة اللحم . (٦) الدبر : الزنابير، وقيل : النحل . (٧) كنية الوليد بن يزيد وقد ورد فى شعر بشار : تقسم كسرى رهطه بسيوفهم * وأمسى أبو العباس أحلام نائم
وقال أبو الفرج : إنه يعنى الوليد بن يزيد (انظر الأغانى طبع بولاق ج ٣ ص ٢٩) . (٨) المعط : جمع معطاء، وهى الأرض التى لا نبات بها . (٩) لبنان : جبل بالشام وفى معجم البلدان لياقوت فى اسم لبنان هو جبل مطل على حمص يجىء من العرج الذى بين مكة والمدينة حتى يتصل بالشام فما كان بفلسطين فهو جبل الحمل وما كان بالأردن فهو جبل الجليل و بدمشق سنير و بحلب وحماة وحمص لبنان . وفى ط : «نبان» وقد تقدم الكلام عليه فى الحاشية رقم ٨ ص ٢٧٢ من هذا الجزء . (١٠) أعتفى : أطلب .
(١١) الندمان : المنادم على الشراب و ربما توسع فيه فاستعمل لكل رفيق ومصاحب . (١٢) اللبب : البال ، والمراد أنه صار فى رخاء وسعة ، يقال : استرخت به الحال اذا صار فى حال حسنة بعد ضيق وشدّة ، و يقال : فلان فى بال رخىّ ولبب رخىّ أى فى سعة وخصب وأمن ، وأصل اللبب ما يشدّ على صدر الدابة أو الناقة يمنع الرحل أو السرج من الاستئخار .

وأنت وآبناك لم يوجد لكم مَثَلُ * ثلاثة كلّهم بالتاج مُعْتَصِبُ [١]
الطيبون إذا طابت نفوسهمُ * شُوسُ [٢] الحواجب والأبصار إنْ غضبوا
قِسني إلى شعراء الناس كلّهِم * وآدعُ الرُّواة إذا ما غَبَّ [٣] ما آجتلبوا [٤]
إنى وإن قال أقوام مَديحهُمُ * فأحسنوه وما حابوا [٥] وما كَذَبوا
أجرِى أمامهُمُ جَرْىَ آمرئ فَلَجٍ [٦] * عِنانُه حين يَجْرِى ليس يَضْطرِبُ

سبب الهجاء بينه وبين شقران

أخبرنى يحيى بن علىّ قال أخبرنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال أخبرنى أبو الحسن — أظنه المدائنىّ — قال أخبرنى أبو صالح الفَزارِىّ قال :

أقبل شُقْران مولى بنى سَلَامان بن سَعْد هُذَيْم أخى عُذْرة بن سعدا [٧] بن هُذَيْم، قال : وهُذَيم عبدٌ حَبَشِىّ كان حَضَنَ سعدا فغلَب عليه، وهو آبن زيد بن لَيْث بن سُود بن أسلم بن الحاف بن قُضاعة من اليمامة ومعه تمر قد آمتاره — فلقيه آبنُ مَيّادة فقال له : ما هذا معك؟ قال : تمرٌ آمترتُه لأهلى يقال له : زُبُّ رُباح [٨]، فقال له آبن مَيّادة يُمازِحه :

كأنّك لم تَقْفُل لأهلك تَمْرةً [٩] * إذا أنت لم تَقْفُل بزُبِّ رُباحِ

(١) فى ط : « كلكم » بالكاف. (٢) شوس : جمع أشوس من الشوس وهو النظر بمؤخر العين تكبرا أو تغيظا. (٣) كذا فى أغلب النسخ. وغب : فسد. وفى حـ : « غث » وهو بمعنى غب، يقال : غث حديث القوم أى فسد وردؤ. (٤) كذا فى أغلب الأصول. واجتلاب الشعر: استمداده من آخر وقد فسر ابن الأعرابى قول الشاعر : * يا أيها الزاعم إنى أجتلب *
فقال : معناه أجتلب شعرى من غيرى أى أسوقه وأستمده، ومن هذا قول جرير :

ألم تعلم مسرحى القوافى * فلا عيا بهنّ ولا آجتلابا

وفى ب، سـ، ط «احتلبوا» بالحاء المهملة. (٥) كذا فى ط. وفى ٢، م : «خانوا». وفى سائر النسخ : «خابوا». (٦) الفلج : الظفر والفوز. والوصف منه فالج وفلج (بفتح الفاء وسكون اللام) وحرك هاهنا للضرورة. (٧) سقطت هذه الكلمة من ط. وحذفها وإثباتها سواء، قال فى القاموس وشرحه : وسعدا بن هذيم كزبير باثبات الألف بين سعد وهذيم أبو قبيلة. (٨) هكذا جاء مضبوطا فى القاموس واللسان والمخصص بضم الراء وتشديد الباء. ولعل تخفيف بائه فى البيت الآتى لضرورة الوزن، وهو نوع من تمور البصرة. (٩) فى حـ : « لأمك ».

فقال له شُقران :

فإنْ كان هـذا زُبَّه فانطلق به * إلى نِسْوةٍ سُودِ الوجوه قِبَـاحِ

فغضِب ابن مَيّادة وأَمَضه[(١)] وأنحى عليه بالسوط فضرَبه ضَرَبات وانصرف مُغْضَبا ؛ فكان ذلك سَبَبَ الهجاء بينهما .

قال حمّاد عن أبيه وحدّثني أبو علىّ الكَلْبىّ قال :

اِجتمع ابن ميّادة وشُقْران مَوْلَى بنى سَلامان عند الوليد بن يزيد، فقال ابن ميّادة : يا أمير المؤمنين، أتجمع بيني و بين هذا العبد وليس بمِثْلِي فى حَسَبِي ولا نَسَبى ولا لِسانِى ولا مَنْصِبِي ! فقال شُقْران :

لَعَمْرِى لئن كنتَ ابنَ شَيْخَىْ عشيرتى * هِرَقْلٍ وكِسْرَى ما أرانِى مُقَصِّـرا
وما أَتَمنَّى أنْ أكونَ ابنَ نزوةٍ[(٢)] * نَزاها ابنُ أرضٍ[(٣)] لم تجِـدْ مُتَمَهِّرا[(٤)]
على حائلٍ[(٥)] تَلوِى الصِّرارَ[(٦)] بكَفِّها * نُخاعةُ بخَـوّارٍ[(٧)] إذا عُضَّ جَرْجَرا[(٨)]

أخبرنى الحَرَمىّ قال حدثنا الزُّبَيْر بن بكّار وأخبرنا يحيي بن علىّ عن أبى أيُّوب المَدِينىّ عن زُبير[(٩)] قال حدّثنِي جلال بن عبد العزيز وقال يحيي بن خَلّاد عن أبى أيُّوب ابن عبد العزيز قال :

---

(١) أمضه : آلمه وأوجعه . (٢) كذا فى حـ و م . والنزوة : الوثبة عند السفاد، يقال : نزا الذكر على الأنثى نزاء ونزوا اذا وثب عليها عنـد السفاد . وفى باقى الأصول : « ثروة » بالثاء المثلثة والراء، وهو تحريف . (٣) ابن الأرض : كناية عن الغريب والمسافر والضيف والفقير (انظر كتاب ما يعوّل عليه فى المضاف والمضاف اليه النسخة المخطوطة المحفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٧٨ أدب م تأليف المحبى) . (٤) كذا فى جميع الأصول . ولم نجد فى كتب اللغة التى بأيدينا لتمهر معنى سوى تمهر بكذا أو فى كذا اذا صار به حاذقا ، وهو لا يناسب المقام . وظاهر جدّا أن المراد هنا : لم تجد من يمهرها أو لم تجد مهرا . (٥) كذا فى ا ، م ، ى . وفى سائر النسـخ : « خلا حائل » . والحائل : غير الحامل ، يقال : حالت المرأة والناقة والنخلة وغيرهن اذا لم تحمل . (٦) الصرار : خيط يشدّ فوق خلف الناقة لئلا يرضعها ولدها . (٧) خوّار : ضعيف . (٨) جرجر : صوّت . (٩) هو الزبير بن بكار الذى تكرر ذكره كثيرا فى رجال السند .

استأذن آبنُ مَيّادة على الوَليد بن يزيد وعنده شُقْران مَوْلَى قُضاعة فأدخله فى صُندوق وأذِن لآبن مَيّادة؛ فلمّا دخل أجلسه على الصُّندوق وآستنشده هِجاء شُقْران بجعل يُنشِده، ثم أمر بفتح الصُّندوق فخرج عليه شُقْران وجعل يَهدِر كما يهدر الفَحْلُ ويقول :

سأكْعَمُ عن قُضاعةَ كلْبَ قيسٍ * على حَجَرٍ فيُنصِتُ للكِعامِ(١)
أسيرُ أمامَ قيسٍ كلَّ يومٍ * وما قيسٌ بسائرةٍ أمامِي

١٠٨/٢ وقال أيضا وهو يسمع :

إنّى إذا الشعراءُ لاقَى بعضُهمْ * بعضًا بِبَلْقَعةٍ يريد نِضالَهَا
وقَفوا لمُرْتجِزِ الهديرِ(٢) إذا دنتْ * منه البِكارةُ قَطَّعتْ أبوالَهَا(٣)
فتركتُهمْ زُمَرًا تَرَمَّزُ(٤) باللِّحَى * منها عَنافِقُ(٥) قد حَلَقتُ سِبالَهَا(٦)

فقال له آبن مَيّادة : يا أميرَ المؤمنين آكفُف عنّى هذا الذى ليس له أصلٌ فأحفِرَه، ولا فرعٌ فأَهصِرَه؛ فقال الوليد : أشهد أنك قد جَرْجرت كما قال شُقْران :

* فجاءتْ بخَوّار إذا عُضَّ جرجرَا *

---

(١) الكعم : شدّ فم البعير لئلا يعض أو يأكل وشدّ فم الكلب لئلا ينبح، يقال : كعمه (من باب فتح) اذا شدّ فاه بالكعام . والكعام (وزان كتاب) : ما يعكم به . يريد أنه سيلقمه حجرا . وعكم مثل كعم معنى ووزنه كضرب . (٢) الهدير : ترديد البعير صوته فى حنجرته . والمرتجز : ما تسمع له صوتا متتابعا، يقال : ارتجز الرعد اذا سمع له صوت متتابع . (٣) كذا فى م ، ء . وفى سائر النسخ : «البكار وقطعت» . والبكارة كالبكار : جمع بكرة وهى الفتية من الإبل . (٤) ترمز : تتحرك . (٥) العنافق : جمع عنفقة وهى الشعرات التى بين الذقن وطرف الشفة السفلى . (٦) سبالها : جمع سبلة بالتحريك وهى الدائرة فى وسط الشفة العليا، وقيل : ما على الشارب من الشعر، وقيل : مجتمع الشاربين .

تفاخره مع عقال بالشعر

قال يحيى فى خبره : وآجتمع آبن ميّادة وعقال بن هاشم بباب الوليد بن يزيد، وكان عقالٌ شديد الرأى فى اليمن، فغمز عقالٌ آبن ميّادة وآعتلاه(١)، فقال آبن ميّادة :

فخرنا ينابيعَ الكلام وبحرَهُ * فأصبح فيه ذو الرّواية يَسْبَحُ

وما الشِّعرُ إلّا شعرُ قيس وخِندِف * وقولُ سِواهم كُلْفَةٌ وتَملُّحُ(٢)

فقال عقالٌ يُجيبه :

ألَا أبلغ الرَّمّاح نقضَ مَقالةٍ * بها خَطِلَ الرَّمّاحُ أو كان يمزَحُ(٣)

لئن كان فى قيسٍ وخِندِفَ ألسُنٌ * طِوالٌ وشِعْرٌ سائرٌ ليس يُقْدَحُ(٤)

لقد خرق الحىُّ اليمانون قبلَهُمْ * بحورَ الكلام تُستَقى وهى تَطْفَحُ(٥)

وهُمْ علّموا مَنْ بعدَهم فتعلّموا * وهُمْ أعربوا هذا الكلامَ وأوضحوا

فللسابقين الفضلُ لا يُجحَدُونه * وليس لمخلوقٍ عليهم تَبَجُّحُ(٦)

أخبرنى الحَرَمىّ قال حدّثنا الزُّبَيْر قال حدّثنا جلال بن عبد العزيز عن أبيه قال حدّثنى آبن ميّادة قال :

شعره فى حنينه الى وطنه وحوار الوليد إياه

قلتُ وأنا عند الوليد بن يزيد بأبَايِن — وهو موضع كان الوليد يَنزِله فى الربيع — :

لَعَمْرُكَ إنى نازلٌ بأبايِنٍ * لَصوءَرَ(٧) مشتاقٌ وإنْ كنتُ مُكرَما

أبيتُ كأنّى أرمدُ العين ساهرٌ * إذا بات أصحابى من الليل نُوَّما

(١) كذا فى أغلب النسخ . وغمزه : عابه وصغر من شأنه . وفى ط : «غمر» بالراء . (٢) تملح : تكلف الملاحة ، يقال : فلان يتظرف و يتملح أى يتكلف الظرف والملاحة . (٣) فى م ، أ ، ء : «كاد» . (٤) كذا فى أغلب النسخ ولعله بمعنى يعاب وإن كنا لم نعثر فى كتب اللغة على أن قدح بهذا المعنى يتعدى بنفسه وإنما يتعدى بفى . وفى ط : « يفرح » وهو تحريف . (٥) كذا فى أغلب النسخ وفى حـ ، ء ، ط «طفح» ولم نجد فى كتب اللغة التى بين أيدينا نصا على أنّ طافحا يجمع على طفح ولكن علماء العربيـة يقولون : إن فعلا يطرد جمعا لفاعل متى كان وصفا صحيح اللام نحو عاذل وعذل وشاهد وشهد (انظر شرح الأشمونى للخلاصة) . (٦) تبجح : افتخار وتعظم . (٧) صوءر : ماء لكلب على مسافة يوم وليلة من الكوفة مما يلى الشأم . و يوم صوءر من أيامهم المشهورة .

قال : فقال لى الوليد : يابن ميّادة كأنك غَرِضْتَ[1] من قُربنا، فقلتُ : ما مثلُك يا أمير المؤمنين يُغْرَضُ من قربه، ولكن :

ألا لَيتَ شِعرِى هل أَبيتنّ ليلةً * بحَرّةِ[2] ليلَى حيث ربّتْنِى[3] أهلى
وهل أَسمعنّ الدهرَ أصواتَ هَجْمةٍ[4] * تَطالَعُ من هَجْلٍ[5] خَصيبٍ إلى هَجْلِ
بلادٌ بها نِيطتْ علىّ تَمائمى * وقُطِّعنَ عنّى حينَ أدركنى عَقْلِى
فإنْ كنتَ عن تلك المواطنِ حابسِى * فأَيْسِرْ علىّ الرزق وٱجمعْ إذًا شَمْلى

فقال : كم الهَجْمة؟ قلت : مائة ناقة، فقال : قد صَدَرْتَ بها كلّها عُشَراء[6]. قال ٱبن ميّادة : فذكرتُ وِلْدَانا لى بنَجْد إذا ٱستطعموا الله عزّ وجلّ أطعمهم وأنا، وإذا ٱستَسْقَوْه سقاهم اللهُ وأنا، وإذا ٱستكْسَوْه كساهم اللهُ وأنا، فقال : يابن ميّادة، وكم وِلْدانُك؟ فقلت : سبعةَ عشَرَ، منهم عشرةُ نَفَرٍ وسبعُ نِسوة، فذكرتُ ذلك منهم فأخذ بقلبى؛ فقال : يابن ميّادة، قد أطعمهم اللهُ وأميرُ المؤمنين، وسقاهم الله وأميرُ المؤمنين، وكساهم الله وأميرُ المؤمنين؛ أمّا النساء فأربعُ حُلَلٍ مختلفاتُ الألوان، وأمّا الرجال فثلاثُ حُلَلٍ مختلفاتُ الألوان، وأمّا السَّقْىُ فلا أرَى مائة لِقْحة إلّا ستُرْوِيهم، فإن لم تُرْوِهم زِدتُهم عينَيْن من الحجاز؛ قلتُ : يا أمير المؤمنين، لسنا ١٠٩ / ٢

(١) غرضت : ضجرت ومللت .

(٢) الحرة أرض ذات حجارة سود . وفى ديار العرب حرّات كثيرة، وأكثرها حوالى المدينة الى الشام، ومنها حرة ليلى هذه، وهى فى ديار بنى مرة بن عوف من غطفان، يطؤها الحاج فى طريقهم الى المدينة، وقال السكرىّ : حرة ليلى معروفة فى بلاد بنى كلاب، وأورد قصة الوليد مع ابن ميادة وهذه الأبيات . (أنظر معجم البلدان لياقوت فى اسم « حرة ليلى ») .

(٣) ربتنى : فعل رباعىّ، يقال : ربت الصبى تربيتا أى رباه تربية .

(٤) الهجمة : القطعة الضخمة من الإبل، قيل أوّلها الأربعون فما زادت، وقيل هى ما بين الثلاثين الى المائة .

(٥) الهجل : المطمئن من الأرض .

(٦) العشراء : الناقة التى أتى على حملها عشرة أشهر وجمعها عشار، وليس فى الكلام فعلاء يجمع على فعال غير عشراء ونفساء .

بأصحابِ عيون يأكُلنا بها البَعُوض ، وتأخذُنا بها الحُمَّيَاتُ ؛ قال : فقــد أخلفها اللهُ عليك ؛ كلّ عام لك فيه مثلُ ما أعطيتك العامَ : مائةَ لِقْحة وفحلَها وجارية بِكْر وفَرَس عَتِيــق .

عارض ابن القتال وانتحـل بيتا من شعره

وأخبرنا يحيى بن علىّ قال حدّثنا حَمّاد بن إسحاق عن أبيه قال حدّثنى شَدّاد ابن عُقْبة عن عبد السلام بن القَتّال قال :

عارضنى ابن مَيّادة فقال : أنشدنى يابن القَتّال ، فأنشدتُه :

أَلَا ليت شعرى هل أبيتَنّ ليـلةً * بصحراءَ مَا بين التَّنُوفـةِ (١) والرَّمْلِ
وهل أزجُرنّ العِيسَ شاكيةَ الوَجى (٢) * كما عَسَلَ (٣) السِّرحانُ بالبلد المَحْلِ
وهل أسْمعنّ الدهرَ صوتَ حمامةٍ * تُغَنّى حَماماتٍ على فَنَنٍ (٤) جَثْلِ
وهل أشربَنّ الدهرَ مُزْنَ (٥) سحابةٍ * على ثَمَدِ (٦) الأفعاة (٧) حاضرُه أهلى
بلادٌ بهـا نيطتْ علىّ تمـائمى * وقُطِّعنَ عنّى حين أدركنى عقلى

قال : فأتانى الرّواة بهذا البيت وقد ٱصطرفه (٨) ٱبن مَيّادة وحدَه .

---

(١) التنوفة : المفازة وقيل الفلاة التى لا ماء بها ولا أنيس وإن كانت معشبة . (٢) الوجى : الحفا وقيل شدّته . (٣) عسل : مضى مسرعا وٱضطرب فى عدوه وهز رأسه ، والسرحان : الذئب . (٤) الفنن : الغصن ، والجثل : الضخم الكثير الورق . (٥) كذا فى أغلب النسخ ، والمزن : جمع مزنة وهى المطرة ، وتقال على السحابة البيضاء أو السحابة ذات الماء . وفى ح ، م : «صوب» والصوب : المطر . (٦) الثمد والثمد : الماء القليل . (٧) الموجود فى أسماء الأماكن «أفعى» وقد ذكر فى القاموس أنها هضبة لبنى كلاب . وذكر البكرىّ فى معجم ما ٱستعجم ص ٧١٨ أنها ماءة فى ناحية هضب الوراق لبنى الطماح من بنى أسد . وقد يرد هذا الاسم فى الشعر بالتاء فيقال أفعاة قال بعض الكلابيين :

هل تعرف الدار بذى النبات * الى البريقات الى الأفعاة

قال الصاغانى : أدخل الهاء فى الأفعاة لأنه رغب بها الى الهضبة . (٨) كذا فى أغلب الأصول بالصاد والطاء ، ولم نجد لاصطرف فى هذا الموضع معنى مناسبا . وفى س : «ٱ[illegible]طرفه» بالسين والطاء ولعل أصله «ٱستطرفه» أى عدّه طريفا أو ٱختاره يقال : استطرفت الابل المـ[illegible]ـتارته .

جازه الوليد إبلا فأرادوا ابدالها فقال شعرا

أخبرنى حبيب بن نصر المُهَلَّبِىّ قال حدّثنا عُمَر بن شَبَّة قال حدّثنى إسحاق بن إبراهيم قال حدّثنى رجل من كَلْب وأخبرنى يحيى بن علىّ بن يحيى عن حمّاد(١) عن أبيه عن أبى علىّ الكلبىّ قال :

أمر الوليد بن يزيد لآبن مَيّادة بمائة من الإبل من صَدَقات بنى كلب ، فلمّا أتى الحول أرادوا أن يبتاعوها له من الطرائد ، وهى الغرائب ، وأن يُمسكوا التِّلاد(٢) ، فقال آبن مَيّادة :

ألم يَبْلُغْكَ أنّ الحىّ كلبًا * أرادوا فى عطيّتك آرتدادا(٣)
وقالوا إنّها صُهْب(٤) ووُرْق(٥) * وقد أَعطيتها دُهْمًا(٦) جِعادا(٧)

فعلِموا أنّ الشعر سيبلغ الوليدَ فيُغْضِبُه ، فقالوا له : آنطلق فخذها صُفْرا جِعادا .

شعره فى رثاء الوليد

وقال يحيى بن علىّ فى روايته : لمّا قتِل الوليد بن يزيد قال آبن مَيّادة يرثيه :

---

(١) كذا فى ا ، م ، حـ . وفى سائر النسخ : «عن حماد الراوية عن أبيه» وزيادة الراوية هنا من تشويه النساخ لأن الذى يروى كثيرا عن أبيه هو حماد بن إسحاق لا حماد الراوية ، وقد تقدم ذلك فى أسانيد كثيرة ولم يعرف أن حمادا الراوية يروى عن أبيه ، على أنه ليس فى السند بين أبى الفرج الأصفهانى وبين حماد هذا إلا راو واحد ومعروف أن حمادا الراوية عاش الى خلافة المنصور ومات سنة ١٦٤ هجرية وصاحب الأغانى مات ٣٥٦ فالمدّة بينهما طويلة ، ولا يعقل لذلك أن يتوسطهما راو واحد . (٢) التلاد : مال قديم ولد عندك أو نتج . (٣) يروى فى كتاب الشعر والشعراء لابن قتيبة (ص ٤٨٥) : « أرادوا لى بها لونين شتى ... » الخ . (٤) صهب : جمع أصهب أو صهباء ، والصهبة فى الإبل : أن يكون فى ظاهر الشعر حمرة وفى أصوله اسوداد . (٥) فى ا ، م ، ء ، ط . «زرق» . وورق : جمع أورق أو ورقاء . والورقة : سواد فى غبرة وقيل سواد فى بياض . قال أبو نصر النعامىّ : هجر بحمراء ، وآسر بورقاء ، وصبّح القوم على صهباء ، قيل له : ولم ذلك ؟ قال : لأن الحمراء أصبر على الهواجر ، والورقاء أصبر على طول السرى ، والصهباء أشهر وأحسن حين ينظر اليها . (٦) الدهم : جمع أدهم أو دهماء ، والدهمة : السواد . (٧) جعاد : جمع جعدة من الجعودة وهى فى الإبل التواء وبرها وتقبضه ونقيضها السبوطة وهى الانبساط والاسترسال .

ألَا يا لَهْفَتَى على وليدٍ (١) * غداةَ أصابه القدَرُ المُتاحُ (٢)
ألَا أبكي الوليد فتى قُرَيْشٍ * وأسمحَها إذا عُدّ السَّماحُ
وأجبرَها لذي عَظْمٍ مَهيضٍ (٣) * إذا ضنّت بدِرّتها اللِّقاحُ
لقد فعلَتْ بنو مَرْوانَ فِعْلًا * وأمرًا ما يسوغ به القَراحُ (٤)

قال يحيى : وغنّى فيه عُمَرُ الوادى ولم يذكر طريقة غِنائه .

ابن ميادة وعثمان ابن عمرو بن عثمان ابن عفان

أخبرنا الحَرَمىّ قال حدّثنا الزُّبَيْر قال حدّثنا محمد بن زُهَيْر بن مُضَرِّس (٥) الفَزارىّ عن أبيه قال :

أخصب جَنابُ الحجاز الشامىّ فمالتْ لذلك ا[ن]تَصَب بنو فَزارة وبنو مُرّة ، فتحالُّوا (٦) جميعا به . قال : فبينا ذات يوم (٧) أنا وآبن مَيّادة جالسان على قارعة الطريق عِشاءً إذا راكبان يُوجِفان (٨) راحلتين حتى وقفا علينا ، وإذا أحدهما بحر الريح (٩) وهو عثمان بن عمرو بن عثمان بن عفان معه مَوْلًى له ، فنَسَبَنا (١٠) وآنتسب لنا ، وقد كان آبن مَيّادة يعلّنى (١١)

(١) كذا فى أغلب النسخ : بغير أل . وفى ا ، م « الوليد » وقد نظر من رجح « وليد » الى ضرورة تنوينها فى صدر البيت ليتم به عروض « فعولن » ولا يبرر عدم تنوينها إلا وقوعها صدرا لمطلع قصيدة دالية من نوعها والحال هنا بخلاف ذلك . (٢) المتاح : المقدر، يقال : أتاح الله له خيرا أو شرا أى قدّره . (٣) المهيض : المكسور يقال : هاض العظم يهيضه هيضا فانهاض أى كسره بعد الجبور أو بعد ما كاد ينجبر فهو مهيض . (٤) القراح : الماء الخالص الذى لم يخالطه شىء من سويق ولا غيره . (٥) لم نستند فى ضبط هذا الاسم الى نص صريح وإنما وجدنا العرب يسمون مضرسا كمحدّث ولم يذكر صاحب القاموس فيما سموا به غير هذه الصيغة . (٦) كذا فى حـ وتحالوا فى كذا أى حلوا متجاورين ، ومنه قيل للزوجة حليلة لأنها تحال زوجها فى دار واحدة . وفى باقى النسخ : «فتحالفوا» بفاء بعد اللام . (٧) كذا فى ب ، س . وفى سائر النسخ : «فانى ذات يوم الخ» . (٨) يوجفان : يحثان . (٩) كذا فى ب ، س ، ى . وفى حـ « بخر الزنج » ، وسيأتى هذا الاسم فى ترجمة أشعب وأخباره فى ج ١٧ ص ٨٩ من الأغانى طبع بولاق هكذا : «خراء الزنج» وهو عثمان بن عمرو بن عثمان . (١٠) فنسبنا : سألنا أن ننتسب . وفى ط : «فنسبنا فانتسب» . (١١) يعلنى : يشغلنى و يلهينى ، يقال : علله بالحديث أو الطعام إذا شغله به .

بشعره ، فلمّا ٱنقضى كلامُنا مع القُرَشىّ ومولاه ٱستعدتُ ٱبنَ ميّادة ما كنّا فيه ، فأنشدنى فخرًا له يقول فيه :

وعلى المُلَيحة(1) من جَذِيمة فِتْيةٌ * يتمارضُون(2) تمارضَ الأُسْدِ
وترى الملوكَ الغرّ تحت قِبابهم * يمشُون فى الحَلَقات والقِدِّ(3)

قال : فقال له القُرشىّ : كذبتَ ، قال ٱبن ميّادة : أفى هذا وحدَه ! أنا والله فى غيره أكذَبُ ، فقال له القُرشىّ : إنْ كنتَ تريد فى مديحك قريشا فقد كفرتَ بربّك ودفعتَ قوله ، ثم قرأ عليه : ﴿لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ﴾ حتّى أتى على آخرها ، ونهَض هو ومولاه وركِبا راحلتَيْهما ، فلمّا فاتا أبصارَنا قال ٱبن ميّادة :

سمينُ قريشٍ مانعٌ منك نفسَهُ * وغثُّ قريشٍ حيث كان سمينُ

ابن ميادة وسنان ابن جابر وهجاؤه بنى حميس

أخبرنا يحيى بن علىّ عن حمّاد عن أبيه عن أبى الحارث المُرّىّ قال :

كان ٱبن ميّادة قد هاجَى سِنانَ بن جابر أحد بنى حُمَيس بن عامر بن جُهَيْنة ابن زيد بن لَيْث بن سُود بن أسْلَمَ ، فقال ٱبن ميّادة له فيما قال من هِجائه :

لقد طالما عَلّلتَ حُجْرًا وأهلَه * بأعراض قيسٍ ياسِنانُ بنَ جابرِ
أأهجُو قُرَيْشًا ثم تكرَه رِيبتى * ويَسرِقُنى عِرْضى حُمَيسُ بنُ عامرِ

---

(1) الموجود فى معجم البلدان لياقوت ومعجم ما استعجم للبكرىّ وشرح القاموس للسيد مرتضى «مليحة» بدون أل ، وهى موضع فى بلاد بنى تميم ، وكان به يوم بين بنى يربوع و بسطام بن قيس الشيبانىّ . ومليحة : اسم جبل أيضا فى غربىّ سلمى أحد جبلى طيّئ و به آبار كثيرة وطلح . (2) التمارض : أن يرى من نفسه المرض وليس به . (3) القدّ (بالكسر) : سيور تقدّ من جلد فطير غير مدبوغ يشدّ به الأسير .

قال : وقال فيهم أيضا :

قِصار الخُطَى فُرْق[١] الخُصَى زُمَر[٢] اللِّحَى * كأنّهمُ ظِرْبَى[٣] اهترشْنَ على لَحْمْ

ذكرتُ حَمام القَيْظ لما رأيتُهم * يَمَشُّون[٤] حَوْلى فى ثيابهم الدُّسْم[٥]

وتُبْدِى الحُمَيْسِيّاتُ فى كلّ زِينةٍ * فُرُوجا كآثار الصِّغار من البَهْمْ

قال : ثم إنّ ابنَ مَيَّادة خَرج يبغى إبِلًا له حتى وَرَد جُبَارًا[٦] - وهو ماءُ لُحَمَيس بن عامر - فأتى بيتا فوجد فيه عجوزا قد أسنّتْ، فنَشَدها إبلَه فذكرتْها له وقالت : ممن أنت؟ قال : رَجُلٌ من سُلَيم بن منصور، فأذِنَتْ له وقالت : ادخل حتى نَقْرِيَك وقد عَرَفَتْه وهو لا يدرى ؛ فلمّا قَرَتْه قال ابن مَيّادة : وَجَدتُ ريحَ الطِّيب قد نفح علىّ من البيت ، فإذا[٧] بِنْتٌ لها قد هَتَكَتِ السِّتْرَ، ثم استقبلتْنى وعليها إزارٌ أحمرُ وهى مؤتزرةٌ به، فأطلقتْه وقالت : انظر يابنَ مَيّادة الزانية! أهذا كما نعتَّ! فلم أرَ امرأةً أضخمَ قُبُلًا منها؛ فقالت : أهذا كما قلتَ ! :

وتُبْدِى الحُمَيسيّاتُ فى كلّ زينةٍ * فُرُوجًا كآثار الصِّغارِ من البَهْمْ

---

(١) جمع أفرق، من الفرق وهو تباعد ما بين الخصيتين و يقال للشاة البعيدة ما بين الخصيتين فرقاء .

(٢) كذا فى جميع الأصول ، ولعله بمعنى «مجتمعو اللحى» . (٣) الظربى : جمع ظربان وهى دويبة كالهرة منتنة الرائحة . ويقال : إن أبا الطيب المتنبى لقى أبا علىّ الفارسىّ فقال له أبو علىّ : كم لنا من الجموع على فعلى (بالكسر) . فقال أبو الطيب بديهة : حجلى وظربى ولا ثالث لهما . فما زال أبو علىّ يبحث هل يستدرك عليه ثالثا فلم يمكن إلا ذلك . واهترشن : تواثبن وتقاتلن .

(٤) يمشون لازم كيمشون . (٥) الدسم : الوسخة . (٦) جبار : ماء لبنى حميس ابن عامر بن ثعلبة بين المدينة وفيد . (٧) كذا بالفاء فى أ ، م . وفى سائر النسخ : «وإذا» بالواو .

قال : قلتُ : لا والله يا سيّدتى ، ما هكذا قلتُ ولكن قلت :

وتُبْدِى الحُمَيسيّاتُ فى كلّ زينةٍ * فروجا كآثار المُقَيْسِرةِ(١) الدُّهْمِ

وانصرف يتشبّب(٢) بها ، فذلك حين يقول :

نَظَرْنا فهاجَتْنا على الشَّوْق والهَوَى * لزينبَ نارٌ أُوقِـدَتْ بجُبَارِ

كأنّ سَنَاها لاحَ لى من خَصَاصةٍ * على غير قَصْـدٍ والمَطِىُّ سَوَارِى

حُمَيسيّةٌ بالرملتين محلُّها * تَمُدّ بحِلْفٍ بيننا وجِـوَارِ

قال أبو داود(٣) : وكانت بنو حُمَيس حُلَفَاءَ لبنى سَهْـم بن مُرّة ، ثم للحُصَيْن بن الحُمَام . وتمدّ وتُمتّ واحد .

رجـع الى الشـعر

تُجاوِر من سهم بن مُرّةَ نِسوةً * بمُجْتَمَع النقبين(٤) غيرَ عوارى

نواعـمَ أبكارًا كأنّ عيونَها * عيونُ ظِباءٍ أو عيونُ صُوارِ(٥)

كأنّا نراها وهى منّا قريبـةٌ * على مَتْن عصماءِ(٦) اليَدَيْن نَوارِ(٧)

تَتَبّـعُ من حِجر(٨) ذُرا مُتَمَنّـع * لهـا مَعْقِلٌ فى رأس كلّ طَمارِ(٩)

---

(١) المقيسرة : الإبل المسانّ ، يقال : هذه مقيسرة بنى فلان ، أى إبلهم المسانّ . (٢) فى ح : «يشبب» وفى ط : «ينسب» . (٣) فى ط : «أبو دواد» . (٤) كذا فى ا ، ء ، م ، ط . وفى ب ، س : «النصفين» . وفى ح : «الصفين» . ولم نهتد لترجيح احدى هذه الروايات . (٥) الصوار هنا : القطيع من البقر ، ويقال أيضا على وعاء المسك وقد جمع الشاعر بينهما بقوله :

اذا لاح الصوار ذكرت ليلى * وأذكرها اذا نفح الصوار

(٦) العصماء : ما يكون فى ذراعها بياض من الظباء والوعول . (٧) نوار : نفور . (٨) كذا فى أغلب الأصول ، وهو اسم لمواضع منها جبل فى بلاد غطفان . وفى ح «حجز» بالزاى المعجمة . (٩) الطمار : اسم المكان المرتفع ، يقال : انصب عليهم فلان من طمار أى من مكان عال .

يَدُور بها ذو أسهم لا ينالها * وذو كَلَبات كالقِسىّ ضَوارى (١)
كأنّ على المَتْنَين منها وَدِيَة (٢) * سقَتْها السواقِى من وَدِىّ دَوارِ (٣)
يَظَلّ سحيقُ المِسْك يقطر حَوْلَها (٤) * إذا الماشطاتُ آحتفنه (٥) بمَدارى
وما رَوْضةٌ خضراءُ يضرِبها النّدى * بها قُنّةٌ من حَنْوَةٍ وعَرارِ (٦)
بأطيبَ من ريح القَرَنْفُل ساطعًا * بما آلتف من دِرْع لها وخِمار
وما ظَبيةٌ ساقتْ لهاالريحُ نَغْمةً (٧) * على غفلةٍ فاستسمعت لخُوارِ (٨)
بأحسنَ منها يومَ قامتْ فأتلعتْ (٩) * على شَرَكٍ (١٠) من رَوْعةٍ ونفارِ
فليتَكِ ياحسناءُ يابنةَ مالكٍ * يَبيع لنا منكِ المَوَدّةَ شارِى (١١)

ابن ميادة وزينب بنت مالك

وأخبرنى بهذا الخبر الحَرَمِىّ قال حدّثنا الزُّبَيْر قال حدّثنى أبو حَرْمَلةَ مَنْظورُ بن أبى عَدِىّ - الفَزارِىّ - ثم المَنْظورِىّ - عن أبيه قال حدّثنى رَمّاح بن أَبْرَد قال :

---

(١) وصف للكلبات ، وهو جمع ضارية أى المتعوّدة الصيد ، يقال : ضرى الكلب بالصيد ضراوة أى تعوّد وأضراه صاحبه أى عوده وأغراه به . (٢) الودية : واحدة الودىّ وهو فسيل النخل وصغاره ، وهى هنا كناية عن الضفيرة من الشعر . (٣) كذا فى أغلب الأصول . وفى ء : «درار» ولم نعثر على أنه اسم مكان خاص . (٤) كذا فى أغلب الأصول . وفى ط : « سليخ البان » ولعل كلمة سليخ جمع لسليخة وهى دهن ثمر البان ، قال فى اللسان : وسليخة البان دهن ثمره قبل أن يربب بأفاويه الطيب . (٥) كذا فى أغلب النسخ ولم نجد لها معنى مناسبا . وفى حـ : « آحتفنه » وهو تحريف قطعا ولم نوفق الى تقريبه من صوابه . (٦) القنة : الجبل الصغير . والحنوة : نبات سهلىّ طيب الريح . وفى ب ، سـ : «من جنوة» بالجيم المعجمة وهو تصحيف . والعرار : بهار ناعم أصفر طيب الريح . (٧) كذا فى أغلب النسخ . وفى حـ ، أ « بغمة » بالباء الموحدة من بغمت الظبية والبقرة والناقة أى صوّتت . (٨) كذا فى أ ، ب نسخة الشيخ الشنقيطى بعد تصحيحه لها . والخوار : صوت البقر والغنم والظباء ، وفى باقى النسخ : « حوار » بالحاء المهملة . (٩) أتلعت : مدّت عنقها متطاولة . (١٠) الشرك : حبالة الصائد .
(١١) شارى أى بائع ، يقال : شراه اذا باعه ، ومنه قول يزيد بن مفرّغ :

شريت بردا ولولا ما تكنفنى * من الحوادث ما فارقتـه أبدا

خرجتُ قافلا من السَّلْع(١) إلى نَجْد حتى إذا كنتُ ببعض أَهْضام(٢) الحَرّة (هكذا(٣) فى نُسختى، وأظنه هِضاب(٤) الحَرّة) رُفِع لى بيتٌ كالطِّراف(٥) العظيم، وإذا بفِنائه غَنَمٌ لم تَسرح، فقلت: بيت من بيوت بنى مُرّة وبى من العَيْمة(٦) إلى اللبن ما ليس بأحد، فقلت: آتيهم فأُسلِّم عليهم وأشْرب من لبنهم، فلما كنت غيرَ بعيد سلّمت فردّتْ علىّ امرأةٌ بَرْزة(٧) بفِناء البيت، وحيّت ورحّبت وآستنزلتنى فنزلتُ، فدعَتْ بلبن ولِبأٍ(٨) ورِسْل من رِسْل تلك الغنم، ثم قالت: هَيَا فلانةُ آلبَسى شَفًّا(٩) وآخرُجى، فخرجتْ علىّ جاريةٌ(١٠) كأنّها تَمْعة ما رأيتُ فى الخَلْق لها نظيراً قبلُ ولا بعدُ، فإذا شَفُّها ذاك ليس

(١) عرف باسم «سلع» جبل بقرب المدينة. وقد أورده الجوهرىّ معرّفا فقال: السلع: جبل بالمدينة. وخطأه صاحب القاموس بحجة أنه علم والأعلام لا تدخلها اللام. ونقل السيد مرتضى فى تاج العروس مادّة سلع منازعة شيخه لصاحب القاموس فى هذه التخطئة. وسلع أيضا: جبل فى ديار هذيل بين نجد والحجاز ويقال فيه: ذو سلع. (٢) الأهضام: جمع هضم (بالفتح والكسر) وهو المطمئن من الأرض. (٣) هذه العبارة المحصورة بين قوسين واردة فى أغلب النسخ ما عدا نسخة ح. والظاهر أنها ليست من كلام أبى الفرج وإنما هى حاشية وجدت على بعض نسخ الأغانى فأدخلها الناسخ فى أصل الكتاب لأن صاحب الأغانى روى هذا الخبر عن الحرمىّ ولم يذكر أنه نقلها من كتاب. (٤) إنما رجح أن تكون فى الأصل هضاب لأن المتبادر من قوله: «رفع لى بيت» أنه أطل عليه من هضبة. (٥) الطراف بيت من أدم ليس له كفاء (سترة تكون فى مؤخر البيت من أعلاه الى أسفله) وفى أ، م، ح: «الظرب» والظرب ككتف: الرابية أو الجبل المنبسط. (٦) العيمة: شهوة اللبن، يقال: عام الرجل الى اللبن يعام و يعيم عيما وعيمة اذا آشتهاه. (٧) البرزة: المرأة المتجاهرة تبرز للناس ويجلس اليها القوم وهى مع ذلك عفيفة عاقلة. (٨) اللبأ: أول اللبن عند النتاج. والرسل: اللبن. (٩) كذا فى ح. والشف من الثياب: الرقيق، يقال: شف الثوب عن المرأة يشف شفوفا وشفيفا فهو شف أى رق حتى يرى ما خلفه، وفى باقى النسخ: «شقا» بالقاف وهو تصحيف. (١٠) كذا فى أغلب الأصول. وفى ب، س: «فخرجت على آمرأة جارية» بزيادة لفظة آمرأة.

يُوارِى منها شيئا وقد نَبَا عن رَكَبِها(١) ما وقع عليه من الثوب فكأنه(٢) قَعْبٌ(٣) مُكْفَأ ، ثم قالت : يابن مَيّادة الخبيثة ، أأنت القائل :

وتُبْدِى الحُمَيْسيَّات فى كلّ زينةٍ * فُروجا كآثار الصِّغار من البَهْمِ ؟

فقلت : لا والله — جعلنى الله فِداكِ ياسيّدتى — ما قلت هذا قط ، وإنما قلت :

وتُبْدِى الحُمَيْسيَّاتُ فى كلّ زينةٍ * فُروجا كآثار المُقَيْسِرة الدُّهْمِ

قال : وكان يقال للجارية الحُمَيْسية : زينب بنت مالك ، وفيها قال ابن مَيّادة قصيدته :

* ألِمّا فزُورا اليومَ خيرَ مَزارِ *

أعطاه الوليد جارية فقال فيها شعرا

أخبرنى الحَرَمِىّ بن أبى العَلاء قال حدّثنا الزُّبَيْر بن بَكّار قال حدّثنى مَوْهُوب ابن رَشيد الكِلابىّ قال :

أعطى الوليد بن يزيد ابنَ مَيّادة جاريةً طَبَرِيَّة(٤) أعجميَّةً لا تُفْصِح ، حسناءَ جميلةً كاملةً لولا العُجْمَة ، فعشِقَها وقال فيها :

جزاكَ الله خيرا من أمير * فقد أعطيتَ مِبْرادا سَخُونا

١١٢/٢ بأهلى ما أَلَذَّكِ عندَ نفسى * لَوَ انَّكِ بالكلام تُعَرِّبينا

كأنّكِ ظبيةٌ مَضَغَتْ أراكا * بوادِى الجِزْع حين تُبَغِّمينا(٥)

ملاحاته مع رجل من بنى جعفر

أخبرنى الحَرَمِىّ قال حدّثنا الزُّبَيْر قال حدّثنى إسحاق بن شُعَيْب بن إبراهيم ابن محمد بن طَلْحة قال :

(١) الركب : ظاهر الفرج ، وقيل : هو الفرج نفسه . (٢) فى ب ، س ، ط بعد كلمة الثوب كلمة « شىء » وهى زيادة لم يظهر لها معنى . (٣) القعب : القدح الضخم الغليظ الجافى ، وقيل قدح من خشب مقعر . والمكفأ : المقلوب يقال أكفأ الشىء أى كبه وقلبه ككفأه . (٤) نسبة الى طبرستان من بلاد الفرس وهى بلدان واسعة كثيرة يشملها هذا الاسم .
(٥) التبغم : ترخيم الصوت .

وردتُ على بنى فزارة ساعيا(١)، فأتانى ابن ميّادة مُسلِّما علىّ، وجاءتنى بنو فزارة ومعها رجلٌ من بنى جعفر بن كلاب كان لهم جارا وكان مُخطَّطا(٢) موسوما بجمال، فلما رأيتُه أعجبنى، فأقبلتُ على بنى فزارة وقلتُ لهم: أى أخوالى هذا؟ فوالله إنه ليسُرّنى أن أرى فيكم مثلَه؛ فقالوا: هذا — أمتعَ الله بك — رجلٌ من بنى جعفر ابن كلاب وهو لنا جارٌ. قال: فأصغى إلىّ ابن ميّادة، وكان قريبا منّى، وقال: لا يغرّنّك — بأبى أنت — ما ترى من جسمه فإنّه أجوفُ لا عقلَ له؛ فسمِعه الجعفرىُّ فقال: أفى تقع يابن ميّادة وأنت لا تَقرِى ضيفك؟ فقال له ابن ميّادة: إن لم أقرِه قراه ابن عمّى وأنت لا تَقرِى ولا ابنُ عمّك. قال ابن عِمران(٣): فضحِكت مما شهِد به(٤) ابن ميّادة على نفسه.

كان بخيلا لا يكرم أضيافه

أخبرنى الحَرَمىّ قال حدّثنا الزُّبَيْر قال حدّثنى محمد بن إسماعيل الجعفرىّ عن المُعلّى بن نُوح(٥) الفزارىّ قال حدّثنى خال لى كان شريفا من سادات بَنِى فَزَارة قال:

ضِفتُ ابن ميّادة فأكرمنى وتحفّى بى(٦) وفرّغ لى بيتا فكنتُ فيه ليس معى أحد، ثم جاءنى بقدَح ضخم من لبن إبله فشربته ثم ولّى، فلم ينْشَب أن جاءنى بآخر فتناولتُ منه شيئا يسيرا، فما لبثتُ حتى عاد بآخر فقلتُ: حَسْبُك يارمّاح فلا حاجةَ لى بشىء؛ فقال: اشرَب بأبى أنت، فوالله لربما بات الضيفُ عندنا مدْحُورا(٧).

أخبرنى الحَرَمىّ قال حدّثنا الزُّبَيْر قال حدّثنى عمّى مُصْعَب عن جدّى عبد الله ابن مُصْعَب قال:

---

(١) ساعيا: جابيا صدقاتهم. (٢) مخططا: جميلا. (٣) كذا فى جميع الأصول ولم يتقدّم لهذا الاسم ذكر فى السند. (٤) فى حـ: «مما باء ابن ميادة على نفسه». (٥) كذا فى أغلب النسخ. وفى حـ: «برج» بدل «نوح». (٦) كذا فى ط وتحفى بى أى بالغ فى برّى والسؤال عن حالى. وفى باقى الأصول: «وتحفى». (٧) مدحورا: مطرودا.

أتينا ٱبنَ مَيّادة نتلقّى منه الشعرَ ، فقال لنا : هل لكم فى فضل شَنّةٍ(١) ؟ فظننّاها تمرا ، فقلنا له : هاتِ ، لنَبْسُطَه(٢) بذلك ، فإذا شَنَّةٌ فيها فَضْلَةٌ من خَمْر قد شُرِب بعضُها وبقِيَ بعضٌ ، فلمّا رأيناها قمنا وتركناه .

دعى فى وليمة فرجع لما رأى من ضرب الناس بالسياط

أخبرنا الحَرَمِىّ قال حدّثنا الزُّبَيْر قال حدّثنى إبراهيم بن عبد الرحمن الكَثِيرىّ قال حدّثنى نعمة(٣) الغِفارِىّ قال :

قدِم ٱبن مَيّادة المدينة فدُعِى فى وَليمة فجاء فوجد على باب الدار التى فيها الوليمةُ حَرَسًا يضرِبون الزَّلّالين(٤) بالسّياط يمنعونهم من الدخول ، فرجَع وهو يقول :

ولمّا رأيتُ الأَصْبَحِيّةَ(٥) قَنْعَتْ(٦) * مفارِقَ شُمْطٍ حيث تُلْوَى العمائمُ
تركتُ دِفاعَ الباب عمّا وراءَه * وقلتُ صحيحٌ من نجا وهو سالمُ

جوابه حين سأله الوليد : من تركت عند نسائك

أخبرنى يحيى بن علىّ عن أبيه عن إسحاق قال :

قال الوليد بن يزيد لٱبن مَيّادة فى بعض وِفاداته عليه : مَن تركتَ عند نسائك ؟ قال : رَقيبين لا يُخالفانى طَرْفةَ عَيْن : الجُوع والعُرْى . وهذا القول والجواب يُرْوَى(٧) أنّ عمرَ بنَ عبد العزيز وعَقِيلَ بنَ عُلَّفَة تَراجعاهما ، وقد ذُكِرا فى أخبار عَقِيل .

---

(١) الشنة : الخلق من كل آنيـة صنعت من جلد ، و يقال للسقاء شنّ ، وللقربة شنّ .

(٢) كذا فى أغلب الأصول . وفى ط : « لننشطه » . (٣) سموا « نعمة » بضم النون وبكسرها ، ولم نوفق الى تعيين ضبط هذا الاسم هنا . وفى ط : « نعمة العفانى » .

(٤) الزلالون : الطفيليون نقل ٱبن برّى عن ٱبن خالويه أن من أسماء الطفيلى الزلال (انظر اللسان مادة طفل) . (٥) الأصبحية : السياط نسبة الى ذى أصبح ملك من ملوك حمير . (٦) قنعت أى علت الرءوس ، يقال : قنع فلان رأس الجبل أى علاه ، وقنعت فلانا بالسيف والسوط أى علوته به .

(٧) فى جميع الأصول : « يرويان » وهو تحريف .

مدحه لأبى جعفر المنصور

أخبرنى الحَرَمِىّ بن أبى العَلاء قال حدّثنا الزُّبَيْر بن بَكّار قال حدّثنى عمّى مُصْعَب وأخبرنى محمّد بن مَزْيَدَ قال : حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن الزُّبَيْر وأخبرنا يحيى بن علىّ قال : حدّثنا أبو أيُّوبَ المَدِينِىّ عن مُصْعَب :

أنّ آبن مَيّادةَ مدَح أبا جعفر المنصور بقصيدته التى يقول فيها :

* طلعتْ علينا العِيسُ بالرَّمّاح *

ثم خرج من عند أهله يُريده ، فمرّ على إبله فحُلِبت له ناقةٌ من إبله ، وراح عليه راعِيه بلبنها فشرِبَه ثم مسَحَ على بطْنِه ثم قال : سبحان الله ! إنّ هذا لهو الشَّرَه! يكفينى لبن بَكْرة وأنا شيخ كبير ، ثم أخرج(١) وأغترب فى طلب المال ! ثم رجَع فلم يخرُج . وهذه القصيدةُ من جيّد شعر آبن مَيّادة ، أوّلها :

وكواعِبٍ(٢) قد قلن يَوم تواعُدٍ(٣) * قَوْلَ المُجِدّ وهُنّ كالمُــزّاح

ياليتنــا فى غـير أمرٍ(٤) فادحٍ(٥) * طَلَعتْ علَيْنا العِيسُ بالرَّمّاح

بَيْنــا كذاكَ رأيْنَنِي مُتعصِّبًا * بالخـزِّ فوقَ جُلالةٍ(٦) سِرْداحِ

فيهنّ صفراءُ المَعاصِمِ طَفْلةٌ(٧) * بيضاءُ مثلُ غَرِيضةِ(٨) التُّفّاحِ

---

(١) كذا فى أغلب الأصول . وفى ب ، س : «ثم قال أخرج» وهى هنا حشو لا فائدة فيها .

(٢) كذا ورد هذا الشطر فى جميع الأصول . وجاء فى الكامل للمبرد طبع أوروبا ص ٢٩ هكذا :

* ونواعم قد قلن يوم ترحلى *

(٣) كذا فى حـ . وفى باقى الأصول : «يوم تواعدوا» ولا يصح أن تكون الواو ضميرا للنسوة .

(٤) فى الكامل للمبرّد : «من غير» . (٥) كذا فى حـ والكامل للمبرّد . وفى أغلب الأصول : «ثائر» . وفى ب . «بائر» . (٦) الجلالة : الناقة العظيمة . والسرداح : الناقة الطويلة ، وقيل : الكثيرة اللحم . (٧) الطفلة (بالفتح) : الجارية الرقيقة البشرة الناعمة .

(٨) الغريضة : الطرية .

فنظرنَ من خَلَل الحِجَال بأعينٍ * مَرْضَى مُخالِطُها السَّقام صِحاحِ

وآرتشن حين أردن أن يرمينني [١] * نَبْلًا بلا رِيش ولا بقِداحِ

يقول فيها فى مدح المنصور وبنى هاشم :

فلئن بَقيتُ لألحقنّ بأبحُرٍ * ينمين لا قُطُعٍ [٢] ولا أنزاحِ [٣]

ولآتين بَني عليّ [٤] إنهم * مَن يأتهم يتلق بالإفلاحِ

قومٌ إذا جُلب الثناء إليهمُ * بِيعَ الثناء هناك بالأرباحِ

ولأجلسنّ إلى الخليفة إنه * رَحْبُ الفِناء بواسع نَجّاحِ

وهى قصيدة طويلة .

أصاب الحاج بمكة مطر شديد وصواعق فقال شعرا

أخبرنى الحَرَمىّ قال حدّثنا الزُّبير قال حدّثنا إسحاق بن أيوب بن سَلَمة قال: آعتمرتُ فى رجب سنة خمس ومائة، فصادفنى آبن مَيّادة بمكة وقدِمها مُعتَمِرا، فأصابنا مطرٌ شديد تهدّمت منه البيوت وتوالت فيه الصواعق، فجلس إلىّ آبن ميّادة الغَدَ من ذلك اليوم، فجعل يأتينى قومٌ من قومى وغيرهم [٥] فأستخبرهم عن ذلك الغيث فيقولون : صَعِق فُلان وآنهدم منزل فلان؛ فقال آبن ميّادة : هذا العَيث [٦] لا الغيث؛ فقلت : فما الغيث عندك؟ فقال :

سحائبُ لا مِن صَيِّبٍ [٧] ذى صَواعِقٍ * ولا مُحْرِقات ماؤهُنّ حَميمُ

إذا ما هبطن الأرضَ قد مات عُودُها [٨] * بكين بها حتى يعيش هَشيمُ

(١) ارتشن نبلا : آتخذن لها ريشا . (٢) لا قطع : جمع أقطع وهو الذى انقطع ماؤه . (٣) أنزاح جمع نزح [بالتحريك] وهو ما نزح أكثر مائه، وهو أيضا الماء الكدر . (٤) كتب فى هامش ط على هذا البيت (يعنى على بن عبد الله بن العباس اه) وهو أصغر أولاد عبدالله بن عباس ولكنه تقدمهم لشرفه ونبله وقد أنزله عبد الملك بن مروان الحميمة ببلاد الشام فلبث فيها حتى مات (انظر اليعقوبى ص ٣١٤ و ٣٢١ و ٣٤٨ و ٣٨٥) . (٥) فى ط : «المطر» . (٦) العيث بالعين المهملة : الفساد . (٧) فى ح ، ى ، ط «صيف» ورواية الكامل للبرد ص ٥٠ «... صيف ... ... مخرفات ...» . (٨) فى ط : «داء عودها» من داء الرجل (وزان شاء) : أصابه الداء .

كان ينشد من شعره فيستحسنه الناس

أخبرنى الحَرَمِىّ قال حدّثنا الزُّبَيْر قال حدّثنى موسى بن زُهَيْر عن أبيه قال : جلست أنا وعيسى بن عُمَيْلَة وٱبن مَيّادة ذات يوم ، فأنشدنا ٱبنُ مَيّادة شعره مَلِيًّا ، ثم أنشدنا قوله :

ألَا ليتَ شِعْرى هل أبيتنّ ليلةً * بحَرّة ليلَى حيث رَبّتْنِى أهلِى
بلادٌ بها نِيطتْ علىّ تمائمى * وقُطّعن عنّى حين أدركنى عقلى
وهل أسمعنّ الدهرَ أصواتَ هَجْمَةٍ * تَطالَعُ من هَجْلٍ خَصيبٍ إلى هَجْلِ
صُهَيْبِيّةٍ صفراءَ تُلْقِى رِباعَها * بمُنْعَرَجِ الصَّمّانِ(١) والجَرَعِ(٢) السهلِ

تلقى رِباعها : تطرَح أولادها . وواحد الرباع رُبَع .

وهل أجمعنّ الدهرَ كفّىَّ جَمْعةً * بمَهضومةِ الكَشْحَيْنِ ذاتِ شَوًى عَبْلِ(٣)
مُحَلَّلةٍ لى لا حَراما(٤) أتيتُها * من الطيبات حين تَرْكُضُ فى الحَجْلِ(٥)
تميلُ إذا مالَ الضجيعُ بعِطْفِها * كما مالَ دِعْصٌ(٦) من ذُرَا عَقَدِ(٧) الرملِ

١١٤
٢

فقال له عيسى بن عُمَيْلَة : فأين قولك يا أبا الشُّرَحْبِيل :

لقد حَرَّمَتْ أمّى علىّ عَدِمْتُها * كرائمَ قومى ثم قِلّةُ ماليا

---

(١) الصمان : أرض غليظة دون الجبل ، و يطلق على جبل ينقاد ثلاث ليال وليس له ارتفاع بين البصرة ومكة ، يخرج المسافر من البصرة الى مكة فيسير الى كاظمة ثلاثا ثم الى الدو ثلاثا ثم الى الصمان ثلاثا ثم الى الدهناء ثلاثا . (انظر معجم ما استعجم للبكرى ص ٦٠٥ طبع أوربا) . (٢) الجرع : الرملة السهلة المستوية . (٣) الشوى : الأطراف : اليدان والرجلان والرأس . والعبل : الضخم . (٤) كذا فى ح ، أ : «حراما» . وفى باقى النسخ : «حرام» . (٥) الحجل بفتح الحاء المهملة وكسرها : الخلخال . (٦) الدعص (بالكسر) : قطعة من الرمل مستديرة ، أو الكثيب منه المجتمع ، جمعه دعص (كعنب) وأدعاص ودعصة (كعنبة) . (٧) العقد : المتراكم من الرمل .

فقلت له : فاعطِف إذًا الى أمة بني سُهَيل فهي أعنَدُ وأنكَدُ ، وقد كنتُ أظن أن مَيّادة قد ضربت جاشك على اليأس من الحرائر،(١) وأنا أُداعبه وأُضاحكه ؛ فضحك وقال:

ألم تر قومًا ينكِحون بمالهِمْ * ولو خَطَبتْ أنسابُهم(٢) لم تُزَوَّجِ

أخبرني الحَرَمي قال حدّثنا الزُّبَيْر قال حدّثني عمّي مُصْعَب وغيرُه :

أنّ حُسَيْنَة اليسارِيّة كانت جميلة — وآلُ يَسَار من موالي عُثمان رِضوانُ الله عليه يسكنون تَيْماء، ولهم هناك عَدَد وجَلَد، وقد انتسبوا في كَلْب الى يَسار بن أبي هند فقبِلهم(٣) بنو كَلْب — قال : وكانت عند رجل من قومها يقال له : عيسى بن إبراهيم ابن يَسار، وكان ابن مَيّادة يزورها ؛ وفيها يقول :

ستأتينا حُسَيْنَةُ حيث شِئْنا * وإن رَغِمَتْ أُنوفُ بني يَسارِ

قال : فدخل عليها زوجها يوما فوجَد ابنَ مَيّادة عندها، فهمّ به هو وأهلُها ؛ فقاتلهم وعاونته عليهم حُسَيْنَة حتى أفلت ابنُ مَيّادة ؛ فقال في ذلك :

لقد ظلّتْ تُعاونُني عليهمْ * صَمُوتُ الحِجْل كاظمةُ السِّوارِ(٤)

وقد غادرتُ عيسى وهو كَلْبٌ * يُقطِّع سَلْحَه خلفَ الجدارِ

أخبرني يحيى بن عليّ بن يحيى قال حدّثني إبراهيم بن سعد(٥) بن شاهين قال حدّثني عبد الله بن خالد بن دُفَيْف التَّغْلِبيّ عن عثمان بن عبد الرحمن بن نُمَيْرة العَدَوِيّ عن أبي العَلاء بن وَثّاب قال :

---

(١) قال في اللسان (مادة جاش) : «وقال مجاهد في قوله تعالى : (يا أيتها النفس المطمئنة) : هي التي أيقنت أن الله ربها وضربت بذلك جاشا . قال الأزهري : معناه : قرت يقينا واطمأنت كما يضرب البعير بصدره الأرض» . والمعنى هنا : أنها جعلت قلبه على يأس من الاقتران بالحرائر لانحطاط نسبها .

(٢) كذا في م ، أ . وفي ب ، حـ ، سـ ، ط : «أتاتهم» . وفي ء : «أمهاتهم» وهو تحريف . (٣) كذا في أ ، م ، ء ، ط . وفي باقي النسخ : «قبلتهم» وهو تحريف .

(٤) كاظمة : من كظم أي صمت ، والسوار من حلى اليدين معروف . والمعنى أن خلخالها وسوارها لا يسمع لهما صوت لامتلائهما بمعصمها وساقها . (٥) في أ ، م ، ء ، ط : «سعيد» .

ابن ميادة وعبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك ومدائحه فيه

قَدِمَ ابنُ مَيّادة المدينةَ زائرا لعبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك وهو أميرها وكان يَسمُر عنده فى الليل، فقال عبد الواحد لأصحابه : إنّى أَهُمّ أن أتزوّج، فابغونى (١) أَيِّمًا، فقال له ابنُ مَيّادة : أنا أَدُلّك، أصلحك الله أيها الأمير. قال : على مَن يا أبا الشَّرَحْبيل؟ قال : قدِمتُ عليك أيها الأمير فدخلت مسجدكم فإذا أشبه شىء به وبمَن فيه الجنةُ وأهلُها، فوالله لبَيْنا أنا أمشى فيه إذْ قادتنى رائحة عِطْر رجل حتى وَقَفَتْ بى عليه، فلمّا وقع بَصَرى عليه آستلهانى (٢) حُسْنُه فما أقلعتُ عنه حتى تكلّم، فخِلْته لمّا تكلّم يتلو زبورا أو يَدْرُس إنجيلا أو يقرأ قرآنا حتى سكَت، فلولا معرفتى بالأمير لشككتُ أنه هو، ثم خرَج من مُصلّاه إلى داره، فسألت : مَن هو؟ فأُخْبِرتُ أنه للحَيَّيْن (٣) وبين الخليفتين، وأنْ قد نالته ولادة من رسول الله صلّى الله عليه وسلّم لها [نور] (٤) ساطع من غُرّته وذؤابته، فنعم المُنْكَحُ ونعم حَشْو الرَّحْل وآبنُ العَشيرة، فإن آجتمعت أنت وهو على ولد سادَ العبادَ وجاب ذِكْرُه البلاد . فلمّا قضى آبن مَيّادة كلامه قال عبد الواحد ومَن حضره : ذاك محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان، وأمّه فاطمة بنت الحُسَيْن، فقال آبنُ مَيّادة :

لهم نَبْوةٌ (٥) لم يُعْطِها اللهُ غيرَهم * وكلُّ قضاء الله فهو مُقَسَّم (٦)

قال يحيى بن علىّ : وممّا مدَح به عبدَ الواحد لمّا قدِم عليه قولُه : ١١٥ ٢

مَن كان أخطأه الربيعُ فإنما * نُصِرَ (٧) الحجازُ بغَيْثِ عبدِ الواحدِ

إنّ المدينةَ أصبحتْ معمورةً * بمُتَوَّجٍ حُلْوِ الشمائِلِ ماجِدِ

(١) بغى كما يتعدّى لمفعول يتعدّى لمفعولين ومنه قوله تعالى : (يبغونكم الفتنة وفيكم سماعون لهم) .
(٢) كذا فى جميع النسخ . وفى نسخة بهامش ط : «استهانى» . (٣) كذا فى أغلب النسخ . وفى ا ، م : «وآبن الخليفتين» . (٤) الزيادة فى ا ، م . (٥) النبوة : ما ارتفع من الأرض ، وهى هنا كناية عن العلو والارتفاع . (٦) فى ح : «فضل» .
(٧) نصر : سقى ، يقال : نصر الغيث الأرض نصرا ، أى عانها وسقاها وأعانها على الخصب والنبات ، وقد أورد صاحب اللسان هذا المعنى واستشهد عليه بهذا البيت .

ولقد بلَغتَ بغير أمرِ تكلُّفٍ * أعلى الحظوظ برغْم أنْفِ الحاسدِ
وملكتَ ما بين العراق ويثرِبٍ * مُلْكاً أجارَ لمسلمٍ ومُعاهِدِ
مالَيْهما ودَمَيْهما من بعد ما * غَشَّى الضعيفَ شُعاعُ سيفِ المارِدِ

أخبرني الحرميّ قال حدّثنا الزبير قال حدّثني سَعيد بن زَيْد السُّلَميّ قال: إنّا لَنُزُولٌ أنا وأصحابٌ لي قبْلَ الفِطر بثلاثِ ليالٍ على ماءٍ لنا، فإذا راكبٌ يسير على جَمَلٍ مُلْتَفٌّ بثوب والسماءُ تَغسِلُه حتى أناخ إلى أَجَمٍ عَرَفْتُه، فلمّا رأيناه لَثِقاً[1] قُمنا إليه فوضعنا رَحْلَه وقيَّدنا جَمَلَه؛ فلمّا أقلعتِ السماءُ عنّا وهو معنا قاعدٌ قام غِلْمةٌ منّا يرتجزون[2] والرَّجُل لم يَنْتَسب لنا ولا عَرَفناه، فارتجز أحدُهم فقال:

أنا ابنُ مَيّادةَ لَبّاسُ الحُلَلْ * أَمَرُّ من مُرٍّ وأَحْلَى من عَسَلْ

حتى قال له الرجل: يابن أخي، أتدري من قال هذا الشعر؟ قال: نعم، ابنُ ميّادة؛ قال: فأنا [هو][3] ابنُ ميّادة الرَّمّاح بن أَبْرَد، وبات يُعلِّلنا من شعره، ويقطعُ عنّا الليلَ بنَشيده، وسَرَيْنا راحلين فصَبَّحنا مكة فقضينا نُسُكَنا، ولَقِيَه رَجُلان من قومه من بني مُرّة فعرَفهما وعرَفاه وأفطرنا بمكة، فلما انصرفنا من المسجد يوم الفِطر إذا نحن بفارسَيْن مُسَوَّدين وراجِلَيْن مع المرّيّين يقولون: أينَ ابنُ ميّادة؟ فقلنا: ها هو وقد برَزْنا من خَيْمة كنّا فيها، فقلنا لابن ميّادة: ابرُزْ، فلما نَظَر إلى المرّيّين قال:

* إحدى عَشِيّاتِك يا شَمِيرخ *

---

(1) كذا في ء، واللثق: المبتل، يقال: لثق الطائر من باب تعب فهو لثق إذا ابتل ريشه. وفي باقي الأصول: «لثغا» بالغين المعجمة وهو تصحيف. (2) كذا في ا، م وفي ء: «يختبزون» بالخاء المعجمة. وبذلك صحح الأستاذ الشنقيطي نسخته طبع بولاق. وفي ب، س، حـ: «يختبرون» بالراء المهملة وهو تصحيف. (3) زيادة في حـ، ا.

– قال : وهذا رَجَزٌ لبعض بنى سُلَيم يقوله لفرسه :

أقولُ والرّكبة فوقَ المِنْسَج[(١)] * إحدَى عَشِيَّاتِك يا شَمِيرَجْ

ويروى : مشمرج – فقالوا لابن مَيّادة : أجب الأميرَ عبدَ الصمد بن علىّ، وخذ معك من أصحابك مَن أحببتَ ؛ فخرج وخرج معه منّا أربعةُ نَفَرٍ أنا أحدُهم حتى وقفنا على باب دار النَّدْوة[(٢)] ، فدخل أحد المسوِّدين ، ثم خرج فقال : ادخل يا أبا شَجَرة ، فدخَلتُ على عبد الصمد بن علىّ فوجدتُه جالسا مُتَوَشِّحا بمِلْحَفَة مُوَرَّدة[(٣)] ؛ فقال لى : مَنْ أنت ؟ قلتُ : رَجُلٌ من بنى سُلَيم ؛ فقال : مالك تُصاحبُ المُرِّىَّ وقد قتلُوا معاويةَ بنَ عمرو ! وقالت الخنساءُ :

أَلَا ما لِعينِى أَلَا ما لَهَا * لقد أخضَلَ الدمعُ سِرْبالَهَا

فآليتُ آسَى[(٤)] على هالكٍ * وأسألُ نائحةً ما لَهَا

أبعدَ ابنِ عمروٍ مِنَ آلِ الشَّرِيـ * ـدِ حلّتْ[(٥)] به الأرضُ أثقالَهَا

فإن تكُ مُرّةُ أوْدَتْ به * فقد كان يُكثِرُ تقتالَهَا

---

(١) منسج الدابة : ما بين العرف وموضع اللبد ، وقيل : المنسج للفرس بمنزلة الكاهل من الانسان والحارك من البعير . (٢) دار الندوة : دار أحدثها قصىّ بن كلاب بن مرة لما تملك مكة ، وجعلها بعد وفاته لابنه عبد الدار بن قصىّ ، ثم صارت الى حكيم بن حزام ، فاشتراها منه معاوية بن أبى سفيان بمائة ألف درهم ، وقيل لم تزل فى أيدى بنى عبد الدار حتى اشتراها معاوية بن عكرمة بن عامر من بنى عبد الدار وجعلها دار الإمارة ، وسميت دار الندوة لأنهم كانوا يندون فيها أى يجتمعون للشاورة (انظر معجم ياقوت فى اسم دار الندوة وشرح القاموس فى مادة ندى) . (٣) موردة : لونها ورد ، يقال : وَرّدت الثوب أى جعلته وردا . والورد فى الألوان : حمرة تضرب الى صفرة حسنة . (٤) يريد لا آسى ولا أسأل وقد أورد صاحب اللسان هذا البيت شاهدا على حذف لا فى جواب القسم (انظر مادة «لا») . (٥) حلت به الأرض أثقالها : زينت موتاها ، وهو من التحلية . والأثقال : الموتى ، وقد فسر بذلك قوله تعالى : (وأخرجت الأرض أثقالها) . أو حلت من حللت الشىء فانحل ، ومعناه أن أخاها معاوية ابن عمرو كان ثقيلا على الأرض لأنه كان هو وأصحابه ومن معه يركضون على الأرض ويقاتلون عليها فلما مات انحل ذلك الثقل الذى كان عليها (انظر أنيس الجلساء شرح ديوان الخنساء طبع بيروت ص ٢٠١ ، ولسان العرب مادة ثقل) .

أَتَرْوِيهَا؟ قلتُ: نعم أصلحَ الله الأميرَ، وما زال من المعركة حتى قَتَل به خُفَافُ ابن عمرو[1] المعروف بابن نُدْبة كَبْشَ القومِ مالكَ بن حِمَارٍ[2] الفَزارىّ ثم الشَّمْخِىّ[3]، أَمَا سَمِعَ الأميرُ قولَ خُفاف بن نُدْبَة فى ذلك:

فإن تكُ خَيْلِى قد أُصيب صَمِيمُها * فَعَمْدًا على عينٍ[4] تَيَمَّمتُ مالِكَا ١٦٦/٢

تَيَمَّمتُ كَبْشَ[5] القومِ حين رأيتُه * وجانَبْتُ شُبَّانَ الرِّجالِ الصَّعَالِكَا

أقولُ له والرمحُ يَأْطِرُ[6] مَتْنَه * تأمَّلْ خُفَافًا إنّنى أنا ذَلِكَا[7]

وقد توسَّط معاويةُ بن عمرو خيلهم فأكثر فيهم القتلَ، وقَتَل كبشَ القوم الذى أُصيب بأيديهم؛ فقال: لله دَرُّكَ! إذا وَلَدَتِ النساءُ فَلْيَلِدْن مثلَك! وأمر لى بألف درهم، فدُفِعت إلىّ وخَلَع علىّ. وأُدخِل ابنُ ميّادة فسلّم عليه بالإمْرة؛ فقال له: لا سلّم الله عليك يا ماصّ كذا من أمه[8]؛ فقال ابن ميّادة: ما أكثرَ الماصِّين! فضحِك عبدُ الصَّمد، ودعا بدفتر فيه قصيدةُ ابن ميّادة التى يقول فيها:

---

(١) كذا فى جميع الأصول، وعمرو من جدود خفاف، وأما أبوه فاسمه عمير إذ هو خفاف بن عمير ابن الحارث بن عمرو بن الشريد السلمى وهو صحابىّ. وندبة أم خفاف كانت سوداء حبشية، فقولهم: خفاف ابن ندبة نسبة الى أمه، وكتب على هامش نسخة الأستاذ الشنقيطى عمير تصحيحا لقوله عمرو، وهو الموافق لما ذكر فى ج ١٢ ص ١٣٩ و ١٤٠ أغانى طبع بولاق. (انظر تاج العروس مادتى خفف وندب).

(٢) كذا فى أغلب النسخ والكامل للمبرد ص ٥٦٩ طبع أوروبا. وفى م: «حماد» بالدال وهو الموافق لما ذكر فى ج ١٣ ص ١٤١ أغانى طبع بولاق.

(٣) كذا فى أغلب النسخ نسبة الى شمخ بن فزارة: بطن، قال صاحب القاموس فى مادة شمج: «وأما بنو شمخ بن فزارة فبالخاء المعجمة وسكون الميم، وغلط الجوهرى» وقال فى مادة شمخ: «شمخ بن فزارة بطن وصحف الجوهرى فى ذكره بالجيم» قال السيد مرتضى فى شرحه: وذكر الخلاف الزبير بن بكار وغيره، ولكن الراجح ماذكره المصنف. وفى ا، م «الشمجى» بالجيم على نحو ما فى الصحاح، وقد عرفت أنه خلاف الراجح.

(٤) كذا فى ط. وفى سائر النسخ: «على عينى» باضافته الى الياء، يريد أنه تيممه بجدّ و يقين، يقال: فعلت كذا عمدا على عين وفعلته عمد عين أى بجدّ و يقين.

(٥) كبش القوم: رئيسهم وسيدهم.

(٦) يأطر: يثنى و يعطف.

(٧) أورد البغدادىّ فى خزانة الأدب ج ٢ ص ٤٧٠ هذه الأبيات مضافة الى بقية القصيدة البالغة ثمانية أبيات مع شرح كلماتها.

(٨) تقول العرب فى السب: ياماص بظر أمه، ولم يصرح به هنا لقبحه.

لنا المُلكُ إلّا أنّ شيئا تَعُدُّه * قريشٌ ولو شئنا لداخَتْ(١) رِقابُها

ثم قال لابن ميّادة: أُعتِق ما أَملِك إن غادرتَ منها شيئا إن لم أَبلُغ غيظَك، فقال ابن ميّادة: أُعتِق ما أملِك إن أنكرتُ منها بيتا قلتُه أو أقررتُ ببيت لم أَقُلْه؛ فقرأها عبدُ الصّمد ثم قال له: أأنتَ قلتَ هذا؟ قال نعم؛ قال: أفكُنتَ أمِنْتَ يابن ميّادة أن يَنْقضّ عليك بازٍ(٢) من قريش فيَضْرِبَ رأسك! فقال: ما أكثر البازِين! أفكان ذلك البازى آمِنا أن يلقاه بازٍ(٢) من قيس(٣) وهو يسير فيرميَه فتَشُولَ(٤) رِجْلاه! فضَحِك عبد الصمد ثم دعا بكُسْوة فكساهم.

تمثل بعض ولد الحسن بشعر ابن ميادة

أخبرنى حبيب بن نصر المهلّبى(٥) قال حدّثنا عبد الصّمد(٦) بن شَبيب قال قال أبو حُذافة السَّهْمى:

سَبّ رجلٌ من قُرَيش فى أيام بنى أميّة بعضَ ولد الحسن(٧) بن علىّ عليهما السلام، فأغلظ له وهو ساكتٌ، والناسُ يَعْجَبون من صَبْره عليه، فلما أطال أقبل الحَسَنِىّ(٨) عليه متمثّلا بقول ابن ميّادة:

أظنّتْ سَفَاهًا من سَفَاهة رأيها * أنَ اَهْجُوَها لمّا هَجَتْنى مُحارِبُ
فلا وأبيها إنّنى بعَشِيرتى * ونفسِىَ عن ذاك المَقامِ لَراغِبُ

فقام القُرَشىّ خَجِلا وما ردّ عليه جوابا.

(١) داخت: ذلت وخضعت، وفى رواية أخرى فى ص ٣٣٣ سطر ٤ من هذا الجزء: «ذلت».
(٢) كذا فى ط: وفى سائر النسخ «باز» قال فى المصباح: البازى وزان القاضى، فيعرب إعراب المنقوص، والبازُ وزان الباب لغة فتعرب الزاى بالحركات الثلاثة، ويجمع على أبواز مثل باب وأبواب وبيزان مثل نار ونيران، وعلى هذه اللغة فأصله بوز. (٣) كذا فى أ، م. وفى سائر النسخ: «قريش» وهو ظاهر التحريف. (٤) تشول: ترتفع، وهو كناية عن الموت.
(٥) كذا فى حـ، أ، م وهو الموافق لما اتفقت عليه النسخ فى مواضع تقدمت (انظر ص ٦٤ ج ١ أغانى طبع دار الكتب وص ١٥ من هذا الجزء) وفى ب، س، ء: «نصر بن حبيب».
(٦) كذا فى ب، س، حـ. وفى أ، ء، م، ط: «عبد الله بن شيب».
(٧) فى حـ: «الحسين» (٨) فى حـ: «الحسينى».

مدحه لجعفر بن سليمان وهو أمير على المدينة

أخبرني أبو خليفة إجازةً عن محمد بن سلّام قال :

مدح ابنُ مَيّادة جعفر بن سليمان وهو على المدينة، فأخبرني مِسْمَع بن عبد الملك أنه قام له بحاجته عند جعفر وأوصلها اليه . قال فقال [له](١) : جزاكَ اللهُ خيرا ! ممن أنتَ رحمك الله؟ قلتُ : أحدُ بنى مِسْمع ؛ قال : ممن؟ قلتُ : من قَيْس بن ثعلبة ؛ قال : ممن؟ عافاك الله ! قلتُ : من بكر بن وائل ؛ قال : والله لو كنتُ سمِعتُ ببكر بن وائل قط(٢) أوعرفتُهم(٣) لمدحتُك ، ولكنى ما سمعتُ ببكر قط ولا عرفتهم ، ثم مدح جعفرا فقال :

لَعَمْرُكَ ما سيوفُ بنى علىّ * بنابيةِ الظُّباةِ(٤) ولا كِلالِ(٥)

هُمُ القومُ الأُلَى وَرِثوا أباهُمْ * تُراثَ محمدٍ غيرَ انتحالِ

وهم تَركوا المقالَ لهم رفيعا * وما تَركوا عليهم من مَقالِ

حَذَوْتُمْ قومَكم ما قد حَذَوْتُمْ(٦) * كما يُحْذَى المثالُ على المِثالِ

فَرُدُّوا فى جِراحِكُمُ أساكم(٧) * فقد أبلغتُمُ مُرَّ النَّكالِ

يُشير عليه بالعفو عن بنى أمية ويُذَكِّره بأرحامهم .

---

(١) الزيادة عن ١ ، م . (٢) كذا فى جميع الأصول ، والمعروف أن قط تختص بالنفى ، وقد جاءت بعد المثبت فى مواضع من الجامع الصحيح للامام البخارىّ ، منها : « الكسوف أطول صلاة صليتها قط » وفى سنن أبى داود : « توضأ ثلاثا قط » وأثبته ابن مالك فى الشواهد لغة وحقق بحثه فى التوضيح على مشكلات الجامع الصحيح ، قال : وهى مما خفى على كثير من النحاة (انظر القاموس وشرحه تاج العروس فى مادة « قطط »). (٣) كذا فى ح ، ١ . وباقى النسخ : « وعرفتهم » . (٤) الظباة : جمع ظبة وهى حدّ السيف والسنان والنصل . (٥) قال ابن سيده : يجوز أن يكون جمع كال كجائع وجياع ونائم ونيام أو جمع كليل كشديد وشداد وحديد وحداد . (٦) فى ح ، ا ، م ، ط : « ما قد حذوكم » . (٧) الأسى : المداواة والعلاج .

أخبرنا بهذا الخبر يحيى بن علىّ عن سليمان المَدِينى عن محمد بن سلّام، قال يحيى قال أبو الحارث المُرّىّ فيما ذكره إسحاق من أخباره :

قال جعفر بن سليمان لابن ميّادة : أتحبّ أن أعطيك مثل ما أعطاك ابنُ عمّك رِياح(١) بن عثمان؟ فقال: لا، أيّها الأمير، ولكن أعطنى كما أعطانى ابنُ عمّك الوليد ابن يزيد.

قال يحيى وأخبرنا حماد عن أبيه عن أبى الحارث قال قال جعفر بن سليمان لابن ميّادة : أأنت الذى تقول :

بَنِى أَسَدٍ إن تَغْضَبوا ثمّ تَغْضَبُوا * وتَغْضَبْ قُرَيْشٌ تَحْمِ قَيْسًا غِضَابُها

قال : لا والله! ما هكذا قلتُ، قال : فكيف قلتَ؟ قال : قلتُ :

بَنِى أَسَدٍ إن تَغْضَبُوا ثمّ تَغْضَبُوا * وتَعْدِلْ قُرَيْشٌ تَحْمِ قَيْسًا غِضَابُها

هجا بنى أسد وبنى تميم

قال : صَدَقتَ هكذا قلتَ . وهذه القصيدةُ يَهجو بها ابنُ ميّادة بنى أسد وبنى تميم، وفيها يقول بعد هذا البيت الذى ذكره له جعفر بن سليمان :

وأحقرُ محقورٍ تَمِيمٌ أخوكُمُ * وإن غَضِبَتْ يَرْبُوعُها(٢) ورِبَابُها(٣)

---

(١) كذا فى ا «رياح» بالياء المثناة وهو الموافق لما كتبه الأستاذ الشنقيطى بهامش نسخته طبع بولاق تصحيحا لها . وفى أغلب النسخ : «رماح» بالميم . (٢) يربوع بن حنظلة بن مالك بن عمرو ابن تميم أبو حىّ من تميم منهم متمم بن نويرة اليربوعىّ الصحابىّ . ويربوع بن غيظ بن مرّة أبو بطن من مرّة ابن عوف بن سعد بن ذبيان، منهم الحارث بن ظالم المرّى اليربوعىّ، نقله الجوهرىّ . (٣) الرباب قبائل ، قال أبو عبيد : سموا بذلك لأنهم جاءوا برب فأكلوا منه وغمسوا فيه أيديهم وتحالفوا عليه وهم تيم وعدىّ وعكل ، وقريب منه قول الأصمعىّ وقال ثعلب : سموا ربابا لأنهم تربّبوا أى تجمعوا ربة ربة وهم خمس قبائل تجمعوا فصاروا يدا واحدة وهم : ضبة وثور وعكل، وتيم وعدى . وقد قيل أيضا عكس ذلك وهو أنهم سموا بذلك لتفرقهم لأن الربة الفرقة ولذلك اذا نسبت الى الرباب قلت ربى بالضم ترده الى واحده . (انظر لسان العرب مادة ربب) .

أَلَا ما أُبالِي أن تُخَنْدِفَ(١) خِنْدِفٌ * ولستُ أُبالِي أن يَطِنَّ(٢) ذُبابُها
ولو أنّ قَيْسًا قيسَ عَيْلانَ أقسمتْ * على الشمس لم يَطْلُعْ عليكم حِجابُها
ولو حاربتْنا الجِنُّ لم نَرفع القَنا * عن الجِنّ حتى لا تَهِرَّ كِلابُها
لنا المُلْكُ إلّا أنّ شيئا تَعُدُّه * قُرَيْشٌ ولو شِئْنا لَذَلّتْ رِقابُها
وإن غَضِبتْ من ذا قُرَيْشٌ فَقُلْ لها * مَعاذَ الإلٰه أن أكونَ أَهابُها
وإنى لقَوّالُ الجوابِ وإننى * لَمُفتجِرٌ(٣) أشياءَ يُعيِي(٤) جوابُها
إذا غَضِبتْ قيسٌ عليك تقاصرتْ * يداكَ وفاتَ الرِّجلَ منك رِكابُها

ابن ميادة وسماعة ابن أشول

قال إسحاق فى خبره فحدّثنى جبر بن رباط(٥) بن عامر بن نصر قال: فقال سَمّاعة ابن أَشْوَل(٦) النعامى يعارض ابنَ ميّادة:

لعلّ ابنَ أشبانيّةٍ عارضتْ(٧) به * رِعاءَ الشَّوِيّ(٨) من مُرِيحٍ وعازِبِ
يُسَامِي فروعًا من خُزَيمة أحرزتْ * عليه ثَنايا المجدِ من كل جانبِ

فقال ابنُ ميّادة: مَن هذا؟ لقد أغلقَ علىّ أغلقَ اللهُ عليه! قالوا: سَمّاعة بن أَشْوَل، فقال: سَمّاعةُ يُسَمِّع(٩) بى، وأَشْوَلُ يَشُول(١٠) بى، والله لا أُهاجِيه أبدا، وسكت عنه.

---

(١) تخندف: تهرول، يقال: خندف الرجل اذا هرول ومشى بسرعة. (٢) يطنّ: يصوّت. (٣) كذا فى نسخة م، يقال: افتجر الكلام اذا اخترقه من غير أن يسمعه فيتعلمه. وفى باقى النسخ: «لمفتخر» وهى تتعدّى بالباء، ولذلك رجحنا ماجاء بنسخة م. (٤) كذا فى ب، حـ. وفى ط، ى: «يعيا». وفى أ: «يعمى». وفى م: «يعصى». (٥) كذا فى ب، حـ، سـ. وفى م، أ، ط: «جبر بن رياط النعامى أبو نصر» وفى ى: «جبر بن رباط النعامى أبو نصر» ولم نهتد لتصحيح هذا الاسم. (٦) كذا فى جميع الأصول. وفى شرح القاموس مادة شول فى المستدرك: «الأشول» بالتعريف. (٧) كذا فى أغلب النسخ من المعارضة وهى المباراة والمفاخرة. وفى ب، سـ: «فارضت» ولم يظهر لها معنى. (٨) الشوى: اسم جمع، للشاة وقيل: هو جمع لها مثل كلب وكليب. (٩) أى يشهرنى ويفضحنى. (١٠) يشول بى: يرفع من ذكرى ويشهرنى.

هجاء عبدالرحمن بن جهيم الأسدى

وقال عبد الرحمن بن جُهَيم الأسدىّ أحدُ بنى الحارث بن سعد بن ثعلبة بن دُودان بن أسد يردّ على ٱبن ميّادة، وهى قصيدة طويلة ذكرتُ منها أبياتا :

لقد كَذَبَ العبدُ ٱبنُ ميّادة الذى * رَبَا وهى وَسْطَ الشَّوْلِ تَدْمَى كِعابُها
شَرَنْبَثَة(١) الأطرافِ لم يَقْنَ(٢) كَفَّها * خِضَابٌ ولم تَشْرَقْ بعطرٍ ثيابُها
أرمّاح إن تَغْضَبْ صناديدُ خِنْدِفٍ * يَهِجْ لك حَرْباً قَصْبُها(٣) وٱعتيابُها

ويروى "ٱغتيابها" من الغِيبة . و"ٱعتيابها" من العَيْب .

ولو أَغْضَبَتْ قيسٌ قُرَيْشا لجَدَّعتْ * مَسَامِعَ قيسٍ وهى خُضْعٌ رِقابُها
لقد جَرَّ رمّاحُ ابن واهصةِ الخُصَى(٤) * على قومه حَرْباً عظيما عذابُها
وقد عَلِمَ المَملوحُ بالشؤم رأسُه * قُتَيبةُ أن لم تَحْمِ قيسا غِضابُها
ولم تَحْمِها أيامَ قتلِ ابنِ حازمٍ(٥) * وأيامَ قَتْلَى كان خِزْيًا مُصابُها
ولا يومَ لاقينا نُمَيرًا فقُتِّلتْ * نُمَيرٌ وفَرَّتْ كعبُها وكِلابُها
وإن تَدْعُ قيسًا لا تُجِبْكَ وحَوْلَها * خُيُولُ تميمٍ سَعْدُها وربَابُها
ولو أنّ قيسا قيسَ عَيْلانَ أصحرتْ(٦) * لأنواء غَيْمٍ غَرَّقَتْها شِعابُها
ولو أنّ قَرْنَ الشمسِ كان لمعشرٍ * لكان لنا إشراقُها وٱحتجابُها
ولكنها لله يَمْلك أمرَها * بقُدْرته إصعادها وٱنصبابُها
لَعَمْرى لئن شابتْ حَليلةُ نَهْبَلٍ * لبئس شبابُ المرءِ كان شبابُها

(١) أى غليظتها . (٢) كذا فى أغلب النسخ وهو من قنا الشىء لغة فى قنأ ، أى صبغه ، وقوله بعد : «لم تشرق» الخ . أى لم تمتلئ ، يقال : شرق الجسد بالطيب ، أى ٱمتلأ . (٣) قصبها : عيبها ، يقال : قصبه يقصبه قصبا ، أى عابه ووقع فيه . (٤) من الوهص وهو الغمز أو شد خصى الكبش ، ويعير الرجل فيقال له : يابن واهصة الخصى اذا كانت أمه راعية . (٥) فى ١ ، م ، ح : « خازم » بالخاء المعجمة . (٦) أصحرت : برزت الى الصحراء لا يواريها شىء .

وَلَم تدرِ حَمْراءُ العِجَانِ أَنَهْشَلٌ (١) * أبوهُ أم المُرِّىّ تَبَّ تَبَابُها

فإن يكُ رَمّاحُ بنُ ميّادةَ التى * يُصِنُّ (٢) إذا باتتْ بأرضٍ ترابُها

جَرَى جَرْىَ مَوهونِ القُوَى قَصَّرتْ به * لئيمةُ أعراقٍ إليه انتسابُها

فلن تَسْبِقَ المِضمارَ فى كلّ مَوْطِنٍ (٣) * من الخيلِ عندَ الجِدِّ إلاّ عِرابُها

وواللهِ لولا أنّ قَيساً أذِلّةٌ * لئامٌ فلا يُرْضَى لحُرٍّ سِبابُها

لَأَلحقتُها بالزِّنْجِ (٤) ثم رَمَيْتُها * بشنعاءَ يُعْيِى القائلين جَوَابُها

ابن ميادة وأبان ابن سعيد

أخبرنى يحيى بن على عن حمّاد عن أبيه قال :

وجدتُ فى كتاب أبى عمرو الشَّيْبانى فعرضتُه على أبى داود فعرَفه أو عامّتَه، قال :

إنّا لجلوسٌ على الهَجْمِ (٥) فى ظلّ القصرِ عَشِيَّةً ، إذ أقبلَ إلينا ثلاثةُ نَفَرٍ يَقُودون ناقةً حتى جلسوا إلى أبان بن سعيد بن عُيَينة بن حِصْن وهو فى جماعة من بنى عُيَينة ، قال : فرأيتُ أجِلّةً ثلاثةً ما رأيتهم قطُّ ، فقلنا : مَن القوم ؟ فقال أحدهم : أنا ابن ميّادة وهذان من عشيرتى ؛ فقال أبان لأحد بَنِيه : اذهبْ بهذه الناقة فأطلِقْ عنها عند بيت أمّك ؛ فقال له ابنُ ميّادة : هذه يا أباجعفر السِّعْلاة ، أفلا أُنشِدُك ماقلتُ فيها ؟ قال : بَلَى فهات ؛ فقال :

قَعَدتُ على السِّعلاةِ تَنفُضُ مِسْحَها (٦) * وتُجذَبُ مِثلَ الأَيْمِ فى بُرَةِ الصُّفْرِ

---

(١) حمراء العجان : هو سب كان يجرى على ألسنة العرب يسب به الأعجمى فيقال له : « يابن حمراء العجان » . (٢) يصنّ : ينتن . (٣) كذا فى نسخة الأستاذ الشنقيطى طبع بولاق تصحيحا منه ، وفى بقية الأصول : « الصمات » ولم نجد له فى كتب اللغة التى بين أيدينا معنى مناسبا . (٤) فى ط : « بالريح » . (٥) الهجم : ماء لبنى فزارة ، ويقال : إنه من حفر عاد . (٦) المسح : كساء من الشعر . والأيم : الحية . والبرة : الحلقة من صفر أو غيره تجعل فى لحم أنف البعير .

تُيَمِّم خيرَ الناس ماءً وحاضرًا[1] * وتَحْمِلُ حاجاتٍ تضمَّنها صدرى
فإنى على رَغْمِ الأعادِى لقائلٌ * وَجَدْتُ خِيارَ الناسِ حَىَّ بنى بدرِ
لهم حاضرٌ بالهَجْم لم أرَ مثلهم * من الناس حيًّا أهل بَدْوٍ ولا حَضَرِ
وخيرُ مَعَدٍّ مجلسًا مجلسٌ لهم * يَفِىءُ عليه الظلُّ من جانب القَصْرِ
أَخُصُّ بها رَوْقَىْ عُيَينة إنه * كذاكَ ضُحَاحُ[2] الماءِ يأوِى الى الغمرِ[3]
فأنتم أحقُّ الناس أن تَتخيَّروا ال * ـمياه وأن تَرْعَوْا ذُرَى البلد القَفْرِ

قال : فكان أوّل قائم من القوم رَكضَةُ بن علىّ بن عُيَينة، وهو ابن عمّ أبان وعَبْدة بنت أبان، وكانت إبلُه فى العَطَن[4] وهى أكرمُ نَعَمِ بنى عُيَينة وأكثرُه، فقال : ماسمعتُ كاليوم مَديحَ قَوْمٍ [قطّ][5]، حُكْمُكَ ماضٍ فى هذه الإبل؛ ثم قام آخر فقال مثل ذلك، وقام آخر وآخر؛ فقال ابن مَيّادة : يا بنى عُيَينة، إنى لم آتكم لتتبارَى لى شياطينكم فى أموالكم، ١١٩/٢
إنما كان علىّ دَيْنٌ فأردتُ أن تُعطونى أَبْكُرًا أبيعها فى دَيْنى . فأقام عندَ أبان بن سعيد خمسةَ عشرَ يوما، ثم راح بتسع عشرة ناقة، فيها ناقةٌ لأبن أبان عُشَراءُ أو رَبَاعِيَةٌ .

قال يحيى فى خبره : وقال يعقوب بن جعفر بن أَبَان بن سَعيد بن عُيَينة :
إنى على الهَجْم يومًا إذ أقبَلَ رجلٌ فجعل يُصَرِّفُ[6] راحلتَه فى الحِيَاض فيرده الرجل بعد الرجل، فدعوته فقلت : اِشرَعْ[7] فى هذا الحوض؛ فلما شرَع فسقَى[8] قال: مَن هذا الفتى؟ فقيل : هذا جعفر بن أبان بن سعيد بن عُيَينة؛ فقال :

(١) الحاضر : الحى العظيم أو القوم، كما يطلق الحاج والسامر والجامل على جماعة الحجاج والسمار وجماعة الابل . وقال الأزهرى : العرب تقول : حىّ حاضر بغير هاء اذا كانوا نازلين على ماء عد .
(٢) لم توجد هذه الصيغة فى كتب اللغة التى بأيدينا و إنما الموجود «ضحضح» و «ضحضاح» . ولعله «ضحال الماء تأوى» جمع ضحل وهو الماء القليل . (٣) الغمر: الماء الكثير كالغمرة . (٤) العطن للابل : كالوطن للناس، وقد غلب على مبركها حول الحوض . (٥) زيادة فى ا ، م ، حـ .
(٦) يصرف راحلته : يردّها و يصرفها من حوض الى آخر . (٧) شرعت الدواب فى الماء (وزان منع) : دخلت فيه، وشرع فلان فى الماء : تناوله بكفيه أو دخل فيه، وشرع إبله : أوردها شريعة الماء . (٨) فى ط : «فلما أشرع يسق» . وأشرع كشرع .

بَنُو الصالحين الصالحون ومَن يكن * لآباء سَوْءٍ يَلْقَهم حيثُ سَيَّرا[1]

فما العود إلا نابتٌ فى أَرُومه[2] * أبى شَجَرُ العِيدان أن يتغيرا

قال إسحاق : سألت أبا داود عن قوله :

* كذاك ضَحاحُ الماءِ يَجْرِى الى الغَمْرِ[3] *

فقال : أراد أنّ الأمرَ كلَّه والسؤدد يصير إليه ، كما يصير الماءُ الى الغَمْرة حيث كانت .

أخبرنا يحيى بن على قال حدّثنا أبو أيوب المَدِينى قال أخبرنى مُصْعَب بن الزبير قال :

ضافَ ابنُ ميّادة أيوبَ بن سَلَمة فلم يَقْرِه ، وابنُ ميّادة من أخوال أيوب ابن سلمة ، فقال فيه :

ظَلِلْنا وُقُوفًا عند باب ابن أختنا * وظلّ عن المعروف والمجدِ فى شُغْلِ

صَفًا صَلَدٌ[4] عند النّدى ونَعَامَةٌ * إذا الحربُ أبدتْ عن نواجذها العُصْلِ[5]

قال أبو أيوب وأخبرنى مُصعب قال :

قدم ابنُ ميّادة على رِيَاح[6] بن عثمان ، وقد وَلِىَ المدينةَ وهو جادٌّ فى طلب محمد ابن عبد الله بن حسن وإبراهيم أخيه ، فقال له : اتخذ حَرَسًا وجُنْدًا من غَطَفان واترك هؤلاء العبيد الذين تُعطيهم دراهمَك ، وحَذَارِ من قريش ؛ فاستخفّ بقوله ولم يقبل رأيه ؛ فلمّا قُتِلَ رِيَاحُ قال ابن ميّادة :

(١) سيرّ : ذكر سيرَ الأوائل ، ويحتمل أن يكون بمعنى « سار » وشدّد الفعل للمبالغة وإن لم توجد هذه الصيغة فى كتب اللغة التى بأيدينا . (٢) الأروم : الأصل ، كالأرومة . (٣) أنظر حاشية رقم ٢ من الصفحة السابقة . (٤) الصلد : الصلب الأملس والأصل فيه سكون اللام وحرّك هنا للضرورة .
(٥) جمع أعصل أى بين العصل ، والعصل فى الناب اعوجاجه . قال أوس * رأيت لها نابا من الشر أعصلا *
(٦) كذا فى ح ، ا ، م . وهو الموافق لما فى اللسان فى مادة « هشم » ولما فى الكامل للبرد طبع أوروبا ج ١ ص ٢٨ . وفى باقى النسخ : « رباح » بالباء الموحدة وهو تحريف .

أمرتكَ يا رِيَاحُ بأمرِ حَزْمٍ * فقلتَ هَشِيمةٌ[1] من أهل نجد
وقلتُ له تحفَّظ من قُرَيش * ورَقِّع كلَّ حاشيةٍ وبُرْدِ[2]
فوجدًا ما وَجَدْتُ على رِيَاحٍ * وما أغنيتُ شيئًا غيرَ وَجْدِى

تشبيه بالنساء

أخبرنى عمى قال حدّثنى أحمد بن أبى طاهر قال حدّثنى أحمد بن إبراهيم ابن إسماعيل قال حدّثنى أكثم بن صَيْفِىّ[3] المُرِّىّ ثم الصاردىّ عن أبيه قال :

كان ابنُ ميادة رأى آمرأة من بنى جُشَم بن معاوية ثم من بنى حَرَام يقال لها : أمّ الوليد، وكانوا سارُوا عليه[4]، فأُعجِبَ بها وقال فيها :

ألَا حَبّذا أمُّ الوليدِ ومَرْبَعٌ[5] * لنا ولها نَشْتُو[6] به ونَصِيفُ

ويروى :

... ... ومَرْبَع[7] * لنا ولها بالمشتوى[8] ومصيفُ
حَرَامِيَّةٌ أمّا مَلَاثُ إزارِها * فوَعْثٌ[9] وأمّا خَصْرُها فلطيفُ

---

(١) هشيمة : ضعفة، وأصل الهشيم النبت اذا ولى وجف وتكسر فذرته الرياح يمينا وشمالا . والنجد : أعالى الأرض، عن الكامل للمبرد . (٢) روى فى الكامل للمبرد :

نهيتك عن رجال من قريش * على محبوكة الأصلاب جرد

وقال فى شرحه : فالمحبوك الذى فيه طرائق، واحدها حباك، والجماعة حبك . (٣) فى ط : «أكثم بن الغيض المرى» . (٤) فى ط : «عليهم»، والمراد : الحى . (٥) المربع هنا : المنزل . (٦) فى ط : «نثوى به» . (٧) المربع : هنا المكان يقام فيه وقت الربيع . (٨) كذا فى جميع الأصول ولم نجده اسما لمكان خاص، ولعله محرف عن المستوى بالسين المهملة وكسر الواو وهو اسم موضع (انظر معجم ياقوت فى اسم المستوى) . (٩) ملاث الإزار : موضع لوثه وعصبه، وهو ما دون الخصر من الجسم . والوعث : السمين . ومن هذا المعنى قول الشاعر :

ثم قامت حولها أترابها * وعثة الأرداف غرثى الملتزم .

كأنّ القُرونَ السُّودَ فوقَ مَقَذِّها(١) * إذا زَالَ عنها بُرْقُعٌ ونَصِيفُ(٢)

بها زَرَجُوناتٌ بقَفْرٍ تَنَسَّمت(٣) * لها الريحُ حتى بينهنّ رَفِيفُ(٤)

قال: فلما سمع زَوْجُها هذه الأبيات أتاها فحَلَف بطلاقها: لئن وجَدَ ابنَ ميّادة عندها ليَدُقَّنّ فَخِذَها، ثم أعرض عنها واعترّها(٥)، حتى وجده يوما عند بيتها فدقّ ١٢٠ / ٢ فخذها، واحتمل فرحل ورحل بها معه؛ فقال ابن ميّادة:

أتانا عامَ سار بنو كلابٍ * حَرَاميُون ليسَ لهم حَرَامُ

كأنّ بيوتَهم شجرٌ صِغارٌ * بقِيعانٍ تَقِيلُ بها النَّعامُ

حَرَاميُون لا يَقْرُون ضَيْفا * ولا يَدْرُون ما خُلُقُ الكرامِ(٦)

قال: ثم سارت عليهم بعد ذلك بنو جعفر بن كلاب، فأُعجِبَ بامرأة منهم يقال لها أمّ البَخْتَرِيّ، وكان يتحدّث إليها مدّة مُقامهم، ثم ارتحلوا فقال فيها:

أرِقتُ لِبَرْقٍ لا يُفَتِّرُ لامعُهْ * بشُهْبِ الرُّبَى والليلُ قد نام هاجعُهْ

أرِقتُ له من بعد ما نام صُحْبَتِي * وأعجبني إيماضُه وتتابُعُه

يُضيءُ صَبِيرًا(٧) من سَحابٍ كأنّه * هِجَانٌ أرَنَّتْ للحنين نوازِعُه

هَنِيئًا لأمّ البَخْتَرِيّ الرِّوَى(٨) به * وإن أنْهجَ الحبلُ الذى النأْىُ قاطعُهْ

لقد جَعَلَ المُسْتَبْضِعُ الغشّ بيننا * لِيَصْرِمَ حَبْلَينا تجُوزُ بضائعُهْ

(١) المقذ (بالفتح): مابين الأذنين من خلف ومنتهى قص الشعر من مؤخر الرأس. (٢) النصيف: الخمار. (٣) الزرجونة: شجرة العنب، وكل شجرة زرجونة، وهى فارسية معربة. (٤) يقال: رف النبات رفيفا اذا اهتز نضارة وحسنا. وفى ط: «نبتهن رفيف» ورفيف متند: ناعم، يقال: شجر رفيف اذا تندى. (٥) كذا فى ط ومعناه راقها وطلب غرتها. وفى سائر النسخ: «واعتزلها». (٦) فى هذا البيت إقواء، وهو اختلاف حركة الروى بالكسر والضم مع ما قبله. (٧) الصبير من السحاب: البيضاء أو الكثيفة التى فوق السحاب أو الذى يصير بعضه فوق بعض. والهجان من الابل: البيض. (٨) الروى (بالكسر): الارتواء، والماء الكثير المروى. وأنهج الحبل: أخلق وبلى.

فما سَرْحَةٌ تَجْرِى الجداولُ تحتها * بمُطَّرِد(١) القِيعانِ عَذْبٍ ينابِعُهْ
بأحسنَ منها يومَ قالتْ بذى الغَضَا * أَتَرْعَى جديدَ الحبلِ أمْ أنتَ قاطعُهْ

خطب امرأة من بنى سلمى بن مالك فلم يزوجوه فقال شعرا

أخبرنى عمّى قال حدّثنى أحمد بن أبى طاهر قال حدّثنى أحمد بن إبراهيم قال :

وذكر أبو الأَشْعَث أنّ ابن ميّادة خطب امرأة من بنى سَلْمَى بن مالك بن جعفر ثم من بنى البُهْثَة — وهم بطن يقال لهم البهثاء — فأبَوْا أن يزوّجوه وقالوا : أنت هَجِينٌ ونحنُ أشرفُ منك ، فقال :

فلو طاوعتْنى آلُ سَلْمَى بن مالكٍ * لأعطيتُ مَهْرًا من مَسَرّة غاليا(٢)
وسِرْبٍ كسِرْبِ العين من آل جَعْفرٍ * يُغَادِينَ بالكُحْل العُيُونَ السواجِيَا
اذا ما هَبَطْنَ النِّيلَ(٣) أو كُنّ دونه * بسَرْوِ(٤) الحِمَى ألْقَيْنَ ثَمّ المَرَاسِيَا

مات فى صدر خلافة المنصور

قال أحمد بن إبراهيم : مات ابنُ ميّادة فى صَدْر من خلافة المنصور ، وقد كان مدحه ثم لم يَفِدْ(٥) إليه ولا مدحه ، لِمَا بلغه من قلّة رغبته فى مدائح الشعراء وقلّة ثوابه لهم .

---

(١) المطرد : الماء المتتابع السيلان . (٢) كذا فى ط : « غاليا » بالغين المعجمة . وفى سائر النسخ : « عاليا » بالعين المهملة . (٣) كذا فى ب ، س ، حـ . وهو بليدة فى سواد الكوفة قرب حلة بنى مزيد يخترقها خليج كبير يتخلج من الفرات الكبير حفره الحجاج بن يوسف وسماه بنيل مصر . (انظر معجم ياقوت) . وفى ء ، ا ، م ، ط : « النير » بالراء وهو اسم موضع . (٤) كذا فى أغلب النسخ وأشير اليه فى هامش ط . وفى صلب ط : « بسوف الحمى » . والسرو : ما ارتفع عن مجرى السيل وانحدر عن غلظ الجبل . والسوف (بالضم) : جمع سوفة (بالضم أيضا) وهى الأرض بين الرمل والجلد . والحمى : موضع . (٥) كذا فى ط . وفى باقى الأصول : « يعد » بالعين .

أخبار حُنَين الحِيرى ونسبه

نسبه وكان شاعرا ومغنيا

حنين بن بَلُّوع[(١)] الحِيرىّ مختلف فى نسبه، فقيل: إنه من العِبَادِيِّين من تميم، وقيل: إنه من بنى الحارث بن كعب، وقيل: إنه من قوم بَقُوا من جَدِيس وطَسْم فنزلوا فى بنى الحارث بن كعب فعُدُّوا فيهم، ويُكْنَى أبا كعب، وكان شاعرا مُغَنِّيًا فَحْلا من فُحُول المُغَنِّين، وله صنعة فاضلة متقدّمة، وكان يسكن الحِيرَة ويُكْرِى الجمالَ الى الشأم وغيرها، وكان نصرانيًّا. وهو القائل يصف الحِيرَةَ ومنزلَهُ بها:

صوت

أنا حُنَينٌ ومنزلى النَّجَفُ[(٢)] * وما نَدِيمى إلّا الفَتَى القَصِفُ[(٣)]
أَقْرَعُ بالكأس ثَغْرَ باطيةٍ[(٤)] * مُتْرَعَةٍ، تارةً وأَغْتَرِفُ
من قهوة باكَرَ التِّجَارُ بها * بيتَ يَهُودٍ قرارُها الخَزَفُ
والعيشُ غَضٌّ ومنزلى خَصِبٌ * لم تَغْذُنى شِقْوَةٌ ولا عُنُفُ

١٢١/٢

الغناء والشعر لحُنَين، ولحنُهُ خفيفُ رَمَل بالبنصر. وفيه لابن المكّىّ خفيفُ ثقيلٍ قديم. ولعَرِيبَ فيه خفيفُ ثقيل آخر عن الهِشَامىّ.

غنى هشام بن عبد الملك فى الحج

أخبرنا وَكِيع قال قال حماد حدّثنى أبى عن أبى الخطّاب قال وحدّثنى ابن كُنَاسة[(٥)] عن سليمان بن داود: مولًى ليحيى، وأخبرنى بهذا الخبر الحسن بن علىّ عن ابن مَهْرُوَيْهِ عن قَعْنَب بن المحرِز الباهلىّ عن المدائنى قالوا جميعا:

---

(١) هكذا ورد مضبوطا فى ط. ولم نجد فى مصدر آخر ما يؤيد هذا الضبط أو ينفيه. (٢) النجف: موضع بظهر الكوفة، والكوفة قريبة من الحيرة. (٣) القصف: حليف اللهو واللعب. ولم ترد هذه الصيغة فى كتب اللغة التى بأيدينا. (٤) الباطية: إناء الخمر. (٥) كذا فى ا، م، ء وهو الصواب، لأن الحسن بن على يروى عن ابن مهرويه وهو محمد بن القاسم كما تقدّم فى الجزء الأوّل من الأغانى طبع دار الكتب ص ٨، وفى باقى النسخ: «الحسن بن على بن مهرويه»، وهو تحريف.

حجّ هشامُ بن عبد الملك وعَدِيلُه(١) الأبرشُ الكلبيّ، فوقف له حُنَين بظهر الكوفة ومعه عُودُه وزامرٌ له، وعليه قَلَنْسِيَة(٢) طويلة، فلمّا مرّ به هشام عَرَض له، فقال: مَنْ هذا؟ فقيل: حُنَين، فأمر به فحُمِل فى مَحْمِلٍ على جمل وعَدِيلُه زامرُه، وسِيرَ به أمامه وهو يتغنّى:

صـــوت

أَمِنْ سَلْمَى بِظَهْرِ الكو * فَـةِ الآياتُ والطَّلَلُ
يلوحُ كما تـلوحُ على * جفونِ الصَّيقلِ(٣) الخِلَلُ(٤)

— الصنعة فى هذا الصوت لحُنَين ثانى ثقيل بالبنصر عن عمرو. وفيه خفيفُ ثقيـل يُنسب إلى حنين أيضا وإلى غيره — قال: فأمر له هشام بمائتى دينار، وللزامر بمائة. وذكر إسحاق فى خبره عن أبى الخطّاب أنه غنّى هشاما:

صـــوت

صاحِ هل أبصرتَ بالخبْـ * ـتين من أسماءَ نارَا
مَوْهِنًا شُبَّت لعينيـ * ـكَ ولم تُوقَـدْ نهارَا
كتلالى البَرْقِ فى المُـزْ * نِ إذا البَـرْقُ استطارَا
أذكرتنى الوصلَ من سُعْـ * ـدَى وأيامًا قِصارَا

---

(١) العديل: الذى يعادلك فى المحمل. (٢) القانسية: القلنسوة (بفتح القاف) فإن ضمت القاف كسرت السين وقلبت الواو ياء. (٣) الصيقل: شحاذ السيوف وجلاؤها.

(٤) الخلل: جمع خلة وهى بطانة يغشى بها جفن السيف ينقش بالذهب وغيره. ويشبه بها الطلل قال الشاعر:

لمية موحشا طلـل * يلوح كأنه خلـل

وقال عبيد بن الأبرص الأزدى:

دار حى مضى بهم سالف الدهـ * ـر فأضحت ديارهم كالخلال

ـ الشعر للأحوص، والغناء لابن سُرَيج ثانى ثقيل بالسبّابة فى مَجْرى الوُسْطى عن إسحاق . ونسبه ابن المكىّ إلى الغَرِيض . وقال يونس : فيه لحنان لمالك ولم يُجَنِّسهما . وقال الهِشامىّ : فيه لمالك خفيفُ رملٍ ـ قال : فلم يزل هشام يستعيده حتى نَزَلَ من النجف، فأمر له بمائتى دينار . وقال . إسحاق : قيل لحُنَين : أنتَ تُغَنِّى منذ خمسين سنة ما تركتَ لكريم مالا ولا دارا ولا عَقارًا إلّا أتيتَ عليه ! فقال : بأبِى أنتم، إنما هى أنفاسى أَقْسِمها بين الناس، أَفَتَلُومونَنِى أن أُغْلِىَ بها الثمن !.

أخبرنى الحسين بن يحيي ومحمد بن مَزْيد قالا حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه ومُصْعَب بن الزُّبير عن بعض المكيّين ، وأخبرنى به الحَرَمِىّ بن أبى العَلاء وحَبِيب ابن نصر قالا حدّثنا الزُّبَير بن بكّار قال حدّثنى عَمّى مُصْعَب قال حدّثنى شيخ من المكيّين يقال له شَرِيس (١) قال :

إنّا لبالأبطَح أيامَ الموسم نَشْتَرِى ونَبِيع إذ أقبل شَيْخٌ أبيضُ الرأس واللحية على بَغْلة شَهْباءَ ما ندرى أهو أشدّ بياضًا أم بغلته أم ثيابه ؛ فقال : أينَ بيتُ أبى موسى؟ فأشرنا له إلى الحائط ، فمضى حتى انتهى إلى الظلّ من بيت أبى موسى ، ثم استقبلنا ببغلته ووجهِهِ ثم اندفع يُغَنِّى :

صوت ١٢٢
٢

أَسْعِدِينى بدمعةٍ أَسْرابِ (٢) * من دموعٍ كثيرة التَّسْكابِ

إنّ أهل الحِصَاب (٣) قد تركونى * مُغْرَمًا مُولَعا بأهل الحِصابِ

---

(١) لم نقف على ضبط هذا الاسم الا فى ط فقد ضبط بكسر الراء ، ولعله منقول من «الشريس» اسم للأسد . (٢) أسراب : جمع سرب ، والسرب : الماء السائل . (٣) الحصاب (بكسر الحاء) : موضع رمى الجمار بمنى .

فارقونى وقد علمتُ يقينا * ما لِمَنْ ذاق مِيتةً من إياب
سكنوا الجِزْعَ جزعَ بيتِ أبى مو * سى إلى النخل من صُفِىِّ السِّبابِ (١)
كم بذاكَ الحَجُون من حَىِّ صِدْق * وكهولٍ أعفَّــةٍ وشبابِ
أهــلُ بيتٍ تَتايعُوا (٢) للمنايا * ما عَلَى الموت بعدَهُم من عِتابِ
فلِىَ الوَيْلُ بعـدَهم وعليهم * صِرتُ فـردًا ومَلَّنى أصحابِى

— الشعر لكَثِير (٣) بن كَثِير بن المطَّلِب بن أبى وَدَاعة السَّهْمِىّ . والغناء لمعبد ثقيلٌ أوّل بالسبّابة فى مَجْرى الوُسْطى . وفيه لابن أبى دُبَاكِل (٤) الخُزَاعِىّ ثانى ثقيل بالوسطى عن ابن خُرْدَاذْبَه (٥) — قال : ثم صَرَف الرجل بغلَته وذهب ، فتبعناه حتى أدركناه ، فسألناه مَن هو ؟ فقال : أنا حُنَين بن بَلْوَع وأنا رجلٌ جَمّال أُكْرِى الإبل ، ثم مضى .

(١) صفى السباب : موضع بمكة ، وقال الزبير : إنه ما بين دار سعيد الحرشى التى تناوح بيوت أبى القاسم ابن عبد الواحد التى فى أصلها المسجد الذى صلى عنده على أمير المؤمنين أبى جعفر المنصور . والمراد بأبى موسى أبو موسى الأشعرى (انظر معجم البلدان لياقوت) . (٢) كذا فى س . وفى سائر النسخ : «تتابعوا» بالباء ، قال فى لسان العرب : التتايع : الوقوع فى الشر من غير فكرة ولا روية والمتابعة عليه ولا يكون فى الخير ، وقيل : التتايع فى الشر كالتتابع فى الخير . (٣) فى ب ، حـ : «كثير بن أبى كثير» وهو تحريف والصواب ما أثبتناه تبعا لأغلب النسخ ، وقد ورد ذكره فى الجزء الأوّل من الأغانى طبع دار الكتب ص ٢٤٦ (انظر الحاشية رقم ٧ فى هذه الصفحة من هذا الجزء) .
(٤) انظر الحاشية رقم ١ ص ٣٢١ من الجزء الأوّل طبع دار الكتب . (٥) ورد هذا الاسم بالباء الموحدة فى قاموس الأعلام التركى لشمس الدين سامى بك ج ١ ص ٢٦٠ وفى خطبة كتابه المسالك والممالك ، والصفحة الأولى من كتاب تقويم البلدان لأبى الفدا إسماعيل ومعجم البلدان لياقوت ج ١ ص ٧ وج ٤ ص ٩٥ و ٦٠٢

وكتب الشيخ نصر الهورينى على هامش صفحة ١٦٢ ج ١ من كتاب الخطط للمقريزى طبع بولاق ما يأتى : «خرداذبه بالخاء المعجمة والذال الثانيـة معجمة والهاء ، آخره باء موحدة ، هكذا فى تقويم البلدان للمؤيد أبى الفدا إسماعيل فى كتابه ، وكذا فى النسـخة المطبوعة بفرنسا . ثم قال : وضبطه عاصم بضم الخاء المعجمة وكسر الذال المعجمة بعدها تحتية ساكنة ، وضبطه بالياء الموحدة فانظره» ونحن أثبتناه فيما سبق بالياء المثناة اعتمادا على وروده فى القاموس كذلك فى مادة «روم» وعلى ضبط شارحه السيد مرتضى حيث قال : «بضم الخاء وسكون الراء وفتح الدال بعدها ألف وكسر الذال المعجمة وسكون الياء التحتية وآخره هاء» .

خاف أن يفوته ابن محرز بالعراق فردّه عنه

أخبرنى الحسين بن يحيى قال قال حمّاد قرأتُ على أبى عن المدائنىّ، قال: كان حُنَين غُلاما يحمل الفاكهة بالحِيرة، وكان لطيفا فى عمل التحيّات [1]، فكان إذا حَمَل الرياحين الى بيوت الفِتْيان ومياسير أهل الكوفة وأصحابِ القِيان والمتطرّبين إلى الحيرة ورأوا رشاقتَهُ وحُسْنَ قدّه وحلاوتَه وخفّةَ رُوحِه استحْلَوه، وأقام عندهم وخفّ لهم، فكان يسمع الغناءَ ويَشْتهيه ويُصْغِى إليه ويَسْتمعه ويُطِيل الإصغاء إليه، فلا يكاد يُنتفَعُ به فى شىء إذا سَمِعَه، حتى شَدَا منه أصواتًا فأسمعها النّاسَ — وكان مطبوعًا حَسَنَ الصوت — واشتَهَوْا غناءَه والاستماعَ منه وعِشْرتَهُ، وشُهِرَ بالغناء ومَهَرَ فيه، وبَلَغ منه مَبْلغا كبيرا، ثم رَحَل إلى عُمَر بن داود الوادىّ وإلى حَكَم الوادىّ، وأخذ منهما، وغَنّى لنفسه فى أشعار الناس، فأجاد الصَّنْعة وأحكمها، ولم يكن بالعراق غيرُهُ فاستولَى [2] عليه فى عَصْره. وقَدِمَ ابنُ مُحْرِزٍ حينئذٍ إلى الكوفة فبلغ خبرُهُ حُنَينا، وقد كان يَعْرفه، فخَشِىَ أن يعرفه الناس فيَستحلُوه [3] ويَسْتَوْلِىَ على البلد فيَسْقُطَ هو، فقال له: كم مَنَّتْك نفسُك من العراق؟ قال: ألف دينار؛ قال: فهذه خمسمائة دينار عاجلة فخُذْها وانصرف واحلف لى أنك لا تعود إلى العراق؛ فأخذها وانصرف.

أخبرنى عمّى وعيسى بن الحُسَين قالا حدّثنا أبو أيوب المدائنىّ [4] عن أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل قال:

---

(١) التحيات: جمع تحية وهى ما يحيا به من نحو السلام، ومن المحتمل أن يراد منه ما يتقدّم عند التحية من باقات الرياحين، وقد كان العرب فى الجاهلية يفعلون ذلك فى عيد لهم يقال له يوم السباسب قال النابغة: * يحيون بالريحان يوم السباسب * ويظهر أن هذه العادة ظلت الى العهد الاسلامى، وسيأتى فى هذه الترجمة فى ص ٢ ٣ ٣ أن حنينا حيا ضيوفه بالرياحين.
(٢) فى حـ: «فاستوى» وكلاهما بمعنى واحد.
(٣) كذا فى حـ. وفى سائر النسخ: «فيستحلونه» باثبات النون وهو خطأ.
(٤) فى حـ، ا: «المدنى» وفى م، ى، ط: «المدينى» وقد تقدّم الكلام عليه (إنظر الحاشية رقم ٢ ص ٨ من هذا الجزء).

كان ابنُ مُحْرِز قَدِمَ الكوفة وبها بِشْر بن مَرْوان، وقد بلغه أنه يَشْرَبُ الشراب ويَسْمَعُ الغِناء، فصادفه وقد خَرج[1] إلى البَصْرة؛ وبلغ خَبرُه حُنَين بن بَلُّوع فتلطّف له حتى دعاه، فغنّاه ابنُ مُحْرِز لحنَه — قال أحمد بن إبراهيم وهو من الثقيل الثانى من جَيِّد الأغانى — :

صوت

وحُرُّ الزَّبَرْجَدِ فى نَظْمِهِ * على وَاضِحِ اللِّيتِ[2] زَانَ العُقُودَا
يُفَصِّلُ ياقُوتُه دُرَّهُ * وكالجَمْرِ أَبْصَرْتَ فيه الفَرِيدَا[3]

١٢٣/٢ قال: فسمع شيئًا هاله وحيّره، فقال له حُنين: كم مَنّتك نفسُك من العراق؟ قال: ألفَ دينار، فقال: هذه خمسمائة دينار حاصلة عاجلة ونفقتُك فى عَوْدتك وبَدْأتك ودَعِ العراق لى وامضِ مُصاحَبًا حيث شئت — قال: وكان ابن مُحْرِز صغيرَ الهِمّة لا يحبّ عشرةَ الملوك ولا يُؤْثِر على الخَلْوة شيئا — فأخذها وانصرف.

خرج الى حمص وغنى بها فلم يستطع أهلها غناءه

وقال حمّاد فى خبره قال أبى حدّثنى بعض أهل العلم بالغناء عن حُنَين قال: خرجت إلى حِمص ألتمِس الكَسْبَ بها وأرتاد مَنْ أستفيدُ منه شيئًا، فسألت عن الفِتْيان[4] [بها][5] وأين يجتمعون، فقيل لى: عليك بالحَمّامات فإنهم يجتمعون بها إذا أصبحوا

(١) فى ب، حـ، ء: «قد خرج» بدون واو وكلاهما مستقيم.
(٢) الليت (بكسر اللام): صفحة العنق. (٣) الفريد: الدر اذا نظم وفصل بغيره.
(٤) الفتيان: طائفة يدينون بالفتوّة وخصال الرجولة وهم أشد الناس احتفالا بالغرباء من الناس وأسرع الى اطعام الطعام وقضاء الحوائج، فيخدمون بالنهار ويشترون بما يجمع معهم الفواكه والطعام فان ورد فى ذلك اليوم مسافر على البلد أنزلوه وكان ذلك ضيافته لديهم وان لم يرد وارد اجتمعوا هم على طعامهم فأكلوا وغنوا ورقصوا وانصرفوا الى صناعاتهم بالغدو وقد كان الخليفة الناصر العباسى المتوفى سنة ٦٢٢ قد جعل نفسه رئيسا لهذه الطائفة وكتب سنة ٦٠٧ الى ملوك الأطراف الذين يعترفون بخلافته أن يشربوا كأس الفتوّة و يلبسوا سراويلها وأن ينتسبوا اليه برمى البندق (انظر رحلة ابن بطوطة طبع باريس ج ٢ ص ٢٦٠ ورحلة ابن جبير طبع ليدن ص ٢٨٢، وتاريخ التمدن الاسلامى لجرجى زيدان ج ٥ ص ١٦٩). (٥) الزيادة عن ا، م.

فجئتُ إلى أحدها فدخلتُه، فإذا فيه جماعة منهم، فأنِسْتُ وانبسطت، وأخبرتُهم أنى غَرِيب، ثم خرجوا وخرجتُ معهم، فذهبوا بى إلى منزل أحدهم، فلما قعدنا أُتِينَا بالطَّعام فأكلنا، وأُتينا بالشراب فشربنا، فقلت لهم: هل لكم فى مُغَنٍّ يُغَنِّيكم؟ قالوا: ومَنْ لنا بذلك؟ قلت: أنا لكم به، هاتوا عُودًا فأُتِيتُ به، فابتدأتُ فى هُنَيَّات[1] أبى عَبَّاد مَعْبد، فكأنما غَنَّيتُ للحيطان لا فَكِهوا لغِنائى ولا سُرُّوا به، فقلت: ثَقُل عليهم غناءُ مَعْبَد لكثرة عَمَله وشدّته وصعوبة مذهبه، فأخذتُ فى غناء الغَرِيض فإذا هو عندهم كلا شىء، وغنّيتُ خَفَائف ابن سُرَيج، وأهزاجَ حَكَم، والأَغَانِى التى لى، واجتهدتُ فى أن يفهموا، فلم يتحرّك من القوم أحدٌ، وجعلوا يقولون: ليت أبا مُنَبِّه قد جاءنا؛ فقلت فى نفسى: أرى أنّى سأفتضح اليوم بأبى مُنَبِّه فضيحة لم يَفْتضِح أحدٌ قطُّ مثلها. فبينا نحن كذلك إذ جاء أبو مُنَبِّه، وإذا هو شيخ عليه خفّان أحمران كأنه جمّال، فوثبوا جميعا إليه وسلّموا عليه وقالوا: يا أبا مُنَبِّه أبطأتَ علينا، وقدّموا له الطعام وسَقَوْه أقداحًا، وخَنَسْتُ[2] أنا حتى صرتُ كَلا شىء خوفًا منه، فأخذ العُودَ ثم اندفع يغنّى:

طَرِبَ[3] البحر فاعبرِى يا سفينهْ * لا تَشُقِّى على رجالِ المدينهْ

فأقبل القومُ يصفّقون ويَطْربون ويَشربون[4]، ثم أخذ فى نحو هذا من الغِناء؛ فقلت فى نفسى: أنتم ها هنا! لئن أصبحتُ سالمًا لا أمسيتُ فى هذه البلدةِ. فلمّا أصبحتُ شَدَدتُ رَحْلى على ناقتى واحتقبتُ رَكْوةً[5] من شراب ورَحَلت متوجهًا الى الحِيرة، وقلت:

---

(١) الهنيات: الأراجيز. (٢) خنس الرجل من القوم خنوسا: تأخر واختفى.

(٣) فى م، ء، ط: «طرف البحر فاضربى ياسفينه». وفى ا: «ظرف البحر اخ».

(٤) فى ا، م: «فأخذ». (٥) احتقب ركوة: احتملها خلفه. والركوة: إناء صغير من جلد يشرب فيه الماء. وفى ط: «زكرة». والزكرة (بالضم): زق صغير للشراب.

ليت شعرى متى تَخُبُّ بىَ النا * قةُ بين السَّدِيرِ والصِّنِّينِ (١)

مُحْقِبًا زَكْوَةً (٢) وخُبزَ رُقاقٍ * وبُقُولا وقطعةً من نُونِ (٣)

لستُ أبغى زادًا سواها من الشا * م وحسبى عُلالةٌ (٤) تكفينى

فإذا أُبْتُ سالمًا قلت سُحْقًا * وبِعادًا لمعشرٍ فارقونى

غنى خالدا القسرى بعد ماحرم الغناء

أخبرنى محمد بن مَزْيَد والحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه، وأخبرنا به وكيع (٥) فى عقب أخبارٍ رواها عن حمّاد بن إسحاق عن أبيه فقال: وقال لى إسحاق، فلا أدرى أأدرَجَ الإسنادَ وهو سماعه أم ذكره مُرْسَلا، قال إسحاق وذكر ابن كُنَاسة أن خالدَ بن عبد الله القَسْرِىّ حرّم الغِنَاء بالعراق فى أيامه، ثم أذِنَ للناس يومًا فى الدخول عليه [عامّة] (٦)، فدخل إليه حُنَين ومعه عودٌ تحت ثيابه، فقال: أصلح الله الأمير، كانت لى صناعةٌ أعودُ بها على عِيالى فحرمها الأميرُ فأضرّ ذلك بى وبهم؛ فقال: وما صناعتك؟ فكشف عن عوده وقال: هذا، فقال له خالد: غَنِّ، فحرّك ١٢٤/٢
أوتاره وغنّى:

صوت

أيها الشامتُ المُعَيِّرُ بالدهـ * ـرِ أأنت المُبَرَّأُ الموفورُ

أم لديك العهدُ الوثيقُ من الأيّـ * ـامِ بل أنت جاهلٌ مغرورُ

مَنْ رأيتَ المنونَ خَلَّدن أم مَنْ * ذا عليه من أن يُضَامَ خَفِيرُ

(١) راجع الحاشية رقم ٣ من صفحة ١١٦ من هذا الجزء . وفى هذا الشعر السناد وهو، كما فسره ابن سيدة المخالفة بين الحركات التى تلى الأرداف فى الروى (انظر الجزء الأول من هذه الطبعة ص ١٤٣ حاشية رقم ١ (٢) فى ط : «زكرة» . وانظر الكلام عليها فى الصفحة السابقة حاشية رقم ٥

(٣) النون : الحوت . (٤) العلالة بالضم : ما يتعلل به . (٥) يريد أنه لايدرى ٢ هل جعل وكيع هذا الخبر من جملة ما رواه بسند حماد عن أبيه أم ذكره عن إسحاق مرسلا أى منقطعا .

(٦) الزيادة عن ح .

قال : فبكى خالد وقال : قد أذِنتُ لك وحدَك خاصّةً فلا تجالسنّ سفيهًا ولا مُعَرْبِدًا. فكان إذا دُعِي قال : أفيكم سفيهٌ أو مُعَرْبِد؟ فإذا قيل له : لا ، دخل.

شعر هذا الصوت المذكور لعدىّ بن زيد ، والغناء لحُنَين رمل بالوسطى عن عمرو. وقوله : المبرأ ، يعنى المبرأ من المصائب . والموفور : الذى لم يذهب من ماله ولا من حاله شىء ، يقال : وُفِرَ الرجل يُوفَر . ولديك بمعنى عندك هاهنا .

غنى بشر بن مروان بحضور الشعبى

أخبرنى أبو صالح محمد بن عبد الواحد الصَّحَّاف الكوفىّ قال حدّثنا قَعْنَب ابن المُحْرِز الباهلىّ قال أخبرنا الهَيْثَم بن عدىّ عن عبد الله بن عَيّاش وعن مُجالد عن الشَّعْبىّ جميعا ، وأخبرنى محمد بن مَزْيد وحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه عن الهَيْثَم ابن عدىّ عن عبد الله بن عَيّاش عن الشَّعْبىّ قال :

لما ولِىَ بِشْر بن مَرْوان الكوفةَ كنتُ على مَظَالمه ، فأتيتُه عشيّةً وحاجبُه أعْيَن (صاحب حمّام أعْيَن) جالس ، فقلت له : استأذنْ لى على الأمير! فقال لى : يا أبا عمرو ، هو على حال ما أظنّك تصل إليه معها ؛ فقلت : أعْلِمْه — وخَلَاكَ ذَمٌّ — فقد حدث أمر لا بدّ لى من إنهائه إليه — وكان لا يجلس بالعَشِىّ — فقال : لا ، ولكن اُكتب حاجتَك فى رُقْعة حتى أوصِّلَها إليه ؛ فكتبتُ رقعة ، فما لبث أن خرج التوقيع على ظهرها : ليس الشعبىّ ممن يُحْتَشَمُ منه فأْذَنْ له ، فأذن لى فقال : ادخل ، فدخلت فإذا بِشْرُ بن مروان عليه غِلالةٌ[(١)] رقيقة صفراء ومُلاءةٌ تقوم قيامًا من شدّة الصِّقال ، وعلى رأسه إكليلٌ من رَيْحان ، وعلى يمينه عِكْرِمةُ بن رِبْعِىّ ، وعلى يَساره خالد بن عَتّاب بن وَرْقاء[(٢)] ، وإذا بين يديه حُنَين بن بَلُّوَع معه عودُه ، فسلمت فردّ علىّ[(٣)] السلام ورحب

---

(١) الغلالة : شعار يلبس تحت الثوب . (٢) فى ا ، م ، ى ، ط : «خالد بن زياد ابن ورقاء» والصواب ما أثبتناه (راجع تاريخ ابن جرير الطبرى طبع أوربا قسم ٢ ص ٩٦١ و ٩٦٤ — ٩٦٨ و ١٠٠٢ . (٣) فى ط : «فردّوا» .

وقرّب، ثم قال: يا أبا عمرو، لو كان غيرُك لم آذنْ له على هـذه الحالِ؛ فقلت: أصلح الله الأمير، عندى لك السترُ لكل ما أرى منك والدخولُ معك فيما لا يَحْمُل، والشكُرُ على ما تُولِينِى؛ فقال: كذاك الظنّ بك، ثم التفتُّ إلى حُنَين وعودُه فى حِجْره وعليه قباء خُشْك شَوِى[1] — وقال إسحاق: خشكون[2] — ومُسْتَقَة[3] حمراء وخُفّان مُكَعَّبان[4]، فسلم علىّ؛ فقلت له: كيف أنت أبا كعب؛ فقال: بخير أبا عمرو؛ فقلت: أحْزِقِ[5] الزِير[6] وأرْخِ البَمّ[7] ففعل، وضرب فأجاد؛ فقال بشرٌ لأصحابه: تلومونني على أن آذنَ له فى كل حال! ثم أقبل علىّ فقال: أبا عمرو، من أين وقع لك حَزْقُ[8] الزير؟ فقلت: ظننت أن الأمر هناك؛ فقال: فإن الأمر كما ظننتَ هناك كلّه. ثم قال: فمن أين تعرف حُنَينا؟ فقلت: هذا بطّةُ أعراسنا فكيف لا أعرفه! فضحك، وغنّى حُنَين فأجاد، فطرِبَ وأمر له بجائزة، ثم ودّعتُه وقمتُ بعد أن ذكرتُ له ما جئتُ فيه، فأمر لى بعشرة آلاف درهم وعشرة أثواب، فقمتُ مع الخادم حتى قبضتُ ذلك منـه وانصرفتُ. وقد وجدت هذا الخبرَ بخط أبى سَعيد السُّكَّرىّ يأْثُره[9] عن محمد بن ١٢٥/٢

(١) كذا بالأصل. ونطقها بالفارسية: «خشك شفى» ومعناها: «القميص الخشن». (٢) كذا بالاصل وفى الفارسية مركبة من كلمتين: «خوش» بمعنى «زاهى» و «كو» بمعنى «اللون» أى قباء زاهى اللون، ولعله المعنى المراد لأنه أنسب بالمقام. (٣) كذا فى حـ. وفى ء، ا، م، ط: «منشقة» وفى باقى النسخ: «منشة» وهما محرّفان. والتصويب عن كتاب المعرب للجواليقى قال: «وأصلها بالفارسية مشته فعرب». والمستقة: فرو طويل الكم، وقيل: هى الجبة الواسعة. وعن أنس أن ملك الروم أهدى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم مستقة من سندس فلبسها رسول الله فكأنى أنظر الى يديها يذبذبان فبعث بها الى جعفر فقال: ابعث بها الى أخيك النجاشىّ. وأنشد:

إذا لبست مساتقها غنىّ * فياويح المساتق ما لقينا

(٤) مكعبان: موشيان. (٥) احزق: اشدد. (٦) الزير: أرفع أوتار العود، وكانت أربعة فى ذلك العهد. (٧) البمّ: أغلظ أوتار العـود. (٨) فى ا، م: «الوتر». (٩) يأثره: يرويه.

عثمان المخزومىّ عن أبيه عن جدّه : أنه كان عند بِشْر بن مَرْوان يوم دخل عليه الشّعبىّ هذا المَدْخل وأن حُنَين بن بَلُّوع غنّاه :

هُمُ كتمونى سَيْرَهم حين أزمعُوا[1] ❊ وقالوا اتّعدنا للرَّوَاح وبَكَّرُوا

وهذا القول خطأ قبيح ، لأن هذا الشعر للعبّاس بن الأحنف ، والغناء لعَلُّويَه رمل بالوسطى ، وغُنِّىَ للمأمون فيه فقال : سَخِرُوا من أبى الفضل أعزّه الله .

شىء من أوصاف الحيرة

أخبرنى الحسين بن يحيى قال قال حمّاد بن إسحاق : قرأت على أبى ، وقال أبو عُبَيد الله الكاتب حدّثنى سليمان بن بِشْر بن عبد الملك بن بشر بن مروان قال :

وكان بعض وُلاة الكوفة يذُمُّ الحِيرَةَ فى أيام بنى أميّة ، فقال له رجل من أهلها — وكان عاقلا ظريفا — : أتعيبُ بلدةً بها يُضْرَب المَثَلُ فى الجاهليّة والإسلام! قال : وبماذا تُمْدَح ؟ قال : بصحّة هوائها ، وطِيبِ مائها ، ونُزْهةِ ظاهِرِها ، تَصْلُح للخُفّ والظِّلف ، سَهْلٌ وجَبَلٌ ، وباديةٌ وبُسْتان ، وبَرٌّ وبَحْر ، مَحَلُّ الملوك ومَزَارُهم[2] ، ومَسْكنُهم ومَثْواهم ، وقد قَدِمْتَها — أصلحك الله — مُخِفًّا فرجعتَ مُثقِلا ووردْتَها[3] مُقِلًّا فأصارتْك مُكْثِرًا ، قال : فكيف نعرِفُ ما وَصَفْتَها به من الفضل ؟ قال : بأن تصير إلىّ[4] ، ثم ادعُ ماشئتَ من لذّاتِ العَيْش ، فوالله لا أجوزُ بك الحِيرَةَ فيه ، قال : فاصنعْ لنا صَنِيعا واخرُجْ من قولك ، قال : أفعلُ ، فصنع لهم طَعاما وأطعمهم من خُبْزها وسَمَكِها وماصيدَ من وَحْشها : من ظِباء ونَعَام وأرانبَ وحُبَارَى[5] ، وسقاهم ماءَها

(١) فى ا ، م ، ى ، ط : « ثم فارقوا » . (٢) فى ط : « ومرادهم » .
(٣) كذا فى أغلب النسخ . وفى س ، ح : « وزرتها » . وفى ب : « وردتها » وهو تحريف . (٤) فى ط : « اليها » . (٥) الحبارى : طائر قال فى كتاب الحيوان : إنه طويل العنق رمادىّ اللون ، فى منقاره بعض طول وهو يقع على الذكر والأنثى واحده وجمعه سواء وإن شئت قلت فى الجمع حباريات ، وهو ممنوع من الصرف معرفا ومنكرا .

فى قِلالها، وخَمْرها فى آنيتِها، وأجلَسهم على رَقْمِها[(١)] — وكان يُتَّخذ بها من الفُرُش أشياءُ ظريفة — ولم يستخدِم لهم حرًّا ولا عبدًا إلا من مُوَلَّديها ومولَّداتها من خَدَمٍ ووصائف [ووُصَفاءَ][(٢)] كأنهم اللؤلؤ، لُغَتهم لُغَةُ أهلها، ثم غنّاهم حُنَين وأصحابُه فى شعر عَدِىّ ابن زَيد شاعِرهم وأعشَى هَمْدان لم يتجاوزْهما، وحيّاهم برَياحينها، ونقَّلهم[(٣)] على خَمْرها، وقد شرِبوا بفواكهها؛ ثم قال له : هل رأيتَنى آستعنتُ على شىء مما رأيتَ وأكلتَ وشرِبتَ وآفترشتَ وشَممتَ وسَمِعتَ بغير ما فى الحِيرَة؟ قال: لا والله، ولقد أحسنتَ صفةَ بلدك ونَصْرَتَه فأحسنتَ نُصْرَتَه والخروجَ مما تَضمَّنتَه، فبارك الله لكم فى بلدكم.

المغنون المشهورون بالحيرة غير حنين ونوع غنائهم

قال إسحاق: ولم يكن بالحِيرة مذكورٌ فى الغِناء سِوَى حُنَين إلا نَفَرًا من السَّدْرِيِّين يقال لهم: عَبَادِيس، وزَيْد بن الطُّلَيس، وزَيْد بن كعب، ومالك بن حُمَمَة، وكانوا يغنّون غناء الحِيرَة بين الهَزَج والنَّصْب[(٤)] وهو إلى النصب أقرب ولم يُدوَّن[(٥)] منه شىءٌ لسقوطه وأنه ليس من أغانى الفحول. وما سَمِعنا نحن لأحد من هؤلاء خبرا إلا لمالك بن حُمَمة، أخبرنى به عمِّى عن عبد الله بن أبى سَعْد.

عمره ونسبه

وقال وَكِيع فى خبره عن إسحاق حدّثنى أبو بِشْر الفَزَارىّ قال حدّثنى بِشْر بن الحسين بن سليمان بن سَمُرَة بن جُنْدَب قال :

عاش حُنَين بن بَلُّوع مائةَ سنة وسبع سنين، وكان يقال إنه من جَدِيس؛ قال وقيل أيضا : إنه من لَخْم؛ وكان هو يزعم أنه عِبَادىّ وأخواله من بنى الحارث ابن كعب.

---

(١) الرقم : ضرب مخطط من الوشى أو الخز. (٢) زيادة فى ط والوصائف : جمع وصيفة وهى الجارية البالغة حد الخدمة، والوصفاء: جمع وصيف وهو الغلام البالغ حد الخدمة أيضا. وقد يقال الوصيف للخادم غلاما كان أو جارية. (٣) نقلهم : أطعمهم النقل، والنقل: ما يتنقل به على الشراب من فستق وتفاح ونحوهما. (٤) النصب : غناء يشبه الحداء إلا أنه أرق.

(٥) كذا فى ط. وفى باقى الأصول: «يذدوا منه شيئا» وهو تحريف.

غنى حفيده لأبى إسحاق إبراهيم بن المهدى وقص عليه خبر جده مع ابن سريج

أخبرنى رِضْوان بن أحمد الصَّيْدلانىّ قال حدّثنا يوسُف بن إبراهيم قال حدّثنا أبو إسحاق إبراهيم بن المهدىّ قال :

كنتُ مع الرشيد فى السنة التى نزَل فيها على عَوْنٍ العِبَادىّ ، فأتانى عَوْن بابن ابن حُنَين بن بَلّوع ، وهو شيخ ، فغنّانى عدّة أصوات لجَدّه ، فما آستحسنتها، ١٢٦ / ٢
لأنّ الشيخ كان مشوَّه الخَلْق[1] ، طَنَّ الغِناء[2] ، قليلَ الحلاوة ، إلا أنه كان لا يفارق عمود الصوت أبدا حتى يفرُغ منه ، فغنّانى صوتَ ابن سُرَيج :

فتركتُه جَزَرَ السّباع[3] يَنُشْنَهُ[4] ... ما بين قُلّةِ رأسِه والمِعْصَمِ

فما أذكر أنى سَمِعتُه من أحد قطّ أحسنَ مما سمعتُه منه ، فقلتُ له : لقد أحسنتَ فى هذا الصوت ، وما هو من أغانى جَدّك ولا من أغانى بلدك ، وإنى لأعجبُ من ذلك ! فقال لى الشيخ : والصليبِ والقُرْبان ما صُنِعَ هذا الصوتُ إلا فى منزلنا وفى سِرْدَاب لجَدّى ، ولقد كاد أن يأتىَ على نفس عمّى ؛ فسألته عن الخبر فى ذلك فقال :

ضافه ابن سريج متنكرا فأكرمه ثم بالغ فى إكرامه لما عرفه

حدّثنى أبى أن عُبَيد[5] بن سُرَيج قدم الحِيرةَ ومعه ثلثمائة دينار ، فأتى بها منزلَنا فى ولاية بِشْر بن مَرْوان الكوفةَ ، وقال : أنا رجلٌ من أهل الحجاز من أهل مكة ، بلغنى طِيبُ الحِيرَة وجَوْدةُ خمرها وحُسْنُ غِنائك فى هذا الشعر :

حنَتْنى حانياتُ الدهر حتّى ... كأنّى خاتِلٌ يَدْنو[6] لصَيْدِ
قريبُ الخَطْو يَحْسَبُ مَنْ رآنى ... ولستُ مُقيَّدًا أنّى بقَيْدِ

(١) فى ا ، م ، ى ، ط : «مشنّى الخلق» . وفى حـ «مشتو الخلق» . ومشتو الخلق : مكروهه . وقد ورد فى هذا الوصف : مشنوء (بالهمز) ومشنو ومشنّى . (٢) طن الغناء : يدل السياق على أنه وصف من الطنين وهو صوت الشىء الصلب كالنحاس وغيره . ولم نجد هذه الصيغة من هذه المادة فى كتب اللغة التى بأيدينا ولعله طان الغناء ، اسم فاعل من طنّ . وفى ى ، ا ، م ، ط : «كز الغناء» . (٣) جزر السباع : اللحم الذى تأكله ، يقال : تركوهم جزرا بالتحريك إذا قتلوهم وقطعوهم إربا إربا وجعلوهم معرّضين للسباع والطير . (٤) ينشنه : يتناولنه . (٥) كذا فى ط . وفى سائر النسخ : «عبيدالله» انظر الحاشية رقم ٣ ص ٢٤٨ من الجزء الأول طبعة دار الكتب . (٦) فى ط : «أدنو» .

خرجتُ بهذه الدنانير لأُنفقها معك وعندك ونتعاشر حتى تَنْفَد وأنصرف الى منزلى . فسأله جَدّى عن آسمه ونسبه فغيّرهما وآنتمى الى بنى مخزوم ، فأخذ جدّى المال منه وقال : موفَّرٌ مالُك عليك ولك عندنا كلّ ما يَحتاج إليه مثلُك ما نَشِطْتَ للمُقام عندنا ، فإذا دَعَتك نفسُك إلى بلدك جهّزناك اليه ورددْنا عليك مالك وأخلفنا ما أنفقتَهُ عليك [الى](1) أن جئتنا ، وأسكنه دارا كان يَنْفرد فيها ، فمكث عندنا شهرين لا يعلم جَدّى ولا أحدٌ من أهلنا أنه يُغَنِّى ، حتى آنصرف جدّى من دار بِشْر ابن مَرْوان فى يومٍ صائف مع قيام الظَّهيرة ، فصار إلى باب الدار التى كان أنزلَ ابنَ سُرَيج فيها فوجده مُغْلَقا فارتابَ بذلك ، ودقّ الباب فلم يُفْتَح له ولم يُجِبْه أحدٌ ، فصار إلى منازل الحُرَم فلم يجد فيها ابنتَهُ ولا جَوارِيَه(2) ، ورأى ما بين الدار التى فيها الحُرَم ودار ابن سُرَيج مفتوحا ، فانتضَى سيفَه ودخل الدار ليقتُل آبنته ، فلمّا دخلها رأى ابنتَه وجوارِيَه(2) وقوفا على باب السِّرْداب وهُنّ يُومِئْنَ إليه بالسكوت وتخفيف الوطء ، فلم يلتفت إلى إشارتهنّ لِمَا تداخَلَهُ ، إلى أن سَمِعَ ترنّمَ ابنِ سُرَيْجٍ بهذا الصوت ، فألقى السيفَ من يده وصاح به — وقد عَرَفه من غير أن يكون رآه ، ولكن بالنعت والحِذْق — : أبا يحيى ، جُعِلْتُ فداءك ، أتيتنا بثلثمائة دينار لتُنْفِقها عندنا فى حِيرتنا ! فوحقِّ المسيح لا خرجتَ منها إلا ومعك ثلثمائة دينار وثلثمائة دينار وثلثمائة دينار سوى ما جئتَ به معك . ثم دخلَ إليه فعانقه ورحّب به ولَقِيَهُ بخلاف ما كان يلقاه به ، وسأله عن هذا الصوت ، فأخبره أنه صاغه فى ذلك الوقتِ . فصار معه الى بِشْر بن مَرْوان فوصَله بعشرة آلاف درهم أوّلَ مرّةٍ ، ثم وصَله بعد ذلك بمثلها ، فلمّا أراد الخروج ردّ عليه جَدّى مالَه وجَهَّزه ووصَله بمقدار نفقته التى أنفقها

(1) زيادة فى ط . (2) كذا فى حـ . وفى سائر النسخ : « جواريها » .

من مكة الى الحِيرة ، ورجعَ ابنُ سُرَيج الى أهله وقد أخذ جميعُ مَن كان فى دارنا منه هذا الصوتَ .

استقدمه ابن سريج والغريض ومعبد الى الحجاز فقدم وغنى فازدحم الناس فسقط عليه السطح فمات

١٢٧/٢ أخبرنى عمِّى قال حدّثنى عبدُ الله بن أبى سعد قال حدّثنى حسّان بن محمد الحارثىّ قال حدّثنا عبد الله قال حدّثنا عُبَيد بن حُنَين(١) الحِيرىّ قال :

كان المغنُّون فى عصر جَدِّى أربعة نَفَرٍ ثلاثة بالحجاز وهو وحدَه بالعراق ، والذين بالحجاز : ابنُ سُرَيج والغَرِيض ومَعْبَد ، فكان يَبْلُغُهم أنّ جَدِّى حُنَينًا قد غَنَّى فى هذا الشعر :

هَلّا بَكَيْتَ على الشباب الذاهبِ * وكَفَفْتَ عن ذَمِّ المَشِيب الآئبِ
هـذا ورُبَّ مُسوَّفين(٢) سَقَيْتُهم * من خمـر بابلَ لَذَّةً للشارِبِ
بَكَرُوا علَىَّ بسُحْرَةٍ فَصَبَحْتُهم * من ذات كُوبٍ(٣) مثل قَعْبِ الحالِبِ
بزجاجة مِـلْءِ اليَدَيْن كأنّهـا * قِنـديلُ فِصْحٍ(٤) فى كَنيسة راهبِ

قال : فاجتمعوا فتذاكروا أمر جَدِّى وقالوا : ما فى الدنيا أهلُ صناعة شرٌّ منّا ، لنا أخٌ بالعراق ونحن بالحجاز ، لا نَزُوره ولا نَسْتَزِيرُه . فكتبوا إليه ووجَّهُوا إليه نفقةً وكتبوا يقولون : نحنُ ثلاثةٌ وأنت وَحْدَك فأنت أَوْلَى بزيارتنا ، فشخَص إليهم ، فلمّا كان على مَرْحلة من المدينة بلَغَهم خبرُه فخرَجوا يتلقَّونه ، فلم يُرَ يومٌ كان أكثرَ حَشْرًا(٥) ولا جَمْعًا من يومئذ ، ودخلوا ، فلمّا صاروا فى بعض الطريق قال لهم معْبَد : صِيرُوا إلىَّ ، فقال له ابنُ سُرَيج : إن كان لك من الشرف والمُرُوءة مثلُ ما لَمْولاتى سكينة

(١) كذا فى جميع الأصول ، ولعل الراوى نسب عبيدا الى جدّه حنين لشهرته . (٢) قال فى اللسان : السوف : الصبر ، والمسوّف : الصبور ، وأنشد للفضل هذا البيت شاهدا بذلك . (٣) كذا فى ى وهامش ط . وفى باقى النسخ : «من ذات كرنيب كقعب» . والكرنيب : لبن حليب ينقع فيه تمر برنى . ولم يظهر لهذه النسخة معنى يلتئم به السياق . (٤) كذا فى ط والفصح من أعياد النصارى (انظر الحاشية رقم ١ ص ١٢٩ من هذا الجزء) . وفى باقى الأصول : «صبح» . (٥) فى ا ، م ، ى ، ط : «حشدا» .

بنت الحسين عطفنا إليك؛ فقال: مالى من ذلك شىء، وعدلوا الى منزل سُكَينة. فلمّا دخلوا إليها أَذِنَتْ للناس إذنا عاما فغصّت الدارُ بهم وصَعِدُوا فوق السطح، وأمرتْ لهم بالأطعمة فأكلوا منها، ثم إنهم سألوا جَدّى حُنينًا أن يغنّيهم صوتَه الذى أوّله:

* هلّا بكيتَ على الشباب الذاهبِ *

فغنّاهم إيّاه بعد أن قال لهم: ابدءوا أنتم؛ فقالوا: ما كنّا لنتقدّمك ولا نُغنّىَ قبلك حتى نسمع هذا الصوتَ؛ فغنّاهم إياه، وكان من أحسن الناس صوتا، فازدحمَ الناسُ على السطح وكَثُروا ليسمعوه، فسقط الرِّواق على مَنْ تحتَه فسَلِمُوا جميعا وأُخرجوا أصحّاء، ومات حُنينٌ تحتَ الهَدْم؛ فقالت سُكَينةُ عليها السلامُ: لقد كدّر علينا حُنَينٌ سرورَنا، انتظرناه مُدّة طويلةً كأنّا والله كُنّا نَسُوقه الى مَنِيّته.

الغناء فى الأصوات المتقدّمة

نسبة ما فى الخبر الأوّل من الغناء

صوت

وتركتُه جَزَرَ السِّباعِ يَنُشْنَهُ * مابينَ قُلّةِ رأسِهِ والمِعْصَمِ
إن تُغْدِفِى دُونِى القِنَاعَ فإنّنى * طَبٌّ بأخذ الفارِسِ المُسْتَلْئِمِ(١)

الشعر لعَنْتَرةَ بن شَدّاد العَبْسِىّ، والغناء فيه لحُنَين ثانى ثقيلٍ(٢).

ومنها:

صوت

حَنَتْنِى حَانياتُ الدهر حتى * كأنّى خاتِلٌ يَدْنُو لِصَيْدِ
قَرِيبُ الخَطْو يَحْسَبُ مَنْ رآنى * ولَسْتُ مُقَيَّدًا أَنّى بقَيْدِ

(١) أغدفت المرأة قناعها: أرسلته على وجهها. والطب: الحاذق من الرجال الماهر بعلمه. والمستلئم: لابس اللأمة، وهى الدرع. (٢) فى ط: «والغناء لابن سريج ثقيل أوّل».

الغناءُ لحُنَين الحِيرِىّ ثقيل أوّلُ . وفيه لابراهيم المَوْصِلىّ ماخُورِىّ جميعا عن ابن المكّىّ، ووافقه عمرو بن بَانَةَ فى لحن ابراهيم [الموصلىّ] (١) . ونسبة الشعر الذى غنّاه حُنين ١٢٨/٢ فى منزل سُكَينة — عليها السلام — يقال : إنه لعَدِىّ بن زَيْد، وقيل : إنّ بعضه له وقد أضافه المغنُّون اليه . ولحنُه خَفِيفُ ثَقِيلٍ مُطلق فى مَجْرَى البِنْصَر عن إسحاق .

صوت من المائة المختارة

رَاعَ الفؤادَ تَفَرُّقُ الأحبابِ * يومَ الرحيل فهاجَ لى أطْرابى (٢)
فَظَلِلْتُ مكتئبا أُكَفْكِفُ عَبْرَةً * سَحًّا تَفِيضُ كواشِلِ الأسراب (٣)
لمّا تَنَادَوْا للرحيل وقَرَّبوا * بُزْلَ الجِمَالِ لِطِيَّةٍ وذَهَابِ (٤)
كاد الأسَى يَقضى عليك صَبابةً * والوجهُ منك لِبَيْنِ إلفك كَابِى

عروضه من الكامل . والشعر لعمر بن أبى ربيعة . والغناء للغَرِيض، ولحنه المختار من الثقيل الأول بإطلاق الوتر فى مَجْرَى البِنْصَر عن إسحاق . [وقال حَبَش : وفيه لأبى كامل ثانى ثقيل بالوسطى] (٥) . وذكر حبش : أنّ للغريض أيضا فيه خفيفَ ثقيل بالوُسْطى . ولمالك ثقيلٌ أول بالوسطى . وهذه الأبياتُ قالها عمر بن أبى ربيعة فى بنتٍ لعبد الملك بن مَرْوان كانت حَجّت فى خلافته .

أخبرنى علىّ بن صالح بن الهَيْثم قال أخبرنى أبو هِفّان عن إسحاق بن ابراهيم عن الزُّبَيْرِىّ والمدائنىّ ومحمد بن سَلّام والمُسَيَّبِىّ :

---

(١) الزيادة عن حـ . (٢) راع الفؤاد : أفزعه . والأطراب : جمع طرب، والطرب يطلق على الفرح والحزن والشوق، والمراد هنا أحد المعنيين الأخيرين . (٣) واشل : سائل، من وشل الماء يشل (كوعد) إذا سال وقطر، والأسراب : جمع سرب (بالتحريك) وهو الماء السائل من المزادة . (٤) يقال : مضى فلان لطيته أى لوجهه ونيته التى انتواها . (٥) الزيادة عن ا، م، حـ .

أنّ بنتا لعبد الملك بن مَرْوان حَجّت، فكتب الحجاج إلى عمر بن أبى ربيعة يتوعّده إن ذكرها فى شعره بكلّ مكروه؛ وكانت تحبّ أن يقول فيها شيئا وتتعرّض لذلك، فلم يَفعل خَوْفا من الحجّاج. فلمّا قضتْ حَجّها خرجت فمرّ بها رجلٌ فقالت له: مِنْ [أين] (١) أنت؟ قال: من أهل مكّة؛ قالت: عليك وعلى أهل بلدك لعنةُ الله! قال: ولم ذاك؟ قالت: حَججتُ فدخلتُ مكة ومعى من الجوارى ما لم ترَ الأعينُ مثلَهنّ، فلم يستطع الفاسقُ ٱبن أبى ربيعة أن يُزوِّدنا من شعره أبياتا نَلْهُو بها فى الطريق فى سَفَرنا! قال: فإنى لا أراه إلّا قد فعل؛ قالت: فأْتِنا بشىء إن كان قاله ولك بكل بيتٍ عشرةُ دنانيرَ؛ فمضى إليه فأخبره؛ فقال: لقد فعلتُ، ولكن أُحبُّ أن تكتُمَ علىّ؛ قال: أفعل؛ فأنشده:

رَاعَ الفؤادَ تَفَرُّقُ الأحبابِ * يومَ الرحيلِ فهاجَ لى أَطْرابى

وهى طويلة. وأنشده:

هَاجَ قلبى تَذَكُّرُ الأحبابِ * وٱعترتْنى نوائبُ الأطرابِ (٢)

وهى طويلة أيضا، يقول فيها:

اُقْتُلِينِى قَتْلًا سريعًا مُرِيحًا * لاتكونى علىّ سَوْطَ عذابِ
شَفَّ عنها مُحَقَّقٌ جَنَدِىٌّ (٣) * فهى كالشمسِ من خلالِ سَحَابِ

— ذكر حَبَشٌ: أنّ فى هذه الثلاثة الأبيات للهُذَلىّ ثانىَ ثقيل بالبِنصر —

قال: فعادَ إليها الرجل فأنشدَها هاتين القصيدتين فدفَعتْ إليه ما وعدتْه به.

---

(١) الزيادة عن ١، م.

(٢) الأطراب هنا: الأحزان.

(٣) كذا فى ١، م، ء وهو الموافق لما تقدّم فى ص ٢٤٠ من الجزء الأول من هذه الطبعة. وفى باقى النسخ: «مرقق حندىّ» بالحاء المهملة. وقد تقدّم تفسير هذا البيت فى الصفحة المذكورة.

ذكر الغريض وأخباره

١٢٩/٢ الغَرِيض لَقَبٌ لُقِّبَ به، لأنه كان طَرِىَّ الوجه نَضِرًا غَضَّ الشباب حَسَنَ المنظر، فلُقِّبَ بذلك. والغريض: الطرىّ من كل شىء. وقال ابن الكلبىّ: شُبِّهَ بالإغريض وهو الجُمَّار فسُمِّىَ به، وثَقُلَ ذلك على الألْسِنة فحذفت الألف منه، فقيل له: الغريض. واسمه: عبد الملك، وكنيته: أبو يزيد.

وأخبرنا إسماعيل بن يونس الشِّيعِىّ عن عمر بن شَبَّة عن أبى غسّان عن جماعة من المكِّيِّين:

أنه كان يكنى أبا مَرْوان. وهو مَوْلَى العَبَلات، وكان مُوَلَّدًا من مُوَلَّدِى البَرْبَر. وَوَلَاؤُه وولاء يحيى قَيْل(١) وسُمَيَّة(٢) للثريّا (صاحبة عُمَر بن أبى ربيعة) وأخواتها: الرُّضَيّا وقُرَيبة وأم عثمان بنات علىّ بن عبد الله بن الحارث بن أمية الأصغر، وقد مضت أخبارُهنّ فى صدر الكتاب(٣).

أخبرنى أحمد بن عبد العزيز الجوهرىّ قال حدّثنى محمد بن نصر الضِّبْعِىّ(٤) قال حدثنى عبد الكريم بن أبى معاوية العلابىّ(٥) عن هشام بن الكلبىّ عن أبيه وعن

(١) فى ط، ى: «فيل» بالفاء، (وانظر ترجمته بالجزء الثالث ص ١٠١ من الأغانى طبع بولاق).

(٢) فى ى، أ، م، ط: «سهية» وقد سمى العرب بهما، ولم ندر أيهما أصح لوجوده مجردا.

(٣) انظر الجزء الأول من هذه الطبعة ص ٢٠٩ — ٢١٣

(٤) لم يرد هذا الاسم فى فهارس الكتب التى تحت أيدينا. والضبعى بضم الضاد المعجمة وفتح الباء الموحدة كما فى شرح القاموس والمشتبه للذهبىّ والاشتقاق لابن دريد ولسان العرب، نسبة الى ضبيعة بن قيس بن ثعلبة الذين نزلوا البصرة، وقيل الى المحلة التى سكنها هؤلاء بالبصرة. وقد ضبطه السمعانىّ بالعبارة فقال انه: «بفتح الضاد المعجمة وفتح الباء المنقوطة بواحدة وفى آخرها العين المهملة. هذه النسبة الى ضبيعة بن قيس بن ثعلبة ... الخ». وهو كما ترى مخالف لكل المصادر المتقدّمة.

(٥) كذا فى ب، س، حـ. وفى ى، ط: «العبلانى» وفى أ، م: «الغيلانى» ولم يرد فى كتب الأنساب «العلابى» بالعين المهملة، والذى ورد هو الغلابى بالغين المعجمة. ولم نهتد الى هذا الاسم لنتحقق من صحة هذه النسبة.

أبى مِسْكين (١). وأخبرنى أحمد بن عبد العزيز الجوهرى قال حدّثنى عمر بن شَبّة قال حدثنى أبو غَسّان محمد بن يحيى. وأخبرنى الحسين بن يحيى ومحمد بن أبى الأزهر حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن الزُّبَيْرِىّ والمَدائنىّ ومحمد بن سلّام، وقد جمعت رواياتهم فى قصّة الغريض. قالوا :

كان الغريض يضرب بالعود وينقر بالدّف ويُوقِع بالقضيب، وكان جميلا وَضِيئا، وكان يُصنع نفسه (٢) ويُبرِّقها (٣). وكان قبل أن يُغَنِّىَ خيّاطا. وأخذ الغناءَ فى أول أمره عن ابن سُرَيج، لأنه كان يَخْدُمُه. فلما رأى ابنُ سُرَيج طَبْعَه وظَرْفَه وحَلاوَة مَنْطقه خَشِىَ أن يأخذ غناءه فيغلِبَه عليه عند الناس ويفوقَه بحُسْن وجهه وجسده، فاعتلّ عليه، وشكاه إلى مَوْلَيَاته. وهنّ كنّ دَفَعْنه إليه ليعلّمه الغناء، وجعل يتجنّى عليه ثم طرده؛ فشكا ذلك إلى مَوْلَيَاته وعرّفهنّ غرضَ ابن سُرَيج فى تنحيته إيّاه عن نفسه، وأنه حسده على تَقَدّمه؛ فقلن له : هل لك فى أن تسمع نَوْحَنا على قتلانا فتأخُذَه وتُغَنِّىَ عليه؟ قال : نعم فافعلْنَ. فأسْمَعْنه المراثىَ فاحتذاها وخرّج غناءً عليها كالمراثى، وكان يَنُوح مع ذلك فيدخل المآتم وتُضْرَب دونه الحُجُب ثم يَنُوح فيفتن كلَّ من سمعه. ولما كثر غناؤه اشتهاه الناس وعدلوا إليه لما كان فيه من الشَّجا (٤). فكان ابن سريج لا يغنّى صوتا إلا عارضه (٥) الغريض فيه لحنا آخر. فلما رأى ابن سُرَيج

تعلم النوح وكان ينوح للنساء فى المآتم

---

(١) كذا فى ى. وفى ا، م، حـ : «عن أبيه عن أبى مسكين». وفى ب، سـ : «عن أبيه مسكين» وهو خطأ. وقد أثبتنا رواية ى لأنها تقدّمت فى ص ٢٤٨ من الجزء الأوّل من هذه الطبعة وكتب الأنساب تر جحها. (٢) يصنع نفسه : يقوم على تحسينها وتزيينها. (٣) كذا فى ط، و يبرقها : يزينها و يحسنها. يقال برّق منزله أى زينه و زوّقه. وفى باقى الأصول : «و يترفها» ومعناه يوسع عليها و يدللها و يعطيها شهواتها. (٤) الشجا : الحزن. (٥) أى ناقضه و باراه فيه بلحن آخر يغنيه. ولم نجد عارض يتعدى لمفعولين إلا فيما ورد من الحديث من «أن جبريل عليه السلام كان يعارضه القرآن فى كل سنة مرة وأنه عارضه العام مرتين» أى كان يدارسه جميع ما نزل من القرآن، من المعارضة وهى المقابلة.

موقع الغَرِيض اشتدّ عليه وحسده، فغنّى الأَرْمَالَ والأَهْزاجَ فاشتهاها الناس؛ فقال له الغريض: يا أبا يحيى، قصَّرتَ الغناءَ وحذفتَـه؛ قال: نعم يا مخنَّث حين جعلتَ تَنُوح على أمّك وأبيك.

قال إسحاق وحدّثنى أبو عُبَيدة قال: لمـا غضب ابنُ سُرَيج على الغَرِيض فأقصاه وهجره لحِق بحَوْراءَ وبَغُوم — جَاريتَيْن نائحتين كانتـا فى شِعْب ابن عامر بمكة، ولم يكن قبلَهما ولا بعدَهما مثلُهما — فرأتاه يومًا يعصر عينيه ويبكى؛ فقالتا له: مالك تبكى؟ فذكر لهما ما صنع به ابنُ سُرَيج؛ فقالتـا له: لا أَرْقأَ اللهُ دمعَك! أُلْزُزْ رأسَك[1] بين ما أخذتَه عنه وبين ما تأخذه منّا، فإن ضِعْتَ بعدَها فأبعدك الله.

قال إسحاق وحدّثنى أبو عبد الله الزُّبَيرى قال: رأيت جَرِيرًا فى مجلِسٍ من مَجالس قريش فسمعتُه يقول: كان المغنُّون بمكة أربعة، فسيد مبرِّز وتابع مسدِّد[2]؛ فسألناه عن ذاك، فقال: كان السيّدَ أبو يحيى بن سُرَيج والتابعَ أبو يزيد الغَرِيض. ١٣٠/٢ وكان هناك رجل عالم بالصناعة فقـال: كان الغريضُ أحْذَقَ أهلِ زمانه بمكة بالغناء بعـد ابن سُرَيج، وما زال أصحابنـا لا يُفرِّقون بينهما لمقاربتهما فى الغناء. قال الزُّبيرىّ وقال بعض أهلى: لو حُكِّمتُ بين أبى يحيى وأبى يزيد لمـا فرَّقتُ بينهما، وإنمـا تَفْضيلى أبا يحيى بالسَّبق، فأمّا غيرُ ذلك فلا، لأنّ أبا يزيد عنـه أخذ ومن بحره اغترَف وفى ميدانه جرى، فكان كأنّه هو؛ ولذلك قالت سُكَينة لمـا غنّى الغريض وابن سريج:

* عُـوجِى علينـا رَبّةَ الهَـودَجِ *

---

(١) أى اجعل رأسك بينهما: تريدان بذلك أن يجمع بين ما أخذه عن ابن سريج وما سيأخذه عنهما.

(٢) يلاحظ أنه لم يذكر هنا إلا اثنين

واللهِ ما أُفرِّق بينكما، وما مَثَلُكما عندى إلا كَمَثَل اللؤلؤ والياقوت فى أعناق الجوارى الحِسان لا يُدْرَى أىّ ذلك أحسن .

قيل كان الغريض أشجى غناء من ابن سريج

قال إسحاق : وسمعت جماعةً من البُصَراء عند أبى يتذاكرونهما، فأجمعوا على أنّ الغَرِيض أشْجى غِناءً، وأنّ ابن سريج أَحْكَمُ صنعةً .

غنى الناس بجمع فحسبوه من الجن

قال إسحاق وحدّثنى أبو عبد الله الزُّبَيْرِىّ قال حدّثنى بعض أهلى قال : حَجَجنا فلمّا كنّا بجَمْع[1] سَمِعنا صوتا لم نسمع أحسنَ منه ولا أَشْجى، فأصْغَى الناسُ كلّهم إليه تعجُّبا من حسنه، فسألتُ : مَنْ هذا الرجلُ؟ فقيل لى : الغَرِيض، فتتابع جماعةٌ من أهل مكّةَ فقالوا : ما نعرِف اليومَ أحدًا أحسنَ غِناءً من الغَرِيض، ويدلّك على ذلك أنه يعترِض بصوته الحاجّ وهم فى حَجِّهم فيُصْغُون إليه . فسألوا الغريض عن ذلك، فقال : نعم، فسألوه أن يُغنِّيَهم فأجابهم، وخرج فوقَف حيث لا يُرَى ويُسْمع صوتُه فترنّم ورجّع صوتَه وغنّى فى شعر عمرَ بن أبى ربيعة :

أيُّها الرائحُ المجِدّ ٱبتكارًا * قد قضَى مِن تِهامَةَ الأَوْطارَا

فما سمع السامعون شيئًا كان أحسنَ من ذلك الصوتِ، وتكلّم الناسُ فقالوا : طائفةٌ من الجِنّ حُجّاجٌ .

نسبة هذا الصوت

صوت

أيُّها الرائحُ المجِدّ ٱبتكارًا * قد قضَى مِن تِهامَةَ الأَوْطارَا[2]
مَنْ يكنْ قلبُه الغَداةَ خَلِيًّا * ففؤادى بالخَيْف أمْسَى مُعارَا[3]
ليت ذا الحجّ كان حَتْمًا علينا * كلَّ شهرينِ حِجّةً[4] وٱعتمارَا

(١) جمع : المزدلفة وهو مبيت الحاج ومجمع الصلاة اذا صدروا من عرفات، وهو المشعر الحرام .

(٢) تقدمت هذه الأبيات مع شرحها فى الجزء الأول من الأغانى طبع دار الكتب ص ١٦٧ س ٥، ٦ .

(٣) فى ب، س، حـ : «مطارا» .

(٤) الحجة (بالكسر) : المرة من الحج وهو شاذ لأن قياس المرة على فعلة بفتح الفا .

عَرُوضه من الخَفِيف . الشعر لعمر بن أبى ربيعة . والغِناء لابن مُحْرِز، ولَحْنه من القَدْر الأَوْسط من الثقيل الثانى بالخنصر فى مَجْرَى الوُسْطَى . وفيه لحن للغَرِيض من رواية حمّاد عن أبيه .

أخبرنى أحمد بن عبد العزيز الجَوْهرىّ وإسماعيل بن يُونُس قالا حدّثنا عمر ابن شَبّة قال حدّثنى إسحاق بن إبراهيم قال :

بلغنى أن مَعْبدا وابن سُرَيْج والغريض اجتمعوا بمكّة ذاتَ ليلة فقالوا : هَلُمَّ نَبْكِ أهلَ مكّة ، ووجدتُ هذا الخبر بغير إسناد مَرْوِيّا عن يونُس الكاتب : أن أميرًا من أمراء مكّة أمر بإخراج المُغَنِّين من الحَرَم ، فلمّا كان فى الليلة التى عزم بهم على النَّفى فى غَدِها اجتمعوا على أبى قُبَيْس — وكان مَعْبد قد زارهم — فبدأ معبد فغنّى — كذا رُوِى عن يونس ولم يذكره الباقون — :

١٣١/٢

صــوت

أَتَرْبَىَّ من أَعْلَى مَعَدّ هُدِيتُمَا (١) * أَجِدَّا البُكا إنّ التفـرّق باكِرُ
فما مُكْثُنا دام الجَمِيـلُ عليكما * بِثَهْلانَ (٢) إلّا أنْ تُزَمّ الأباعِرُ

— عَرُوضه من الطويل . هكذا ذكره ولم ينسُبه ولا جنّسه — قال : فتأوّه أهل مكّة وأَنُّوا وتمخَّطُوا (٣) . واندفع الغَرِيض يُغَنِّى :

أيّها الرائحُ المُجِـدّ ابتكارًا * قـد قضَى مِن تِهامَةَ الأَوطارَا

فارتفع البكاء والنحيب . واندفع ابن سريج يغنى :

جَدِّدِى الوصلَ يا قُرَيبُ وجُودِى * لمُحِبٍّ فِـراقُـه قـد أَلَمَّـا
ليس بين الحياة والموت إلّا * أن يَرُدُّوا جِمالَهُـمْ فـتُزَمَّا

(١) فى ح : «عليا» . (٢) ثهلان : جبل بنجد . (٣) تمخطوا : اضطربوا .

فارتفع الصُّراخُ من الدُّور بالوَيْل والحَرَب (١) . قال يونس فى خبره : وٱجتمع النّاسُ الى الأمير فاستعفَوْه من نفيهم فأعْفاهم . وذكر الباقون أنّ الغَرِيض ٱبتدأ بِلَحْنه :

* أيُّها الراكب المُجِــدّ ٱبتكارا *

وتلاه ٱبن سريج فى «جَدِّدِى الوصل» . قال : وٱرتفع الصراخ فلم يُسْمَع من مَعْبَد شىء ولم يقدِر على أن يُغنِّىَ .

غنت شطباء المغنية على بن جعفر فطرب .

أخبرنى الحَرَمِىّ بن أبى العَلاء قال حدّثنا الزُّبَيْر بن بَكّار قال أخبرنى عبد الرحمن ابن محمد السَّعْدِىّ قال :

حضَرتُ شَطْباءَ المُغنِيَةَ جاريةَ علىّ بن جعفر ذاتَ يوم تُغنِّى :

ليس بين الرَّحِيل والبَيْنِ إلّا (٢) * أنْ يَرُدُّوا جِمالَهم فــتُزَمَّا

فطرِب علىّ بن جعفر وصاح (٣) : سبحان اللهِ العظيم ! ألَا يُوكُونَ (٤) قِرْبة ! ألَا يَشُدُّون مَحْمِلا ! ألَا يُعلِّقون سُفْرَة (٥) ! ألَا يُسَلِّمون على جارٍ ! هذه واللهِ العجلةُ .

لما ماتت الثريا ناح عليها الغريض

أخبرنى أحمد بن عبد العزيز وإسماعيل بن يونُس قالا حدّثنا عمر بن شَبَّة قال حدّثنا محمد بن يحيى قال زعم عُبَيد بن يَعْلَى قال :

قال لى كَثِير بن كَثِير السَّهْمِىّ : لمّا ماتتِ الثُّرَيّا أتانى الغَرِيض فقال لى : قل لى شعرًا أبْكِ به عليها، فقلت :

---

(١) كذا فى ء ، ا ، م أى قيل واويلاه وواحرباه . والحرب (بالتحريك) : أن يسلب الرجل ماله ، ثم توسع فيه فعبر به عما يصيب المرء من مكروه . وفى باقى النسخ : «بالويل والحزن» .
(٢) فى حـ : «والموت» . (٣) كذا فى ط . وفى سائر النسخ : «وقال» .
(٤) أوكى القربة : شدّها بالوكاء، وهو رباطها ، وفى الحديث : «أوكوا الأسقية» . أى شدوا رءوسها بالوكاء لئلا يدخلها حيوان أو يسقط فيها شىء . (٥) السفرة فى الأصل : طعام يتخذه المسافر، ومنه حديث عائشة : صنعنا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولأبى بكر سفرة فى جراب أى طعاما ، ثم أطلق مجازا على جلد مستدير يحمل فيه هذا الطعام . وتطلق السفرة أيضا على ما يبسط ليؤكل عليه .

صـــوت

أَلَا يا عينُ مالَكِ تَدْمَعِينَا ❊ أَمِنْ رَمَـدٍ بكيتِ فتُكْحَلِينَا

أَمَ آنتِ مريضةٌ تَبْكِينَ شَجْوًا(١) ❊ فَشَجْوُكِ مثلُه أبكى العيونا

فناح به عليها. قال: وأخبرني من رآه بين عمودَيْ سَرِيرها يَنُوح به. الغناء للغَرِيض في هذين البيتين خفيفُ ثقيل بالوُسْطى عن آبن المكيّ. وفيه ثقيلٌ أوّلُ مجهول.

تحاكم هو وابن سريج الى سكينة بنت الحسين فساوت بينهما

أخبرني الحَرَميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزُّبير بن بَكّار قال حدّثني محمد آبن سلام وأخبرنا وَكيع قال حدّثنا محمد بن إسماعيل عن محمد بن سلّام عن جَرير، ورواه حمّاد عن أبيه عن آبن سلام عن جَرير أيضا:

أنّ سُكَينة بنت الحُسَين عليه السلام حجّت فدخل إليها آبن سُرَيج والغَرِيض وقد استعار آبن سُرَيج حُلّةً لامرأة من قُرَيش فلَبِسها، فقال لها ابنُ سُرَيج: ياسيّدتي، إني كنتُ صنعتُ صوتًا وحسّنتُه وتنوّقتُ(٢) فيه، وخبأته لك في حَبِيرةٍ في دُرْجٍ مملوءٍ مِسْكًا فنازَعَنِيه هذا الفاسق — يعني الغَرِيض — فأردنا أن نتحاكم إليكِ فيه، فأيُّنا قدّمْتِه فيه تقدّم؛ قالت: هاتِه، فغنّاها:

عُوجِي علينا رَبّةَ الهَوْدَجِ ❊ إنّكِ إلّا تَفْعَلِي تَحْرَجِي(٣)

فقالت: هاتِه أنتَ يا غَرِيض، فغنّاها إيّاه؛ فقالت لآبن سُرَيج: أعِدْه، فأعاده، وقالت: يا غَرِيضُ، أعِدْه، فأعاده؛ فقالت: ما أُشَبِّهُكُما إلا بالجَدْيَيْن(٤):

(١) في الجزء الأول من هذه الطبعة ص ٢٤٦: «زينة». (٢) تنوّق: تجوّد في الشيء وبالغ فيه. (٣) تحرجي: تأثمي. (٤) كذا في ء. وورد في المسعودي ج ٢ ص ٥٦ في وصف معاوية: «ثم يؤتى بالغداء الأصغر وهو فضلة عشائه من جدى بارد». وفي أ، م: «إلا بالحدّ بين الحارّ والبارد». وفي حـ: «إلا بالجدّ بين الحارّ والبارد» وهما محرّفان عن الأوّل. وفي ب، سـ: «بالجوزابين» ولعله محرّف عن الجوذابين: وهو مثنى جوذاب (بالضم) ويقال فيه ذوباج أيضا، وهو كما قال صاحب اللسان: طعام يصنع بسكّر وأرز ولحم. وفي كتاب الأطعمة (الموجود بدار الكتب المصرية تحت رقم ٥١ علوم معاشية): بيان لأنواع الجواذيب وكيفية صنع كل منها.

الحارّ والبارد لا يُدْرَى أيُّهما أطيب . وقال إسحاق فى خبره : ما أشَبِّهُكما إلا باللؤلؤ والياقوت فى أعناق الجوارى الحِسَان لا يُدْرَى أيُّهما أحسن .

نسبة هذا الصوت

صوت

عُوجِى علينا رَبَّةَ الهَوْدَجِ * إنكِ إلا تَفْعَلِى تَحْرَجِى
إنِّى أُتِيحتْ لى يَمَانِيَّةٌ[(1)] * إحدى بنى الحارثِ من مَذْحِجِ
نَلْبَثُ حَوْلًا كاملًا كُلَّه * لا نلتقى إلا على مَنْهَجِ
فى الحجِّ إن حَجَّت وماذا مِنًى * وأهلُه إن هى لم تَحْجُجِ
أيسرُ ما نالَ مُحِبٌّ لدى * بَيْنِ حبيبٍ قولُه عَرِّجِ

عَروضُه من السريع . والشعرُ للعَرْجِىّ . والغِناء لابن سُرَيْج ثانى ثقيل بالوُسْطَى عن عَمْرو . وفيه للغَرِيض ثقيل أوّل بالوُسْطَى عن حَبَش . ولإسحاق فى الأوّل والثالث ثقيل أوّل بالبِنْصَر عن عمرو . وللأَبْجَر فيه ثانى ثقيل بالخِنْصَر فى مَجْرَى البِنْصَر عن ابن المكىّ . ولِعَلُّويَهْ خفيفُ ثقيلٍ عن الهِشامِىّ . ولحكَم خفيفُ رملٍ عنه أيضا .

غنى عطاء بشعر العرجى فردّه عليه

أخبرنى محمد بن خَلَف وَكيع قال حدّثنا عبد الله بن عمرو[(2)] بن بِشْر قال حدّثنى إبراهيم بن المُنْذِر قال حدّثنى حمزة بن عُتْبة اللَّهَبِىّ عن عبد الوهاب بن مُجاهِد أو غيره قال :

---

(1) يمانية (بتشديد الياء) نسبة الى اليمن ، والمشهور فى النسبة الى اليمن : يمنى ويمان بالتخفيف والألف عوض عن ياء النسب ، قال سيبويه : وبعضهم يقول يمانىّ بالتشديد . ومما جاء بالتشديد قول أمية بن خلف :

يمانيا يظل يشدّ كيرا * وينفخ دائما لهب الشواظ

(2) فى أ ، م ، ء ، ط : « عمر » ولم نعثر على ما يرجح إحدى الروايتين .

كنت مع عَطاء بن أبي رَباح فجاءه رجل فأنشده قَوْلَ العَرْجِيّ :

* إنّى أُتيحتْ لى يمانيةٌ *

وذكر الأبيات وختمها بقوله :

فى الحجّ إن حجّتْ وماذا مِنًى * وأهلُه إنْ هى لم تَحْجُجِ

قال فقال عطاء : بمِنًى والله وأهلِه خيرٌ كثيرٌ إذ غيّبها الله وإيّاه عن مَشاعره .

قصة الأوقص المخزومى مع سكران يغنى

أخبرنى إسماعيل بن يونُس قال حدّثنا عمر بن شَبّة قال حدّثنى إسحاق قال :

وَلِيَ قضاءَ مكّة الأَوْقَصُ المخزومىُّ فما رأى الناس مثلَه فى عفافه ونُبْلِه ، فإنّه لنائم ليلةً فى جَناح[1] له إذ مرّ به سكرانُ يتغنّى :

* عُوجِى علينا رَبّةَ الهَوْدَجِ *

فأشرف عليه فقال : يا هذا شرِبتَ حراما ! وأيقظتَ نياما ! وغنّيتَ خطأ ! خُذْه عنّى ! فأصلحه له وانصرف .

عطاء بن رباح والأبجر المغنى

أخبرنى إسماعيل بن يونُس قال حدّثنا عمر بن شَبّة قال حدّثنى إسحاق عن حمزة ابن عُتْبةَ اللهبِيّ قال :

مرّ الأبجر بعطاء وهو سكرانُ فعذَله وقال : شهّرتَ نفسَك بالغِناء واطّرحْتَها وأنت ذو مُرُوءة ، فقال : امرأته طالقٌ ثلاثا إنْ بَرِحْتَ أو أُغنّيَك صوتا ، فإن قلتَ لى : هو قبيحٌ تركتُه ، فقال له عَطاء : هاتِ ويحكَ ! فقد أضررتَ بى ، فغنّاه :

فى الحج إنْ حجّتْ وماذا مِنًى * وأهلُه إنْ هى لم تَحْجُجِ

فقال له عَطاء : الخيرُ والله كلّه هناكَ حجّتْ أو لم تَحُجّ ، فاذهب الآن راشدا فقد برّتْ يمينُكَ .

---

(١) أى فى ناحية خاصة به من البيت .

ابن أبى عتيق والغريض

أخبرنى أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا محمد بن القاسم بن مَهْرُوَيْه قال حدّثنى المُغيرة بن محمد قال حدّثنى هارون بنُ موسى الفَرْوِىّ[1] قال حدّثنى بعضُ المَدَنيّين قال :

١٣٣/٢ خرج ابن أبى عتيق على نَجِيبٍ له من المدينة قد أَوْقَرَه[2] من طُرَف المدينة المَشارِبَ[3] وغير ذلك ، فلَقِى فتًى من بنى مَخْزوم مُقْبِلًا من بعض ضِياعِه ، فقال : يابن أخى ، أتَصْحَبُنِى؟ قال : نعم ؛ قال المَخْزُومِىّ : فمَضَيْنا حتى إذا قرُبْنا من مكّة جَنَبْنا عنها حتى جُزْناها فصِرْنا إلى قصرٍ ، فاستأذن ابن أبى عتيق فأُذِن له ، فدخلنا فإذا رجل جالسٌ كأنّه عَجُوزٌ بَرْبَرِيّة مُخْتَضِبة ، لا أشكّ فى ذلك ، وإذا هو الغَرِيض وقد كَبِر ، فقال له ابن أبى عتيق : تشوّقْنا إليك ، وأهدى له ما كان معه ، ثم قال له : نُحِبّ أنْ نسمعَ ؛ قال : اُدْعُ فُلانة ــ جاريةً له ــ فجاءت فغنّت ، فقال : ما صنعتِ شيئًا ، ثم حلّ خِضابَه وغنّى :

* عُوجِى علينا رَبّةَ الهَوْدَجِ *

فما سمعتُ أحسنَ منه قطّ ، فأَقمنا عنده أيامًا كثيرة وخَبّازُه قائمٌ وطعامُه كثير . ثم قال له ابن أبى عتيق : إنى أريد الشُّخُوصَ ، فلم يَبْقَ بمكّة تُحْفَةُ عَدَنِىّ ولا يَمانٍ ولا عُودٌ إلا أَوْقَر به راحلتَه . فلمّا آرتحلنا وبرَزْنا صاح به الغَرِيض : هيًا هيًا ، فرجعنا إليه ؛ فقال : ألم تَرْوُوا عن النبىّ صلّى الله عليه وسلّم أنه قال : "يُحْشَر من بَقيعنا هذا سبعون ألفًا على صورة القمر ليلةَ البدر" ! فقال له ابن أبى عتيق : بلى ؛

(١) فى أغلب النسخ : « الصورى » . وفى ء ، ط : « الصروى » . وفى حـ : « القروى » بالقاف ، وكل ذلك محرف عن الفروىّ بالفاء وقد ورد كذلك فى المشتبه فى أسماء الرجال للذهبى ص ٤٠٥ طبع أوروبا .

(٢) أوقره : حمله .

(٣) المشارب : جمع مشربة (بالكسر) وهى إناء يشرب به .

فقال : هذه سِنٌّ لى انتزعتْ فأُحبّ أن تدفِنها بالبقيع ، فخرجنا والله أخسرَ اثنين لم نعتمِر ولم ندخُل مكّة ، حاملَيْن سِنّ الغَرِيض حتّى دفنّاها بالبقيع .

غنى بعض أهل المدينة فطربوا لغنائه

أخبرنى الحُسين بن يحيى عن حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن بعض أهل المدينة قال : خرج الغَرِيض مع قوم فغنّاهم هذا الصوتَ :

جَرَى ناصِحٌ بالوُدّ بينى وبينها * فقرّبنى يومَ الحِصاب إلى قَتْلِى

فاشتدّ سرورُ القوم ، وكان معهم غلام أعجبه ، فطلب إليهم أن يُكلّموا الغلامَ فى الخَلْوَة معه ساعةً ففعلوا ، فانطلق مع الغلام حتّى توارَى بصَخْرة ، فلما قضى حاجته أقبل الغلامُ الى القوم ، وأقبل الغَرِيض يتناول حَجَرًا حَجَرًا يَقْرَع به الصخرةَ ، ففعل ذلك مرارا ، فقالوا له : ما هذا ياغريض؟ قال : كأنى بها (١) قد جاءت يومَ القيامة رافعةً ذَيْلها تَشْهد علينا بما كان منّا الى جانبها ، فأردتُ أن أُجَرّح شهادتَها على ذلك اليوم .

نسبة هذا الصوت

صوت

جَرَى ناصِحٌ بالوُدّ بَيْنى وبينها * فقرّبنى يومَ الحِصَاب الى قَتْلى
فقالتْ وأَرْخَتْ جانبَ السِّتر إنما * معى فتحدّثْ غيرَذى رِقْبَةٍ أهلى
فقلتُ لها ما بِى لهم من تَرَقُّبٍ * ولكنّ سِرّى ليس يَحْمِلُهُ مِثْلِى

عَرُوضه من الطويل . الشعر لعُمَر بن أبى ربيعة . والغناء لابن سُرَيج رَمَلٌ بإطلاق الوَتَر فى مجرى البِنْصَر عن إسحاق فى الثلاثة الأبيات . وذكر يونس أن فيه لَحْنًا لمالك ، وفيه للغَرِيض خفيفُ ثقيلٍ أول بالوسطى عن حَبَش والهشامىّ وعلىّ

(١) كذا فى ط . وفى سائر النسخ : « كأنى بها قد جاءت به يوم القيامة الخ »

ابن يحيى وحمّاد بن إسحاق . ولمَعْبَد فيه ثقيل أوّل بالبِنْصَر عن حبش . ولابن مُحْرِز ثانى ثقيل بالوُسْطى عنه .

كان عمر وجميل يتعارضان فى قول الشعر

حدّثنى علىّ بن صالح بن الهَيْثَم (١) قال حدّثنى أبو هِفَّان عن إسحاق بن إبراهيم عن المُسَيَّبِىّ والمدائنىّ وابن سلّام :

أنّ عمر بن أبى ربيعة كان يُعارض جَمِيلا، إذا قال هذا قصيدةً قال هذا مثلَها، فيقال : إنّ عمر فى الرائيّة والعينيّة أشعرُ من جَميل، وإنّ جَميلا أشعرُ منه فى اللاميّة.

١٣٤/٢ وقال الزُّبير فيما أخبرنى به الحَرَمِىّ بن أبى العلاء عنه : من الناس من يُفَضِّل قصيدة جَمِيل اللاميّة على قصيدة عمر، وأنا لا أقول هذا، لأنّ قصيدة جميل مختلفة غير مؤتلفة، فيها طوالعُ النَّجْد وخوالدُ المَهْد، وقصيدة عمر بن أبى ربيعة مَلْسَاء المتون، مُستوية الأبيات، آخِذٌ بعضُها بأذناب (٢) بعض، ولو أنّ جميلا خاطب فى قصيدته مخاطبة عمر لأُرْتِجَ (٣) عليه وعَثَر كلامُه به .

أخبرنى الحَرَمِىّ (٤) قال حدّثنا الزُّبَير قال حدّثنى محمد بن إسماعيل بن إبراهيم قال حدّثنى شيخ من أهلى عن أبى الحارث بن نابتة مَوْلى هشام بن الوليد المخزومىّ وهو الذى يقول له عمر بن أبى ربيعة :

يا أبا الحارثِ قَلْبى طائرٌ * فاستمِعْ قَوْلَ رشيد مُؤْتَمَن (٥)

---

(١) كذا فى ط . وفى سائر النسخ : «عن» وهو تحريف، اذ هو على بن صالح بن الهيثم الملقب كيلجة، وقد ورد ذكره فى الجزء الأول ص ١٢٠ من هذه الطبعة وكتبنا عنه كلمة فى الحاشية رقم ١ من هذه الصفحة المذكورة . (٢) فى ى : «بأذيال بعض» . (٣) فى ى، ط : «لأرتج عليه وعثر بكلامه وعثر كلامه به» . (٤) كذا فى ط . وفى سائر النسخ : «جدّى» ولم نعهد فيما تقدم لنا فى رجال السند أن لأبى الفرج جدّا يروى عن الزبير بن بكار، وإنما الذى تكرر كثيرا أن الحرمىّ ابن أبى العلاء، هو الذى يروى عنه . (٥) فى ط بعد ذكر البيت قوله : «الرواية فأتمر أمر رشيد» وهو الموافق لما فى ديوانه ولما تقدّم فى الجزء الأول من هذه الطبعة ص ١١٤ و ٢٠٣

قال : شَهِدتُ عمر بن أبى ربيعة وجميلا بالأبْطَح ، فأنشد جَمِيلٌ قصيدتَه التى يقول فيها :

لقد فَرِحَ الواشُونَ أَنْ صَرمتْ حَبْلِى * بُثَيْنَـةُ أو أَبْدَتْ لنا جانبَ البُخْلِ

ثم قال : يا أبا الخطّاب، هل قلتَ فى هذا الوزن شيئا؟ قال : نعم؛ فأنشده قولَه :

* جَرَى ناصِحٌ بالوُدِّ بينِى وبينَها *

فقال جميلٌ : هيهاتَ يا أبا الخطّاب ، والله لا أقول مثلَ هذا سَجِيسَ(١) الليالى ؛ والله ما خاطبَ النساءَ مخاطبتَك أحدٌ! وقام مُشَمِّرًا .

أخبرنى الحَرَمِىّ بن أبى العلاء قال حدّثنا الزُّبَير بن بكّار قال :

رأيتُ علماءنا جميعا لا يشكّون فى أنّ أحسن ما يُرْوَى فى تعظيم السرّ(٢) قولُ عمر:

* ولكنّ سِرِّى ليس يَحْمِـله مِثْلِى *

قال الزبير: وحدّثنى محمد بن إسماعيل قال حدّثنى ابن أبى الزِّناد قال: إنما اجتمع عمر بن أبى ربيعة وجميل بالجَنَاب(٣).

سمع الفرزدق شعر ابن أبى ربيعة فمدحه

أخبرنى محمد بن أحمد الطَّلّاس قال أخبرنا أحمد بن الحارث الخَزّاز عن المدائنىّ :

أنّ الفرزدق سمع عمر بن أبى ربيعة يُنشد هذه القصيدة ، فلمّا بلغ الى قوله :

فقُمْنَ وقد أَفْهَمْنَ ذا اللبِّ أنما * فَعَلْنَ الذى يَفْعَلْنَ من ذاك مِن أَجْلِى

صاحَ الفرزدق وقال: هذا واللهِ الشعرُ الذى أرادتْه الشعراء فأخطأتْه وبَكَت الديارَ .

(١) يقال : لا أفعل ذلك سجيس الليالى أى لا أفعله أبدا . (٢) فى حـ وهامش ط ، : «فى حفظ السر» . وفى ء : «فى تعظيم حفظ السر» . (٣) الجناب : موضع بعراض خيبر وسلاح ووادى القرى ، وقيل هو من منازل بنى مازن . وقال نصر : الجناب : من ديار بنى فزارة بين المدينة وفيد (انظر معجم ياقوت) .

نسبة ما فى قصيدة عمر وسائر هذه الأخبار من الأغانى سِوَى قصيدة جميل فإنّ لها أخبارًا تُذكَر مع أخباره

فمن ذلك قصيدة عمر التى أوّلها :

* جَرَى ناصحٌ بالوُدِّ بيْنِي وبينها *

صــوت

قِفِى البغلةَ الشهباءَ باللهِ سَلْمِى * عُزَيْزَةَ(١) ذاتَ الدَّلِّ والخُلُق الجَزْلِ
فلمّا تَوَاقَفْنَا عَرَفْتُ الذى بها * كمِثْل الذى بى حَذْوَكَ النَّعْلَ بالنَّعل
فقُلْنَ لها هذا عِشَاءٌ وأهلُنَا * قريبٌ أَلَمَّا تَسْأَمِى مَرْكَبَ البَغْلِ

عَرُوضه من الطويل . الشعر لعمر بن أبى ربيعة . والغناء لمعبد فى الأوّل والثانى ثقيل أوّل بالوُسْطى عن عمرو بن بَانَة وعلىّ بن يحيى ، وقيل إنه لمالك . ولابن مُحْرِز فى الثانى والثالث خفيف ثقيل أوّل بالبِنْصَر عن الهِشَامىّ . ولابن سُرَيج فى الأوّل ثقيل والثانى خفيف آخر بالوُسْطَى(٢) وهو الذى فيه استهلال . ولمالك فى الثانى والثالث ثانى ثقيل بالبِنْصَر . ولإبراهيم فيهما(٣) خفيف ثقيل بالسبّابة فى مَجْرَى الوُسْطى عن ابن المكّىّ .

ومنها :

١٣٥/٢ ### صــوت

يا أبا الحارثِ قلْبى طائرٌ * فاستَمِعْ(٤) قولَ رشيدٍ مؤتمَنْ
ليس حُبٌّ فوق ما أحببتُكم * غيرَ أن أقتُلَ نفسى أو أُجَنّْ
حَسَنُ الوجهِ نقىٌّ لونُهُ * طيبُ النَّشْرِ لذيذُ المحتضَنْ

(١) فى حـ ، ء ، ط : « غريرة » . (٢) كذا فى ب ، س . وفى حـ : « فى الأول والثانى خفيف ثقيل آخر بالوسطى » . وفى ء ، ا ، م : « فى الأول والثانى خفيف آخر بالوسطى » . (٣) فى ط : « فيها » . (٤) انظر الحاشية رقم ٥ ص ٣٧٠ من هذا الجزء .

عروضه من الرَّمَل[1] . الشعر لعمر بن أبي ربيعة . والغِناء لابن سُرَيج ثانى ثقيل بالوُسْطى عن عمرو، وقيل : إنه لابن عائشة، وذكر ابن المكّىّ أنه للغَرِيض فى الثانى والثالث، وفيهما رَمَلٌ يقال إنه لأهل مكة، ويقال : إنه لعبد الله بن يُونس صاحب أَيْلة[2] . وفيه ثقيلٌ أوّلُ ذكر حَبَشٌ أنه لابن سُرَيج، وذكر غيره أنه لمحمد ابن السِّنْدِىّ المكّىّ[3]، وأنه غنّاه بحضرة إسحاق فأخذه عنه .

أخبرنى إسماعيل بن يُونُس قال حدّثنا عُمَرُ بن شَبَّة قال حدّثنا أبو غَسّان محمد ابن يحيى قال :

كان ابن عائشة يُغَنّى الهَزَج والخفيف، فقيل له : إنك لاتستطيع أن تُغَنّى غناءً شجيًّا ثقيلا، فغنَّى :

* ياأبا الحارث قلبى طائرٌ *

رجع الحديث إلى أخبار الغريض

أخبرنى الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه عن أيّوب بن عَبَاية عن مَوْلًى لآل الغَرِيض قال :

حدّثنى بعض مَوْلَياتى وقد ذَكَرْنَ الغريض فترحّمْنَ عليه وقُلْنَ : جاءنا يوما يحدّثنا بحديث أنكرناه عليه ثم عَرَفنا بعد ذلك حقيقتَه، وكان من أحسن الناس وجها

(١) كذا فى ا، م وهو الصواب . وفى سائر النسخ : «المديد» وهو خطأ .

(٢) أيلة بالفتح : مدينة على ساحل بحر القلزم مما يلى الشام، وقيل : هى فى أول الحجاز وآخر الشام . وقال أبو المنذر، سميت بأيلة بنت مدين بن إبراهيم عليه السلام، وقد ورد هذا الاسم هكذا فى جميع النسخ هنا، ولهذا نصحح ما ورد فى الجزء الأول طبع الدار ص ١٥٨ فقد ورد هناك « الأبلى » نقلا عن النسخة التيمورية التى انفردت بذكر هذا العلم على نحو ما أثبت هناك . (٣) كذا فى أغلب النسخ . وفى ط : «عمرو» .

صغيرا وكبيرا، وكنّا نلقَى من الناس عَنَتًا بسببه، وكان ابن سُرَيج فى جِوَارنا فدفعناه ليه فَلَقِنَ الغناءَ، وكان من أحسن الناس صوتا ففتَن أهلَ مكة بحُسْن وجهه مع حُسْن صوته، فلمّا رأى ذلك ابنُ سُرَيج نَحّاه عنه، وكانت بعضُ مَوْلَياته تُعَلِّمه النِّياحة فَبَرَّز فيها، فجاءنى يوما فقال : نَهَتْنى الجنُّ أن أنُوحَ وأسمعتْنى صَوْتا عجيبا فقد ابتنيتُ عليه لحنا فاسمعيه منّى، واندفع فغنّى بصوت عجيب فى شعر المَرَّار الأسدىّ (١) .

حَلَفْتُ لها بالله ما بَيْنَ ذى الغَضَا * وهضْبِ القَنَانِ (٢) من عمانٍ ولا بَكْرِ (٣)
أحَبُّ إلينا منك دَلًّا وما نَرَى * به عند لَيْلَى من ثوابٍ ولا أجرِ

فكذّبناه وقلنا : شىء فكّر فيه وأخرجه على هذا اللحن (٤) ، فكان فى كل يوم يأتينا فيقول : سمعتُ البارحةَ صوتا من الجنّ بترجيع وتقطيع قد بَنَيْتُ عليه صوت كذا وكذا بشعر فلان، فلم يَزَل على ذلك ونحن نُنْكِر عليه؛ فإنّا لكذلك ليلةً وقد اجتمع

---

(١) هو المرار بن سعيد بن حبيب بن خالد بن فضلة بن الأشتر بن جحوان (بتقديم الجيم المفتوحة على الحاء المهملة الساكنة) بن فقعس بن طريف بن عمرو بن معين بن الحارث بن تغلب بن دودان بن أسد ابن خزيمة بن مدركة بن الياس بن نضر بن نزار . والمرار (بفتح الميم وتشديد الراء المهملة) ينسب تارة الى فقعس وهو أحد آبائه الأقربين وتارة الى أسد بن خزيمة بن مدركة وهو جدّه الأعلى، وله ترجمة فى الجزء التاسع من الأغانى طبع بولاق ص ١٥٨ وفى خزانة الأدب للبغدادىّ ج ٢ ص ١٩٦ ؛ والمرارون (كما فى القاموس وشرحه مادة مرر ستة) : المرار الكلبى، والمرار بن سعيد الفقعسى (وهو هذا) والمرار بن منقذ التميمى، والمرار بن سلامة العجلى، والمرار بن بشير الشيبانى، والمرار بن معاذ الحرشى وكلهم شعراء . ثم ذكر أسماء أخرى لمرارين آخرين كلهم شعراء . (٢) كذا فى ح ، ء . والقنان : جبل لبنى أسد فيه ماء يدعى العسيلة . وفى باقى النسخ : «القيان» بالياء . ولم نجد هذا الاسم فى أسماء المواضع . (٣) كذا فى ح هاهنا، وهكذا أيضا وردت فى ا ، م فيما سيأتى عند إعادتها لبيان نسبة ما فيها من الغناء . وفى باقى الأصول : «ومن بكر» . (٤) فى ح : «الحسن» . وفى ا ، م : «الجنس» .

جماعةٌ من نساء أهل مكة فى جَمْع لنا سَهِرْنَا(١) فيه ليلتنا والغَرِيض يُغنّينا بشعر عمر ابن أبى ربيعة :

أَمِنْ آلِ زينبَ جدَّ البُكُورُ * نَعَمْ فلأىٍّ هواها تَصِيرُ

إذ سَمِعْنا فى بعض الليل عَزِيفا عجيبا وأصواتا مختلفةً ذَعَرَتْنَا وأَفْزَعَتْنَا ، فقال لنا الغريض : إن فى هذه الأصوات صوتا إذا نِمْتُ سَمِعْتُهُ ، وأُصبح فأَبْنِى عليه غنائى ؛ فأَصغينا إليه فإذا نَغَمَتُهُ نَغَمَةُ الغَرِيض بعينها فصدَّقناه تلك الليلةَ .

نسبة ما فى هذا الخبر من الغناء

١٣٦/٢

صــوت

حلفت لها ... ... البيتان(٢)

عَروضه من الطويل . غنّاه الغريض ولَحْنه من الثقيل الأول بالوسطى عن حَبَش . قال : ولعَلُّويَهْ فيه ثقيل أول آخر بالبِنْصَر

ومنها :

صــوت

أَمِنْ آلِ زَيْنَبَ جدَّ البُكُورُ * نَعَمْ فلأىٍّ هواها تَصِيرَ

أبالغَوْر(٣) أم أَنْجَدَتْ دارُهَا * وكانتْ حَدِيثا(٣) بعهدى تَغُور

نَظَرتُ بخَيْفِ مِنًى نظرةً * إليها فكاد فؤادى يَطِيرُ

هى الشمسُ تَسْرِى بها بَغْلَةٌ(٤) * وما خِلْتُ شمسًا بليلٍ تسيرُ

أَلم تَرَ أنك مستشرفٌ * وأن عدوّك حَوْلى حضورُ(٥)

---

(١) فى هامش ط وفى نهاية الأرب (ج ٣ ص ٢٨٦) : « سمرنا » . (٢) كذا فى ب ، س ، ء ، ط . وفى بقية الأصول : ذكر البيتين كاملين . (٣) فى ديوانه طبع ليبسج ص ١٩ : « أللغور ... ... قديما » . (٤) فى ديوانه : « على بغلة » . (٥) فى ديوانه : « مستشهد ... ... كثير » .

عَرُوضه من المتقارب . الشعر للنُّمَيْرِيّ ، وقيل : إنه ليزيد بن معاوية . والغناء لِسِيَاط خفيفُ ثقيلٍ أوّل بالوُسْطى عن عمرو . ولابن سُرَيج فيه خفيفُ ثقيلٍ بالوسطى ، أوّله :

* هى الشمسُ تَسْرِى بها بَغْلَةٌ *

وفيه للغَرِيض ثانى ثقيل بالبِنْصر عن الهشَامىّ وحماد ، وذكر غيرهما أنه لابن جامع . وذكر حَبَش أن فيها[(١)] لابن مُحرز ثقيلا أوّل بالبنْصر .

أرسله ابن أبى ربيعة الى سكينة فغناها ونسوة معها بشعره

أخبرنى الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه قال قال أبو عبد الله مُصْعَب الزُّبَيْرِيّ :

اجتمع نِسْوَة فذكَرْنَ عمر بن أبى رَبيعة وشِعره وظَرْفه وحُسْنَ مجلسه وحديثَه وتَشوَّقْنَ إليه وتمَنَّيْنه ، فقالت سُكَينة : أنا لَكُنَّ بِهِ ، فَبَعَثَتْ إليه رسولًا ووعدته الصُّورَيْن[(٢)] لليلةٍ سَمَّتها ، فوافاها على رواحله ومعه الغَرِيض ، فحدّثهنّ حتى وافى الفجرُ وحان انصرافُهنّ ، فقال لهنّ : إنى والله لمشتاقٌ الى زيارة قبر النبىّ صلى الله عليه وسلم والصلاةِ فى مسجده ، ولكن لا أُخَالِطُ بزيارتكنّ[(٣)] شيئا ، ثم انصرف الى مكة وقال :

أَلِمْ بزينبَ إنّ البَيْنَ قد أَفِدَا[(٤)] * قَلَّ الثَّوَاءُ لَئِنْ كان الرحيلُ غَدَا

قال : وانصرفَ عمر بالغَرِيض معه ، فلما كان بمكة قال عمر : يا غَرِيض ، إنى أريد أن أخبرك بشىء يتعجّل لك نفعُه ويبقى لك ذكرُه ، فهل لك فيه؟ قال : افعلْ من ذلك ما شئتَ وما أنت أهلُه ، قال : إنى قد قلتُ فى هذه الليلة التى كنّا فيها شعرا فامضِ به الى النِّسْوَة فأَنْشِدْهُنّ ذلك وأخبِرْهُنّ أنى وَجَّهتُ بك فيه قاصدا[(٥)] ،

(١) كذا فى أغلب الأصول . وفى ط : «فيهما» أى البيتين اللذين أوّلها «هى الشمس...» .
(٢) الصوران : موضع بالمدينة بالبقيع . (٣) كذا فى أغلب الأصول . وفى ط : «زيارتكن بشىء» . (٤) أفد كفرح : دنا وحضر . (٥) فى ط : «عامدا» .

قال : نعم . فحمل الغريضُ الشعرَ ورجع الى المدينة فقصد سُكَينة وقال لها : جُعلتُ فداكِ يا سيّدتى ومولاتى ، إن أبا الخطّاب – أبقاه الله – وجّهنى إليك قاصدا ، قالت : أَوَ لَيْسَ فى خيرٍ وسرور تركتَهُ؟ قال : نعم ، قالت : وفيمَ وجّهك أبو الخَطّاب حَفِظه الله؟ قال : جُعلت فداك ، إن ابن أبى ربيعة حمّلنى شعرا وأمرنى أن أُنْشِدَكِ إياه ، قالت : فهاته ، قال فأنشدها :

ألِمْ بزينبَ إن البَيْنَ قـد أَفِدَا * قَلَّ الثَّواءُ لئِن كان الرحيلُ غَدَا

الشعرَ كلّه ، قالت : فياوَيْحه ! فما كان عليه ألّا يَرْحَل فى غده ! فوجّهتْ الى النِّسوة فجمعتْهنّ وأنشدَتْهنّ الشعرَ ، وقالت للغريض : هل عَمِلتَ فيـه شيئا ؟ قال : قد غنّيتُهُ ابنَ أبى ربيعة ، قالت : فهاته ، فغنّاه الغريض ، فقالت سُكَينة : أحسنتَ ١٣٧ / ٢
والله وأحسنَ ابنُ أبى رَبيعةَ ، لولا أنكَ سَـبقْتَ فغنّيته عُمرَ قبلنا لأَحْسَنَّا جائزتَك ، يابُنَانَةُ ، أعطِيه بكلّ بيت ألفَ درهم ، فأخرجتْ اليه بُنانةُ أربعةَ آلاف درهم فدفعتْها إليه ، وقالت سُكَينة : لو زادَنا عُمرُ لزِدْناك .

نسبة هـذا الغنـاء

صـوت

أَلِمْ بزينبَ إنّ البَيْنَ قدأَفِدَا * قَلَّ الثَّواءُ لَئِنْ كان الرَّحيـلُ غَدَا
قد حَلَفَتْ ليلةَ الصَّوْرَيْن جاهدةً * وما على الحُـرِّ(١) إلا الصَّبْرُ مُجتهِدَا
لأختها ولأخرى من مَنَاصِـفِها(٢) * لقد وَجَدتُ به فوقَ الذى وَجَدَا
لَعَمْرُها ما أرانى إن نَوًى نَزَحتْ(٣) * وهكذا الحبُّ إلا مَيِّتـًا كَمَـدَا

(١) فى الجزء الأوّل من هذه الطبعة ص ١٠٥ : « وما على المرء إلا الحلف ... » .

(٢) المناصف : جمع منصف (كمنبر ومقعد) وهو الخادم ، والأنثى بالهاء . (٣) النوى هنا : الدار وهى مؤنثة . ونزحت : بعدت .

عَروضه من البسيط . الشعر لعمر بن أبى رَبيعة . والغناء لابن سُرَيج ، وله فيه لحنان : أحدهما رَمَلٌ بالسبّابة فى مَجْرَى البِنْصَر عن إسحاق ، والآخر خفيفُ رَمَلٍ بالوُسْطَى عن عمرو . وفيه لحنٌ للغَرِيض خفيفُ ثقيلٍ بالبِنْصَر عن الهشامىّ وحماد ، وذكر عمرو : أنّه لمالك ، أوّله الرابع ثم الأوّل ، ومن الناس مَنْ يَنْسُب هذا الى مَعْبَد ، وأوّله :

* يا أمّ طَلْحة إن البَيْنَ قد أَفِدَا *

وذلك خطأ ، اللحنُ الذى عَمِله مَعْبَد غير هذا وهو :

صـــوت

يا أمّ طلحةَ إنّ البَيْنَ قد أَفِدَا * قَلّ الثَّوَاءُ لئن كان الرحيلُ غَدَا

أَمْسَى العِرَاقِىّ لا يدرِى إذا بَرَزَتْ * مَنْ ذا تَطَوَّفَ بالأركان أو سَجَدَا

عَرُوضه من البسيط . الشعر للأَحْوَص ، و يقال : إنه لعمر أيضا . والغِناء لَمَعْبَد ، ولحنه من الثقيل الأوّل بالبنصر عن عمرو والهشامىّ .

غنى عائشة بنت طلحة فأجزلت صلته

أخبرنى الحسين بن يحيي عن حمّاد عن أبيه عن محمد بن سلّام قال :

حجّت عائشة بنت طَلْحة بن عُبَيْد الله فجاءتها الثُّرَيّا وأخواتُها ونساءُ أهل مكّة القُرَشيّات وغيرُهنّ ، وكان الغَرِيض فيمن جاء ، فدخل النِّسوةُ عليها فأمَرت لهنّ بكُسْوة وأَلطاف(١) كانت قد أعدّتها لَمْن يَجيئها ، فجعلتْ تَخْرج كلّ واحدة ومعها جاريتُها ومعها ما أمَرتْ لها به عائشة والغريضُ بالباب حتى خرج مَوْلَيَاتُه مع جَوارِيهنّ الخِلَعُ والألطافُ ، فقال الغريض : فأين نصيبى من عائشة ؟ فقلن له : أغفلناك

(١) الألطاف : جمع لطف (بالتحريك) وهو من طرف التحف ما ألطفت به أخاك ليعرف به برك .

وذهبتَ عن قلوبنا ، فقال : ما أنا ببارح من بابها أو آخُذَ بحظّى منها فإنها كريمةٌ بنت كِرام ، وآندفع يغنّى بشعر جَمِيل :

تذكّرتُ ليلَى فالفؤاد عَمِيد * وشَطّتْ نواها فالمَزارُ بعيد

فقالت : ويلكم ! هذا مَوْلى العَبَلات بالباب يُذكّر بنفسه هاتوه ، فدخل ، فلما رأته ضحِكت وقالت : لم أعلم بمكانك ، ثم دَعَتْ له بأشياء أَمَرت له بها ، ثم قالت له : إن أنت غَنّيتنى صوتا فى نفسى فلك كذا وكذا (شىءٌ سَمّتْه له ذهب عن آبن سلام)[1] قال : فغنّاها فى شعر كُثَيّر :

وما زِلتُ من ليلى لَدُن طَرّ شاربى[2] * الى اليوم أُخْفِى حبّها وأُداجِنُ

١٣٨ / ٢ وأَحمِل فى ليلى لقومٍ ضَغِينةً * وتُحمَل فى لَيلَى علَىّ الضغائنُ

فقالت له : ما عَدَوْتَ ما فى نفسى ، ووصَلَتْه فأجزلت . قال إسحاق : فقلتُ لأبى عبد الله : وهل علِمتَ حديثَ هذين البيتين ؟ ولم سألتَ الغريضَ ذلك ؟ قال : نعم . حدّثنى أبى قال قال الشّعبىّ : دخلتُ المسجد فإذا أنا بمُصْعَب بن الزُّبَيْر على سَرير جالسٌ والناسُ عنده ، فسلّمتُ ثم ذهبتُ لأنصرف ، فقال لى : آدْنُ ، فدنوتُ حتى وضعت يدى على مَرافِقه[3] ، ثم قال : إذا قمتُ فاتّبعنى ، فجلس قليلا ثم نهض فتوجّه نحو دار موسى بن طَلْحة فتبعتُه ، فلما طَعَن فى الدار التفت إلىّ فقال : ادخلْ ، فدخلتُ معه ومضى نحو حُجْرته وتبِعتُه ، فالتفتَ إلىّ فقال : ادخل ، فدخلتُ معه ،

(١) فى ا ، م ، ى ، ط : «لشىء» . (٢) طرّ شارب الغلام من باب نصر فهو طارّ : طلع ونبت . (٣) جمع مرفق أو مرفقة وهى المخدة .

فاذا حَجَلة[١]، وإنها لأوّل حَجَلة رأيتُها لأمير[٢]، فقمتُ ودخل الحجلة فسمعتُ حركة، فكرهت الجلوس ولم يأمرنى بالآنصراف، فإذا جارية قد خرجتْ فقالت: يا شَعْبىّ، إن الأمير يأمرك أن تجلس، فجلستُ على وِسَادة ورُفع سَجْف الحَجَلة، فإذا أنا بمُصعَب ابن الزُّبير، ورُفع السجف الآخر فإذا أنا بعائشة بنت طلحة، قال: فلم أر زوجا قطّ كان أجملَ منهما: مصعب وعائشة، فقال مصعب: يا شَعبىّ، هل تعرف هذه؟ فقلت: نعم أصلح الله الأمير؛ قال: ومَنْ هى؟ قلت: سيدةُ نساء المسلمين عائشةُ بنت طلحة؛ قال: لا، ولكن هذه ليلى التى يقول فيها الشاعر:

* وما زِلتُ من ليلى لَدُنْ طَرّ شاربى *

وذكر البيتين. ثم قال: إذا شئتَ فَقُمْ، فقمتُ. فلما كان العَشِىُّ رُحْتُ وإذا هو جالس على سريره فى المسجد فسلّمتُ، فلما رآنى قال لى: ادْنُ، فدنوتُ حتى وضعتُ يدى على مَرافقه، فأصغى إلىّ[٣] فقال: هل رأيت مثل ذلك لإنسانٍ قطّ[٤]؟ قلت: لا والله؛ قال: أفتدرى لِمَ أدخلناك؟ قلتُ: لا؛ قال: لِتُحدِّثَ بما رأيتَ. ثم التفت إلى عبد الله بن أبى فَرْوة فقال: أَعطِه عشرةَ آلاف درهم وثلاثين ثوبا، فما آنصرف يومئذ أحدٌ بمثل ما آنصرفتُ به، بعشرة آلاف درهم وبمثل كَارة[٥] القَصّار ثيابا وبنظرةٍ من عائشة بنت طلحة. قال: وكانت عائشة عند عبد الله بن عبد الرحمن ابن أبى بكر وكان أبا عُذْرتها[٦] ثم هَلَك، فتزوجها مصعب فقُتل عنها، ثم تزوجها عمر بن

عائشة بنت طلحة وأزواجها

---

(١) الحجلة (بالتحريك): مثل القبة، وحجلة العروس: بيت يزين بالثياب والأسرة والستور.

(٢) ولاه أخوه عبد الله العراقين فتولاهما حتى سار اليه عبد الملك بن مروان ووجه أخاه محمد بن مروان على مقدّمته فلقيه مصعب فقاتله حتى قتل.

(٣) أصغى: أمال رأسه.

(٤) فى ط: «ذلك الانسان».

(٥) الكارة من الثياب: ما يجمع ويشدّ، وكارة القصار سميت بذلك لأنه يكور ثيابه فى ثوب واحد ويحملها فيكون بعضها فوق بعض.

(٦) العذرة (بالضم): البكارة، يريد أنه أوّل من تزوّجها.

عبيدالله بن مَعْمَر فبَنَى بها بالحيرة، ومُهِّدتْ له يوم عُرْسه فُرُش لم يُرَ مثلُها: سَبْعُ أذرع فى عَرْض أربع، فانصرف تلك الليلة عن سبع مَرّات؛ فلقِيَتْه مَوْلاة لها حين أصبح فقالت: يا أبا حَفْص، كَمُلْتَ فى كل شىء حتى فى هذا. فلما مات ناحت عليه وهى قائمةٌ، ولم تَنُح على أحد منهم قائمةً — وكانت العربُ إذا ناحتْ المرأةُ قائمةً على زوجها عُلم أنها لا تريد أن تتزوج بعدَه — فقيل لها: يا عائشةُ، ما صنعتِ هذا بأَحَد من أزواجك! قالت: إنه كان فيه خِلال(١) ثلاث لم تكن فى أحد منهم: كان سيِّد بنى تَيْم، وكان أقربَ القوم بى قَرابة، وأردتُ ألّا أتزوج بعده ! ! .

وأخبرنى بخبر مُصْعَب والشَّعبىّ وعائشة أحمدُ بن عُبَيْد الله بن عمّار قال حدّثنا سليمان بن أبى شَيْخ قال أخبرنا محمد بن الحَكَم عن عَوَانَة قال:

خرج مصعب بن الزُّبَيْر من دار الإمارة يريد دارَ موسى بن طَلْحة، فمرّ بالمسجد فأخذ بيد الشّعبىّ. ثم ذكر باقىَ الحديث مثلَه، ولم يذكر شيئا من حديث المُغَنِّين. قال
١٣٩/٢ ابن عمّار: وأخبرنى به داود بن جَمِيل بن محمد(٢) بن جَمِيل الكاتب عن ابن الأعرابىّ: قال ابن عمّار وأخبرنى به أحمد بن الحارث الخزاز عن المدائنىّ أن الشّعبىّ قال:

دخلتُ المسجد وفيه مُصعَب بن الزبَيْر فاستدْنانِى فدَنَوْت حتى وضعت يدى على مرافقه(٣)، فأصغى إلىّ وقال: إذا قمتُ فاتّبعنى. ثم ذكر باقىَ الحديث أيضا مثل الذى تقدّمه.

---

(١) فى ح: «خصال». (٢) كذا فى جميع الأصول. ويترجح لدينا أن كلمة «بن» هاهنا محرفة عن كلمة «عن» وقد ورد الاسمان فى كتب الأنساب والتاريخ متفرقين من غير هذه الاضافة مما جعلنا نرجح أن كليهما من رجال الرواية، وقد ورد «داود بن جميل» فى تهذيب التهذيب وضبطه فى الهامش بفتح الجيم وكسر الميم نقلا عن المغنى المطبوع بهامش تقريب التهذيب وبهذا الضبط أيضا ورد فى ط فى الموضعين هنا. وورد ذكر «محمد بن جميل الكاتب» فى الطبرى قسم ثالث ص ٤٣٣ وضبطه بالقلم بضم الجيم وفتح الميم. (٣) كذا فى أ، م وهو الموافق لما تقدم. وفى: ط، ى: «على مرفقه» وفى باقى النسخ: «مرفقيه».

نسبة هذا الصوت

صوت

وما زِلتُ من ليلى لَدُن طَرّ شاربى(1) * إلى اليوم أُخفى حُبّها وأُداجِنُ
وأحمِل فى ليلى ضغائنَ مَعْشَرٍ(2) * وتُحمَل فى ليلى علىّ الضغائنُ

عروضه من الطويل . الشعر لكُثَيِّر بن عبد الرحمن . والغِناء لمَعْبَد ثقيل أوّل بالبِنْصر عن حَبَش . وفيه لحَن للغَرِيض .

كان الغريض اذا غنى بشعر لكثير قال أنا سريجى

أخبرنى الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه قال :

كان الغَرِيض إذا غَنّى بيتين لكُثيِّر قال : أنا السُّرَيجِىّ حقّا ، ولم يكن يقول ذلك فى شىء من غِنائه وكان من جيّد غنائه . وقَدِمَ يزيدُ بن عبد الملك مكّةَ فبعث إلى الغريض سِرّا فأتاه فغنّاه بهذا اللحن [وهو فيهما](3) :

قدم يزيد بن عبد الملك مكة فغناه الغريض

وإنّى لأَرْعَى قومَها من جَلالها * وإن أظهروا غِشا نصحت لهم جَهْدى
ولو حاربوا قومِى لكنتُ لقومها * صديقا ولم أحمِلْ على قومها حِقْدى

فأشير إلى الغريض أن اسْكُتْ ، وفطِن يزيد فقال : دعوا أبا يزيد حتى يُغنّينى بما يُرِيد ، فأعاد عليه الصوتَ مرارا ، ثم قال : زِدْنى ممّا عندك فغنّاه بشعر عمرو بن شَأْس الأَسَدِىّ(4) :

فوَاندَمى على الشباب ووَاندَمْ * ندِمتُ وبان اليومَ منّى بغير ذَمّ
أرادتْ عِرارا(5) بالهَوان ومن يُرِدْ * عرارا لعَمْرى بالهوان فقد ظَلَمْ

---

(1) فى حـ : « وما زلت فى ليلى » . (2) فى ط : «وأحمل فى ليلى لقوم ضغينة» .
(3) الزيادة عن ا ، م ، ء ، ط . (4) ستأتى ترجمته فى هذا الكتاب فى ج : ١٠ ص ٦٣ طبع بولاق ، وله ترجمة فى الشعر والشعراء لابن قتيبة ص ٢٥٤ (5) هو عرار بن عمرو بن شأس وضبط بالقلم فى اللسان مادة «عرر» بفتح العين . وضبط فى ديوان الحماسة شرح التبريزى طبع أوروبا ص ١٣٩ و ١٤٠ والشعر والشعراء ص ٢٥٤ بالقلم أيضا بكسر العين . ولم نعثر على نص خاص فى ضبط هذا الاسم .

قال : فطَرِب يزيد وأمر له بجائزة سنيّة . قال إسحاق : فحدّثت أبا عبد الله هذا الحديثَ، وقد أخذنا فى أحاديث الخلفاء ومن كان منهم يسمع الغناء أيضا ، فقال أبو عبد الله : كان قدوم يزيد مكّة وبَعْثُه إلى الغريض سِرّا قبل أن يُسْتَخلَف ؛ فقلت له : فَلِمَ أشير إلى الغريض أن يسكتَ حين غنّاه بشعر كثيّر :

* وإنى لأَرْعَى قومَها من جَلالها *

وما السّببُ فى ذلك ؟ فقال أبو عبد الله : أنا أُحدِّثُكه :

غضب عاتكة على زوجها عبد الملك ابن مروان واحتيال عمر بن بلال على الصلح بينهما

حدّثنى أبى قال : كان عبد الملك بن مروان من أشدّ الناس حُبًّا لعاتكة آمرأته ، وهى آبنة يزيد بن معاوية وأمّها أمّ كُلْثوم بنت عبد الله بن عامر بن كُرَيْز، وهى أمّ يزيد ابن عبد الملك ، فغَضِبتْ مرّة على عبد الملك ، وكان بينهما باب فحَجَبته وأغلقتْ ذلك الباب ، فشقّ غضبُها على عبد الملك وشكا إلى رجل من خاصّته يقال له : عمر بن بِلال الأسدىّ ، فقال له : ما لى عندك إن رَضِيتْ ؟ قال : حُكْمُك . فأتى عمرُ بابها وجعل يَتَباكى ، وأرسل إليها بالسلام ، فخرجتْ اليه حاضنتها ومواليها وجَواريها فقُلْن : مالك؟ قال : فَزِعتُ إلى عاتكة ورجوتُها ، فقد علِمتْ مكانى من أمير المؤمنين معاويةَ ومن أبيها بعدَه ، قلن : ومالك؟ قال : ابناى لم يكن لى غيرُهما فقتل أحدُهما صاحبَه ، فقال أمير المؤمنين : أنا قاتلُ الآخر به ، فقلتُ : أنا الولىّ وقد عفوتُ ؛ قال : لا أُعوِّد الناسَ هذه العادةَ ، فرجوتُ أن يُنْجِىَ(١) اللهُ آبنى هذا على يدها ؛ فدخَلْنَ

١٦٠ عليها فذكَرْنَ ذلك لها ؛ فقالت : وكيف أصنع مع غضبى(٢) عليه وما أظهرتُ له ؟ قُلْنَ

٢ إذًا واللهِ يُقْتَل ، فلم يزَلْن حتى دعتْ بثيابها فأجْمَرَتْها(٣) ثم خرجت نحوَ الباب ، فأقبل

---

(١) فى حـ : «أن ليحيى» . (٢) كذا فى ا ، م ، حـ . وفى باقى النسخ : «من» . (٣) أجمرتها : بخرتها .

حُدَيْج[1] الخَصِىّ قال يا أمير المؤمنين : هذه عاتكة قد أَقْبَلَتْ ، قال : ويلك ! ماتقول؟ قال : قد والله طلعتْ ! فأقبلتْ وسلّمت فلم يَرُدّ [عليها][2] ، فقالت : أما والله لولا عُمَرُ ما جئتُ ، إنّ أحد ٱبنَيْه تعدّى على الآخر فقتله فأردتَ قَتْلَ الآخر وهو الولىّ وقد عفا ، قال : إنى أكره أن أُعَوِّد النّاس هذه العادةَ ، قالت : أَنْشُدُكَ الله يا أمير المؤمنين ، فقد عَرَفتَ مكانه من أمير المؤمنين[3] معاوية ومن أمير المؤمنين يَزيد ، وهو ببابى ؛ فلم تزل به حتى أخذتْ بِرِجله فقبّلتها ؛ فقال : هو لك ، ولم يَبْرَحا حتى ٱصطلحا ؛ ثم راح عمر ابن بلال إلى عبد الملك فقال : يا أمير المؤمنين ، كيف رأيتَ ؟ قال : رأينا أَثَرَكَ ، فهاتِ حاجَتَك ؛ قال : مَزْرَعة بعُدّتها وما فيها ، وألف دينار وفرائض لولدى وأهل بيتى وعيالى ؛ قال : ذلك لك . ثم ٱندفع عبد الملك يتمثّل بشعر كثيّر :

* وإنى لأرعى قومها من جَلالها *

البيتين ؛ فعلِمتْ عاتكة ما أراد . فلما غَنَّى يزيد بهـذا الشعر كَرِهته مواليه إذ كان عبد الملك تمثّل به فى أُمّه ، ولم يَكْرَهْه يزيدُ وقال : لو قيل هذا الشعر فيها ثم غُنِّى به لمـا كان عَيْبا ، فكيف وإنمـا هو مَثَلٌ تمثّـل به أميرُ المؤمنين فى أجمل العالَمين !

حمـل عرار بن عمـرو بن شأس رأس ابن الأشعث الى عبـد الملك وإعجاب عبد الملك ببيانه

قال أبو عبد الله : وأمّا خبره لمـا غَنّى بشعر عمرو بن شَأس فإن ٱبن الأشعث لما قُتِل بعَث الحجاج إلى عبد الملك برأسه مع عَرَار بن عمرو بن شَأس ، فلما ورد به وأوصَل كتابَ الحجّاج جعل عبـد الملك يقرؤه ، فكلما شكّ فى شىء سأل عرارا عنه فأخبره ، فعَجب عبدُ الملك من بَيَانه وفصاحته مع سَواده ، فقال متمثّلا :

وإنّ عرارا إن يكن غـيرَ واضِح * فإنى أُحبّ الجَوْنَ ذا المَنْكِب العَمَم[4]

---

(١) كذا فى أغلب النسخ . وفى ١ ، م : «خديج» بالخاء والياء والجيم . (٢) الزيادة عن ١ ، م . (٣) فى ط : « فقد عرفت مكانه كان من أمير المؤمنين » وكتب فوق كان كلمة صح . (٤) يقال : رجل عمم ، أى خير يعم بخيره وعقله . وقال فى اللسان مادة «عمم» : «ومنكب عمم : طويل » ثم ساق بيت عمرو بن شأس وهو : «فان عرارا ... الخ» .

فضحِك عرّار من قوله ضحِكا غاظ عبد الملك، فقال له: مِمّ ضحِكت ويلَك[١]! قال: أتعرف عرارا يا أمير المؤمنين الذى قيل فيه هذا الشعر؟ قال: لا، قال: فأنا والله هو، فضحِك عبدُ الملك وقال: حظٌّ وافق كلِمة، ثم أحسنَ جائزتَه وسرّحه.

قال أبو عبد الله: وإنما أراد الغريض أن يغنّىَ يزيدَ بمُتمثّلات عبد الملك فى الأمور العِظام، فلما تبيّن كَراهَةَ مواليه غناءَه فيما تمثّل به فى عاتكة أراد أن يُعقِبه ما تمثّل به فى فتح عظيم كان لعبد الملك، فغنّاه بشعر عمرو بن شاس فى عرار.

نِسبة ما فى هذا الخبر من الغناء

صـــوت

وإنّى لأرعَى قومَهـا مِن جَلالها ⁕ وإن أظهروا غِشّا نَصَحتُ لهم جُهدى
ولو حاربوا قومى لكنتُ لِقومهـا ⁕ صديقا ولم أحمِـل على قومها حِقدى

عروضُه من الطويل. الشعر لكُثَيِّر. والغناء للغريض ثانى ثقيل بالسبابة فى مَجْرى البِنصر عن إسحاق. وذكر حَبَش أن فيه لقفا النّجار[٢] ثانى ثقيلٍ بالوسطى، وفيه لعَلُّويَه ثقيل أوّل.

وأخبرنى الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيـه قال حدّثنى إبراهيم عن يُونس الكاتب قال حدّثنى معْبَد قال:

خرجت إلى مكة فى طلب لقاء الغريض وقد بلغنى حسنُ غِنائه فى لحنه:

١٤١/٢ وما أَنْسَ مِ الأشياءِ لا أَنْسَ شادِنًا ⁕ بمكة مَكْحولا أَسِيلا مَدامِعُــه

(١) فى ط: «ويحك». (٢) انظر حاشية ٤ من صفحة ١٠٧ من الجزء الأول من هذه الطبعة.

وقد كان بلغنى أنه أول لحن صنعه وأن الجن نهته أن يغنيه لأنه فتن طائفة منهم، فانتقلوا عن مكة من أجل حسنه، فلما قدمتُ مكة سألت عنه فدُلِلتُ على منزله، فأتيته فقرعتُ الباب فما كلمنى أحد، فسألتُ بعض الجيران فقلت: هل فى الدار أحَدٌ؟ قالوا[1] لى: نعمْ، فيها الغريض، فقلت: إنى قد أكثرتُ دقَّ الباب، فما أجابنى أحَدٌ! قالوا: إن الغريض هناك، فرجعتُ فدققتُ الباب فلم يجبنى أحد، فقلت: إن نفعنى غِنائى يوما نفعنى اليومَ، فاندفعتُ فغنّيت لحنى فى شعر جَميل:

عَلِقتُ الهوَى منها وَلِيدًا فلم يزل * إلى اليوم يَنْمِى حبُّها ويزيدُ

فوالله ما سمعتُ حركةَ الباب، فقلت: بطَل سِحْرى[2] وضاع سَفَرى وجئتُ أطلبُ ما هو عسيرٌ علىّ، واحتقرتُ نفسى وقلت: لم يتوهّمنى[3] لضَعْف غِنائى عنده، فما شعَرتُ إلا بصائح يصيح: يا مَعْبد المغنّى، اِفْهم وتَلَقّ عنى شعرَ جميل الذى تُغنّى فيه يا شقىّ البخت، وغنّى:

صوت

للغريض ولم تُذْكر طريقته

وما أَنْس مِ الأشياءِ لا أَنْس قولَها * وقد قَرّبتْ نِضْوى[4] أَمِصْرَ تريد
ولا قولَها لولا العيونُ التى تَرى * أَتيتُـك فاعذِرنى فدَتْك جُدودُ
خليلىّ ما أُخفى من الوجد باطنٌ[5] * ودمعى بما قلتُ الغداةَ شَهيدُ

---

(١) كذا فى ا ، م . وفى سائر النسخ: «فقال». (٢) بطل سحرى: ضاعت حيلتى وخاب مكرى. (٣) أى لم يتبينى ولم يعرفنى. (٤) النضو: المهزول من الإبل وغيرها. (٥) رواية الأمالى (ج ٢ ص ٢٩٩ طبعة دار الكتب) «ظاهر».

يقولون جَاهِد يا جميلُ بغزوة * وأىّ جِهادٍ غيرهن أُرِيدُ
لكلّ حديثٍ عندهنّ بشاشةٌ(١) * وكلّ قتيلٍ بينهنّ شَهِيدُ

عروضه من الطويل . قال : فلقد سمِعتُ شيئا لم أسمع أحسن منه ، وقَصّر(٢) إلىّ نفسى وعلِمتُ فضيلته علىّ بما أحسّ من نفسه ، وقلت : إنه لحَرِىّ بالاستتار من الناس تنزيها لنفسه وتعظيما لقدره ، وإنّ مثلَه لا يستحق الابتذال ، ولا أن تتداوله الرجال ، فأردتُ الانصراف إلى المدينة راجعا ، فلما كنتُ غيرَ بعيد إذا بصائح يَصيح بى : يامعبد ، انتظر(٣) أكلّمك ، فرجَعتُ ، فقال لى : إن الغريض يدعوك ؛ فأسرعتُ فَرِحا فدنوتُ من الباب ، فقال لى : أتحبّ الدخول؟ فقلتُ : وهل إلى ذلك من سبيل؟ فقرع الباب فَفُتِحَ ، فقال لى : ادخل ولا تُطِلِ الجلوس ؛ فدخلتُ فإذا شمس طالعةٌ فى بيت ، فسلّمتُ فَرَدّ السلامَ ، ثم قال : اجلس فجلست ، فإذا أنبل الناس وأحسنُهم وجها وخَلْقًا وخُلُقًا ، فقال : يامَعْبد ، كيف طرأتَ(٤) إلى مكة؟ فقلت : جُعِلتُ فداءك! وكيف عرفتَنى؟ فقال : بصوتك ؛ فقلتُ : وكيف وأنت لم تسمعه قط! قال : لمّا غنيتَ عرفتُك به وقلت : إن كان مَعْبَدٌ فى الدنيا فهذا ؛ فقلت : جُعلت فداءك ، فكيف أجبتَنى بقولك :

وما أنسَ مِ الأشياء لا أنس قولَها * وقد قَرّبتْ نِضْوِى أمصرَ تريدُ

فقال : قد علمتُ أنك تريد أن أُسمِعَكَ صوتى :

وما أنسَ مِ الأشياء لا أنس شادِنًا * بمكّة مكحولًا أسِيلًا مدامعُهْ

ولم يكن إلى ذلك سبيلٌ لأنه صوتٌ قد نهيتُ أن أغنّيَه فغنّيتُك هذا الصوت
١٤٢ ٢ جوابا لِما سألتَ وغنّيتَ ؛ فقلت : والله ما عدوتَ ما أردتُ ، فهل لك حاجةٌ؟

(١) فى ا ، م ، ء : «بينهن» . (٢) أى صغرها فى عينى . (٣) كذا فى حـ . وفى سائر النسخ : «انظر» وهى بمعناها . (٤) أى كيف أقبلت فجأة الى مكة .

فقال لى : يا أبا عبّاد، لو لا ملالةُ الحديث وثقل إطالة الجلوس لاستكثرتُ منك، فاعْذِرْ؛ فخرجتُ من عنده، وإنه لأجلّ الناس عندى، ورجعتُ إلى المدينة فتحدّثتُ بحديثه وعجِبتُ من فِطنته وقِيافته، فما رأيت إنسانا إلّا وهو أجلّ منه فى عينى. وذكرتُ جميلا وبُثَينة فقلتُ : ليتنى عرفت إنسانا يُحدّثنى بقصّة جميل وخبر الشعر فأكونَ قد أخذتُ بفضيلة الأمر كلّه فى الغِناء والشعر. فسألتُ عن ذلك فإذا الحديثُ مشهورٌ، وقيل لى : إن أردتَ أن تُخبَّر بمشاهدته فأتِ بنى حَنْظَلة، فإن فيهم شيخًا منهم يقال له فلان يُخبرُكَ الخبرَ؛ فأتيت الشيخَ فسألته فقال : نعم، بينا أنا فى إبلى فى الربيع إذا أنا برجل مُنطَوٍ على رَحْله كأنّه جانٌّ فسلّم علىّ ثم قال : ممن أنت يا عبدَ الله ؟ فقلت : أحدُ بنى حَنْظَلة؛ قال : فانتسِبْ(2)؛ فانتسبتُ حتى بلغتُ إلى فَخِذى الذى أنا منه؛ ثم سألنى عن بنى عُذْرة أين نزلوا؛ فقلت له : هل ترى ذلك السَّفْح ؟ فإنهم نزلوا من ورائه؛ قال : يا أخا بنى حَنْظَلة، هل لك فى خير تصطنعه إلىّ؟ فوالله لو أعطيتَنى ما أصبحتَ تَسُوق من هذه الإبل ما كنتُ بأشكر منّى لك عليه؛ فقلت نعم، ومن أنت أوّلا ؟ قال : لا تسألنى من أنا ولا أُخبرك غيرَ أنى رجلٌ بينى وبين هؤلاء القوم ما يكون بين بنى العم، فإن رأيتَ أن تأتيَهم فإنّك تجد القومَ فى مجلسهم فتَنْشُدهم(4) بَكْرةً أَدْماء تجرّ خُفَّيها غُفْلًا(5) من السِّمة، فإن ذكروا لك شيئا فذاك، وإلا استأذنتَهم فى البيوت وقلتَ : إن المرأة والصبىَّ قد يَرَيان ما لا يَرَى الرجالُ، فتَنْشُدهم ولا تَدَعْ أحدًا تُصيبه عينُك ولا بيتًا

خبر جميل وبثينة وتوسيطه رجلا من بنى حنظلة فى لقائها

(1) فى ط : «فى نفسى». (2) فى ط : «فنسبنى فانتسبت» ونسبنى : سألنى أن أنتسب.

(3) فى حـ، ا، م : «معروف». (4) تنشدهم بكرة : تناديهم وتسألهم عنها والبكرة : الفتية من الابل، والأدماء : وصف من الأدمة، والأدمة فى الناس : السمرة وفى الإبل والظباء : البياض. قال الأصمعى : الآدم من الابل : الأبيض فان خالطته حمرة فهو أصهب فان خالطت الحمرة صفا، فهو المدمى.

(5) فى ب : «عفلا» وهو تحريف.

من بيوتهم إلّا نَشَدتُها فيه ، فأتيتُ القومَ فإذا هم على جَزُور يقتسمونها. فسلّمت وانتسبتُ لهم ونَشَدتهم ضالّتى ، فلم يذكروا لى شيئا ، فاستأذنتهم فى البيوت وقلت : إنّ الصبىّ والمرأة يريَان مالا ترى الرجالُ ، فأذِنوا ، فأتيتُ أقصاها بيتًا ثم آستقريتُها بيتًا بيتًا أنشُدُهم فلا يذكرون شيئا ، حتى إذا انتصف النهارُ وآذانى حرّ الشمس وعَطِشْتُ وفرغتُ من البيوت وذهبتُ لأنصرف حانتْ منّى التفاتةٌ فإذا بثلاثة أبيات ، فقلت : ما عند هؤلاء إلا ما عند غيرهم ، ثم قلت لنفسى : سوءةً! وَثِق بى رجلٌ وزعم أن حاجتَه تَعدِل مالى ثم آتيه فأقول : عجَزت عن ثلاثة أبيات ! فانصرفتُ عامدًا إلى أعظمها بيتًا ، فإذا هو قد أُرْخىَ مؤخَّرُه ومقدَّمُه ، فسلّمت فرُدّ علىّ السلامُ ، وذكرتُ ضالّتى ، فقالت جارية منهم : ياعبد الله ، قد أصبتَ ضالّتك وما أظنّك إلّا قد اشتدّ عليك الحرّ واشتهيتَ الشراب ؛ قلت : أجَلْ ، قالت : ادخل ؛ فدخلتُ فأتتنى بصَحْفَة فيها تمرٌ من تمر هَجَر ، وقَدَحٍ فيه لبنٌ ، والصَّحْفة مصريّة مُفَضَّضَةٌ والقَدَحُ مفضَّض لم أرَ إناءً قطُّ أحسنَ منه ؛ فقالت : دونَك ؛ فتجمعت[1] وشربتُ من اللبن حتى رَويتُ ، ثم قلتُ : يا أمَة الله ، والله ما أتيتُ اليوم أكرَم منكِ ولا أحقَّ بالفضل ، فهل ذكرتِ من ضالّتى شيئا ؟ فقالت : هل ترَى هذه الشجرة فوق الشَّرَف[2] ؟ قلت نعم ، قالت : فإن الشمس غَرَبَتْ أمسِ وهى تُطيف حولَها ثم حال الليل بينى وبينها ؛ فقمتُ وجَزَيتُها الخيرَ وقلت : والله لقد تغذّيتُ ورَوِيتُ ! فخرجتُ حتى أتيتُ الشجرةَ فأطفتَ بها ، فوالله ما رأيتُ من أثر ، فأتيتُ صاحبى فإذا هو مُتَشِحٌ فى الإبل بكسائه ورافعٌ عَقيرتَه[3] يُغَنّى ، قلتُ : السلام عليك ؛ قال : ١٤٣/٢

(١) كذا فى ا ، م ، ى . وفى باقى النسخ : « فهجعت.» ويظهر أنه تحريف .

(٢) الشرف : المكان العالى . (٣) عقيرة الرجل : صوته اذا غنى أو قرأ أو بكى . وقيل أصله أن رجلا عقرت رجله فوضع العقيرة على الصحيحة وبكى عليها بأعلى صوته فقيل : رفع عقيرته ، ثم كثر ذلك حتى صير الصوت بالغناء عقيرة . (انظر اللسان مادة عقر) .

وعليك السلام ما وراءك؟ قلتُ ، ما ورائى من شىء ؛ قال : لا عليك! فأخبرْنى بما فعلتَ ، فاقتصصتُ عليه القِصّة حتى انتهيتُ إلى ذكر المرأة وأخبرتُه بالذى صنعتْ ؛ فقال : قد أصبتَ طَلِبَتك ، فعَجِبتُ من قوله وأنا لم أجد شيئًا ، ثم سألنى عن صفة الإناءين : الصَّحْفةِ والقَدَح فوصفتُهما له ، فتنفس الصُّعَداء وقال : قد أصبتَ طَلِبَتك وَيْحك! ثم ذكرتُ له الشجرة وأنها [رأتها] (١) تُطيف بها ؛ فقال : حسبُك! فمكثتُ حتى إذا أوتْ إبلى إلى مَباركها دعوتُه إلى العَشاء فلم يَدْنُ منه ، وجلس منى بمَزْجَر الكلب ، فلما ظنّ أنى قد نِمتُ رمَقتُه فقام إلى عَيْبة (٢) له فاستخرج منها بُرْدَيْن فأتَّزر (٣) بأحدهما وتردّى بالآخر ، ثم آنطلق عامدا نحو الشجرة . وآستبطنتُ الوادى فجعلتُ أُخفِى نفسى حتى إذا خِفْتُ أن يرانى انبطحتُ ، فلم أزل كذلك حتى سبقتُه إلى شجرات قريب من تلك الشجرة بحيث أَسمع كلامَهما فاستترتُ بهنّ ، وإذا صاحِبتُه عند الشجرة ، فأقبل حتى كان منها غيرَ بعيد ، فقالت : آجلس ؛ فوالله لكأنه لَصِق بالأرض ، فسلّم عليها وسألها عن حالها أكرمَ سؤال سمِعتُ به قط وأبعده من كل ريبة ، وسألتْه مثل مسئلته ، ثم أمرتْ جاريةً معها فقرّبتْ إليه طعاما ، فلمّا أكل وفرَغ ، قالت أنشدنى ما قلتَ ؛ فأنشدها :

عَلِقتُ الهوى منها وليدًا فلم يزَل * إلى اليوم يَنْمِى حبُّها ويَزيدُ

فلم يزالا يتحدّثان ، ما يقولان فُحْشا ولا هُجْرا ، حتى التفتت التفاتة (٤) فنظرتْ إلى الصبح ، فودّع كلّ واحد منهما صاحبَه أحسنَ وَداع ما سمعتُ به قطّ (٥) ثم آنصرفا ،

(١) زيادة فى ط . (٢) العيبة : وعاء من أدم يكون فيه المتاع . (٣) ضبط هذا الفعل فى ط هكذا « فاتّزر » بشدة على التاء ، وهو صحيح عند من يرى إدغام الهمزة فى التاء . وحمل عليه ما جاء فى بعض الروايات : « كان النبىّ صلى الله عليه وسلم يباشر بعض نسائه وهى متّزرة » . وبعض اللغويين يمنع هذا الادغام ويخطّئ المحدّثين فى هذه الرواية . (٤) كذا فى ط . وفى باقى الأصول : « التفت » . (٥) كذا فى ب ، س ، أ ، م . وفى باقى الأصول : « أحسن وداع سمعت به قط » ، من غير ما النافية ، وهو مستقيم وإن كان مجىء « قط » فى الإثبات قليلا حتى منعه بعضهم . وقد اتفقت النسخ على الحذف فى : « أكرم سؤال سمعت به قط » قبل هذه الجملة بأسطر .

فقمتُ فمضيتُ إلى إبلى فاضطجعت وكل واحد منهما يمشى خَطْوة ثم يلتفت إلى صاحبه؛ فجاء بعد ما أصبحنا فرفع بُرْديه ثم قال : يا أخا بنى تميم، حتّى متى تنام! فقمتُ وتوضّأتُ وصلّيت وحلبت إبلى وأعانني عليها وهو أظهر الناس سرورا، ثم دعوتُه إلى الغداء فتغدّى، ثم قام إلى عَيْبته فافتتحها فإذا فيها سلاحٌ وبُرْدان مما كسته الملوك، فأعطانى أحدَهما وقال: أما والله لو كان معى شىء ما ذخَرْتُه عنك، وحدّثنى حديثَه وانتسب لى، فإذا هو جميل بن مَعْمَر والمرأة بُثَينة (١)، وقال لى: إنى قد قلتُ أبياتا فى مُنْصرَفى (٢) من عندها، فهل لك إنْ رأيتَها أن تُنْشِدَها (٣)؟ قلت: نعم! فأنشدنى:

وما أنسَ مِ الأشياء لا أنسَ قولَها * وقد قَرَّبتْ نِضْوِى أمصرَ تُرِيدُ

الأبيات، ثم ودّعنى وانصرف، فمكثتُ حتّى أخذتِ الإبلُ مراتِعَها (٤)، ثم عَمَدتُ إلى دُهْنٍ كان معى فدهنتُ به رأسى، ثم ارتديت بالبُرْد وأتيت المرأةَ فقلتُ: السلامُ عليكم، إنّى جئتُ أمسِ طالبا واليومَ زائرا، أفتأذنون؟ قالت: نعم، فسمعتُ جُوَيْرِيَة تقول لها : يا بُثَيْنة، عليه والله بُرْدُ جميل، فجعلت أُثنى على ضَيْفى وأذكُرُ فضلَه، وقلت : إنه ذكرك فأحسنَ الذكر (٥)، فهل أنتِ بارزةٌ لى حتّى أنظرَ إليكِ؟ قالت : نعم، فلبِست ثيابها ثم بَرَزت ودعت لى بطُرَف (٦)، ثم قالت: يا أخا بنى تميم، والله ما ثوباك هـذان بمشتبِهين، ودعَتْ بعَيْبتها فأخرجتْ لى مِلْحفة مَرْوِيّة (٧) مُشْبَعة

---

(١) كذا فى ا، م، حـ . وفى باقى النسخ : «وإذا هو ... الخ» بالواو .

(٢) كذا فى أغلب الأصول وفى ء، هامش ط : «أبياتا فى إتيانها بعد منصرفى» وكتب بجانبها كلمة «صح» . (٣) فى ا، م، حـ، ط : «فهل لك أن تأتيها فتنشدها» .

(٤) كذا فى أغلب النسخ . وفى ا، م: «مراعيها» . (٥) فى ا، م، حـ : «بأحسن الذكر» . (٦) كذا فى ا، م، حـ، ط . وفى باقى الأصول: «بمطرف» .

(٧) الملحفة (بالكسر) : اللباس الذى فوق اللباس من دثار البرد ونحوه، ومروية : نسبة الى "مرو" : بلدة بفارس . والنسبة اليها "مروى" (بالفتح و بالتحريك) و "مروزى" بزيادة الزاى . وفى ط : «ملحفة هروية» . وهذه نسبة الى هراة : مدينة من أعظم مدن خراسان حضارة وكثرة سكان .

من العُصفر، ثم قالت : أقسمتُ عليك لتقومَنّ إلى كِسْر البيت ولتخلَعَنّ مِدْرَعَتك[١] ثم لتأتزرنّ[٢] بهذه المِلْحفة فهى[٣] أشبهُ ببُرْدِك، ففعلتُ ذلك وأخذتُ مِدْرعتى بيدى فجعلتها إلى جانبى، وأنشدتُها[٤] الأبيات فدمعت عيناها، وتحدّثنا طويلًا من النهار، ثم آنصرفتُ إلى إبلى بمِلْحَفَة بُثَيْنة وبُرْدِ جميلٍ ونظرةٍ من بُثَيْنة. قال مَعْبد : فجزيتُ الشيخَ خيرا وآنصرفتُ من عنده وأنا والله أحسنُ الناس حالًا بنظرة من الغَرِيض وآستماعٍ لغنائه، وعِلمٍ بحديث جميل وبُثَيْنة فيما غنّيتُ أنا به وفيما غنّى به الغَرِيض على حق ذلك وصِدْقه، فمارأيتُ ولا سمعتُ بزوجين قط أحسنَ من جميل وبُثَيْنة، ومن الغَرِيض ومنّى . ١٤٤/٢

نسبة هذه الأصوات التى ذكرت فى هذا الخبر

وهى كلها من قصيدة واحدة .

منها :

صوت

عَلِقتُ الهَوَى منها وليدا فلم يَزَلْ ٭ إلى اليومِ يَنْمِى حُبُّها ويَزِيدُ
وأفنيتُ عُمْرِى فى آنتظارى نوالَها ٭ وأفنتْ بذاكَ الدهرَ وهو جديدُ
فلا أنا مردودٌ بما جئتُ طالبًا ٭ ولا حُبُّها فيما يَبِيدُ يَبِيدُ
وما أنسَ مِ الأشياءِ لا أنسَ قولَها ٭ وقد قَرِّبت نِضْوِى أمِصرَ تريدُ
ولا قولَها لولا العيونُ التى تَرَى ٭ لَزُرْتُك فاعذرْنى فدتْكَ جُدودُ
إذا قلتُ ما بى يا بُثَيْنةُ قاتلى ٭ من الحبّ قالتْ ثابتٌ ويزيدُ
وإن قلتُ رُدّى بعضَ عقلى أعِشْ به ٭ تَوَلّتْ[٥] وقالتْ ذاكَ منك بعيدُ

(١) المدرعة : ضرب من الثياب، ولا تكون إلا من الصوف. (٢) فى ط : «لتتزرن» انظر الحاشية رقم ٣ ص ٣٩٠ من هذا الجزء. (٣) كذا فى ا، م، حـ . وفى بقية الأصول : «وهى». (٤) فى ا، م، حـ : «ثم أنشدتها». (٥) فى ا، م وهامش ط : «مع الناس قالت الخ».

عَرُوضه من الطويل . الشعر لجميل بن مَعْمَر . والغِناء لمَعْبد فى الأوّل والثانى والثالثِ والسادس والسابع . ولحنُهُ ثقيل أوّل بالسبابة فى مَجْرَى الوُسْطَى عن إسحاق وعمرو بن بانَة . وذكَرَ عمرو والهشامىّ أنّ فيه ثقيلا أوّل آخَرَ للهُذَلىّ ، وأنّ فيه خفيفَ ثقيلٍ يُنْسَبُ إلى مَعْبَد وإلى الغَرِيض وإلى إبراهيم ؛ أوّله : «وما أنسَ مِ الأشياءِ» . وفى الأربعة الأبيات الأُوَل ثانى ثقيلٍ بالبِنْصَرِ لابن أبى قباحة (١) . ولإسحاق فى الثالث والسادس ثانِى ثقيل آخر بالوُسْطى عن الهشامىّ . وأوّلُ هذه القصيدةِ فيه غناءٌ أيضا ، وهو موصول بأبيات أُخَر :

صــوت

أَلا ليتَ رَيْعانَ (٢) الشبابِ جديدُ * ودهـراً تولّى يا بُثَيْنَ يعودُ
فنَغْنَى كما كنّا نكون وأنتمُ * قريبٌ وما قد تَبْذُلِين زَهِيدُ
أَلا لَيت شِعْرِى هل أَبِيتَنّ ليلةً * بوادى القُرَى (٣) إنّى إذا لسعيدُ
وهل أَلْقَيَنْ سُعْدَى من الدهر ليلةً * وما رثَّ من حبل الصفاء جدِيدُ
فقد تَلْتَقِى الأهواءُ بعد تفاوُتٍ * وقد تُطْلَبُ الحاجاتُ وهى بَعِيدُ

فى البيتين الأوّلين خفيفُ ثقيلٍ مطلق فى مَجْرَى البِنْصر ، ذكر حَبَش أنه لإسحاق ؛ وليس يُشْبه أنْ يكونَ له . وفى الثالث وما بعده لابن سُرَيج ثانِى ثقيل بالبِنْصر عن حَبَش أيضا .

(١) كذا ورد هذا الاسم فى جميع الأصول . ولم نقف عليه ولا على ضبطه بعد البحث عنه فى المعاجم التى بأيدينا . (٢) ريعان الشباب : أوّله . (٣) وادى القرى : واد بين المدينة والشام وهو بين تيماء وخيبر ، فيه قرى كثيرة . قال ياقوت فى معجم البلدان فى اسم «القرى» : « قال أبو المنذر : سمى وادى القرى لأن الوادى من أوّله الى آخره قرى منظومة وكانت من أعمال البلاد ، وآثار القرى الى الآن بها ظاهرة ، إلا أنها فى وقتنا هذا كلها خراب ومياهها جارية تتدفق ضائعة لا ينتفع بها أحد » .

قال ابن أبى ربيعة فى شعره القريض فغيره الغريض باسمه لما غناه

أخبرنى إسماعيل بن يونُس إجازةً قال حدّثنا عمر بن شَبَّة قال حدّثنى أبو غسّان قال حدّثنى الوليد بن هِشام عن محمد بن مَعْن عن خالد بن سَلَمة(١) المَخزومِىّ قال :

خرجتُ مع أعمامى وأنا على نَجِيب ومعنا شيخٌ، فلمّا أسْحَرْنا(٢) قال لى أعمامى : انزل عن نَجِيبك(٣) واحمل عليه هـذا الشيخَ واركب جَمَلَه، ففعلت؛ فإذا الشيخ قد أخرج عُودًا له من غِلاف(٤)، ثمّ ضرَب به وغنّى : ١٤٥/٢

هاجَ الغَرِيضَ الذِّكَرُ * لمّا غَدَوْا فانشَمَرُوا(٥)

فقلتُ لبعض أصحابنا : مَنْ هذا ؟ قال : الغَرِيض.

نسبة هذا الصوت

صوت

هاجَ الغَرِيضَ الذِّكَرُ * لمّا غَدَوْا فانشَمَرُوا
عَلَى بِغالٍ شُحُجٍ(٦) * قد ضَمَّهُنّ السَّفَرُ
فيهنّ هِنْدُ لَيْتَنِى * ما عُمِّرتْ أُعَمَّرُ(٧)
حتى إذا ما جاءها * حَتْفٌ أتانى القَدَرُ

عَرُوضه من الرجز. الذى قال عمر :

* هاجَ القَرِيضَ الذِّكَرُ *

(١) كذا فى ط . وفى أغلب الأصول : « سلمى » ورجحنا نسخة ط لأن المعروف فى كتب التراجم خالد بن سلمة بن العاص المخزومى المتوفى سنة ١٣٢ وهذا يصح أن يروى عنه محمد بن معن المتوفى سنة ١٩٨ (انظر تهذيب التهذيب ج ٣ ص ٩٥). (٢) أسحرنا : دخلنا فى السحر. (٣) النجيب من الإبل : القوىّ الخفيف السريع. (٤) الغلاف : ما يوضع فيه الشىء. (٥) فانشمروا : مرّوا جادّين مسرعين. (٦) شحج : جمع شاحج، والشحاج : صوت البغل (انظر ص ١٨٧ ج ١ من هذا الكتاب). (٧) هذا البيت وما بعده وردا فى قصيدة من ديوانه مطلعها :

قد هاج قلبى محضر * أقوى وربع مقفر

بالقاف، فجعَله الغَرِيضُ لما غنّى فيه: «الغَرِيضَ» يعنى نفسَه. الشعر لعمر بن أبى ربيعة. والغِناء لابن سُرَيج. ذكر يونُس أنّ له فيه لحنَين. وذكر إسحاق أنّ أحدهما رَمَلٌ مطلق فى مَجْرَى البِنْصر ولم يذكر الآخَر، وذكر الهشامِىّ أنّ الآخَر خفيفُ رَمَلٍ. وفيه للغريض ثقيلٌ أوّل بالبنصر، وقيل: إنه لحن ابن سريج، وإن خفيف الرمَل للغريض. وأوّل هذا الصوت فى كتاب يونُس:

هاج فـؤادى مَحْضَرُ[1] * بذى عُكاظٍ مُقْفِرُ
حتّى إذا ما وازنُوا الـ * ـمَرْوَةَ حين ائْتَمَرُوا[2]
قيـل انزلُوا فعَرِّسُوا * من ليلكم وانشَمِرُوا
وقولُها لأختها * أَمُطْمَئِنٌّ عُمَـرُ

أخبرنى الحُسَين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه قال وذكر السَّعْدِىّ[3]:

أنّ الوليد بن عبد الملك قدم مكّة، فأراد أن يأتىَ الطائفَ، فقال: هل من رجل عالم يُخبرنى عنها؟ فقالوا: عُمَرُ بن أبى ربيعة، قال: لاحاجة لى به، ثم عاد فسأل، فذكَرُوه فأباه، ثمّ عاد فذكَرُوه فقال: هاتوه؛ وركب معه فجعل يُحدِّثه، ثم حوّل عمرُ رداءه لِيُصْلِحه على نفســه، فرأى الوليدُ على ظهره أثرا، فقال: ما هذا الأثرُ؟

---

(١) المحضر عند العرب: المنهل الذى يجتمعون ويحضرون عليه، وسواء كان حاضرو المياه ممن يقرون عليها للأبد، أم يحضرونها شهور القيظ ويفارقونها حين يقع ربيع فى أرض فينتجعونه، وخلاف المحضر المنتجع والمبدى. (٢) كذا فى ب، س، حـ، والمراد من موازنتهم للروة محاذاتهم لها ومقابلتهم إياها، والمروة: جبل بمكة وهو أحد شعائر الحج. وائتمروا: تشاوروا. وفى سائر النسخ وديوان ابن أبى ربيعة:

حتى اذا ما وازنوا * بالمرختين ائتمروا

(ويلاحظ فى هذه الرواية تعدى وازن بالباء وهو لا يتعدى بها). والمرختان: مثنى المرخة وهما المرخة القصوى اليمانية والمرخة الشامية (انظر معجم ياقوت فى الكلام على المرختين). (٣) كذا فى أغلب الأصول. وفى ط: «السعيدى» وقد تقدّم هذا الاسم وهذه القصة فى الجزء الأوّل ص ١١٢ من هذه الطبعة ونبهنا على اختلاف النسخ فيه هنالك.

قال : كنت عند جارية لى إذ جاءتنى جاريةٌ برسالة من عند جارية أُخرى وجعلتْ تُسَارُّنى بها ، ففارت التى كنتُ عندها فعضَّت مَنْكِبى ، فما وجدتُ ألَمَ عَضّتها من لذّة ما كانتْ تلك تنفُثُ فى أُذُنى حتى بَلَغتْ ماترى ، والوليد يَضْحك . فلما رجع عمرُ قيل له : ما الذى كنتَ تُضحِكُ به أميرَ المؤمنين ؟ قال : ما زِلْنا فى حديث الزِّنا حتى رَجَع . وكان قد حَمَل الغَرِيض معه ، فقال له : يا أميرَ المؤمنين ، إنّ عندى أجملَ الناسِ وجها وأحسنَهم حديثا ، فهل لك أن تسمَعه ؟ قال : هاتِه ، فدعا به فقال : أسمِعْ أميرَ المؤمنين أحسنَ شىء قلتَه ، فاندفع يغنّى بشعر عمر — ومن الناس مَنْ يرويه لجميل — :

صــوت

إنى لأحفَظُ سِرَّكم ويَسُرُّنى * لو تعلمين بصالحٍ أن تُذْكَرِى
ويكون يومٌ لا أَرَى لكِ مُرْسَلا * أو نَلْتَقِى(١) فيه علىَّ كأشهُرِ
١٤٦/٢ يا ليتنى أَلْقَى المنيّةَ بَغْتةً * إنْ كان يومُ لقائكم لم يُقْدَرِ
ماكنتِ والوعدَ الذى تَعِدِينَنِى * إلّا كبَرْقِ سَحابةٍ لم تُمْطِرِ
تُقْضَى الدُّيونُ وليس يُنْجِزُ عاجلا * هذا الغريمُ لنا وليس بمُعْسِرِ

— عروضه من الكامل . وذكر حَبَش أنّ الغِناءَ للغَرِيض ، ولحنه ثقيل أوّل بالبِنْصر — قال : فاشتدّ سرورُ الوليد بذلك وقال له : يا عمر ، هذه رُقْيَتُك ، ووصله وكساه وقضى حَوائجه .

وصف نصيب لنفسه وللشعراء الثلاثة جميل وكثير وابن أبى ربيعة

أخبرنى الحسن بن علىّ الخَفّاف قال حدّثنا الحارث بن محمد عن المدائنىّ عن عَوَانةَ قال حدّثنى رجل من أهل الكوفة قال :

---

(١) فى ط : « أن نلتق » .

قدم نُصَيْبٌ الكوفة، فأرسلنى أبى إليه، وكان له صديقا، فقال: أقرئْه منى السلامَ وقل له: إنْ رأيتَ أن تُهدِىَ لنا شيئا مما قلتَ! فأتيته فى يوم جُمُعة وهو يصلّى، فلما فَرَغ أقرأته السلامَ وقلتُ له، فقال: قد علِم أبوك أنّى لا أُنْشِد فى يوم الجمعة ولكنْ تلقانى فى غيره فأبلغ ما تحبّ. فلمّا خرجتُ وانتهيتُ إلى الباب رُدِدْتُ إليه؛ فقال: أَتَرْوِى شيئا من الشعر؟ قلتُ نعم؛ قال: فأنشدنى؛ فأنشدتُه قولَ جميل:

إنى لأَحفظ غَيْبَكم ويَسُرُّنى * لو تعلمين بصالحٍ أن تُذْكَرِى

الأبيات المتقدّمة؛ فقال نُصَيْبٌ: أمْسِكْ! أمْسِكْ! لله درُّه! ما قال أحدٌ إلا دون ما قال، ولقد نحت(١) للناس مثالًا يَحتذون عليه. ثم قال: أمّا أصدَقُنا فى شعره فجَمِيل، وأمّا أوصفُنا لربّات الحِجال فكُثَيِّر، وأمّا أكذبُنا فعُمَرُ بن أبى ربيعة، وأما أنا فأقول ما أَعْرِف.

وقال هارون بن محمد الزيّات حدّثنى حمّاد بن إسحاق عن أبيه:

أن الغَرِيض سمِع أصواتَ رُهْبان بالليل فى دَيْرٍ لهم فاستحسنها، فقال له بعض مَنْ معه: يا أبا يزيد، صُغ على مِثْل هذا الصوت لحنا؛ فصاغ مِثْله فى لحنه:

يا أمّ بكرٍ حُبّكِ البادِى * لا تَصْرِمينى إنّنى غادِى

فما سُمِعَ بأحسنَ منه.

نسبة هذا الصوت

صوت

يا أمّ بكرٍ حُبّكِ البادِى * لا تَصْرِمينى إنّنى غادِى
جَدّ الرحيلُ وحثّنى صَحْبى * وأُريد إمتاعا من الزّادِ

(١) فى ط: «ولقد لحب». ولحب: أوضح وبين.

عروضه من مُزاحَف الكامل[(١)]. الشعر لسعيد بن عبد الرحمن[(٢)] بن حسّان ابن ثابت الأنصاريّ. والغناء للغريض خفيفُ ثقيلٍ أول بالوُسْطَى. وفيه لابن المكىّ ثانى ثقيل بالوسطى عن حَبَش. وفيه لإبراهيم بن أبى الهَيْثَم هزَج.

غناء إبراهيم بن أبى الهيثم والرجل الناسك

وأخبرنى إسماعيل بن يونس قال حدّثنا عمر بن شبّة عن أيّوب بن عبّاية عن عمرو بن عُقْبة — وكان يُعْرف بابن الماشطة — قال:

خرجتُ أنا وأصحابٌ لى فيهم إبراهيمُ بن أبى الهيثم إلى العقيق، ومعنا رجلٌ ناسك كنّا نحتَشِم منه، وكان محموما نائما، وأحببنا أن نَسمَع مَنْ معنا من المغنّين ونحن نَهابُه ونحتشمه، فقلت له: إنّ فينا رجلا يُنْشد الشعرَ فيُحْسِن، ونحن نُحِب

١٤٧/٢ أن نَسْمَعه، ولكنّا نهابُك؛ قال: فما علىّ منكم! أنا محموم نائم، فاصنعوا ما بدا لكم؛ فاندفع إبراهيم بن [أبى][(٣)] الهيثم فغنّى:

يا أُمّ بكرٍ حبّكِ البادِى * لا تَصرِمينى إنّنى غادى
جَدّ الرحيلُ وحَثّنى صحْبِى * وأُريد إمتاعًا من الزادِ

فأجاده وأحسنه. قال: فوثب الناسكُ يجعل يَرْقُص ويَصيح: أريد إمتاعا من الزاد، والله أُريد إمتاعا من الزاد، ثم كشف عن أَيْره وقال: أنا أنيك أمّ الحُمّى! قال: يقول لى ابنُ الماشطة: أعتقتُ ما أملِك إن كان ناك أمّ الحُمّى أحدٌ قبله.

أخبرنى به الحُسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه عن أيّوب فذكر[(٤)] الخبرَ ولم يذكر فيه كشف الناسك عن سَوْءته وما قاله بعد ذلك.

---

(١) كذا فى ط وهو الصواب إذ البيتان من الكامل الذى دخل عروضه وضربه الحذ وهو حذف الوتد المجموع من متفاعلن، والاضمار وهو إسكان ثانيه. وفى باقى الأصول: «مزاحف الرجز» وهو تحريف. (٢) انظر ترجمته فى الجزء السابع ص ١٦٤ من الأغانى طبع بولاق. (٣) الزيادة عن حـ. وقد اتفقت الأصول على إيراده بهذه الزيادة فى سند هذا الخبر. (٤) كذا فى ط. وفى باقى الأصول: «يذكر».

هروبه الى اليمن خوفا من نافع بن علقمة وموته بها

وكانت وفاة الغَرِيض فى أيام سليمان بن عبد الملك أو عمر بن عبد العزيز لم يتجاوزها . والأَشْبه أنّه مات فى خلافة سليمان، لأن الوليد كان ولّى نافع بن عَلْقمة مكة فهرَب منه الغرِيض وأقام باليَمن واستوطنها مدّةً ثم مات بها . وأخبرنى بخبره الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه عن المُسَيِّبِي قال أخبرنى بعض المخزوميين أيضا بخبره .

وأخبرنى أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عُمَر بن شَبَّة قال حدّثنى أبو غسّان : أن نافعَ بن عَلْقمة لمـا وُلِّيَ مكة خافه الغريضُ — وكان كثيرا ما يطلبـه فلم يجئه[1] — فهرَب منه واستخفى فى بعض منازل إخوانه . قال : فحدّثنى رجلٌ من أهل مكة كان يخدُمه : أنّه دفع اليه يوما رَبْعةً[2] له وقال له : صِرْبها إلى فلان العطّار يملؤها لى طِيبًا ، قال : فصِرتُ بها إليه ، فلقينى نافعُ بن عَلْقمة فقال : هذه رَبْعةُ الغَرِيض والله ! فلم أقدِر أن أكتُمه ، فقلت : نعم ، قال : ماقِصّته ؟ فأخبرتُه الخبر ، فضحك وقال : سِرْ معى إلى المنزل ففعلت ، فملأها طِيبًا وأعطانى دنانير ، وقال : أعطِه وقل له يَظهرُ فلا بأسَ عليه ، فسِرتُ إليه مسرورا فأخبرتُه بذلك فجَزِع وقال : الآن ينبغى أن أهرُب ، إنما هذه حيلةٌ آحتالها علىّ لأقع فى يده ، ثم خرج من وقته إلى اليَمَن ، فكان آخرَ العهد به .

قال إسحاق فحدّثنى هذا المخزومى : أن الغَريضَ لمـا صارَ إلى اليمن وأقام به[3] اجتَزْنا به فى بعض أسفارنا ، قال : فلما رآنى بكَى ، فقلت له : مايُبْكيك ؟ قال : بأبِى أنتَ وأمّى ! وكيف يَطيبُ لى أن أعيشَ بين قوم يرَوْنَني أحْمِلُ عُودى فيقولون لى : يا هَنَاهُ[4] ، أتبيع آخرةَ الرَّحْل[5] ! فقلت له : فارجِعْ إلى مكّة ففيها أهلك ، فقال : يابن أخى ، إنمـا

(١) فى ط : «فلا يجئه» . (٢) الربعة : جونة العطر . (٣) فى أ ، م ، ء : «وأقام بها» . (٤) الهن : كلمة يكنى بها عن اسم الإنسان . وقد تزاد فى النداء الألف والهاء فيقال : ياهناه أو يا هناه أقبل بالضم والكسر ، فالضم على أنها آخر الاسم والكسر لالتقاء الساكنين . (انظر اللسان مادة «هنا») . (٥) كذا فى أغلب الأصول ، وفى ط : «مؤخرة» وآخرة الرحل ومؤخرته : ما يستند اليه الراكب ، وهى خلاف قادمته .

كنتُ أستلذّ مكّة وأعيش بها مع أبيك ونحوه، وقد أوطَنتُ[١] هذا المكانَ واستُ تاركُه ما عشتُ؛ قلنا له : فغنّنا بشيء من غنائك فأبَى، ثم أقسمْنا عليه فأجاب، وعَمَدْنا إلى شاةٍ فذبحناها وخَرطْنا من مُصْرانها أوتارًا ، فشدّها على عُوده وآندفع فغنى فى شعر زُهَير :

جَرَى دَمْعى فهيّج لى شُجُونَا * فقلبى يُسْتَجَنُّ[٢] به جُنُونَا[٣]

فما سمعنا شيئا أحسنَ منه ، فقلنا[٤] له : آرْجِع الى مكّة ، فكلُّ مَن بها يشتاقك . ولم نَزَل نُرغّبه فى ذلك حتى أجاب إليه . ومَضَينا لحاجتنا ثم عُدْنا فوجدناه عليلاً ، فقلنا : ما قصّتك؟ قال : جاءنى منذ ليالٍ قومٌ، وقد كنتُ أغنّى فى الليل ، فقالوا: غَنِّنا، فأنكرتُهم وخِفتُهم، فجعلت أُغَنِّيهم، فقال لى بعضُهم غَنِّنى :

لقد حثُّوا الجمالَ لِيَهْـ * ـرُبوا منّا فلم يَئِلُوا[٥] ١٤٨/٢

ففعلت، فقام إلىّ [هن][٦] منهم أَزَبُّ[٧] فقال لى : أحسنتَ والله ! ودقّ رأسى ، حتى سقطتُ لا أدرى أين أنا، فأفقتُ بعد ثالثةٍ وأنا عليل كما ترى ، ولا أُرانى إلا سأموت . قال : فأقمنا عنده بقيّةَ يومنا ومات من غدٍ فدفنّاه وآنصرفنا .

أخبرنى إسماعيل بن يونس قال حدّثنا عُمَر بن شَبّة عن أبى غسّان قال :

زعم المكّيّون أنّ الغَرِيض خرج إلى بلاد عَكٍّ[٨] فغنّى ليلا :

هُمُ رَكْبٌ لَقُوا رَكْبًا * كما قد تَجمعُ السُّبُلُ

---

(١) أى اتخذته وطنا . (٢) كذا فى أغلب الأصول وهامش ط . واستجن به (بالبناء للفعول) : صار به مجنونا . وفى ط : «يستحنّ به» بالحاء المهملة . (٣) كذا فى ب ، س ، حـ . وهامش ا . وفى ء ، حـ ، ا ، م : «حنينا» . (٤) كذا فى حـ وفى باق الأصول : «فقلت» . (٥) لم يئلوا : لم يجدوا موئلا وملجأ يعتصمون به . (٦) زيادة فى ط ، والهن : اسم يكنى به عن الشخص وجمعه «هنون» وفى حديث الجن : «فاذا هو بهنين كأنهم الزط» . (٧) الأزب : الكثير الشعر . (٨) عك : قبيلة، والبلاد التى تضاف اليها : مخلاف باليمن .

فصاح به صائحٌ : اكْفُفْ يا أبا مَرْوان، فقد سَفَّهتَ حُلَماءَنا، وأصبيتَ[1] سفهاءَنا، قال : فأصبح ميتا .

أخبرنى إسماعيل بن يونس قال حدّثنا عمر بن شَبَّة قال حدّثنى محمد بن الخطّاب قال حدّثنا رجل من آل أبى قَبِيل — يقال له مُحْرِز — عن أبى قبيل قال : رأيتُ الغَرِيض، وقال إسحاق فى خبره المذكور : حدّثنى محمد بن سلّام عن أبى قبيل — وهو مَوْلًى لآل الغَرِيض — قال :

شهدتُ مَجْمَعًا لآل الغـريض إما عُرْسًا أو خِتانًا[2]، فقيل له : تَغَنَّ؛ فقال : هو ٱبنُ زانيـة إن فعل؛ فقال له بعضُ مَوَاليه : فأنت والله كذلك ! قال : أَوَ كذلك أنا؟ قال : نعم؛ قال : أنت أعلم بى والله ! ثم أخذ الدُّفَّ فرمَى به وتَمَشَّى مِشْيَةً لم أر أحسنَ منها، ثم تَغَنَّى :

تَشَرَّبَ لونَ الرَّازِقِىِّ[3] بياضُـه * أو الزعفرانِ خالط المِسكَ رادعُهْ

فجعل يُغَنّيه مُقْبِلًا ومُدْبِرا حتى التوتْ عُنُقه وخَرَّ صَرِيعا، وما رفعناه إلّا ميتا، وظننّا أنّ فالِجًا عاجَلَه . قال إسحاق وحدّثنى ٱبن الكلبىّ عن أبى مِسكين قال : إنما نهتْهُ الجنّ أن يتغنّى بهـذا الصوت، فلمّا أغضبه مَوَاليـه تَغَنّاه فقتلتْه الجنّ فى ذلك .

---

(١) كذا فى ط . وأصبيت : دعوت الى الصبا . وفى باقى النسخ : « أصبت » .

(٢) كذا فى جميع الأصول، ولا بدّ من تكرار إما، وقد يستغنى عن إما الثانية بذكر ما يغنى عنها نحو : إما أن تتكلم بخير وإلا فاسكت، ونحو قراءة أبىّ فى قوله تعالى : ﴿وإنا أو إياكم لإما على هدى أو فى ضلال مبين﴾ . (٣) الرازقىّ : يقال على ثياب الكتّان البيض، وقيل : الرازقىّ : الكتّان نفسه، و يقال على ضرب من عنب الطائف أبيض اللون .

نسبة هذه الأصوات

صـــوت

منها :

جَرَى دَمْعى فهيَّج لى شُجُونَا * فقلبى يستجنُّ به جُنــونا (١)
أأبكى للفِرَاق وكلُّ حىّ * سيبكى حين يفْتَقِد القَرِينا
فإن تُصْبِحْ طُلَيحةُ (٢) فارقتنى * ببَيْنٍ فالرزيّةُ أن تَبِينا
فقد بانتْ بكُرْهِى يوم بانتْ * مُفَارِقةً وكنتُ بها ضَنِينا

الشعر لزُهَير. والغِناء للغَرِيض عن حَبَش. وقيل: إنه لدَحْمان. وفيه لأبى الوَرْد خفيفُ رَمَلٍ بالوُسْطى [عن حبش والهِشامى] (٣).

انقضت أخبار الغريض.

ومنها :

صـــوت

من المـائة المختارة فى رواية جَحْظَة

لقـد حَثُّوا الجِمـالَ ليهْـ * ـرُبُوا منّـا فـلم يئلُوا
عـلى آثارهن مُقَـ * ـلِّـصُ (٤) السِّرْبال مُعْتمِـلُ
وفيهـم قلبُك المَتبو * لُ بالحسناء مُختبَـلُ (٥)
مُخَفَّفـــة بمَحْـمِـل حما * ئل الدِّيباج والحُلَـلِ (٦)

---

(١) فى ط : «يستحنّ به حنينا» وقد تقدّمت الإشارة الى ذلك فى الحاشية رقم ٢ ص ٤٠٠ من هذا الجزء. (٢) فى ط : «ظليمة». (٣) الزيادة عن حـ. (٤) مقلص السربال : مشمره، يقال : قلص قميصه أى شمره ورفعه. والمعتمل : الذى يعمل بنفسه. (٥) المختبل : الذى اختبل عقله أى جنّ، وقد خبله الحزن واختبله. (٦) فى هذا البيت إقواء، وهو اختلاف حركة الروىّ.

١٤٩/٢ أُسائل عاصمـا فى السِّـــرِّ[١] * أينَ تُراهُـمُ نَزَلُوا

فقـال هُـمُ قَرِيبٌ مـ * ـكَ لو نفعوك إذ رَحَلُوا

الشعرُ للحَكَم بن عَبْدَل الأسَدى. والغناء فى اللحن المختار للغَرِيض، ولحنُه خفيفُ ثقيل[أول][٢] بإطلاق الوتر فى مَجْرَى الوُسْطَى فى الأول والثانى من الأبيات. وذكر الهِشامىّ أن فيهما لحنا لمَعْبد من الثقيل الأول . وفى الثالث وما بعده من الأبيات لابن سُرَيْج رَمَل بالسبّابة فى مَجْرَى الوُسْطَى عن إسحاق . وفيها لإبراهيم ثقيلٌ أول بالوُسْطى عن حَبَش . وذكر أحمد بن عُبَيد أنّ الذى صحّ فيه أربعةُ ألحان : منها لحنان فى خفيف الثقيـل للغَرِيض ومالك، ولحنان فى الرمل لابن سُرَيج ومُخَارِق . وذكر ابنُ الكَلْبى[٣] أنّ فيها لعَرِيبَ رَمَلا ثالثا، وذكر حَبَشٌ أنّ فيها لابن سُرَيج خفيفَ رَمَل بالبِنْصر، ولابن مِسْجح رَمَلًا بالبِنْصر، ولابن سُرَيج ثانىَ ثقيل بالبنصر. هـذه الألحان كلها فى « لقد حثُّوا » والذى بعده .

---

(١) فى ط : « فى البين » . (٢) الزيادة عن حـ . (٣) فى ا ، م ، ء ، ط : « ابن المعتز » .

أخبار الحكم بن عبدل ونسبه

نسبه ونشأته

هو الحَكَم بن عَبْدَل بن جَبَلة بن عمرو بن ثَعْلبة بن عِقال بن بِلَال بن سَعْد بن حِبَال(١) بن نَصْر بن غاضرة بن مالك بن ثَعْلَبة بن دُودَان(٢) بن أسد بن خُزَيمة، شاعرٌ مُجِيدٌ مقدَّم فى طبقته، هجَّاءٌ خبيثُ اللسان، من شعراء الدولة الأُمَوِيَّة؛ وكان أعرجَ أحدبَ. ومنزلُه ومنشؤه الكوفة.

كان أعرج ويكتب بحاجته على عصاه فلا تردّ

أخبرنى أحمد بن عُبَيد الله بن عَمَّار(٣) قال حدّثنى يعقوب بن إسرائيل قال حدّثنا محمد بن إدريس القَيْسِى بواسط قال حدّثنا العُتْبِىّ قال:

كان الحَكَم بن عَبْدَل الأَسَدِى أعرجَ لا تُفارقه العصا، فترك الوقوفَ بأبواب الملوك، وكان يكتُب على عصاه حاجتَه ويبعث بها مع رُسُله(٤)، فلا يُحبَس له رسولٌ ولا تُؤَخَّرله حاجةٌ؛ فقال فى ذلك يحيى بن نَوْفَل:

عَصَا حَكَمٍ فى الدار أوّلُ داخلٍ * ونحنُ على الأبواب نُقْصَى ونُحْجَبُ
وكانتْ عَصَا موسى لِفِرْعَوْنَ آيةً * وهذى لَعَمرُ الله أدهَى وأعجبُ
تُطاعُ فلا تُعْصَى ويُحْذَرُ سُخْطُها * ويُرْغَبُ فى المَرْضاة منها وتُرْهَبُ(٥)

---

(١) كذا ورد مضبوطا فى ط. وفى القاموس وشرحه: أنه سمى بحبال ككتاب وحبال كشداد، وأورد لكل منهما أسماء ليس هذا أحدها، ولم نجد نصا خاصا فى ضبط هذا الاسم غير ضبطه بالقلم فى نسخة ط.

(٢) فى ب، ا، م: «ذودان» بالذال وهو تحريف.

(٣) كذا فى ا، م. وقد مرّ كثيرا فى الجزء الأول والثانى من هذه الطبعة كذلك باتفاق الأصول. وفى ب، س: «أحمد بن أحمد بن عبيد الله». وفى ء: «أحمد بن عبد الله» وفى حـ: «أحمد بن أبى أحمد بن عبيد الله». (٤) فى حـ، ء، ط: «مع رسوله».

قال : فشاعت هذه الأبيات بالكوفة وضحِك الناس منها ، فكان آبنُ عَبْدل بعد ذلك يقول ليحيي : يابن الزانيـة ! ما أردتَ من عصاى حتى صَيَّرتها ضُحْكَةً(١) ؟ وآجْتَنَب أن يَكْتُب عليها كما كان يفعل ، وكاتَب النّاسَ بحوائجه فى الرِّقاع .

اخبرنى عمّى قال حدّثنا الكُرَانى ، وأخبرنى آبن عمّار قال حدّثنى يعقوب ابن نُعَيْم قال حدّثنا أبو جعفر القُرَشى قال :

كان للحَكَم بن عَبْدَل صديق أعمى يقال له أبو عُلَيّة ، وكان آبن عبدل قد أُقْعِد(٢) ، فخرجا ليلة من منزلها إلى منزل بعض إخوانهما ، والحَكَمُ يُحْمَلُ وأبو عُلَيّة يُقَاد ، فلقيهما صاحبُ العَسَس بالكوفـة فأخذهما فحبسهما ، فلمّا اسـتقرّا فى الحبس نظر الحكَمُ الى عصا أبى عُلَيّة موضوعةً الى جانب عصاه ، فضحِك وأنشأ يقول :

حَبْسِي وحَبْسُ أبى عُلَيـ ـّـةَ من أعاجيب الزمانِ
أَعْمَى يُقَـادُ ومُقْعَـدٌ * لا الرِّجْلُ منه ولا اليَدَانِ
هـذا بِلا بَصَرٍ هنـا * كَ وبى يَخُبُّ الحاملانِ ١٥٠/٢
يا مَنْ رأى ضَبَّ الفَلا * ةِ قَرِينَ(٣) حُوتٍ فى مكانِ
طِرْفِى وطِرْفُ أبى عُلَـيـ * ـّةَ دهْرَنا مُتَـوافقانِ
مَنْ يَفتخرْ بجَوادِهِ * فجِيَادُنا(٤) عُكّـازتانِ
طِـرْفانِ لا عَلَفاهُمـا * يُشْرَى ولا يَتَصاوَلانِ
هَبْنى وإيّاه الحـريـ * ـقَ أكان يَسْطَع بالدُّخانِ

(١) الضحكة (بضم الضاد وسكون الحاء) : من يضحك الناس منه . (٢) أقعد الرجل (بالبناء للمفعول) : أصابه داء فلم يستطع المشى . (٣) فى ب ، س : «مرين حوت» وهو تحريف . (٤) كذا فى حـ ، ط . وفى سائر النسخ : «بجوادنا» .

قال : وكان اسم أبى عُلَيّة يحيى ، فقال فيه الحَكَمُ أيضا :

أقول ليحيى ليلةَ الحبسِ سادرًا (١) * ونومى به نومُ الأسيرِ المُقيَّدِ
أَعِنّى على رَعْىِ النجومِ ولَحْظِها * أُعِنْكَ على تحبير شِعْرٍ مُقَصَّدِ (٢)
ففى حالتَيْنا عِبرةٌ وتفكُّرٌ * وأعجبُ شىءٍ حَبْسُ أعمى ومُقْعَدِ
كِلانا اذا العُكّازُ فارقَ كَفَّهُ * يُنيخ صَريعا أو على الوجه يَسْجُدُ (٣)
فعُكّازةٌ تَهْدِى الى السُّبْلِ أكْمَهًا (٤) * وأُخرى مَقامَ الرِّجْل قامت مع اليَدِ

ولى الشرطة والإمارة أعرجان ولقى سائلا أعرج فقال شعرا

أخبرنى محمد بن عِمْران الصَّيْرَفىّ قال حدّثنا الحسن بن عُلَيل قال حدّثنى أحمد ابن بُكَير الأسَدىّ قال حدّثنى محمد بن أَنَس السَّلامىّ الأسدىّ عن محمد بن سهل راوية الكُمَيت قال :

وَلِىَ الشُّرْطَةَ بالكوفة رجلٌ أعْرَجُ، ثم وَلِىَ الإمارةَ آخرُ أعْرَجُ، وخرج ابنُ عَبْدَلٍ وكان أعرج ، فلقى سائلا أعْرَجَ وقد تَعَرَّض للأمير يسأله ، فقال ابن عَبْدَلٍ للسائل :

أَلْقِ العصا ودَعِ التخامُعَ والْتَمِسْ (٥) * عَمَلًا فهذى دولةُ العُرْجانِ
لأميرِنا وأميرِ شُرْطَتِنا معًا * يا قومَنا لِكِلَيْهما رِجْلانِ
فاذا يكونُ أميرُنا ووزيرُنا * وأنا فإنّ الرابعَ الشيطانُ (٦)

(١) السادر : المتحيرِ الواجم . (٢) شعر مقصد : مطوّل كثيرة أبياته . (٣) فى هذا البيت إقواء، وهو اختلاف حركة الروىّ بالرفع والكسر . (٤) فى جميع النسخ : «فعكازه يهدى الخ» .

(٥) كذا فى ط . والتخامع : التظاهر بالخمع وهو العرج ، يقال : خمعت الضبع خمعا وخموعا وخماعا اذا ظلعت فى مشيتها كأن بها عرجا . وفى سائر الأصول : «التماتق» . (٦) فى هذا البيت إقواء وهو اختلاف حركة الروىّ بالرفع والكسر .

فبلغت أبياته ذلك الأمير فبعث إليه بمائتى درهم وسأله أن يكُفَّ عنه . وحدّثنيه الأخفش عن عُبَيد الله اليَزِيدىّ عن سليمانَ بن أبى شَيْخ عن محمد بن الحَكَم عن عَوَانة عن عُمَر بن عبد العزيز قال :

وَلِىَ عبدُ الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطّاب الكوفةَ وضُمّ اليه رجُلٌ من الأشعريّين يقال له سهل، وكانا جميعا أعرَجَيْن . ثم ذكر باقىَ الحديث مثلَ حديث يعقوب بن نُعَيم .

أخبرنى أحمد بن عُبَيد الله بن عمّار قال حدّثنى يعقوب بن إسرائيل عن قَعْنَب بن المُحرز الباهلىّ عن الهَيْثَم الأَحْمَرِىّ قال :

كانت لابن عَبْدَلٍ الأسدىّ حاجةٌ الى عبد الملك بن بِشْر بن مَرْوان، فجعل يَدْخُل عليه ولا يتهيأ له الكلامُ، حتى جاءه رجلٌ فقال : إنى رأيتُ لك رؤيا، فقال : هاتِها، فقصّها عليه، فقال ابنُ عَبْدَل : وأنا قد رأيتُ أيضا، قال : هاتِ ما رأيت، فقال :

أَغفيتُ قبلَ الصبح نومَ مُسَهَّد * فى ساعة ما كنتُ قبلُ أنامُها
فَحَبَوتَنى فيما أرى بوليدة * مَغْنُوجة(1) حَسَنٍ علىّ قيامُها
وبِبَدْرةٍ حُمِلتْ إلىّ وبغلةٍ * شَهْباءَ ناجيةٍ(2) يَصِلُّ لِجامُها(3)
ليتَ المنابرَ يابنَ بِشْر أصبحتْ * تُرْقَى وأنتَ خطيبُها وإمامُها

١٥١/٢

فقال له ابنُ بِشْر : اذا رأيتَ هذا فى اليَقَظَة أتعرفُه ؟ قال : نعم وإنما رأيتُه قُبيلَ الصبح، قال : يا غلام، ادْعُ فلانا، فجاء بوكيله، فقال : هاتِ فلانة فجاءت،

(1) لم نعثر على هذه الصيغة فى معاجم اللغة والذى بها : « امرأة مغناج وغنجة » : حسنة الدل .
(2) ناجية : سريعة . (3) يصل لجامها : يصوّت .

فقال : أين هذه مما رأيتَ؟ قال: هى هى ؛ وإلّا فعليه وعليه ، ثم دعا له ببَدْرة ، فقال : مثلَ ذلك ، وببغلة فركبها وخرج ؛ فلقِيَه قَهْرمانُ[1] عبد الملك ، قال : أتبيعها ؟ قال : نعم ، قال : بِكَم ؟ قال : بستمائة ، قال : هى لك ، فأعطاه ستمائة ، فقال له : أما والله لو أبيتَ إلا ألفا لأعطيتُك ، قال : إيّاى تُنْدِم ! لو أبيتَ إلّا ستةً لَبِعتُك .

هجاؤه محمد بن حسان وقد تزوج امرأة قيسية

أخبرنى [عمى][2] الحسن بن محمد قال حدثنا الكُرانِىّ قال حدثنا العُمَرىّ عن الهَيْثَم عن ٱبن عيّاش عن لَقِيط قال :

تزوج محمد بن حسّان بن سَعْد التَّيمىّ ٱمرأةً من ولد قَيْس بن عاصم وهى ٱبنة مُقاتل بن طَلْبة[3] بن قَيْس ، زوجها إياه رجلٌ منهم يقال له زياد ، فقال ابن عَبْدل :

أباعَ زيادٌ سوَّد اللهُ وجهَهُ * عَقِيلةَ قومٍ سادةٍ بالدراهمِ
وما كان حسّانُ بن سعدٍ ولا ٱبنُه * أبو المسك من أكفاء قَيْس بن عاصمِ
ولكنّه ردَّ الزمانَ على ٱستِهِ * وضَيَّع أمرَ المُحْصَنَاتِ الكرائمِ
خُذِى دِيَةً منه تكُنْ لكِ عُدّةً * وجِيئى الى باب الأمير نخاصمى
فلو كنت فى رَوْحٍ[4] لما قلتُ خاصمِى * ولكنّما أُلقِيتِ فى سجن عارمِ[5] .

---

(١) القهرمان : الوكيل أو أمين الدخل والخرج . (٢) الزيادة عن ى ، ح . وفى ا ، م : « أخبرنى عمى قال حدثنا الكرانى الخ » . (٣) قال المبرد فى ضبط هذا الاسم فى كتابه الكامل ص ٢٧١ طبع ليبسك : « الرواية المشهورة باسكان اللام وتسامح ابن سراج فى فتح اللام » .

(٤) الروح : الراحة ، ومن معانيها أيضا الفرح والسرور والرحمة ومنه فى القرآن الشريف (ولا تيأسوا من روح الله) . (٥) قال ياقوت : «وسجن عارم حبس فيه محمد بن الحنفية ، حبسه فيه عبد الله ابن الزبير لخرج المختار بالكوفة ودعا اليه ثم كان بعد ذلك سجنا للحجاج ولا أعرف موضعه وأظنه بالطائف» .

قال : فلمّا بلَغ أهلَها شعرُه أَنِفُوا من ذلك ، فاجتمعوا على محمد بن حسّان حتى فارقها . قال : وكان محمد بن حسّان عاملا على بعض كُوَر السَّواد ، فسأله ابنُ عَبْدَل حاجةً فردَّه عنها ، فقال فيه هذا الشعرَ وغيره[1] وهجاه هجاءً كثيرا .

أخبرنى بهذا الخبر محمد بن عِمْران الصَّيْرفىّ قال حدّثنا الحسن بن عُلَيْل[2] العَنَزىّ قال حدّثنا أحمد بن بُكَيْر الأسَدِىّ عن محمد بن بِشْر السَّلامىّ عن محمد بن سَهْل راوية الكُمَيت ، فذكر نحوا مما ذكره عَمّى وزاد فيه قال :

وكانت المرأةُ التى تزوَّجها مُعاذةَ بنت مُقَاتل بن طَلْبَة ، فلما سَمِعَت ما قال ابن عَبْدَل فيها نَشَزَتْ على زوجها وهَرَبَتْ الى أهلها ، فتوسَّطوا ما بينهما وافتُدِيَتْ منه بمال وفارقها .

أخبرنى عَمّى قال حدّثنى الكُرَانى عن العُمَرِىّ عن عَطَاء عن يحيى بن نصر[3] أبى زكريّا قال :

سمِع ابنُ عبدل الأسدىّ آمرأةً وهى تمشّى بالبلاط تمثّل بقوله :

وأُعسِرُ أحيانا فتشتدّ عُسْرَتى * وأُدرِكُ ميسورَ الغِنَى ومعى عِرْضى

فقال لها ابنُ عَبْدَل — وكان قريبا منها — : يا أُخَيَّا ، أَتعرفين قائلَ هذا الشعر؟ قالت : نعم ، ابن عَبْدَل الأَسَدِىّ . قال : أَفَتُثْبِتِينَه معرفةً؟ قالت : لا ؛ قال : فأنا هو ، وأنا الذى أقول :

وأُنعِظُ أحيانا فينقدُّ جلدُه * وأَعذِلُه[4] جُهْدِى فلا ينفعُ العَذْلُ[4]

---

(١) كذا فى ط . وفى باقى الأصول : « وعيره » . (٢) كذا فى ط . وهو الموافق لما تقدم فى ج ١ ص ٣٥ من هذه الطبعة وفى هذا الجزء ص ٤٠٦ ؛ وفى باقى الأصول « محمد » .

(٣) فى حـ « منصور » . (٤) كذا فى أ ، م ، حـ . وفى باقى النسخ : « وأعزله » بالزاى وهو تحريف .

وأزدادُ نَغْظًا حين أُبصِرُ جارتى ✻ فأُوثِقُه كيما يَثُوبَ(١) له عقلُ

ورُبَّما لم أدرِ ما حِيلَتى له ✻ اذا هو آذانى وغَرَّ بِهِ الجهلُ

فآويتُه فى بطن جَارِى وجارتى ✻ مكابرةً قُدْمًا(٢) و إن رَغِمَ البَعْلُ

فقالت له المرأة : بئس والله الجارُ للمُغِيبة(٣) أنتَ ، فقال : إى والله ، وللتى معها زوجها وأبوها وابنُها وأخوها .

١٥٢ / ٢

قدم على ابن هبيرة مستجديا فأعطاه بعد إلحاح ما أراد

أخبرنى محمد بن زكريا الصَّحَّاف(٤) قال حدّثنا قَعْنَب بن المُحْرِز الباهلىّ قال حدّثنا الهَيْثَم بن عَدِىّ وأخبرنى به حبيب بن نصر المُهَلَّبىّ قال حدّثنا عبد الله بن أبى سعد قال حدّثنى علىّ بن الحسن قال حدّثنى أبو خالد الخُزَاعىّ الأَسْلَمِىّ عن الهيثم بن عدىّ عن ابن عيّاش قال :

قَدِمَ الحَكَمُ بن عَبْدَل الشاعر الكوفىّ واسطا(٥) على ابن هُبَيْرة وكان بخيلا ، فأقبل حتى وقف بين يديه ثم قال :

أتيتك فى أمرٍ مِنَ آمر عَشِيرتى ✻ وأَعْيَا(٦) الأمورِ المُقْطِعَاتِ(٧) جَسِيمُها

فإن قلتَ لى فى حاجتى أنا فاعلٌ ✻ فقد ثَلِجَتْ نفسى وولَّتْ همومُها

قال : أنا فاعل إن اقتصدتَ ، فما حاجتك؟ قال : غُرْمٌ لَزِمَنِى فى حَمَالة(٨) ، قال : وكم هى؟ قال : أربعة آلاف ، قال : نحن مُنَاصِفُوكها ، قال : أصلح الله الأمير ،

(١) كذا فى ط . وفى باقى الأصول : « يكون » . (٢) القدم (بضمتين وسكنت الدال لضرورة الشعر) : المضىّ الإقدام . (٣) المغيبة : التى غاب عنها زوجها . (٤) الصحاف كشدّاد : بائع الصحف أو صانعها . (٥) واسط : بلد خطه الحجاج بين البصرة والكوفة ، يصرف ولا يصرف . (٦) كذا فى ا ، م . وفى ط : « أغنى » . وفى باقى الأصول : « أعمى » وكلاهما تحريف . (٧) كذا فى ط . وفى باقى الأصول : « المقطعات » . (٨) الحمالة : الكفالة ، أى الضمان .

أتخاف على التُّخَمة إن أتممتها؟ قال : أكره أن أعوِّد الناسَ هذه العادةَ ؛ قال : فأعطِنى جميعَها سرًّا وامنعنى جميعَها ظاهرًا حتى تُعوِّد الناسَ المنعَ وإلّا فالضررُ عليك واقع إن عوّدتهم نصفَ ما يطلُبون ؛ فضحِك ابنُ هُبَيرة وقال : ما عندنا غيرُ ما بذلناه لك ؛ فجثا بين يديه وقال : امرأتُه طالقٌ لا أخذتُ أقلّ من أربعة آلاف أو أنصرفُ وأنا غضبان ؛ قال : أعطوه إيّاها قبّحه الله فإنه — ما علِمتُ — حلّاف مَهِين(١) ؛ فأخذها وانصرف .

أخبرنى حَبيب بن نصر المُهلَّبى قال حدّثنا العَنَزى قال حدّثنى محمد بن معاوية الأَسَدى قال حدّثنى مشايخنا من بنى أسَد محمدُ بن أنس وغيرُه قالوا :

لمّا وقعَ الطاعون بالكوفة أفنى بنى غاضِرة ومات فيه بنو زِرّ بن حُبَيش الغاضِرى صاحب علىّ بن أبى طالب عليه السلام ، وكانوا ظُرفاء ، وبنو عمٍّ لهم ، فقال الحَكَمُ بن عَبْدل الغاضِرى يرْثيهم :

أبعدَ بنى زِرٍّ و بعدَ ابن جَنْدَلٍ ... وعمرو أرَجّى لذّة العيش فى خَفْض
مَضَوْا وبقِينا نأمُل العيشَ بعدهم ... ألَا إنّ مَن يبقَى على إثْرِ مَن يمضِى
فقد كان حَوْلى من جِيادٍ وسالمٍ ... كُهولٌ مَساعيرٌ(٢) وكلُّ فتًى بَضّ(٢)
يَرَى الشّحّ عارًا والسماحةَ رِفْعةً ... أغرُّ كعودِ البانةِ الناعِمِ الغَضّ

قال أبو الفرج : ونسختُ من كتاب أبى مُحلِّم قال : سأل الحَكَمُ بن عبدل أخو بنى نصر بن قُعَين محمدَ بن حسّان بن سعد حاجةً لرجلٍ سأله مسألتَه إيّاها ، فردّه ولم يَقْضِها ؛ فقال فيه ابنُ عَبْدَل :

---

(١) مهين : فاجر . (٢) مساعير : جمع مسعار وهو موقد نار الحرب ، وبض : رخص .

رأيتُ محمّدًا شَرِهًا ظلومًا * وكنتُ أراهُ ذا وَرَعٍ وقَصْدِ

يقول أماتنى رَبِّى خِداعًا * أماتَ اللهُ حسّانَ بن سَعْدِ

فلولا كَسْبُه لَوُجِدْتَ فَسْلًا (١) * لَئِيمَ الكَسْبِ شأنُك شأنُ عَبْدِ

رَكِبْتُ اليه فى رَجُلٍ أتانى * كريمٍ يَبْتَغِى المعروفَ عندى

فقلتُ له وبعضُ القولِ نُصْحٌ * ومنه ما أُسِرُّ له وأُبْدِى

تَوَقَّ دراهمَ البَكْرِىِّ (٢) إنى * أخافُ عليك عاقبةَ التعدِّى

أُقَرِّبُ كلَّ آصرةٍ ليدنو * فما يزدادُ منِّى غيرَ بُعْدِ

فأُقسمُ غيرَ مُسْتَثْنٍ يمينا * أبا بَحْرٍ (٣) لتَتَّخِمَنَّ رِدِّى

أخبرنى محمد بن عِمْران الصَّيْرَفىّ قال حدّثنا الحسن بن عُلَيل العنزىّ قال حدّثنى ١٥٣ / ٣
أحمد بن بُكَيْر الأَسَدىّ قال حدّثنى محمد بن (٤) أنس السَّلامىّ قال حدّثنى محمد
ابن سَهْل الأَسَدِىّ راوية الكُمَيْت :

أنّ الحَكَم بن عَبْدَل الأَسَدِىّ أتى محمدَ بن حَسّان بن سعد التَّميمىّ وكان على خَراج الكوفة، فكلّمه فى رجل من العرب أن يضع عنه ثلاثين درهمًا من خَراجه؛ فقال : أماتنى الله إن كنتُ أقدِر أن أَضَعَ من خراج أمير المؤمنين شيئا؛ فانصرف ابن عبدل وهو يقول :

---

(١) الفسل : المسترذل الضعيف الذى لا مروءة له ولا جلد. (٢) كذا فى ط، وفى باقى الأصول : «زائم». (٣) كذا فى أغلب الأصول، وفى ط : «بحر» بالحاء المهملة وهو تحريف.
(٤) كذا فى [illegible] ، ح ، ط [illegible] وهو الموافق لما سيرد قريبا ص ٤١٧ ، وفى [illegible] الأسدى عن محمد [illegible] ابن [illegible] محمد بن أبى [illegible] فى [illegible] الأسدى، وعن ابن [illegible]

دَعِ الثلاثين لا تَعرِض لصاحبها * لا باركَ اللهُ فى تلك الثلاثينا

كأشتفان[1] يرى قوما يَدُوسُونا[2] * لمّا علا صوتُه فى الدار مُبتكرا

إمارةً صرتَ فيها اليوم مَفْتونا * أحسِنْ فإنّك قد أُعطيتَ مملكةً

أقسمتُ بالله إلّا قلتَ آمينا * لا يُعطِك اللهُ خيرا منهما أبدا

قال : فلم يضع له شيئا مما على الرجل، فقال فيه :

رأيتُ محمّدا شَرِهًا ظَلُوما * وكنتُ أراهُ ذا وَرَعٍ وقَصْدِ

يقولُ أماتنى ربّى خِداعًا * أماتَ اللهُ حسّانَ بنَ سَعْدِ

فما صادفتَ فى قَحْطانَ مِثْلى * ولا صادفتُ[3] مِثْلَك فى مَعَدِّ

أقلَّ براعةً وأشدَّ بُخْلًا * وألأمَ عندَ مسئلةٍ وحَمْدِ

نَحَوْتُ[4] محمّدا ودُخانُ فيه * كَرِيحِ الجَعْرِ[5] فوقَ عَطِينِ[6] جِلْدِ

فأُقسِمُ غيرَ مُسْتَثْنٍ يمينا * أبا بَحْرٍ[7] لَتَتَخِسَنَّ رِدى

فلو كنتَ المهذَّبَ من تميمٍ * لَخِفتَ مَلامتى ورجوتَ حَمْدى

نَكَهْتَ علىَّ نَكْهةَ أخدرِىٍّ[8] * شَتِيمٍ أعصَلِ الأنيابِ وَرْدِ

(١) كذا فى أغلب الأصول . وفى ح : « كاستمار » . (٢) كذا فى أغلب الأصول . وفى ح : « يسوقونا » . (٣) كذا فى ح . وفى باقى الأصول : « كما » . (٤) كذا فى كتاب الحيوان للجاحظ طبع مطبعة السعادة ص ١١٩ ، وفى جميع الأصول : « نقدت » . (٥) الجعر : نجو كل ذات مخلب من السباع . (٦) العطين : الجلد المنتن من عطن الجلد يعطنه اذا وضعه فى الدباغ وتركه حتى فسد وأنتن . (٧) كذا فى أغلب الأصول . وفى ط : « أبا بحر » بالحاء . وهو تحريف . (٨) المراد من الأخدرىّ الأسد ، غير أن الوارد فى اللسان وتاج العروس فى وصف الأسد خادر ومخدر ؛ يقال : خدر الأسد اذا لزم خدره أى عرينه فهو خادر ، وأخدر أى اتخذ الأجمة خدرا فهو مخدر ، وانما جاء الأخدرىّ لحمار الوحش نسبة الى فحل يقال له أخدر ، وجاء أيضا فى وصف الليل كما قال العجاج : « ومخدر الأخدار أخدرىّ » . والشتيم : الأسد العابس . وأعصل الأنياب : معوجها ، والورد : الأحمر الضارب الى الصفرة .

فما يدنو إلى فَمِهِ ذُبابٌ * ولو طُلِيَتْ مَشافِرُه بقَنْدِ[1]
فإن أهديتَ لى من فِيك حَتْفًا * فإنّى كالذى أهديتَ مُهْدِى

قال محمدُ بن سَهْل : وما زال ٱبنُ عبدل يزيد فى قصيدته هذه الدالية حتى مات وهى طويلة جدًا . قال : واشتهرتْ حتى إنْ كان المُكارِى لَيسوق بغلَه أو حمارَه فيقول : عَدْ[2] * أماتَ اللهُ حَسّانَ بن سَعْدْ * فإذا سمع ذلك أبوه قال : بل أماتَ اللهُ ابنى محمدًا ، فهو عَرَّضنى لهذا البلاء فى ثلاثين درهما .

ابن عبدل وأبو المهاجر

أخبرنى أحمد بن محمد بن زكريا الصَّحّاف قال حدّثنا قَعْنَبُ بن مُحْرِز قال أخبرنا الهَيْثم بن عَدِىّ قال :

دعا أبو المُهاجر الحَكَمَ بن عَبْدَل ليشرب عنده وله جارية تغنِّى فغنّت ، فقال ٱبن عبدل :

يا آبا المُهاجر قد أردتَ كرامتى * فأهنتَنى وضررتَنى لو تَعْلَمُ
عند التى لو مَسّ جِلْدِى جلدها * يومًا بَقِيتُ مُخَلَّدًا لا أَهْرَمُ
أو كنتُ فى أَحْمَى جهنّم بقعةً * فرأيتُها بَرَدتْ علَىَّ جهنّمُ

قال : فجعل أبو المهاجر يَضْحَك ويقول له : وَيْحَك ! واللهِ لو كان إليها سبيلٌ لوهبتُها لك ، ولكن لها مِنّى ولدٌ . ١٥٤/٢

ابن عبدل وعمر ابن يزيد الأسدى

أخبرنا الحسن بن علىّ قال حدّثنا أحمد بن الحارث الخَرّاز عن المدائنىّ قال : كان عمر بن يزيد الأسدىّ مُبَخَّلًا ، ووجده أبوه مع أَمَةٍ له فكان يُعَيَّر بذلك ، وجاءه

(١) القند : عسل قصب السكر إذا جمد . (٢) هذه الكلمة تقولها العامة لزجر البغال بدل «عدس» . قال صاحب اللسان (مادة عدس) : «وعدس وحدس زجر للبغال والعامة تقول عد» .

الحكمُ بن عبدل الأسدىّ ومعه جماعة من قومه يسألونه حاجةً، فدخلوا إليه وهو يأكل تمرا فلم يَدْعُهم اليه. وذكروا له حاجتهم فلم يَقْضِها؛ فقال فيه آبن عبدل :

جئنا وبين يديه التمرُ فى طَبَقٍ * فما دعانا أبو حَفْصٍ ولا كادا
علا على جسمه ثوبان من دَنَسٍ * لؤمٌ وجُبْنٌ ولولا أَيْرُه سادا

ابن عبدل يقتضى ديون امرأة موسرة من الكوفة

أخبرنى على بن سليمان الأخفش قال أخبرنا محمد بن الحسن الأَحْوَل عن أبى نصر عن الأصمعىّ قال :

كانت امرأة موسرة بالكوفة وكانت لها على الناس ديون بالسَّواد، فاستعانت(1) بابن عبدل فى دَينها. وقالت: إنى آمرأة ليس لى زوج. وجعلت تُعَرِّض بأنها تُزوِّجه نفسها. فقام آبن عبدل فى دَينها حتى اقتضاه. فلما طالبها بالوفاء كتبتْ إليه :

سيُخطئك الذى حاولتَ منى * فقطِّعْ حبلَ وصلك من حبالى
كما أخطاك معروفُ آبن بِشْرٍ * وكنتَ تَعُدّ ذلك رأسَ مالِ

قال: وكان ابنُ عبدل أتى ابنَ بشر بالكوفة فسأله. فقال له: أخمسمائة أَحَبُّ اليك الآن عاجلة أم ألف فى قابل؟ قال: ألف فى قابل. فلما أتاه قال له: ألف أَحبّ اليك أم ألفان فى قابل؟ قال: ألفان. فلم يزل ذلك دأبَه حتى مات آبن بشر وما اعطاه شيئا.

آبن عبدل وعبد الملك بن بشر بن مروان

أخبرنى عمى قال حدّثنا الكُرانى قال حدّثنا العُمَرى عن لَقِيط قال :

دخل آبن عبدل على عبد الملك بن بشر(2)، فقال له: ما أحدثتَ بعدى؟ قال: خطبتُ امرأة من قومى فردّت علىّ جواب رسالتى ببيتَىْ شعر. قال: وما هما؟

---

(1) فى ط : « فاستغاثت » . (2) كذا فى ا ، م ، ط . وهذا يوافق ما تقدّم فى هذه الصفحة من أن ابن عبدل أتى ابن بشر بالكوفة ، والمراد عبد الملك بن بشر بن مروان . وقد كان مسلمة بن عبد الملك وجهه أميرا على البصرة (انظر تاريخ ابن جرير الطبرى فى حوادث سنة ١٠٢) وفى باقى الأصول : « عبد الملك بن مروان » .

قال : قالت :

سيخطئك الذى حاولتَ منى * فقطّع حبلَ وصلك من حبالى
كما أخطاك معروف آبن بشر * وكنتَ تعدّ ذلك رأسَ مالِ

فضحِك عبدُ الملك ، ثم قال : لحاد[1] ما أذْكَرتَ بنفسك ! وأمر له بألفى درهم .

ابن عبدل وبشر ابن مروان

أخبرنى أبو الحسن الأَسَدى وحَبيب بن نصر المُهَلَّبى قالا حدّثنا الحسن بن عُلَيْل قال حدّثنا محمد بن معاوية الأسدى قال حدّثنى مِنْجاب بن الحارث قال حدّثنى عبد الملك بن عفّان قال :

كان الحكم بن عبدل الأسدى ثم الغاضِرى صديقا لبشر بن مروان ، فرأى منه جَفاءً لشُغلٍ عَرَض له ، فغبر[2] عنه شهرا ، ثم آلتقَيا فقال : يابن عبدل ، مالك تركتنا وقد كنت لنا زَوّارا؟ فقال آبنُ عبدل :

كنتُ أُثنى عليك خيرا فلما * أَضْمر القلبُ من نَوالك ياسا
كنت ذا مَنْصب قَنيتُ حَيائى * لم أَقُل غيرَ أن هجرتُك باسا
لم أُطِق ما أردتَ بى يابن مروا * ن سَتَلقى اذا أردتَ أُناسا
يَقْبلون الخَسيس منك ويُثْنو * ن ثناءً مُدَخْمَسًا[3] دِخْمَاسا

فقال له : لا نَسُومك الخسيسَ ولا نريد منك ثناءً مدخمسا ، ووصَله وحَمَله وكساه .

---

(١) كذا فى ط ، ء ، ح . وفى سائر النسخ : « لحاك الله ما أذكرت بنفسك » .

(٢) كذا فى ا ، م ، ط . وغبر عنه : ذهب عنه ولم يره . وفى باقى الأصول : « فغيب عنه » .

(٣) يقال : ثناء مدخمس ودخماس أى ليست له حقيقة ، وهو الذى لا يبين ولا يجدّ فيه . وقد ذكر صاحب اللسان فى مادة « دخمس » هذا المعنى واستشهد له بهذا البيت .

ابن عبدل وقد طلبه عمر بن هبيرة للغزو

١٥٥ / ٢ أخبرني الأسدي قال حدثنا الحسن بن عُلَيل العنزي قال وحدثني محمد بن معاوية قال حدثني مِنجاب بن الحارث عن عبد الملك بن عفان قال :

أراد عمرُ بن هُبَيْرة أن يُغْزِيَ(١) الحكَمَ بن عَبْدَل الغاضري ، فاعتلّ بالزَّمانة(٢) فحُمِل وأُلقِيَ بين يديه بجُرْدِه فاذا هو أعرج مفلوج ، فوضَع عنه الغزوَ وضمّه اليه وشخص به معه الى واسط ؛ فقال الحكم بن عبدل :

لَعَمْري لقد جرّدتني فوجدتني * كثير العيوب سَيِّئَ المُتَجرَّدِ(٣)

فاعفيْتَني لمّا رأيتَ زمانتي * وَوُفِّقتَ منّي للقضاء المُسَدَّدِ

فلما صار عمر إلى واسط شكا اليه الحكمُ بن عبدل الضَّبَعَة(٤) ، فوهَب له جارية من جَواريه ، فواتَبها ليلةَ صارتْ اليه فنكحها تسعا أو عشرًا طَلَقًا(٥) ، فلما أصبحتْ قالت له : جُعِلتُ فِداكَ من أيّ الناس أنت؟ قال : آمرؤٌ من أهل الشام ؛ قالت : بهذا العمل نُصِرْتُم .

أعفاه الحجاج من الغزو

أخبرني بهذا الخبر محمد بن عمران الصَّيْرَفي ، قال حدثنا الحسن بن عَلِيل قال حدثنا أحمد بن بُكَيْر الأسدي عن محمد بن أنس السَّلامي عن محمد بن سهل رَاوِيةِ الكُمَيْت فقال فيه :

---

(١) يقال : أغزاه إغزاء : بعثه الى العدو غازيا . (٢) الزمانة : العاهة .

(٣) سيئ المتجرد : يريد به أنه سيئ الجسم . وفي صفته صلى الله عليه وسلم أنه كان أنور المتجرد ، أي ما جرد عنه الثياب من جسده وكشف . (٤) الضبعة : شدة شهوة الفحل ، وهو المناسب للمقام . وفي ب ، س ، حـ : « الضيعة » بالياء . وفي أ ، ء ، م ، ط : « الضبقة » .

(٥) طلقا : شوطا واحدا .

ضرب الحجاج البَعْثَ(١) على المُحتلِمين ومن أنْبتَ(٢) من الصِّبيان ، فكانت المرأة تجىء إلى ابنها وقد جُرِّد فتضمه إليها وتقول له : « بأبى » جزعًا عليه ، فسُمِّى ذلك الجيش « جيش بأبى » ، وأُحضِر ابنُ عبدل فجُرِّد فوُجد أعرج فأُعْفِىَ ، فقال فى ذلك :

* لعمرى لقد جَرّدتنى فوجدتنى *

البيتين ، وزاد معهما ثالثا وهو :

ولستُ بذى شَيْخين يلْتزِمانه * ولكن يَتِيمُ ساقطُ الرِّجل واليدِ

تزوج همدانية ولما كرهها قال فيها شعرا

أخبرنى أبو الحسن الأسدى قال حدّثنا العنزى قال حدّثنا محمد بن معاوية عن مِنْجاب عن عبد الملك بن عفان قال :

توَجَ ابنُ عبدل امرأةً من هَمْدان(٣) فقالوا له : على كم تزوجْتَ ؟ فقال :

تَزوجتُ همْدانيّةً ذات بهجةٍ * على نَمَطٍ(٤) عادِيّة ووسائد

لعمرى لقد غاليتُ بالمَهْر إنه * كذاك يُغَالَى بالنساء المَواجِدِ(٥)

قال : فلما دخَل بها كرِهها فقال :

أعاذِلتىَّ من لَومٍ دعانى * أقِلّا اللومَ إن لم تعذِرانى

فإنى قد دُلِلتُ على عجوز * مُبرقَعة مخضَّبة البَنانِ

(١) البعث : بعث الجند الى الغزو . (٢) أنبت الغلام : راهق و بلغ مبلغ الرجال .

(٣) كذا فى أغلب الأصول . وفى ب ، سـ : « همذان » بالذال المعجمة ، وقوله فى البيت الآتى : « تزوجت همدانية ذات بهجة » يرجح ما أثبتناه فى الأصل لأن همدان الساكنة الميم إنما هى بدال مهملة وهى اسم لقبيلة باليمن .

(٤) كذا فى جميع الأصول ، والنمط : ضرب من البسط وجمعه أنماط ، ولم يظهر لوصف النمط بقوله « عادية » وجه إذ لم نجده فيما يؤنث من الأسماء . والعادية : نسبة الى عاد ، وهو كناية عن القدم ، يقال : بئر عادية أى قديمة . فلعله محرف عن « بسط » . (٥) المواجد : جمع ماجدة ، وهى المرأة السمحة الحسنة الخلق .

تَغَضّن جلدُها وآخضرّ إلا * اذا ما ضُرِّجَتْ بالزعفرانِ
فلما أن دخلتُ وآدنَتْنى * أَظَلَّتْنى بيومٍ أَرْوَنانِ (١)
تُحدِّثنى عن الأزمان حتى * سمعتُ نداءَ حُرٍّ (٢) بالأذان
فقالت قد نَكَحْتُ اثنين شتّى * فلما صاحَبانى (٣) طَلّقانى
وأربعةً نكحتُهم فماتوا * فليت عَزِيفَ حىٍّ (٤) قد نعانى
وقالت ما تِلادُكَ قاتَ مالى * حمارٌ ظالعٌ ومَزادتانِ
وبُورِىٌّ (٥) وأربعةٌ زُيُوفٌ (٦) * وثوبَا مُفْلِسٍ مُتَخَرِّقانِ
وقِطعةُ جُلّةٍ (٧) لا تَمْرَ فيها * ودَنّا عومةٍ (٨) مُتَقابلانِ
فقالت قد رَضِيتُ فسَمِّ ألفا * ليسمع ما تقولُ الشّاهدانِ ١٥٦/٢
وما لكِ عندنا ألفٌ عَتِيدٌ * ولا تِسْعٌ تُعَدّ ولا ثَمانِ
ولا سَبْعٌ ولا ستٌّ ولكن * لكم عندى الطويلُ من الهَوانِ

أخبرنى محمد بن الحسن بن دُرَيْد قال حدّثنى عمّى عن أبيه عن ابن الكلبىّ قال :

كان الحَكَمُ بنُ عَبْدل الأَسَدىّ منقطعا الى بِشْر بن مَرْوان، وكان يأنَس به ويُحبّه ويَسْتطِيبه، وأخرجه معه الى البَصْرة لمّا وَلِيَها، فلما مات بِشْر جَزِع عليه الحَكَمُ وقال يرْثيه :

(١) أرونان : صعب .
(٢) فى ا ، م : «آخر» . (٣) كذا فى ى وهامش ط مكتوبا بجانبها كلمة «صح» . وفى ا ، م ، ط : «صادقانى» . وفى باقى الأصول : «صابحانى» ولم نجد فى اللسان ولا تاج العروس صيغة فاعل من هذه المادة . (٤) كذا فى ط . وفى سائر النسخ : «عزيف جنّ» .
(٥) البورى : الحصير المنسوج من القصب ، فارسى معرب . (٦) أى أربعة دراهم زائفة .
(٧) الجلة : قفة كبيرة للتمر . (٨) كذا فى جميع النسخ ولم نفهم المراد منها .

أصبحتُ جَمّ بَلَابِلِ[1] الصَّدْرِ * مُتَعَجِّباً لتصرُّفِ الدَّهْرِ
ما زلتُ أطلبُ فى البلاد فتًى * ليكون لى ذُخْراً من الذُّخْرِ
ويكون يُسعدنى وأُسعده * فى كلّ نائبةٍ من الأمرِ
حتى اذا ظَفِرتْ يداىَ به * جاء القضاءُ بحَيْنِه يَجْرِى
إنّى لَفِى هَمٍّ يباكُرُنى * منه وهمٌّ طارقٍ يَسْرِى
فلأَصْبِرَنّ[2] وما رأيتُ دوىً[3] * للهمِّ غيرَ[4] عزيمةِ الصبرِ
واللهِ ما استعظمتُ[5] فُرْقَتَه * حتى أحاط بفضله خُبْرِى

خرج مع عمال بنى أمية الى الشام وكان يسمر عند عبد الملك فأنشده ليلة شعرا

أخبرنى ابن دُرَيْد قال حدّثنى عمّى عن أبيه عن ابن الكلبىّ قال: لما ظَفِر ابن الزُّبَيْر بالعراق وأخرج عنها عُمّال بنى أمية خرج ابنُ عَبْدَلٍ معهم الى الشأم، وكان ممّن يدخُل الى عبد الملك ويَسْمُر عنده، فقال لعبد الملك ليلةً:

يا ليتَ شعرى وليتٌ رُبَّما نفعتْ * هل أبصرَنَّ بنى العوّام قد شَمِلُوا
بالذلّ والأَسْرِ والتشريد إنهمُ * على البَرِيّة حَتْفٌ حيثما نَزَلُوا
أم هل أراكَ بأكناف العراق وقد * ذلّت لِعزِّك أقوامٌ[6] وقد نَكَلُوا

فقال عبد الملك — ويُرْوَى أنه قائل هذا الشعر —:

---

(١) البلابل: جمع بلبال وهو شدّة الهمّ والوسواس فى الصدر. (٢) فى ء، أ، م: «فما». (٣) الدوى بالياء مقصورا: الدواء، وقد أنشد عليه صاحب اللسان فى مادة «دوا»:

* إلا المقيم على الدوى المتأفن *

(٤) فى هامش ط أشير بإزاء «غير عزيمة الصبر» الى رواية أخرى وهى: «مثل عزيمة الصبر». وكلتا الروايتين مستقيمة. (٥) فى ط، أ، م: «ما استطعمت» وقد أشير فى هامش ط الى الرواية المثبتة هنا أيضا. (٦) فى حـ: «أعداء».

إن يمكِنِ اللهُ من قيس ومن جَدَسٍ[(١)] * ومن جُذام ويُقتَل صاحبُ الحَرَمِ
نَضرِبْ جَماجمَ أقـوامٍ على حَنَقٍ * ضرباً يُنَكِّلُ عنّا سائرَ[(٢)] الأُمَمِ

يزيد بن عمرو بن هبيرة وبنت ابن عبدل

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش قال حدّثني هارون بن عليّ بن يحيى[(٣)] المنجّم عن أبيه قال حدّثني محمد بن عمر الجُرْجانيّ عن رجل من بني أسد قال:

٥ خرج يزيدُ بن عُمَر بن هُبَيرة يسير بالكوفة فانتهى الى مسجد بني غاضِرةَ، و أُقيمت الصلاةُ، فنزل يُصَلِّي، واجتمع الناسُ لمكانه في الطريق وأشرف النساءُ من السطوح، فلما قضى صلاته قال: لمن هذا المسجدُ؟ قالوا: لبني غاضرة، فتمثل قولَ الشاعر:

ما إن تَركْنَ من الغواضر مُعْصِراً * إلا قَصَمْنَ[(٤)] بساقها خَلخَالا

١٠ فقالتْ له امرأةٌ من المُشْرِفات:

ولقد عطفن على فَزارة عَطْفَةً * كَرَّ المَنِيحِ[(٥)] وجُلْنَ ثَمَّ مَجالا

فقال يَزيد: مَنْ هذه؟ فقالوا: بنت الحَكَم بن عَبْدَل؛ فقال: هل تلد الحيّةُ إلا حيّةً! وقام خَجِلا.

---

(١) كذا في ب، س، حـ. وجدس: بطن من كندة. وفي أ، م: «جرش» بالجيم وجرش (بضم ففتح): بطن من حمير. وفي ى، ط: «حرش» بالحاء المهملة. وحرش: اسم لعدة

١٥ قبائل. ولا نستطيع ترجيح احدى هذه الروايات. (٢) كذا في ى، ويشير الى صحته مابهامش ط. وفي باقي الأصول: «غابر الأمم». والغابر يطلق على الماضي والباقي، فهو من الأضداد. (٣) كذا في أ، م، حـ. وفي باقي النسخ: «هارون بن يحيى المنجم».

(٤) كذا في ى، ط. وفي سائر النسخ: «فصمن» بالفاء، والفرق بين الفصم والقصم أن

٢٠ الفصم كسر من غير بينونة، والقصم هو أن ينكسر الشيء فيبين. (٥) المنيح: اسم فرس قيس بن مسعود الشيباني.

ابن عبدل وصاحب العسس

أخبرنى محمد بن خلف بن المَرْزُبان قال حدّثنى أحمد بن الهَيْثَم قال حدّثنا العُمَرِىّ عن عطاء بن مُصْعَب عن عاصم بن الحَدَثان قال :

كان ٱبن عَبْدل الأسَدِىّ أعرجَ أحدب، وكان من أطيب الناس وأملحهم، فلقيه صاحبُ العَسَس ليلةً وهو سَكْرانُ محمولٌ فى مِحَفَّة(١)؛ فقال له : مَن أنت؟ فقال له : يا بَغِيض، أنت أعرفُ بى من أن تسألَنى مَن أنا، فاذهبْ الى شُغلك، فإنّك تعلمُ أن اللصوصَ لا يَخْرُجون بالليل للسَّرِقَة محمولين فى مِحَفَّة؛ فضحك الرجلُ وٱنصرف عنه .

ابن عبدل يعرض بابن هبيرة فى شعر حتى أغضبه

أخبرنى هاشم بن محمّد قال حدّثنا العبّاس(٢) بن مَيْمون طائع قال حدّثنى أبو عَدْنان عن الهَيْثَم بن عَدِىّ عن ٱبن عيّاش قال :

رأيتُ ابنَ عَبْدَل الأسدىّ وقد دخل على ابن هُبَيْرة، فقال له : أنشِدْنى شيئًا، فقال : أُنشدك مَقُولةً أيها الأمير؟ قال : هات، فأنشده هذه الأبيات — وهى قديمةٌ وقد تمثّل بها ابن الأشعث حينَ خرج، ويُرْوَى أنها لأعشَى هَمْدان — .

نجمّ(٣) ولا نُعطَى وتُعْطَى جُيُوشُهم * وقد مَلئوا مِن مالنا ذَا الأكارِعِ

وقد كلّفونا عُدّةً وروائعًا * فقد وأبى رُعْنا كُمُ بالرّوائعِ

ونحن جَلَبْنا الخيلَ من ألفِ فَرْسخٍ * اليكم بمُحْمَرٍّ من الموت ناقِعِ

قال : فغضب ابنُ هُبَيرة من تعريضه به، وقال له : والله لولا أنّى قد أمّنتك وٱستنشدتُك لضَربتُ عُنُقَك .

---

(١) المحفة : مركب من مراكب النساء كالهودج .

(٢) فى حـ : «العباس بن محمد بن طائع» . (٣) فى ط . «نجمر لا نعطى الخ» .

كانت له جارية سوداء فولدت ولدا فقال فيه شعرا

أخبرني محمد بن خلف بن المَرْزُبان أبو عبد الله [1] قال حدّثنا القاسم بن عبد الرحمن قال :

كانت للحكم بن عَبْدل جاريةٌ سوداء، وقد كان يَميل اليها فولَدَتْ له ابنًا أسودَ، فكان من أَعْرَم [2] الصِّبيان، فقال فيه :

يا رُبَّ خالٍ لكَ مُسْوَدِّ القفا • لا يَشْتكى من رِجْلِه مَسَّ الحفا

كأنّ عَيْنَيْــه اذا تَشَــوَّفا • عَيْنا غُرابٍ فوقَ نِيقٍ [3] أَشْرَفا

هجا عمر بن يزيد الأسدى لبخله

أخبرنا محمد بن خلف بن المَرْزُبان أبو عبد الله قال حدّثنا عُبَيد الله [4] بن محمد قال حدّثنا المدائنى قال :

كان عُمَرُ بن يزيد الأسدى بخيلا على الطعام، فدخل عليه الحَكَمُ بن عبدل الشاعر وهو يأكل بِطِّيخا، فسلّم فلم يَرُدّ عليه السلامَ ولم يَدْعُه الى الطعام، فقال ابنُ عَبْدل يهجُوه :

فى عُمَرَ بن يزيد خَلَّتا دَنِسٍ • بُخْلٌ وجُبْنٌ ولولا أَيْرُهُ سادا

جِئْناه يأكُل بِطِّيخًا على طَبَقٍ • فما دعانا أبو حفص ولا كادا

قال وكان عُمر على شُرْطة الحجّاج وكان بخيلا جدًّا، فأصابه قُولَنْجٌ [5] فحقَنه الطبيبُ بدُهن كثير، فانحلّ ما فى بطنه فى الطَّسْت، فقال للغلام : ما تصنع به؟ قال : أَصُبُّه، قال : لا! ولكن مَيِّزْ منه الدُّهنَ واستصبِحْ به .

(١) كذا فى ا ، م . وفى سائر النسخ : «أبو بكر» وهو خطأ اذ أن كنيته فى كتب التراجم أبو عبد الله ، وسيأتى فى هذه الصفحة «أبو عبد الله» باتفاق النسخ . (٢) من أعرم الصبيان : من أخبثهم يقال : عرم الصبىّ (بالفتح والضم والكسر) اذا خبث . (٣) النيق بالكسر : أرفع موضع فى الجبل .

(٤) فى ح : «عبد الله» .

(٥) القولنج : مرض معوىّ مؤلم يعسر معه خروج الثفل والريح .

ابن عبدل ومحمد ابن عمير كاتب عبد الملك بن بشر

أخبرنى عيسى بن الحُسين الوَرّاق قال حدّثنا أبو هِفّان قال :

كان لعبد الملك بن بشر بن مَرْوان كاتبٌ يقال له محمد بن عُمَير وكان كلّما مدحه ابنُ عَبْدل بشىء وأمر له بجائزة دافعه بها وعارضه فيها، فدخل يوما الى عبد الملك وكاتبُه هذا يُسَارُّه، فوقف وأنشأ يقول :

ألقيتَ نفسَكَ فى عَرُوض مَشَقَّةٍ[1] * وحَصَادُ أنفك بالمَنَاجِل أهونُ
فبحقِ أُمِّكَ وهى غيرُ حقيقة * باللِّين[2] واللُّطف الذى لا يُحْزِن[3]
لا تُدْنِ فاكَ الى الأمير ونَحِّه * حتى يُداوِىَ تَنْتَه لك أهونُ[4]
إن كان للظَّرِبانِ[5] جُحْرٌ مُنْتِنٌ * فلَجُحْرُ أنفِكَ يا محمدُ أنتنُ

خطب امرأة فأبت فقال فيها شعرا يعيرها

أخبرنى محمد بن عِمْران الصَّيرفىّ قال حدّثنا العَنَزِىّ قال حدّثنى أحمد بن بُكَيْر الأسدىّ عن محمد بن أنَس السَّلامىّ عن محمد بن سَهل راوية الكُمَيْت قال :

خطب ابنُ عبدل امرأةً من هَمْدَان[6] يقال لها : أمُّ رِيَاح[7] فلم تتزوجه، فقال : أما واللهِ لأفضحنَّك ولأُعيِّرنك[8] فقال :

فلا خيرَ فى الفِتْيان بعدَ ابنِ عَبْدَلٍ * ولا فى الزوانى بعد أمِّ رِيَاح
يَرى بحمد الله ماضٍ مُجرَّبٌ * وأمّ رِيَاحٍ عُرْضَةٌ لِنكَاحِ

---

(١) العروض : الطريق فى عرض الجبل فى مضيق . (٢) فى ح : « بالبر » .
(٣) كذا فى ط . وفى أغلب الأصول : « لا يحزن » . (٤) كذا فى ا ، م ؛ س . ولم نجد له فى كتب اللغة التى بأيدينا معنى سوى أنه اسم رجل . وفى سائر النسخ « أهرن » ولم نعثر له على معنى . (٥) الظربان : دويبة كالهرة كثيرة الفسو منتنة . (٦) كذا فى أغلب الأصول . وفى ب ، س ، ح : «همذان» بالذال المعجمة . (٧) كذا فى ح بالياء المثناة . وفى سائر النسخ : « رباح » بالباء الموحدة (انظر الحاشية رقم ١ ص ٣٢٤ من الجزء الأول) .
(٨) فى ب ، ء ، ح ، ط : « ولأعرنك » . وعره : ساءه وسبه .

ولد له ولد سماه بشرا تيمنا ببشر بن مروان

قال : فتحاماها النـاسُ فما تزوجتْ حتى أسنتْ . وبهذا الإسناد عن محمد ابن سهل قال : وُلِدَ للحكم بن عَبْدَل ٱبنٌ فسماه بِشرا . ودخل على بِشْر بن مَرْوان فأنشـــده :

تَسَمَّيتُ بِشْرًا بِبشْرِ النَّـدَى * فلا تَفْضَحَنِّي بتَصْـدِيقها
إذا ما قُرَيشُ قُرَيشُ البِطا * حِ عنـد تَجَمُّـعِ آفاقِها
تَسامتْ قُرُومُهم للنَّـدَى * تُبارِى الرِّياحَ بأَوْرَاقِها[1]
فمالُكَ أنفـعُ أموالِها * وَخُلْقُكَ أكرمُ أخلاقِها

اقترض مالا فدفعه عنه عبد الملك ابن بشر

فأمر له بألفَيْ دِرهم، وقال : ٱستَعِنْ بهذه على أمرك . وبإسناده عن محمد بن سهل قال : ٱقترض ٱبن عَبْدَل مالا من التُّجَّار وحلَف لهم بالطلاق ثلاثا أنْ يَقضيَهم المالَ عند طلوع الهلال . فلمّا بَقِيَ من الشهر يومان قال :

قد بات هَمِّي قِـرْنًا أُكابِدُهُ * كأنَّما مَضْجَعِي على حَجَـرِ
من رَهْبَـةٍ أنْ يُرَى هلالُ غدٍ * فإنْ رأوْه فحَـقَّ لى حَـذَرِى
من فَقْـدِ بيضـاءَ غادةٍ كَمُلَتْ[2] * كأنَّهـا صـورةٌ من الصُّوَرِ
أصبحتُ من أهلِ الغداةِ ومِن * مالى على مثـلِ ليلةِ الصَّـدَرِ[3]

فبلغ خبرُه عبدَ الملك بن بِشْر فأعطاهم مالهم عليه وأضعفَه له . فقال فيه :

لَمّـا أتاه الذى أُصِبْتُ بِهِ * وأَنْشَـدُوه إيّاه فى شِـعْرِى
جاد بِضِعْفَيْ ما حلَّ من غُرمِى * عفوًا فزالت حرارةُ الصَّـدْرِ
لأَشْكُرَنَّ الذى مَنَنْتَ بِهِ * ما دُمْتُ حيًّا وطال لى عُمْرِى

(١) أوراق جمع ورق وهو المال من إبل ودراهم وغيرها . (٢) كذا فى ح . وفى باقى الأصول : «وفقد» وهو تحريف . (٣) يقال : تركته على مثل ليلة الصدر، أى مضطربا كالناس حين يصدرون عن حجهم .

فضله الحجاج فى الجائزة على الشعراء

وقال محمد بن سهل بهذا الإسناد : اجتمع الشعراءُ الى الحجّاج وفيهم ابن عَبْدَل. فقالوا للحجاج : إنما شعرُ ابن عَبْدَل كلّه هجاءٌ وشعرٌ سخيف ، فقال له : قد سمعت قولهم فاستمع منّى ، قال هات ، فأنشده قوله :

وإنّى لأَسْتَغْنِى فما أَبْطَرُ الغِنَى * وأَعْرِضُ مَيْسُورِى لمَنْ يَبْتَغِى قَرْضِى
وأُعْسِرُ أَحْيَانًا فتَشْتَدُّ عُسْرَتِى * فأُدْرِكُ مَيْسُورَ الغِنى ومعى عِرْضِى

حتى انتهى الى قوله .

ولستُ بِذِى وَجْهَيْنِ فيمن عَرَفْتُهُ * ولا البُخْلُ فاعلَمْ مِن سَمائِى ولا أَرْضِى

فقال له الحجاج : أحسنتَ ! وفضّله فى الجائزة عليهم بألفَىْ دِرْهم .

أحد الأصوات المائة المختارة

صوت
من المائة المختارة

أَجَدَّ بعَمْرَةَ غُنْيَانُها * فتهجُرَ أم شأننا شانُها
فإنْ تُمس شطّتْ بها دارُها * وباحَ لكَ اليومَ هِجْرانُها
فما رَوْضَةٌ من رِياض القطا * كأنّ المَصابِيحَ حَوْذَانُها

(١) البطر : الطغيان عند النعمة . ونصب الغنى على إسقاط الخافض ، وبذلك أوّل قوله تعالى : (وكم أهلكنا من قرية بطرت معيشتها) ، قال صاحب اللسان : « وتأويله : بطرت فى معيشتها ، فحذف وأوصل . قال أبو إسحاق : نصب معيشتها بإسقاط فى وعمل الفعل ، وتأويله : بطرت فى معيشتها » اه .
(٢) فى ط : « بألف » . (٣) ورد فى أشعار العرب « رياض القطا » و « روض القطا » وقد ساق ياقوت فى معجم البلدان عند اسم روضة القطا نبذة من هذه الأشعار ، ثم نقل عن أبى جعفر محمد بن ادريس ما يدل على أنه من أرض اليمامة . (٤) الحوذان بالفتح : نبات سهلى حلو طيب الطعم يرتفع قدر الذراع ، له زهرة حمراء فى أصلها صفرة وورقه مدوّرة .

بأحسنَ منها ولا مُزْنَةٌ * دَلُوحٌ تَكَشَّفُ إدْجَانُها

وعَمْرَةُ من سَرَوات النّسا * ءِ تَنْفَحُ بالمسك أَرْدانُها

أجدّ : أستمرّ . وغُنْيانُها : آستغناؤها . أم شأننا شأنها : يقول أم هى على ما نحبّ . وشطّت : بعُدَت، قال ابن الأعرابىّ : يقال : شطّتْ وشَطَنت وشَسَعَت وتشسّعت وبعُدَت ونأت وتزحزحت وشَطَرت؛ قال الشاعر :

* لا تتركنّى فيهمُ شَطيرا[1] *

ومنه سُمّى الشاطر[2] . وباح : ظَهَر؛ ومنه باحَة الدار وأنشد :

* أتكتُمُ حُبّ سَلْمَى[3] أم تبُوحُ *

والرّوْضَة : موضع فيه نَبْتٌ وماء مستدير، وكذلك الحديقة . وقوله :

* كأنّ المصابيحَ حَوْذانُها *

أراد كأنّ حَوْذانها المصابيحُ فقلَب، والعرب تفعل ذلك؛ قال الأعشى :

* ... كأنّ الجَمْرَ مثلُ تُرابها *

أراد كأنّ ترابَها مثلُ الجمر . والمُزْنَةُ : السحابةُ . والدَّلُوحُ : الثقيلةُ ، يقال : مرّ يَدْلَحُ بحمله اذا مرّ به مُثْقَلا . والدَّجْن : إلباسُ الغيم السحاب برَشّ ونَدًى[4] ،

---

(١) شطيرا : غريبا . (٢) الشاطر : هو من أعيا أهله خبثا . قال صاحب اللسان : وأراه مولدا ، ووجه أخذه من شطر بمعنى بعد أنه يشطر عن أهله أى ينزح عنهم ويتركهم مراغما أو مخالفا . (٣) فى حـ : « ليلى » .

(٤) كذا فى أغلب الأصول . وفى ط : « إلباس الغيم برش وندى » بدون كلمة السحاب وفى اللسان فى مادة «دجن» والدجن : إلباس الغيم الأرض ، وقيل : إلباسه أقطار السماء .

يقال : أدجنت السماء، [وقوله : تكشّف إدجانُها][(١)] إذا انكشف السوادُ عنها، وذلك أحسن لها، وأراد مُزْنة بيضاء. والأرْدان : ما يلى الذراعين جميعا والإبطَين من الكُمّين.

الشعر لقيْس بن الخطيم، والغناء لطُوَيْس خفيف ثقيل أوّل بإطلاق الوتر فى مَجْرَى الوُسْطَى.

---

(١) زيادة فى ء، ط. وهى تكملة يتطلبها السياق.

إلى هنا انتهى الجـزء الثـانى من كتاب الأغانى

ويليه إن شاء الله تعالى الجـزء الثـالث منه، وأوّله :

ذكر قيس بن الخطيم وأخباره ونسبه